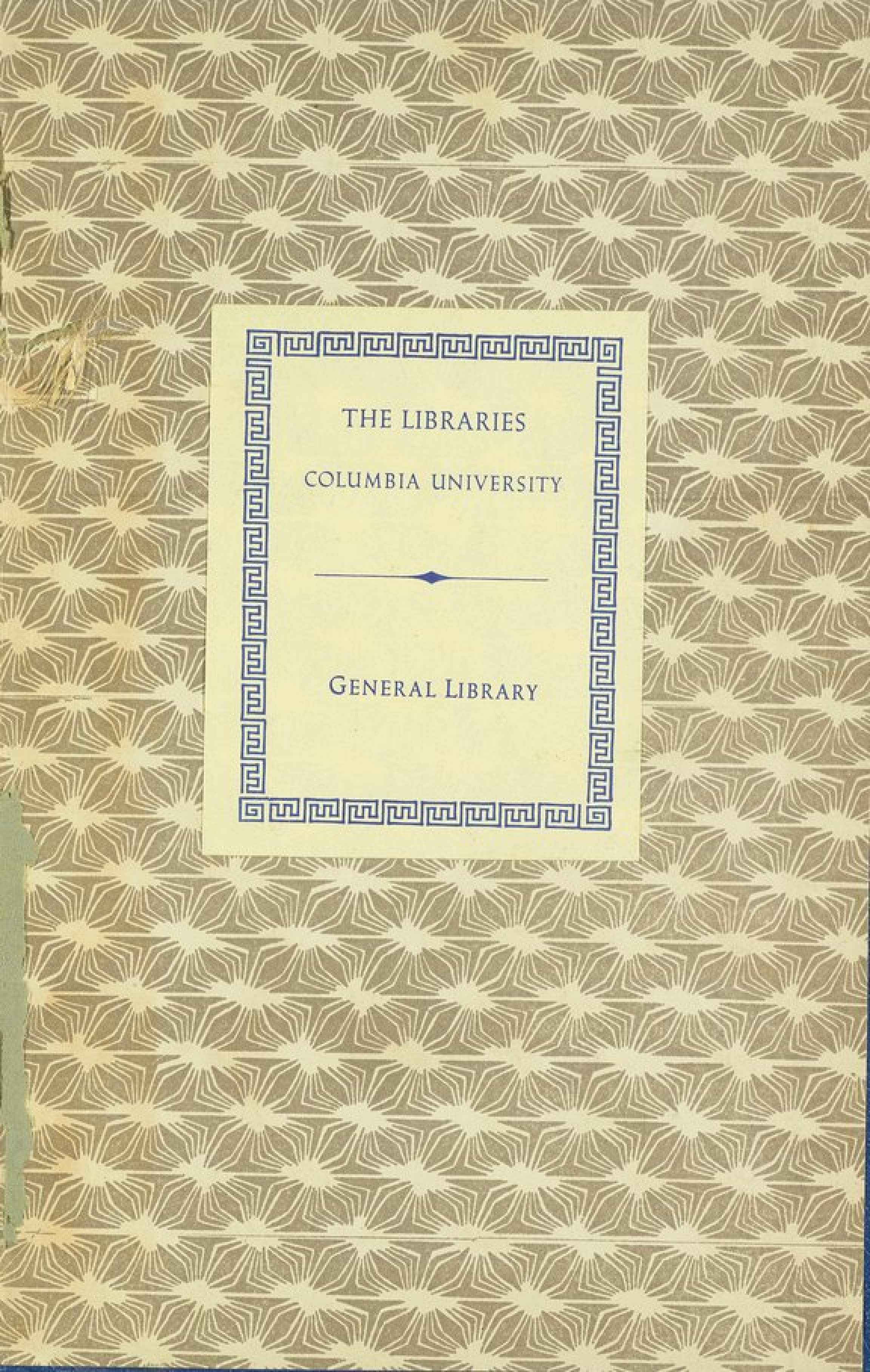
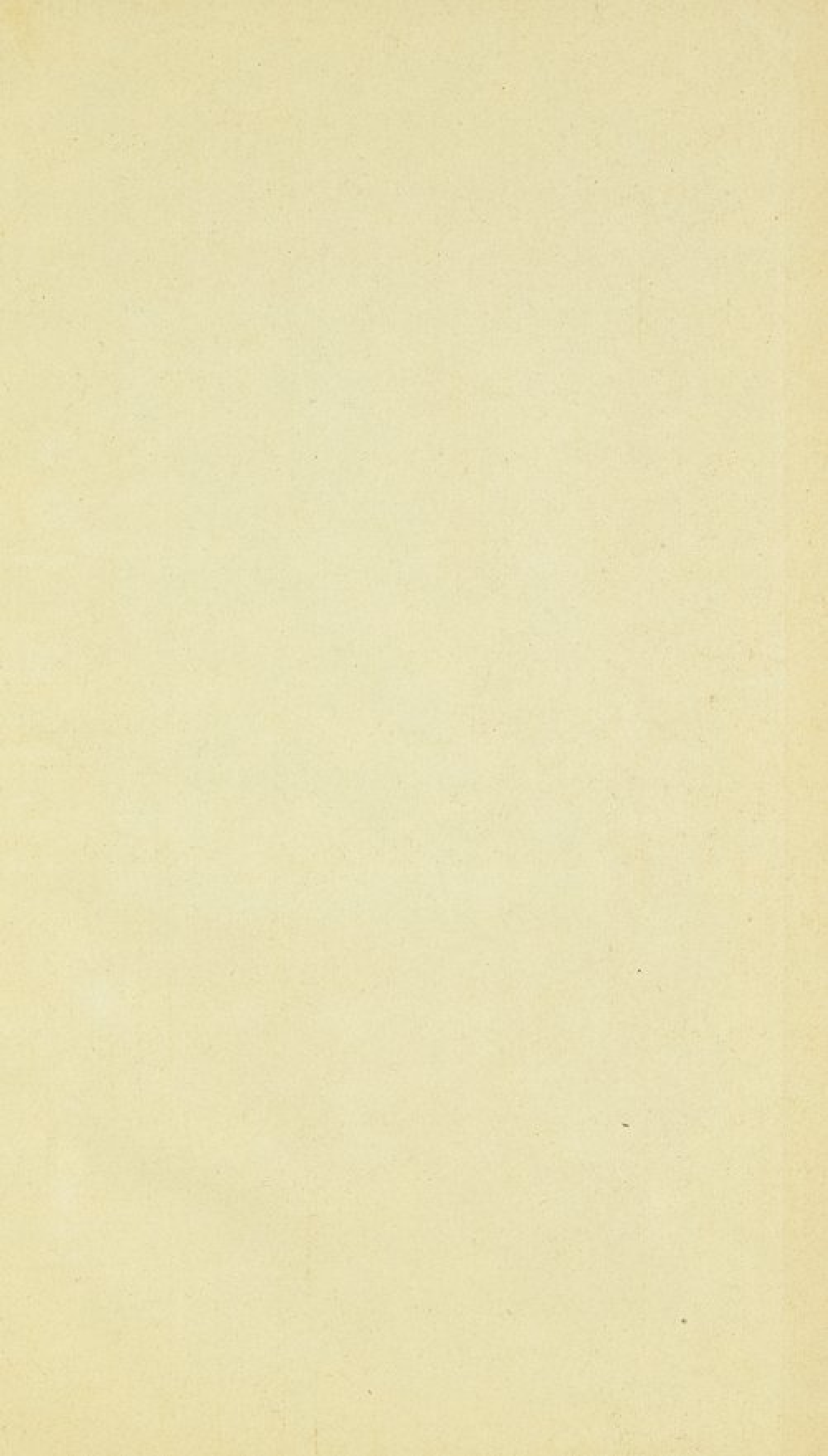
الرحلة إلى أمريكا

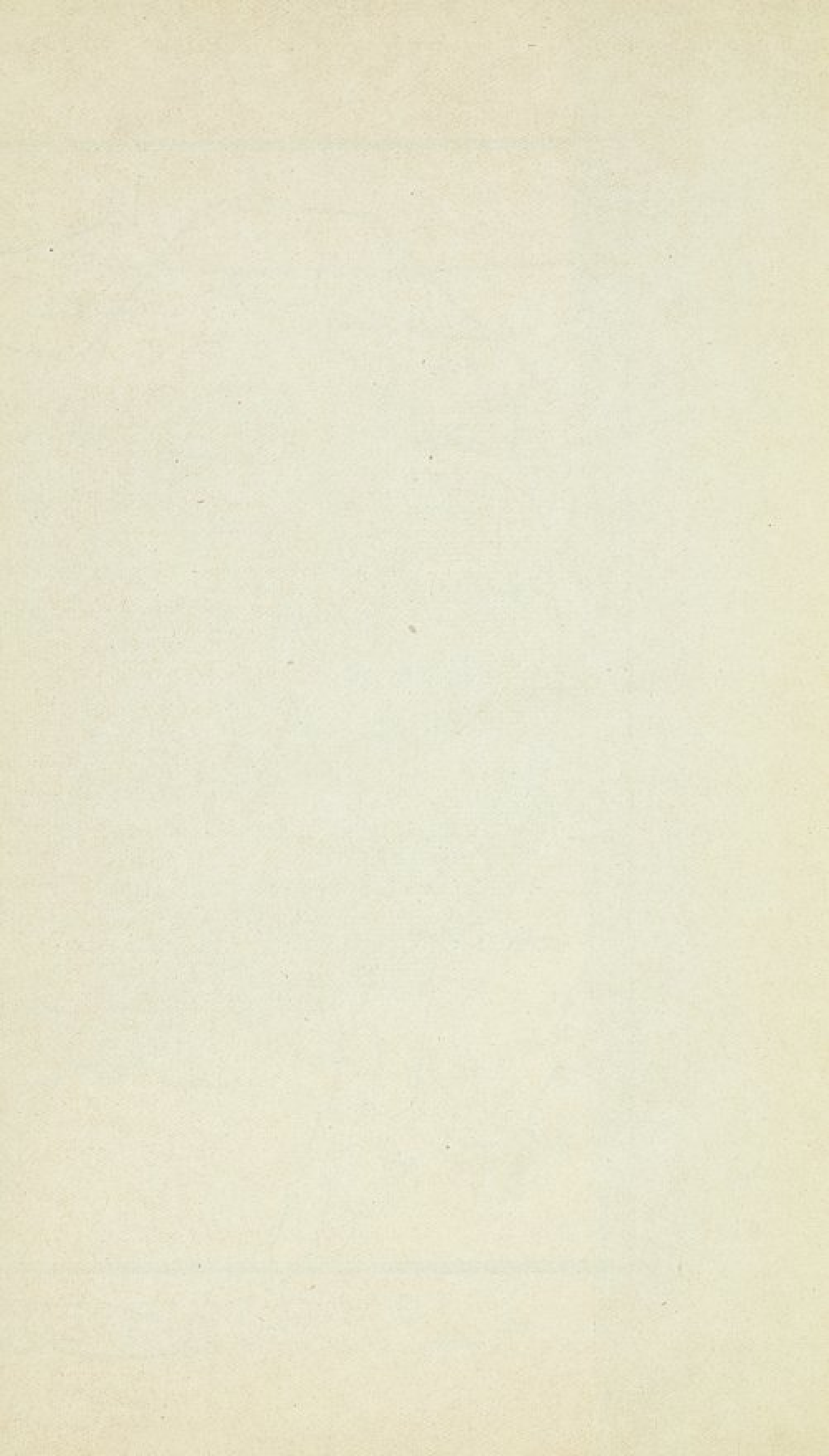
بقلم
محمد لبيب البتنوني

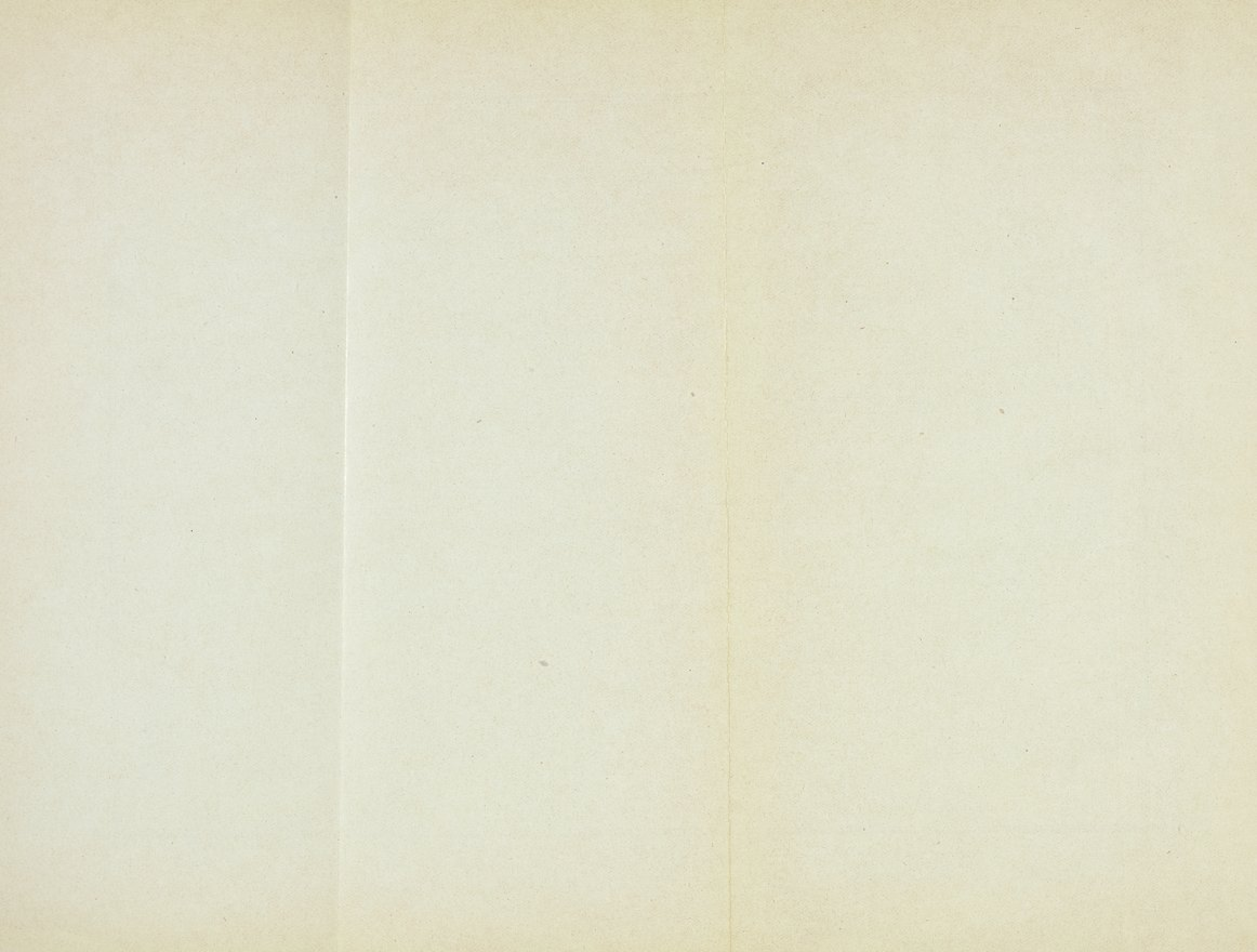
مكتبة الخانجي بشارع عبد العزيز بمصر * تجليد أحمد بكر يوسف

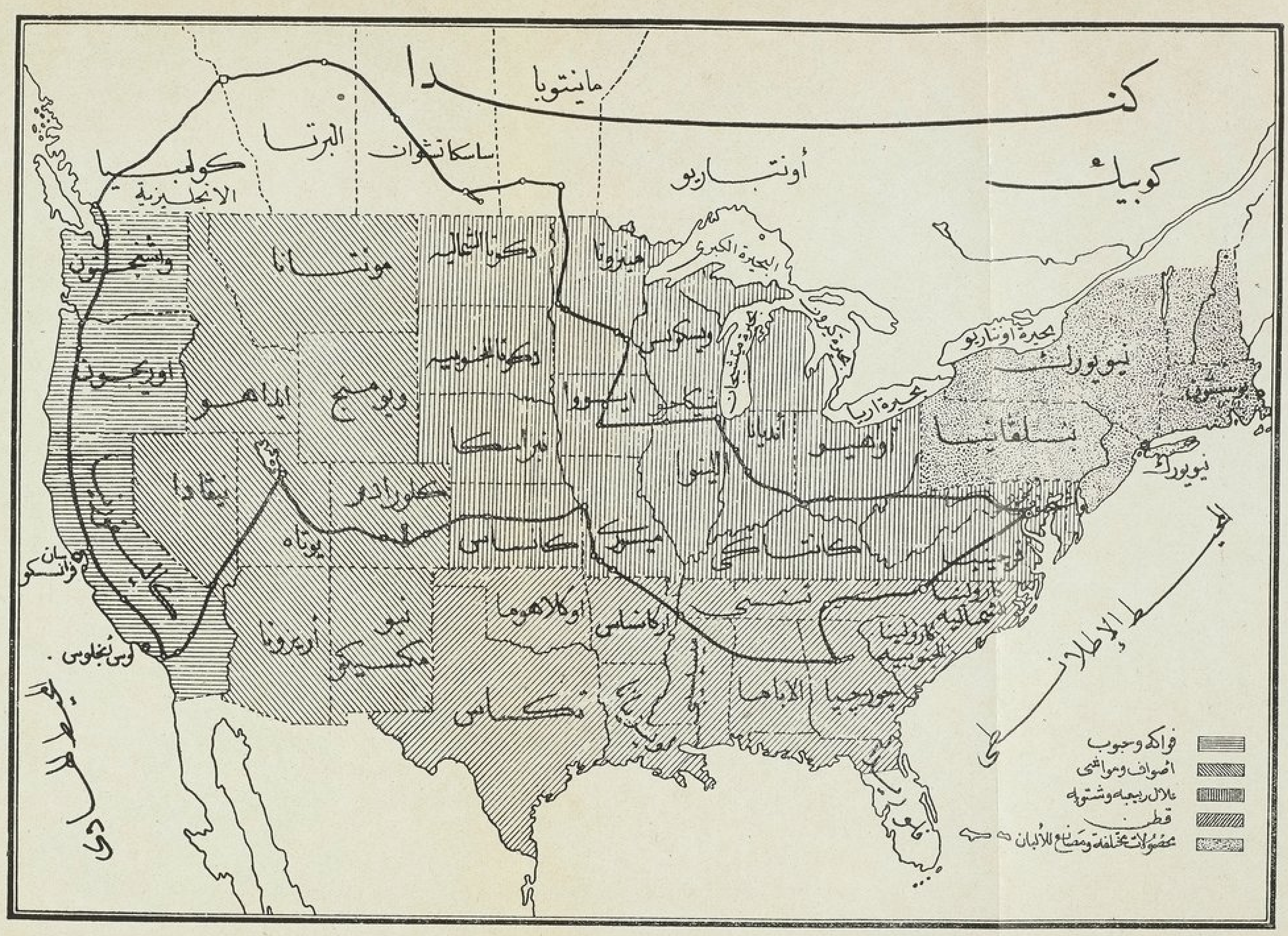




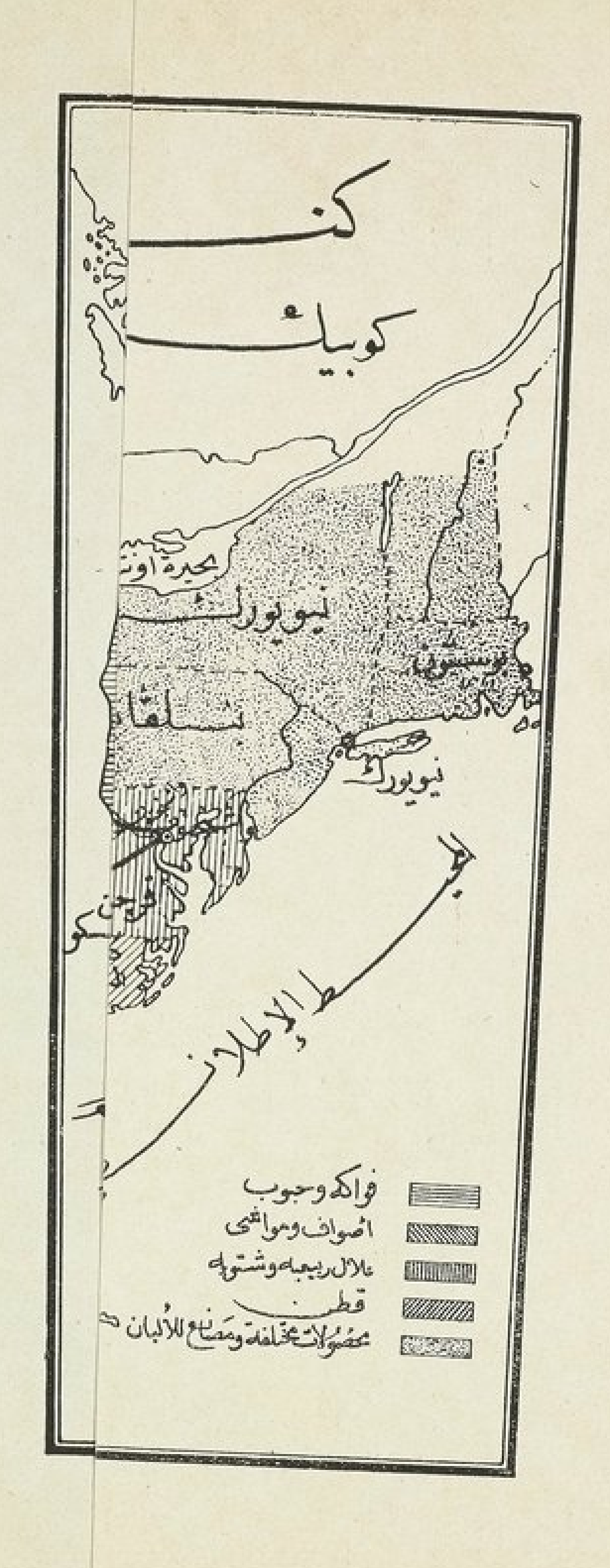








خريطة زراعية للولايات المتحدة


كويبك
نيويورك
نيويورك
فواكه وحبوب
أصواف ومواشي
غلال ربيعيه وشتويه
قطن
محصولات مختلفة ومصانع للألبان

الرّحلة الى أمريكا

بقلم

محمد لبيب البتنوني

﴿ الطبعة الاولى ﴾

طبعت بمطبعة السعادة

قامت بطبعها ونشرها

مكتبة الخانجي

لأصحابها أولاد محمد أمين الخانجي

بشارع عبد العزيز بمصر

(صندوق البوستة مصر ١٩٢٥)

١٣٤٨ هـ — ١٩٣٠ م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسله وأنبيائه .

وبعد : فأنى كنت أمنى نفسى من زمن بعيد بالسفر الى الولايات المتحدة لاشاهد بها حقيقة ما كنت أطالعه في الجرائد والمجلات ، مما كان يستعصى على الخيال تصويره وتصديقه ، من طفرتهم فى المدنية وسرعة عروجهم فى درجات الحضارة على صغر سنهم القومىّ وعدم إرتكازهم على مدنيات أهلية قديمة فى تلك البلاد التى لايرجع تاريخ حضارتها ومدنيتها الحاليتين الى أكثر من قرن ونصف تقريبا ، وهو عمر قد يتجاوزه عمر الأفراد . كل هـذا كان يستحثنى الى تخصيص وقت من أوقاتى لزيارة هـذه الديار النائية الناهضة ، والتى بلغت الغاية التى لاترام فى صناعتها ، وزراعتها ، وثروتها ، وماليتها ، حتى أصبحت ـ وخصوصا بعـد الحرب العظمى ـ صاحبـة المنزلة المحترمة في دول المسكونة ، والـكلمة التى لاترد فى سياسة العالم ، والقرار النافذ فى اشقاء الأمم واسعادها ! ! !

وفى أواخر ابريل من سنة ١٩٢٧ بينما كنت أفكر فى الرحلة الى بلاد أروح فيها نفسى من عناء عملى ، والجأ اليها هربا من قيظ الصيف فى مصر ، قرأت دعوة الى مؤتمر التربة الزراعية الذى تقرر انعقاده فى مدينة

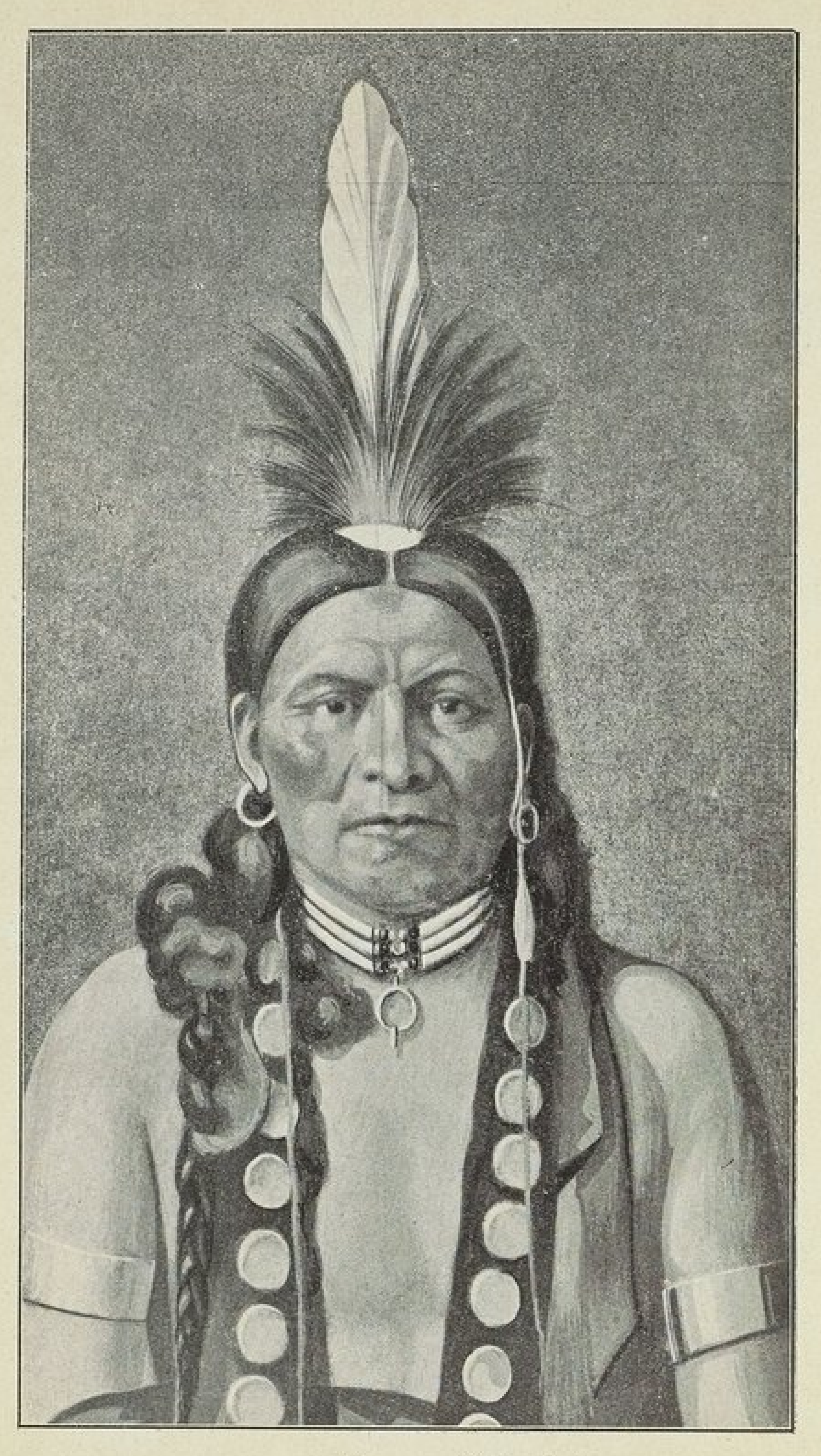
واشنجتون فى ١٣ يونيو من سنة ١٩٢٧ فلبيت هذا النداء بغبطة كبرى، وقصدت فى الحال أوروبا، وسافرت منها الى العالم الجديد مع بعض أعضاء المؤتمر من الممالك المختلفة

ولقد رأيت كما هى عادتى فى رحلاتي أن أشرك بنى قومى معى فى مرئياتى ومشاهداتى، وفي كل ما كنت أحس به من كمال فى تلك البلاد ونقص فى بلادى، رغم ما كان يصيبنى من تعب ونصب فى التحرير والتحبير والبحث والاستقصاء والترجمة، فى وقت كان حقيقا بان ارتاح فيه من عناء السفر المطرد ليلا ونهارا فى مسافة شهر تقريبا.

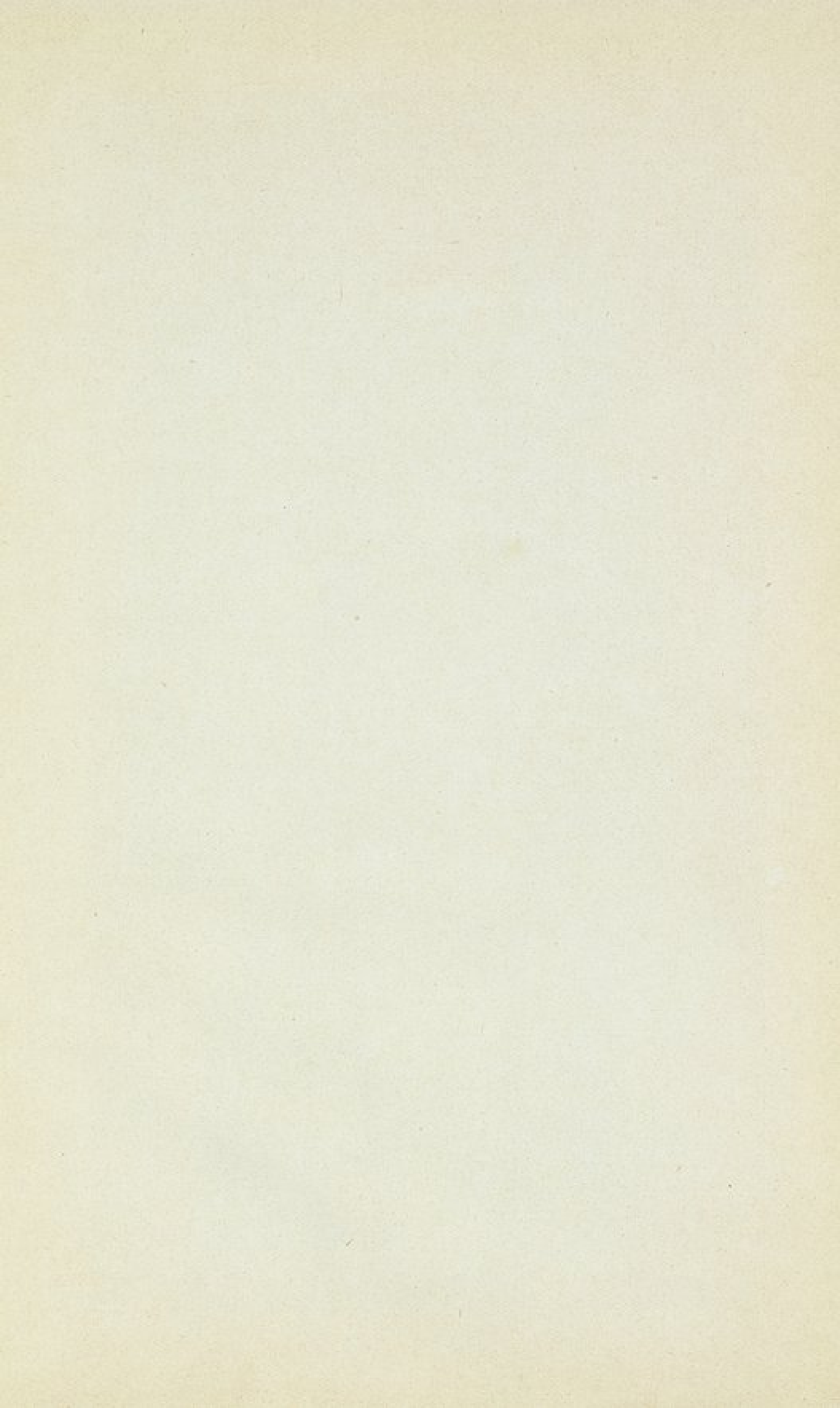
وكنت أبعث اليهم برسالاتى التى كانت تنشر فى جريدة الأهرام الغراء. ولم أكن أرجو من ذلك كله غير قيامى بالواجب القومي. ولما كثر على طلب إخواني حفظهم الله بجمع هذه الرسائل لبيت أمرهم وضممت اليها مايتسر لى جمعه من صور تلك البلاد التى يجب أن تسمى بحق ببلاد العجائب والغرائب.

وبينما كنت أفكر فى تنفيذ ارادتهم طلب منى حضرة السيد محمد أمين الخانجى الكتبي القيام بطبعها فسمحت له شاكرا همته والله تعالى ينفع بها وهو الموفق للخير والسداد، الميسر للرشاد والاسعاد.

محمد لبيب البتنوني



احدى نساء سكان الولايات المتحدة الاصليين ص — ٤



من العالم القديم الى العالم الجديد

أذاع جناب المستر هوبسن مندوب الولايات المتحدة المستديم فى معهد الزراعة بروما ، دعوته بمصر ، لمن يريد الالتحاق بفرقته من العالم الزراعى باوربا ، للسفر الى واشنجتون ، للاطلاع على أعمال مؤتمر التربة الأرضية بالولايات المتحدة ، ثم التنقل فى ولاياتها الوسطى الى سان فرنسيسكو ومنها الى كندا ، متنقلين فى جملة ولايات منها ثم يعودون الى نيويورك فى مدة لا تقل عن شهرين . سمعت هذا النداء فأسرعت بالكتابة الى المستر هوبسن بروما فأجابنى بأن القاه فى يوم ٢٧ مايو على رصيف احدى شركات الملاحة الامريكية بلندرة . فسافرت من الاسكندرية يوم ١٤ مايو على احدى مراكب الشركة الفرنسية وكان معنا على هذه المركب جناب مسيو وديع هرمس المدير الوطنى لبنك مصر فى باريس ومعه بعض موظفيه من شباب مصر . وهنا ارجو القارئ يسمح لى بان لا أترك هذا المقام من غير أن أبدى آيات الثناء على همة حضرة النابغة العظيم طلعت بك حرب وحضرة العامل المجد فؤاد بك سلطان مديرى بنك مصر ، للمشاريع الاقتصادية الجمة التى يقومان بها ولا يزالان يزيدان كل يوم حجراً متينا فى أساس عظمة البلاد المالية والصناعية .

تركت باريس الى لوندرة فى يوم ٢٦ مايو . وفى اليوم التالى ذهبت الى المرفأ الذى نركب منه مركبنا الى نيويورك ، ولقد كان سرورى عظيما عند ما عرفت ان من اخواننا المصريين فى هذه السياحة . حضرة محمد ذوالفقار بك وعمر راتب بك .

سار بنا المركب فى نهر التاميز بعد الغروب ، وكان سيره وئيداً لتكاثف الضباب الذى غطى صفحة الجو واتصل بدخان آلاف المراكب التى كانت تسير أو ترسو فى مياه النهر ، بما أصبح معه التنفس شاقا على الرئتين ، وفى الصباح حمدنا الله على رؤية كوكب النهار يملأ الجو بنوره . وهنا رأينا رجال فرقتنا مؤلفة من عشرين انسانا من المان وتشوكوسلوفاك وطليان واسبانيين وكان الأولون

اكثرهم عددا . استمر البحر يومين وهو مسالم لنا بما كان فيه من وداعة تملؤنا غبطة وسعادة ، واذا به قد تغير من غير انذار سابق !! وقد صار لون الماء اسود قاتما ، وكأن الامواج كانت تتسابق الى مركبنا وعلى رأسها ذلك الزبد الأبيض الذى لاأدرى اذا كانت ترفع به رايات السلام أو الاستسلام . وقد ظهر الاقيانوس أمامنا وسمات الغضب بادية على وجهه الذى كنت تقرأ فى اساريره كل علامة من علامات الخطر. واذا نظرت الى الأمواج وجدتها قد فغرت افواهها لابتلاع كل مايصادفها فى طريقها. فوالله ما الاسد مد اليك ببراثنه ، ولا النمر كشر عن أنيابه ، ولا النيران قد اندلعت اليك ألسنتها ، بأشنع منظراً ، ولا أبعث على الخشية من رؤية جبال هذه الامواج ، تترامى بعضها فوق بعض ، كأنها تقصدك بيد القضاء لتجرك الى عالم الفناء.

وبينا ترى رأس مركبنا تغوص فى الماء وذنبها فى الهواء ، اذ بجانبها يغترف من اليم والجانب الآخر يحذو حذوه ، واذاهى بجملتها تطير فى الجو فتطير معها العقول وتصعد الأرواح بحركتها الى الحناجر ، والصفراء فيما بين هذا كله قد انفرزت الى المعدة ، وكأنى بها قد تحجرت وأصبحت لا يزحزحها عن مكانها إلا يد القدر ، وكادت بها أحشاء كل إنسان تخرج من بين شفتيه . وقد استعصت على المرء كلماته وخطواته ، فلا تسمع أذناه كلاما ، ولا يستطيع فكره مراما ، ولا يقبل فمه غذاء ، ولا تقوى رجله على خطوة واحدة تنقله من مكان إلى مكان آخر .

قلوب واجفة ، وأراواح مرتعدة ، متشبعة بكل أنواع الجزع والفزع ، تنقلها الى جسوم كادت تفارقها حياتها ، ولا أدرى الى رحمة الله أو إلى نقمته !!

وكان كل شئ فى المركب يتحرك بحركتها ! ! ولو نظرت الى الصالون والى من فيه من الجلوس ، وقد أخذت كراسيهم تتحرك شمالا وجنوبا وشرقا وغربا متبعة حركة المركب ، لعرفت أن كل شئ حتى الجمادات منزوعة الارادة ، مروعة فوق سطح الاقيانوس !! وبالجملة فقد كنا بين رجلين : متجلد تجرى أحشاؤه بين أذنيه وأخمصيه !! ومتمدد لا يدرى أهو من الأحياء أم من الاموات !! وما كنت أعتقد

قبل اليوم أن هذا المخلوق الضعيف الهين اللين غير الممتنع ، الجماد الحى ، الساكن المتحرك ، يستحيل الى هذا الوحش المفترس الذى يتمثل الموت فيه ، ويتشكل الفناء فى فيه . وهل يمكن هذا الانسان أن يشعر بعظمة الوجود بقدر ما يشعر بها وهو على سطح الاقيانوس ؟؟ نعم قد يشعر الانسان فى وقت من الأوقات بقوة فيه وعظمة !! لكنه إذا كان فى وسط هذه اللانهاية المائية لايقع نظرة فيها إلا على ما يحد بصره من هـذا الأفق البسيط ، شعر بمقـدار ضعفه و بصغر هويته التى تـكاد تضمحل أمام عظمة الطبيعة الماثلة أمامه . وما كان أشد ما تجسم لنـا من خطر هذه السفرة وأن نصيبنا منها سيكون نصيب التيتانيك (١)

---

(١) التيتانيك هى أكبر سفينة عرفت للآن ، تجلت فيها عبقرية الصانع الى الحد الذى توهمه الناس مما لا يمكن لقوة الطبيعة أن تؤثر عليها بأى حال من الاحوال وحسبك أن تعلم أن حمولتها كانت ٤٦ الف طن ، وتفريغها ٦٠ الف طن ، وكانت تتركب من خمس طبقات يتصل بعضها ببعض بواسطة مصاعد كهربائية ، وكان بها صالونات للاجتماع ، والتدخين ، والاستراحة ؛ والالعاب المختلفة وغيرها ، وغرفة للمائدة طولها ٣٥ مترا ، وعرضها ٢٩ مترا ، وكلها من أحسن ما وصلت اليه يد الابداع الصناعى وكان بها حديقة نضرة ، وحمام بحرى ، وملعب للتنس ، وقاعات للالعاب الرياضية . وكان لكثير من غرف النوم بها حماماتها وصالوناتها الخصوصية . وبالجملة فقد أنفق على انشاء هـذه السفينة ٢ مليون جنيه !! وسافرت لاول مرة فى ١٠ ابريل سـنة ١٩١٢ من بلاد الانـكليز قاصـدة نيويورك ، وعليهـا من الركاب ٢٤٠٠ مسافر ، جلهم من اصحاب الاموال والـكتاب والعلماء ، وفى بريدها اكثر من ٧ ملايين مظروف . وبعد اربعة أيام من سفرها كانت تقطع فى اثنائها عشرين عقدة فى الساعة انقضت على أتم ما يتصوره الانسان من الهناء والصفاء ، قلبت لها الطبيعة ظهر المجن قبل وصولها الى نيويورك بيوم أو بعض يوم ، وقطع عليها طريقها

ولكن نجاح لندبرج فى وصوله سالما الى باريس يوم قيامنا منها ، كان يبعث فينا الآمال ويذهب عنا بعض ما كان بنا من رهبة .

أمضينا يومين ونحن بين غضبات الاقيانوس التى ما كانت تنقطع دقيقة واحدة ! . وما كان أسعدنا عندما دخل علينا خادم المركب فى صباح اليوم الثالث مبشرا بجمال الوقت وهدوء البحر ! فأخذنا فى لبس ثيابنا وصعدنا الى ظهر السفينة التى ثبتت قدمها ، وثاب اليها عقلها ، وأخذت تسير على وجه الماء بخطوات الرزانة والثبات ، وكان البحر فى حاليه كالرجل العظيم : عظيما فى غضبه ، كبيرا فى حلمه : وهنا انتشرت أمامى صفحة التاريخ وماصادفه الرحالون والمكتشفون من الاخطار مما نقرأ عباراته ولا نعير ادنى تقدير لما صادفوه من عناء ولا لما لاقوه من صعوبات وأخطار ! ! ذكرت أولئكم الرحالين من العرب كابن بطوطة والادريسى وابن جبير وغيرهم ، وقد تمثلت أمامى تلك الفلك التى كانوا يركبونها فى اكتشافاتهم ، تلك الفلك التى هى عبارة عن جملة قطع خشبيه تتصل بعضها ببعض ، وليس فيها من مستلزمات الراحة من شئ . وما كانت تمنع من خطر أو تقوى على رد بلاء من مكدرات الايام ! ! يالله لهذه الفلك وما يحتزمونها به من الحبال التى تتلاشى أمام أية رطمة أو صدمة ! ! تلك الفلك التى ليس فيها من قوة تسيرها غير قوة سواعد ركابها الذين كانوا يتبادلون مجاذيفها حين يقلب الريح ظهره لما فيها من شراع لا يدين له على مدافعة شئ من التيارات الهوائية فضلا عن تلك العواصف التى كثيراً بل كثيراً جداً ما نراها على سطح الاقيانوس .

تذكرت كولومب وهو فى سفينته مع نفر من قومه لا يتجاوزون عدد أصابع اليد ، وهم يتبادلون المجاذيف ولا بوصلة تقودهم ، ولا بخار يسيرهم ، اللهم الاعلمهم البسيط بسير النجوم . ذكرت هذا الرجل العظم وهو فى طريقه الى جهة الغرب

جبل من الثلج يرتفع بنحو ٣٠٠ متر فوق سطح الماء ، فصدمها صدمة جعلت عاليها سافلها واصبحت هى ومن فيها حديث العبرة والتاريخ !!

ليصل فى يوم ما الى الجهة المقابلة لأسبانيا من العالم الارضى ، وقد كان يريد أن يتحقق مما شاع وذاع فى تلك الايام من فكرة دوران الأرض أو كرويتها . تذكرت تلك الصعاب التى قابلته فى طريقه ، وتلكم الأخطار التى كانت تحف بسفينته ، وتلكم العقبات التي كانو اذا جاوزوا واحدة منها تمثلت لهم أخرى أشنع وأفظع ، حتى وصل بهم حظهم الى جزر خليج المكسيك !! وهنا أرجو أن يسمح لى حضرات القراء بذكر كلمة بسيطة عن تاريخ هذا الرجل العظيم :

كرستوف كولومب

كرستوف كولمب بحار طليانى من جنوه ، التحق بخدمة الملك فرديناند باسبانيا . ولقد كانت تقوم بخياله فكرة كروية الأرض وهو مذهب كوبر يكورن الذى خالف به مذهب بطليموس ، وصادف فى طريقة ما صادفه شهداء العلم فى الأزمنة المنصرمة .

وفى ٣ أغسطس من سنة ١٤٩٢ أبحر كولمب ومعه ثلاث سفن شراعية من مرفأ فالوس باسبانيا ، وسار الى جهة الغرب ليعود الى اسبانيا من جهة الشرق . وفى ١٢ اكتوبر وصل بعد جهاد كبير الى بعض جزر خليج المكسيك ثم عاد الى بلاده من الطريق الذى جاء منه ليجهز نفسه باستعداد أكبر لرحلته الثانية التى اكتشف فيها بعض سواحل أمريكا الجنوبية . وقد تكررت روحاته الى اسبانيا وجيئاته منها . وفى رحلته الرابعة كاد يموت هو ومن كان معه جوعا لطول الزمن الذى قضوه على سواحل القارة الجديدة بما كان سببا لوقوع الخلاف فيما بينهم فاضطروا الى العودة الى بلادهم فى سنة ١٥٠٤ وهنالك سعى به الى الملك فرديناند الذى غضب عليه ونكبه ، ومازال فى نكبته حتى مات بائسا فقيرا . وكان له من جهاده فى كشف هذا العالم الجديد حظ طارق بن زياد ، وموسى بن نصير فى فتح اسبانيا !! ذهب كل منهما طعمة لنيران الحسد والوشايات وجهل الملوك واستبدادهم !

هل الحظ للحاسبين ؟؟

لقد قد كان باسبانيا فى ذلك الوقت بحار طليانى اسمه أمريك فسبيس (ولد فى فلورانسا فى مارس من سنة ١٤٥١) وكان قد التحق بخدمة عائلة مديشى النبيلة فى اشبيلية عند ماعاد كولومب من إحدى سفراته ، وسمع أمريك من كولومب شيئا كثيرا عن هذه البلاد ، فعنّ له أن يسافر اليها . وفى سنة ١٤٩٩ ركب البحر حتى وصل الى القارة الجديدة وقطع على ساحلها الشرقى جملة اميال وكتب مذكراته عماشاهده فيها . ولما عاد الى اسبانيا فى سنة ١٥٠٠ قدمها الى احد أمراء مديشى . وفى سنة ١٥٠١ انتظم أمريك فى خدمه ملك البورتغال الملك عمانوئيل ، فطلب اليه أن يرسله فى رحلة الى سواحل البرازيل ، فجهزه اليها وكتب وهو هناك تقريراً عما شاهده فيها وأرسل به اليه ، ونشرت هذه الرسائل وذاع أمرها بين الناس فنسبوا اليه كشف هذه البلاد الجديدة وسموها باسمه (أمريك) أو أمريكا . وقد أصبح اسمه اليوم ملازما لما فى هذه البلاد من العلم والفن والجلال والعظمة والمال والقوة والمنعة ، بل رمزاً لهذه المدنية ولهذه الحضارة التى بذت كل حضارة قبلها ، وهى لاتزال راقية فى مدارج سموها لاتقف فى طريقها موانع الزمان رلاصعوبات الطبيعة إلا تغلبت عليها بما لها من تلك الارادة الهائلة التى تراها فى شذوذها وقوتها كأنها صادرة عن عالم آخر غير هذا العالم الانسانى .

وبعد يومين من سيرنا فى هذا الجو الجميل والهواء العليل ، اذا بأبخرة الضباب تتصاعد الى جونا بما أصبح معه النهار أشبه بليل حالك ، حتى صرنا لا نبصر أبعد من (درابزين) السفينة . وهنا أخذت المركب تصفر باستمرار خوفامن وجود سفينة أخرى تكون فى طريقها ، والحمد لله لم تقابل شيئا من ذلك . واستمر الضباب الى نصف الليل ، وهنا شعرنا ببرد شديد أيقظنا من نومنا ، والتزمنا معه سرعة التدثر

والتزمل ، وكان صفير المركب يزداد بما لم نعلم له من سبب . وفى الصباح علمنا مع شكرنا لله أننا مررنا بقرب خمس قطع ثلجيه كبيرة (آيسبرج) ، كانت تعوم على سطح الاقيانوس . وما كان صفير المركب إلا ليتعرف به قومندانها من قوة رجوع الصدى مقدار بعدها عنا أو بعدنا منها ، والحمد لله الذى جعل اتجاهها الى غير جهتنا. وما كان أكثر ثنائنا على الله تعالى أنا لم يكن نصيبنا منها ما كان نصيب الطيار ولنجسر مع طائره الأبيض الذى يزعمون أن برودة هذه المثالج هى التى تجمد معها زيت طيارته ، فوقفت عن العمل وسقطت حيث لم يعثروا لها على أثر للآن .

ذهبت برودة الجو وبدأ الحر بغتة يذكرنا بما كنا نسمعه عن جو أمريكا وخصوصا فى أمريكا الوسطى وما اليها ، ولم نعلم لذلك من سبب إلا ماعرفناه أخيرا من أننا كنا نجتاز بمركبنا تيار (جولف ستريم) الذى حرارته أكثر من درجة الغليان وهو يصدر من خليج مكسيكا ويعمل دورته فى المحيط الاطلانطى حتى يصل الى بحر الشمال .

ويقال إن أحسن وقت للسفر فى الاطلانطى هو شهر يونيه وأغسطس ، أما يوليه فتثور فيه رياح الانقلاب الصيفى ، وسبتمبر تثور فيه رياح الانقلاب الخريفى . أما الشتاء فليس فيه من ثبات للبحر الخضم : فالمراكب تكون فيه عرضة لتقلبات العواصف كلما وجدت وهى تكاد لا تنقطع فى هذا الوقت .

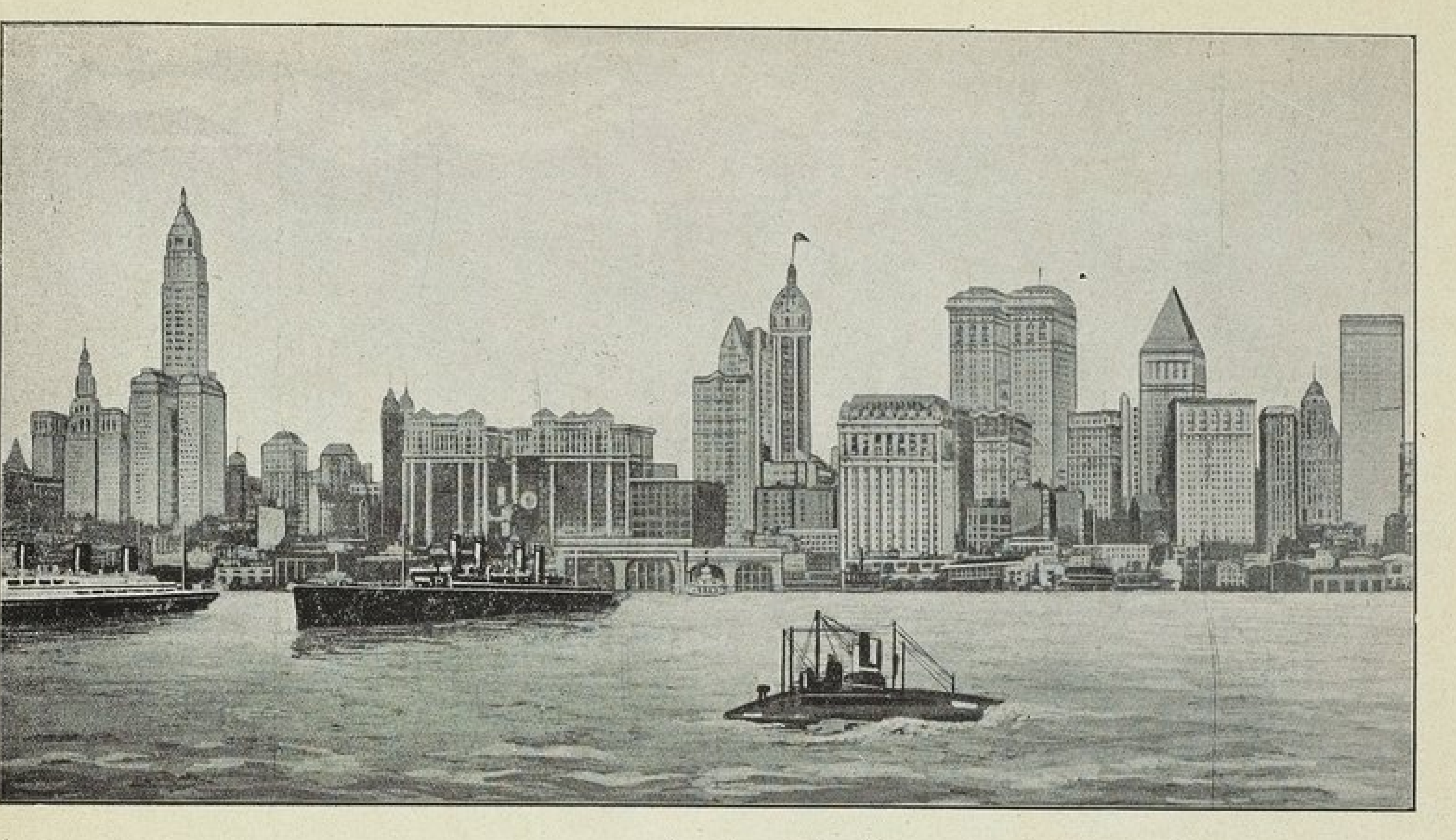
ومازلنا سائرين بين تقلبات من غيم الى صحو ومن جزع الى اطمئنان ، حتى وصلنا الى مياه نيويورك والحمد لله بعد تسعة أيام من قيامنا من لوندرة .

وأول ماظهر لنا من هذه المدينة العظيمة تلك الكتلة البنائية الهائلة التى كانت فى نظرنا تصل الارض بالسماء . ولما اقتربنا من الشاطى رأينا فى وسط مينائها تمثالا للسيدة الحرية : وهو تمثال قائم على صخرة فى وسط الميناء وقد رفع يده اليمنى الى السماء كأنه يشير الى القادمين الى هذه البلاد بالدخول اليها متمتعين بحريتهم ، تلك الحرية

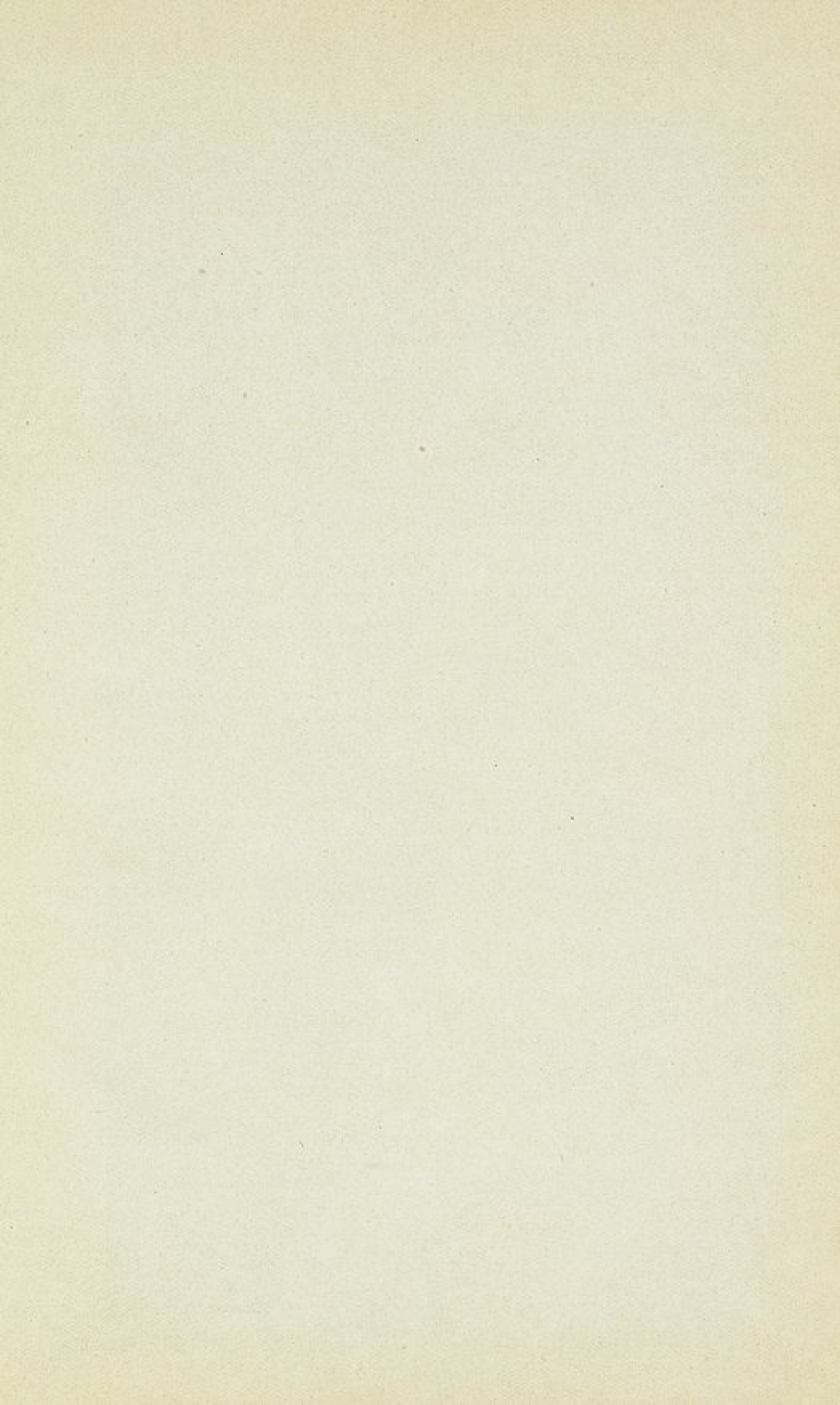
التى هى شعار هـذه البلاد ، والتى قامت عليها حيويتها وعظمتها . وهل قامت الامم فى طريق مدنيتها وعظمتها إلا على الحرية الصحيحة التى تطلق للمرء زمامه فى دائرة القوانين الدينية والاجتماعية ؟ لا كما يفسرها بعضهم من أنها إطلاق الارادة فيما لاحد له ولا قيد ، وهو تعريف باطل . وهل وصل عربى البادية الى تلك المدنية التى كانت من أرقى مدنيات العالم إلا بما كان له من تلك الحرية البدوية ؟ كما أن الامريكى المتحضر إنما وصل بحريته الى مدنية هى أرقى المدنيات والى حضارة لم يسمع بمثلها فيما فات.

ومن داخل المنياء قريبا من تمثال الحرية جزيرة أليس . وهى جزيرة صغيرة فيها بناء كبير خاص بنزول المهاجرين اليه ليكشف عنهم طبيا ، وبعد فحص أوراقهم قانونيا إما أن يسمح لهم بالدخول أو يبقون فى مقرهم حتى يعادوا إلى بلادهم، ومن ينزل منهم إلى أرض هذه البلاد يكون تحت رحمة القضاء والحظ إما صعود إلى السماك أو بقاء فى الحضيض ، وليس من وسط بينهما فى هذه البلاد .

ولقد كانت قبل الحرب الأوروبية أبواب البلاد مفتحة على مصاريعها لكل من أراد الهجرة اليها ، فخشى الامريكان بعد الحرب أن يشمر الناس فى أوربا للهجرة إلى أراضيها وربما وصل عددهم إلى حد يخشى منه على بلادها ، فسنوا قانونا فى سنة ١٩٢١ يقضى بان لا تقبل الولايات المتحدة فى بلادها من كل دولة الا ما كان مجموع المقيمين فيها لايزيد على ثلاثة فى الماية من أهاليها . وفى سنة ١٩٢٤ سنوا قانونا آخر يقضى بان تكون هذه النسبة أثنين فى المائة فقط . وقد منعوا هجرة اليابانيين بتاتاً كما منعوا قبل ذلك هجرة الصينيين ، ومع هذا كله فصعوبة الكشف الطبى على المهاجرين من شأنها رفض عدد غير قليل منهم فيعودون الى بلادهم مقهورين ، وهم يلعنون الساعة التى مرت فيها بخاطرهم فكرة الهجرة .



منظر مبانى نيويورك من البحر ص — ١٢



ولما نزلنا الى البر وجدنا عمال الجمرك فى انتظارنا فأخذوا فى فتح حقائبنا جميعها علهم يعثرون على شئ ياخذون عليه مايزيدون به ذهبهم . والحق يقال ان الجمرك عندهم ليس على مايحمد من النظام رغما عما فيــه من الشدة التى لامعنى لها !! وربما كانت هذه الشدة للبحث عن مهربات المشروبات الروحية

ولما انتهينا من الجمرك ركبنا الاتوموبيلات الى اللوكندة التى كانت تنتظر حضورنا وقد أدهشتنا لأول مرة حركة الآلاف من الاوتوموبيلات فى شوارع المدينة بما لم نر له مثالا فى مدينة أخرى فى مدن أوربا .

وهنا أحدثك عن نيويورك : هذه المدينة العظيمة التى تعدادها الآن هو تعداد القطر المصرى فى أوائل القرن العشرين .

نيويورك

هى مدينــة . . . لا أجـد وصفا يفى بعظمتها ! ! ولـكن اذا كان الحاسبون وضعوا الصفر على يمين العدد فنقله من درجة الآحاد الى العشرات الى المئات الى الألوف ، فانا اشير عليك أن تضع الى جانب لفظ « عظيمة » كلمة جدا مكررة ثلاث مرات لتنقلها الى درجة الآلاف وهى أول الوحدات العددية عند الأمريكان ، وبالجملة فهى أكبر مدينة فى العالم كله .

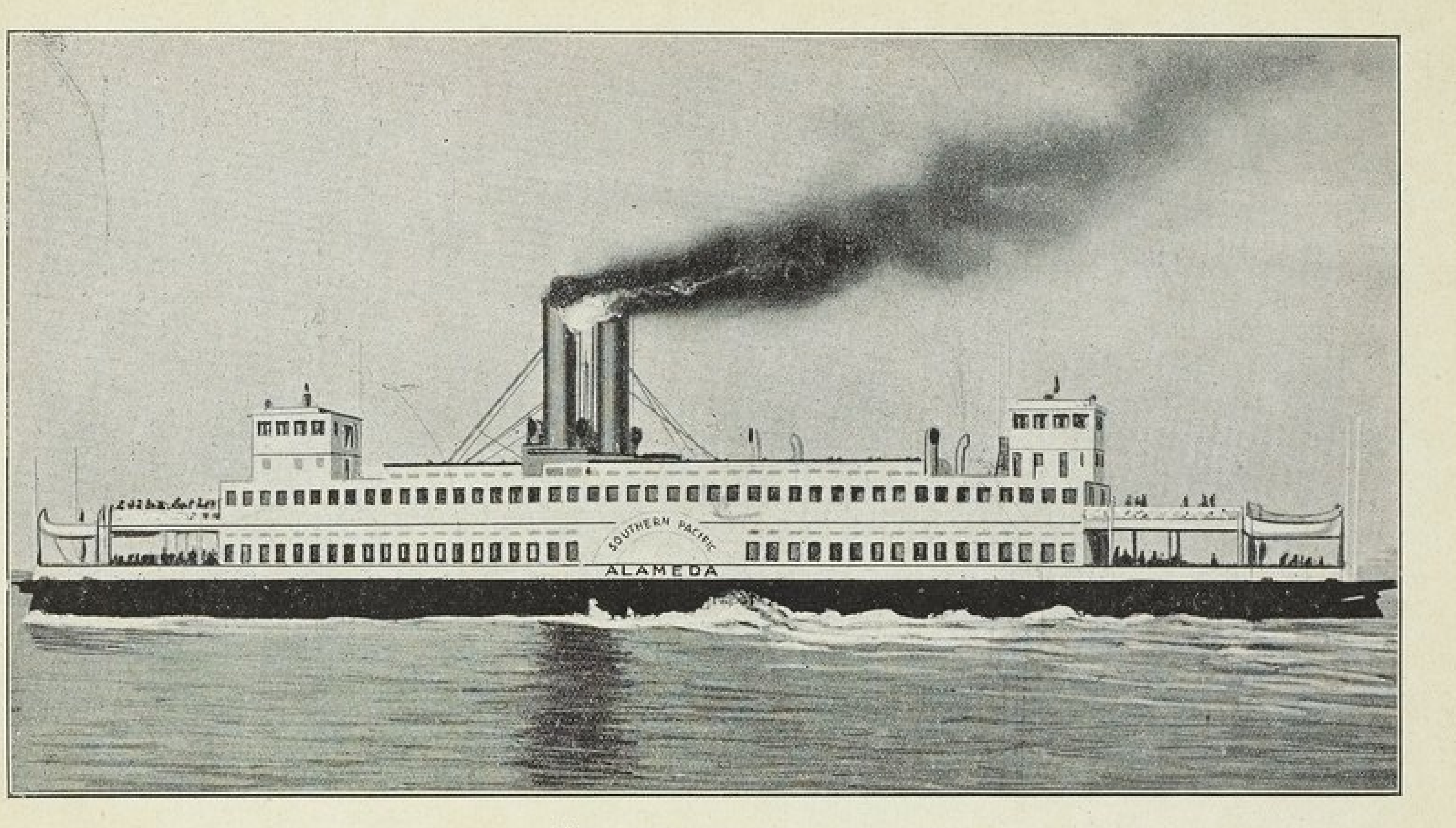
أما شكلها فمستطيل بين نهرين : النهر الشرقى من جهة الشرق ، ونهر هدسون من جهة الغرب ، وهما النهران العظيمان اللذان لاتهدأ فيهما حركة المراكب البخارية التى تنقل صادرات البـلاد الشمالية والغربيــة الى ثغرها العظيم ، وتنقل واردات البلاد الاجنبية الى داخلية الولايات الشرقية والشمالية من الاتحاد الأمريكى . والقسم الذى بين النهرين الى المحيط الاطلانطى هو المدينة القديمة ويسمونه المدينة الواطئة أو الجنوبية ، أماما فوقه الى الشمال فيسمى (منهاتان) .

وأول من استكشف هـذا المكان البحار الانـكليزى هدسون فى سـنة

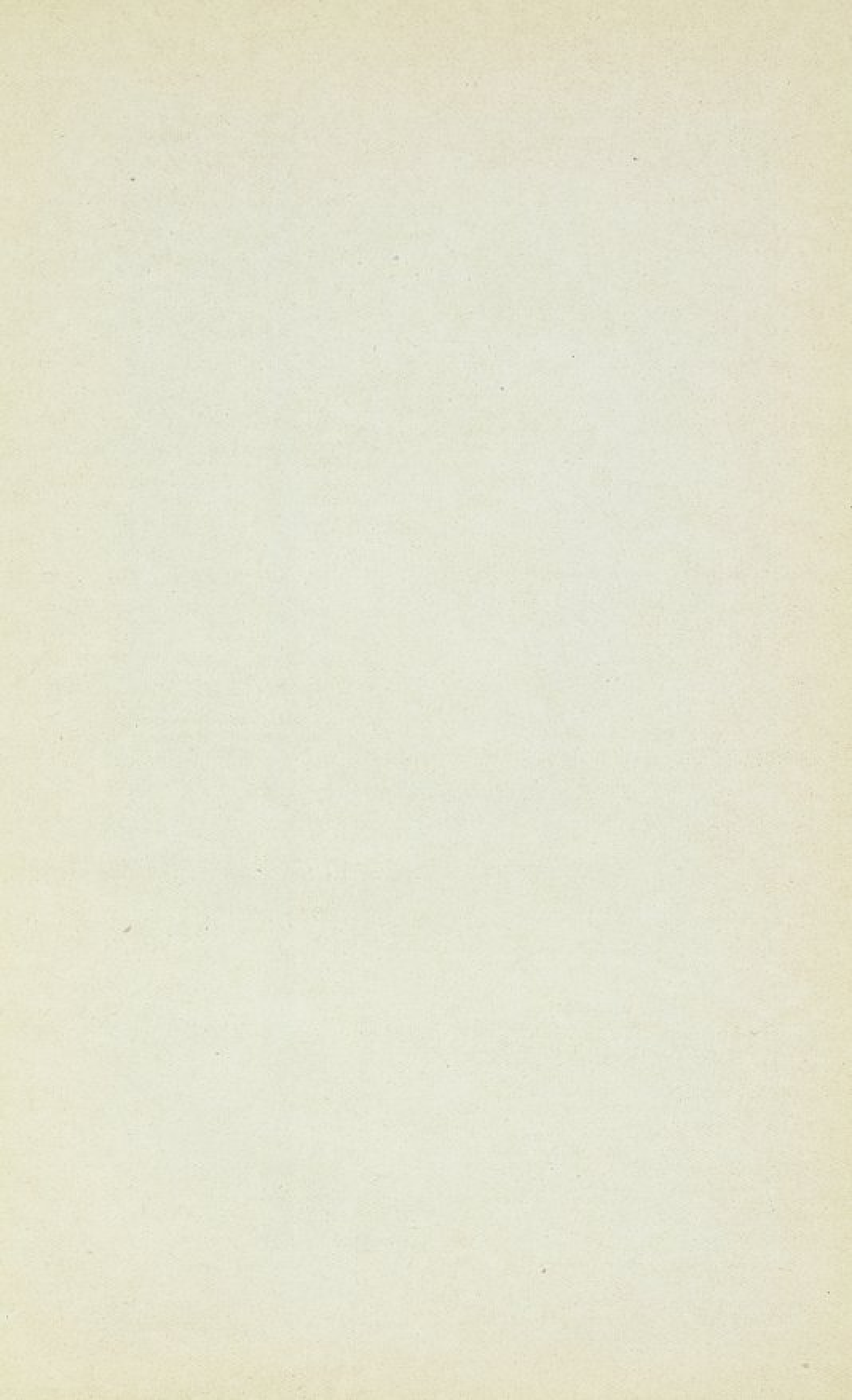
١٦١٠ م وسمى النهر باسمه . ثم بنى فيها الهولنديون أمكنة يأوون اليها وسموها « امستردام الجديدة » . ولكن الانكليز أجلوهم عنها فى سنة ١٦٦٤ وسموها نيويورك ، وكان عدد أهلها فى ذلك الحين ٢٥٠٠ نفس ، وكان فى حرب الاستقلال (سنة ١٧٦١) ٢١٠٠٠ نفس ، وفى سنة ١٨٠٠ — ٦٠٠٠٠ نفس ، وفى سنة ١٨٥٠ — ٥١٥٠٠٠ نفس ، وفى سنة ١٨٩٧ — ٢٠٠٠٠٠٠ تقريبا . وهى الآن تموج بالسكان الذين لا يقل عددهم عن تسعة ملايين نفس ، منهم مليونان يسكنون خارج المدينة . وسكانها اليوم وإن كانوا يستظلون براية واحدة ، هى راية الولايات المتحدة ، فهم خليط من انكليز وفرنسيين والمان وارلنديين وبولونيين وطليان وروسيين وغيرهم .

وعلى يمين هذا القسم النهر الشرقى ، وفى ضفته الشرقية مدينة بروكلن ، وفى شمالها مدينة لونج أسلاند ، وهما ضاحيتان عظيمتان من ضواحى نيويورك . ويصلها بالمدينتين المذكورتين جملة أنفاق تحت النهر وكبار فوقه ، اهمها كوبرى بروكلن الشهير ، وهو هذا الكوبرى المعلق الذى ليس له نظير فى الدنيا وطوله ٦٠١٦ قدما وعرضه ٨٦ قدما ، وتكاليفه ٢٦ مليون ريال تقريبا ، وهو يرتفع عن مياه النهر نحو ١٣٣ قدما . ويبعد عنه بقليل كوبرى (منها ثان) وفى كليهما طريقان للراجلين وطريقان للترام الكهربائى وآخران للمركبات المختلفة ، ويمتاز الأول بطريقين للقطر الكهربائية .

وعلى الشاطئ الغربى من نهر هدسون مدينة (نيوجرزا) ، وفى شمالها مدينة (هوبكن) ، وتتصل بهما مدينة نيويورك بمواصلات عديدة بعضها تحت النهر وبعضها فوقه خصوصا بواسطة المعديات البحريه الكبرى . وهاتان المدينتان من ضواحى نيويورك وكأنى بهذه الضاحيات الاربع كلها معامل لصناعات مختلفة وسكانها من العمال بطبيعة الحال .



احدى المعديات فى نهر الهيدسون من شاطىء الى آخر ص — ١٤



والمدينة الواطئة شوارعها ضيقة وخصوصا شارع « وول استريت(١) » الذى هو أكبر نقطة ماليــة فى العالم كله ، ويقولون إن نصف ذهب العالم مكدس بين أركانه ، وفيه العمارات الشاهقات تلك التى يسمونها « ناطحات السحاب » . ومما يلفت نظرك فى هذا القسم أن ترى الناس يسيرون فيه وأعينهم فى أم رأسهم، متجهة الى ذلك السمو الذى يذكرنا بقصة صرح النمرود الذى بناه ليصل به الى السماء .

ومن هذه البنايات بناية لشركة اسمها « شركة وضع الامانات » ، فى دورها الارضى ٢٥ الف خزانة حديدية بين ظلام حالك بطبيعتها، وأرضها من الـكاوتشوك من تحته أجراس كهربائية تدق فى مقر الحارس عند أية حركة من غـير أن يسمعها من حدثت منه . ولهذا المحل باب لايفتح إلا بحالة ميكانيكية ينزل بها الباب مع مايحيط به من كتل الرخام مسافة ٣٠ سنتمترا، والباب من الصلب سمكه ٥٠ سنتمترا

وقبل الدخول الى هذا المحل يجب عـلى الداخل أن يقول كلمة المرور السرية الى الحارس ، وقد يصل ارتفاع بعض هـذه الخزائن الى ٣ أمتار . وبالجملة فهـذه الخزائن من الصلابة بحيث لاتعمل فيها قلل المدافع ، وقد وضعوا فى سقف المـكان أنابيب اذا فتحت من مكان معلوم للحارس ملأت المـكان بخارا حارا يقتل الذين يجرأون على الدخول فيه مهما كان عددهم ، كما أن بابه لو قفل لايكون للنيران ولا للماء سبيل للدخول فيه . وأغلب البنوك فى « وول استريت » مشتركة فى هـذا المحل ولها خزانة أوجملة خزائن تضع فيها ذهبها .

واذا كان فى الولايات المتحدة ١١ الف مليونير منهم ٧٤ إيرادهم اكثر من مليون ،فسوادهم مقيم فى نيويورك ، وأعظم البنايات الموجودة فى المدينـة الواطئة هى :وولورث بلدنج ، ادامس بلدنج ، كينار بلدنج ، ترينتى بلدنج ، ويتهال بلدنج، سنجر بلدنج . الخ ! ! !

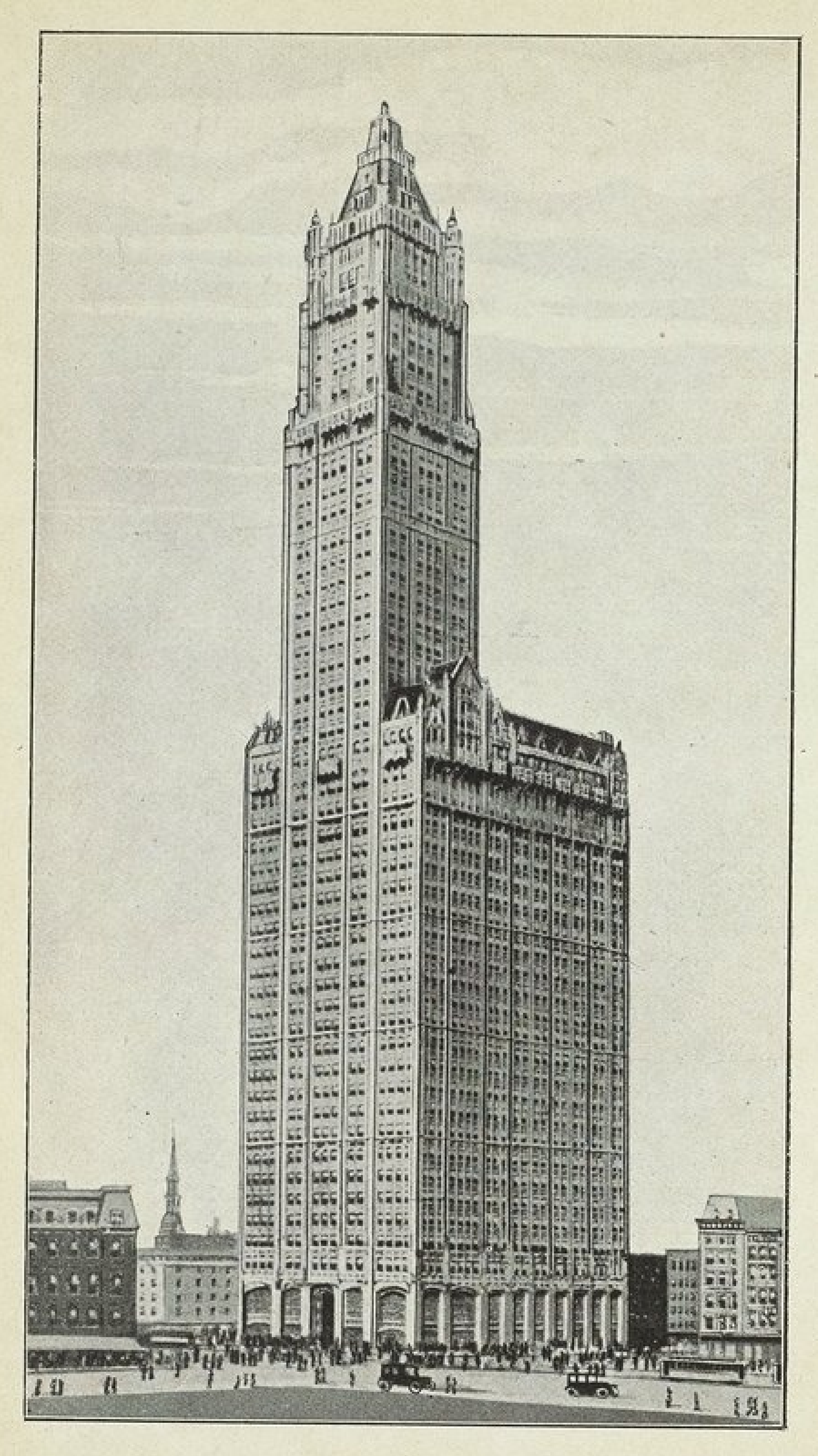
---

(١) أظن ان حضرات القراء يذكرون كثرة ورودهذا الاسم اخيرا فى جرائد العالم كلها لانه كان مسرح النكبات الماليه التى أثرت تاثيرا سيئا على الحاله الاقتصادية العامةفى انحاء العالم .

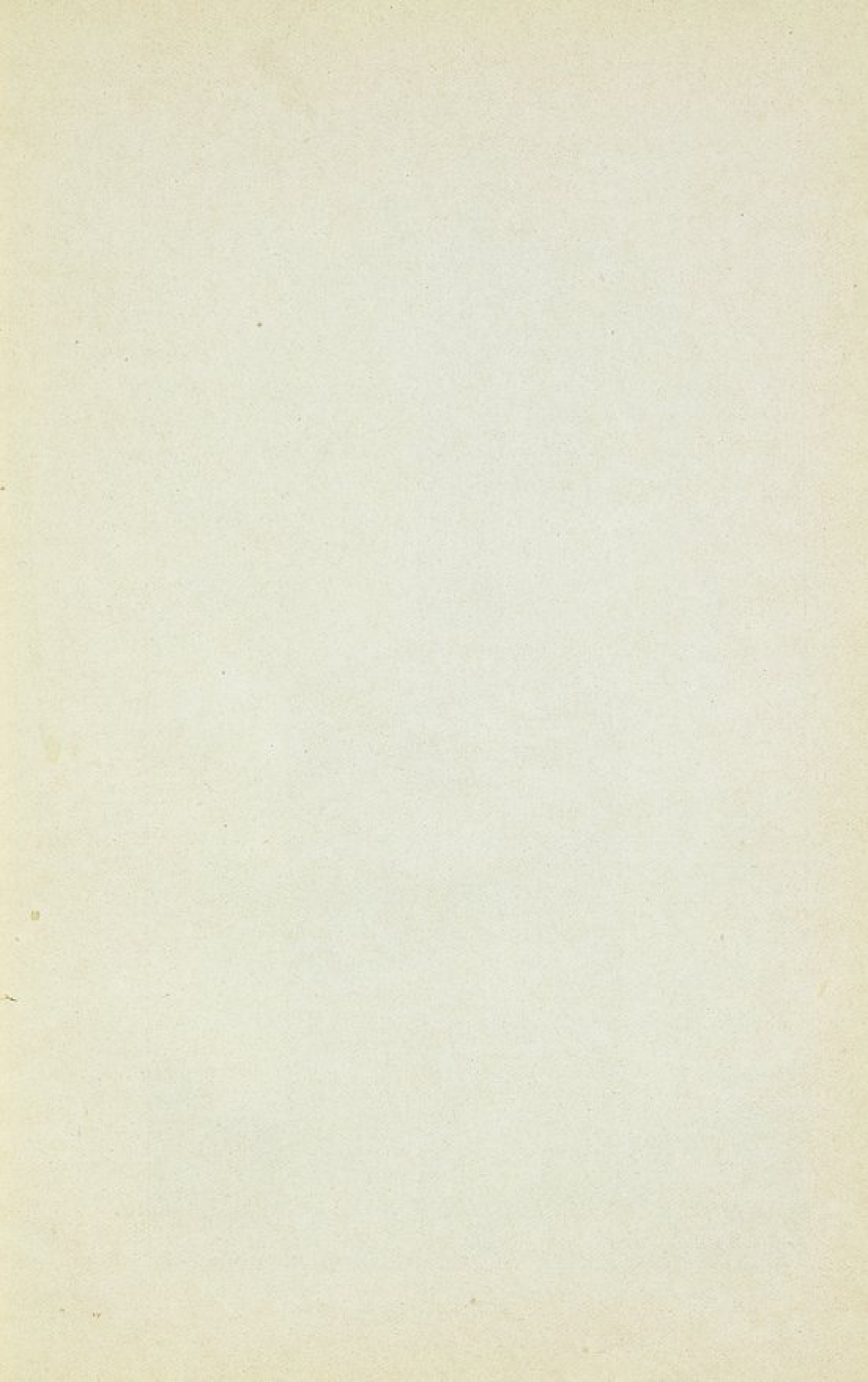
وكان أعظم البنايات فى نيويورك الى سنة ١٩١٣ هذا البناء الذى يسمونه حديدة المكواة لأنه على شكلها ، وهو فى ميدان مدسون وفيه عشرون طبقة . وكان الى ذلك الوقت محل إعجاب كل من وقع نظره عليه ، أما الآن وقد وصلت البنايات الى ستين طبقة ، وهم يصلون الآن فيما يصل الى مافوق المائة ، فقد أصبح بناء الفلات أمرا عاديا صرفا . ويجمل بنا هنا أن نذكر لك البناء الذى يقابله من النهاية الأخرى بميدان مدسون وهو مايسمونه « مترو بوليتان طور » ، وهى كنيسة على نظام كنيسة سان مارك بفنسيا ، ومنارتها تصعد فى الجو الى إرتفاع مائتى متر . وفى هذه المنارة أكبر ساعة فى العالم قطرها ثمانية أمتار ، وارتفاع أرقامها عن قاعدتها متر ، وعقرب الدقائق طوله خمسة أمتار وزنته ٥٠٠ كيلو جرام ، وعقرب الساعات طوله ٤ أمتار وزنته ٣٤٠ كيلو جراما ، وحركة هذه الساعة بالتيار الكهربائى وتدق كل ربع ساعة بواسطة أجراس تسمع صوتها من بعد جملة كيلو مترات من محيطها ، وما أشد عجبك اذا رأيت هذه الساعة ليلا وقد ظهرت أرقام ساعاتها ودقائقها وثوانيها وعقاربها كلها منارة بواسطة مصابيح صغيرة كهربائية ذات ألوان مختلفة تأخذ بالالباب . وهنا نكتفى أن نذكر لك إحدى هذه البنايات حتى تكون على علم بشئ من عظمتها :

وول ورث بلدنج

هذا البناء العظيم سمى باسم صاحبه ، ذلك العصامى الذى كان فى أول هذا القرن عاملا بسيطا فى دكان صغيرة ، فأشار على صاحب الدكان بأن يتجر فى الأشياء الصغيرة التى لا يزيد ثمنها على عشر الريال ونصف عشر الريال ، ذلك بان يضع مائدة فى وسط محله ويضع عليها هذين الصنفين من الأشياء ، فسمع الرجل هذا الرأى ونجح فيه بعض الشئ ، وبعد مدة يسيرة ترك وول ورث هذا المحل وفتح له محلا مستقلا صغيراً يبيع فيه هذه الأشياء بنوعيها ، فلم يفتح له باب النجاح ، فنقل مركز المحل الى



بناية ولورث بنيويورك ص — ١٦



جهـة أخرى فنجح نجاحا عظيما ، فأضاف الى ذلك محـلا ثانيا فنجح ، فثالثا فرابعا فخامسا، وكلها كانت فى منتهى النجاح . وها هى الآن محاله وبعبارة أخرى محال تجارته الواسـعة فى كل جهة من جهات الولايات المتحدة ، بل وفى انجلترا نفسها وكلها على سعتها وكبرها وعظمها لاتبيع إلا بهذه القيمة التى أفاضت على صاحبها مئات الملايين ، بحيث أصبح من أعاظم سراة البلاد . وتجد فى هذه الدكاكين الهائلة كل مايلفت نظر الناس اليها من اصوات فونوغرافات جميلة ، وصور بائعات رشيقات ، ونظافة ورواء وبهاء ، حتى لـكأنك فى محل (الماس بيره). وهذا البناء يتـكون من ستين طبقة(١) فيما فوق القاعدة الهائلة التى يرتـكز عليها : وهى شبكة من الصلب تنزل فى هـذه الأرض الصخرية الى مسافة بعيدة باعمدة من الصلب ، مفرغة من الوسط ملئت بالاسمنت ، حتى اذا تثبتوا من كونها تحمل هـذا الجسم الهائل أقاموا هذا البناء الذى كله مكاتب للاعمال التجارية التى لاحصر لها .

وقاعدة هذا البناء تتكون من ثلاث طبقات فى باطن الأرض ، وضعت فيها الآلات التى تولد الـكهرباء للمصاعد التى تراها على الدوام فى حركة لا تعرف للراحة وقتا ، لا ليلا ولا نهارا .

وكتلة البناء فوق الأرض ارتفاعها ٢٤١ متراً ، وبها ثلاث وجهات ، بها تسعة مداخل ، إثنان منها يتصلان بمحطة السكة الحديدية التى تحت الأرض . وفى هذا البناء خمسـة آلاف شباك فى وجهاته ، وضعها فى غاية الجمال والتناسب ، تحيط بها تلك النقوش القوطية العجيبة .

أما داخله فحوائط من الرخام الجميل الملون الذى أتوا به من بلاد اليونان ، وسقفه من الفسيفساء المذهبة البديعة الصنع .

وفى البدروم غير الآلات الـكهربائية محل فيه بركة كبيرة للعوم ، والى جانبها

(١) والآن يقيمون بناء فى وسط نيويورك من ٨٥ طبقة وقرروا ان يعمل فوقه مطارا تنزل اليه الطيارات التى تقطع الاقيانوس بدل نزولها فى المطار الحالى الذى يبعد ٧٥ كيلومترعن المدينة

حمامات تركية مفتوحة أبوابها ليلا ونهاراً لمن يريد الاستحمام بها، وفيه أيضاً أمكنة للأكل والزينة .

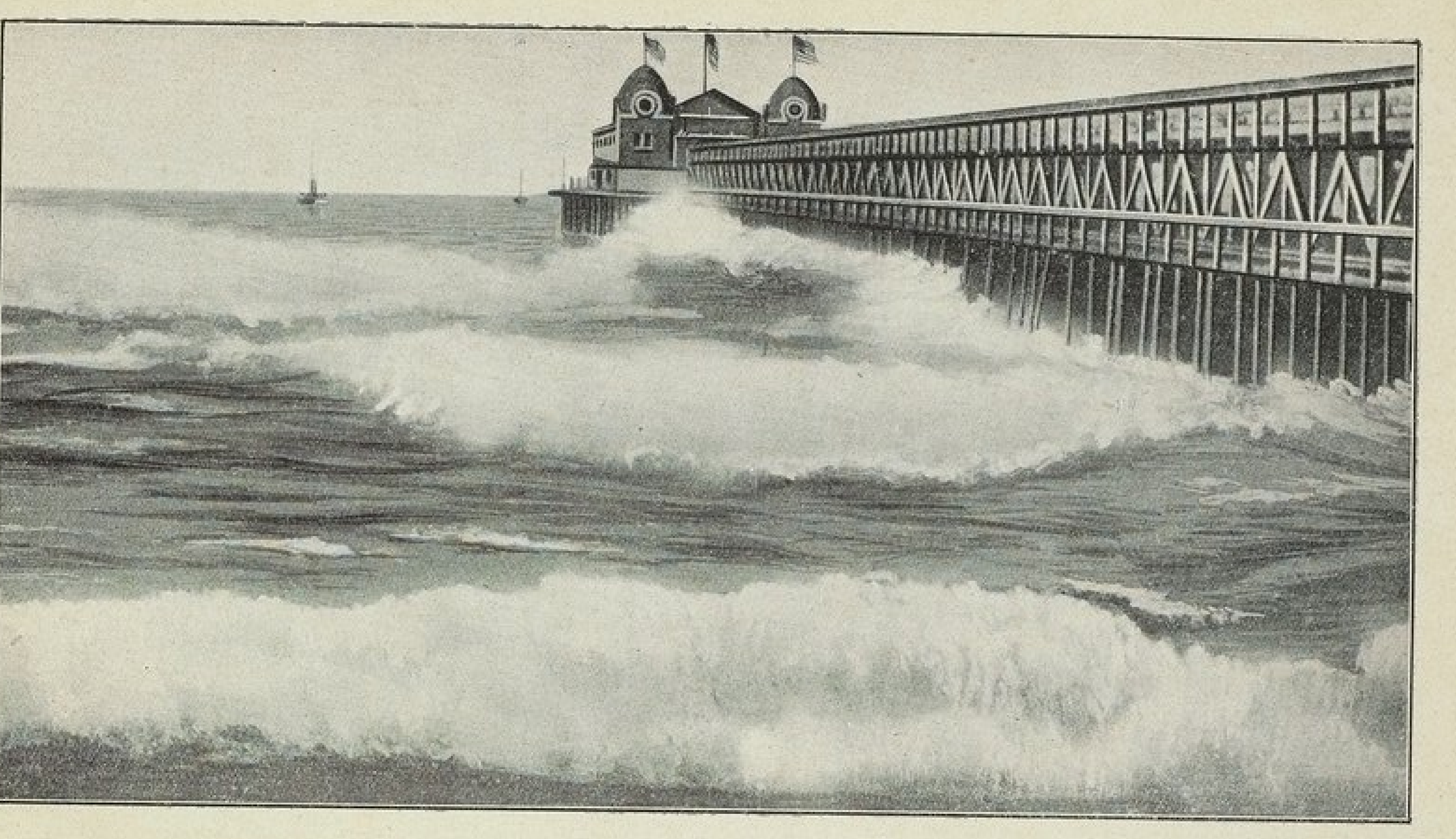
وفى هذا البناء ٣٤ مصعداً منتشرة فى جميع جوانبه ، يصعد واحد منها كل نصف دقيقة وحركتها مستمرة ليلا ونهارا، بحيث ينتقل فيها كل يوم خمسون الف نفس . ومنها مايسير بصفة إكسبريس لايقف إلا فى الادوار الهامة ، ومنها مايقف فى جميع الأدوار.

وقد أحاطوا هذه المصاعد بما يحفظها من كل خطر فيما لو قطعت أسلاكها الرافعة ، ذلك أن قاعدة المصعد اذا نزلت أرتكزت على مرتبة لينة ركبت على منطقة فرغت من الهواء لتحمل عنها صدمة الضغط الشديد بحيث لايحس فيها بهزة ولا بوكزة . وقد وضعوا أثناء تجربة هذه الحالة فى قعر المصعد كوبة مملوءة بالماء ، فلم تسل منها قطرة واحدة على جدر الكوبة فى نزوله بعد قطع اسلاكه ! !

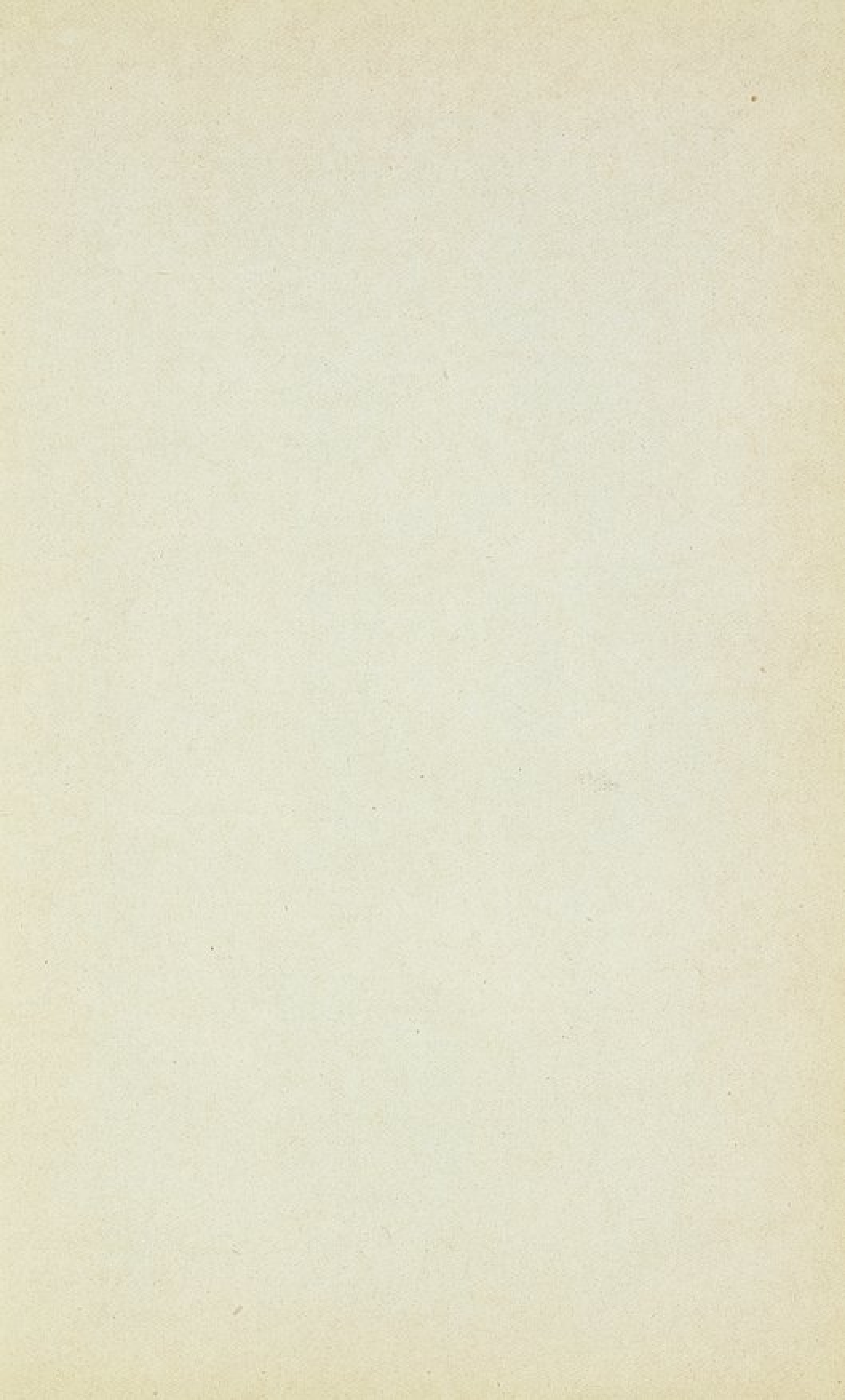
وقد احاطوا هذا البناء بما يمنعه من الحريق بحيث لو اشتعلت النيران فى مكتب من المكاتب لايمكن بأى حال أن تتصل بالمكتب المجاور له ، ذلك لأن جدر المكان كلها من البناء المسلح ، وأبوابه من الصلب ، وشبابيكه مغلفة بشبكة من الحديد . وفى أسفل البناء مضخة عظيمة أنابيبها واصلة الى الطبقه الستين فاذا فتحت فوهتها تفجر منها الماء بنسبة ٢٠٠٠ لتر فى كل دقيقة .

ومجموع من يشتغل فى هذا المكان خمسة عشر الف نفس ، وفيه ٢٠٠٠ تلفون ، والبريد يحمل اليه يوميا ١٥٠ الف مظروف ، ولكل مكتب اسطوانة يلقون فيها بكتبهم فتنزل الى مخزن فى أسفل البناء يصل اليه عمال البريد فيأخذونها منه ٢٧ مرة فى كل أربع وعشرين ساعة ، وفى هذا المكان نقطة بوليس وفيه من عمال الصيانة والنظافة من يقوم بجميع حاجاته ، وفيه مستشفى للعمال وطبيب وممرضة.

وقد صعدت الى قمته مع صديق لى هو حضرة الفاضل امين افندى رستم ولكن كان الضباب من تحتنا كثيرا بحيث لم نتمكن من مشاهدة منظر المدينة ،



مرفأ منتزه على الشاطىء الاطلانطى ص — ١٨



واجرة الصعود فيه لكل شخص نصف ريال ، ومجموع مايحصل من هذه الاجرة سنويا مليون ريال .

والى زاوية من هذا القسم يبدأ شارع برودوى ولا يزال الى النهاية الشمالية من المدينة ، وربما كان اطول شارع فى الدنيا ، وطوله اكثر من اثنين وعشرين كيلو مترا . وفى هذا الشارع الحركة التجارية بمعناها الحقيق ، وفيه اكبر المحال التجارية فى نيويورك ، واكبرها واعظمها هى محال وناميكر ، ومحال جميل ، ومحال ميسى ، وهى تماثل محال البون مارشيه واللوفر والبيراميد فى باريس ، وان كانت الاولى أكبر والحركة فيها اكثر . ترى كل شئ فى هذه المحلات حتى السينما ، حتى التمثيل حتى المطاعم من أى صنف ، وبالجملة ففيها من كل معنى طرب . وقد أذاع احدها عهدا بانه اذا أتى اى انسان وطلب اى طلب لم يكن موجودا فى محل تجارته اعطاه المحل خمسة آلاف ريال ، ومن هذا تعرف ان كل واحد من هذه الامكنة فيه كل مايدور حتى بالخيال من كل شئ يصح وجوده . والدكاكين الكبرى والبنوك وغيرها مماعلى شاكلتها ليس لها حراس ليلا ، بل لها اجراس اوتوماتيكية فى أبوابها ومنافذها اذا مستها يد انسان قامت قيامتها بما له اتصال بمركز البوليس ، فيحضر لوقته ويضبط الواقعة من غير مبلغ الا صوت صدى هذه الطبيعة الراقية .

وثمن الارض فى هذا الشارع غالية جدا وخصوصا الى جهة وول استريت وقد بيعت به نقطة خمسون ياردة مربعة تكون زاوية على شارعين بستة ملايين دولار (هذا اخبرنى به احد كبار التجار السوريين بنيويورك ، وهو الخواجا شالوم نمرة ٢٤٤ بالشارع الخامس) .

وفى هذا الشارع قسم لاخواننا السوريين لهم فيه فنادق ومطاعم وامكنة تجارية ، منها الكبير ومنها الصغير ، ويقدرون عددهم بهذه المدينة بثلاثين الف نفس ، وصل غير واحد منهم الى دائرة الملايين ، ولهم بها بيوت تجارية كبيرة من اشهرها محل تجارة ملوك اخوان بالشارع الرابع ، وشغلهم فى الحراير ، ومحل بردويل

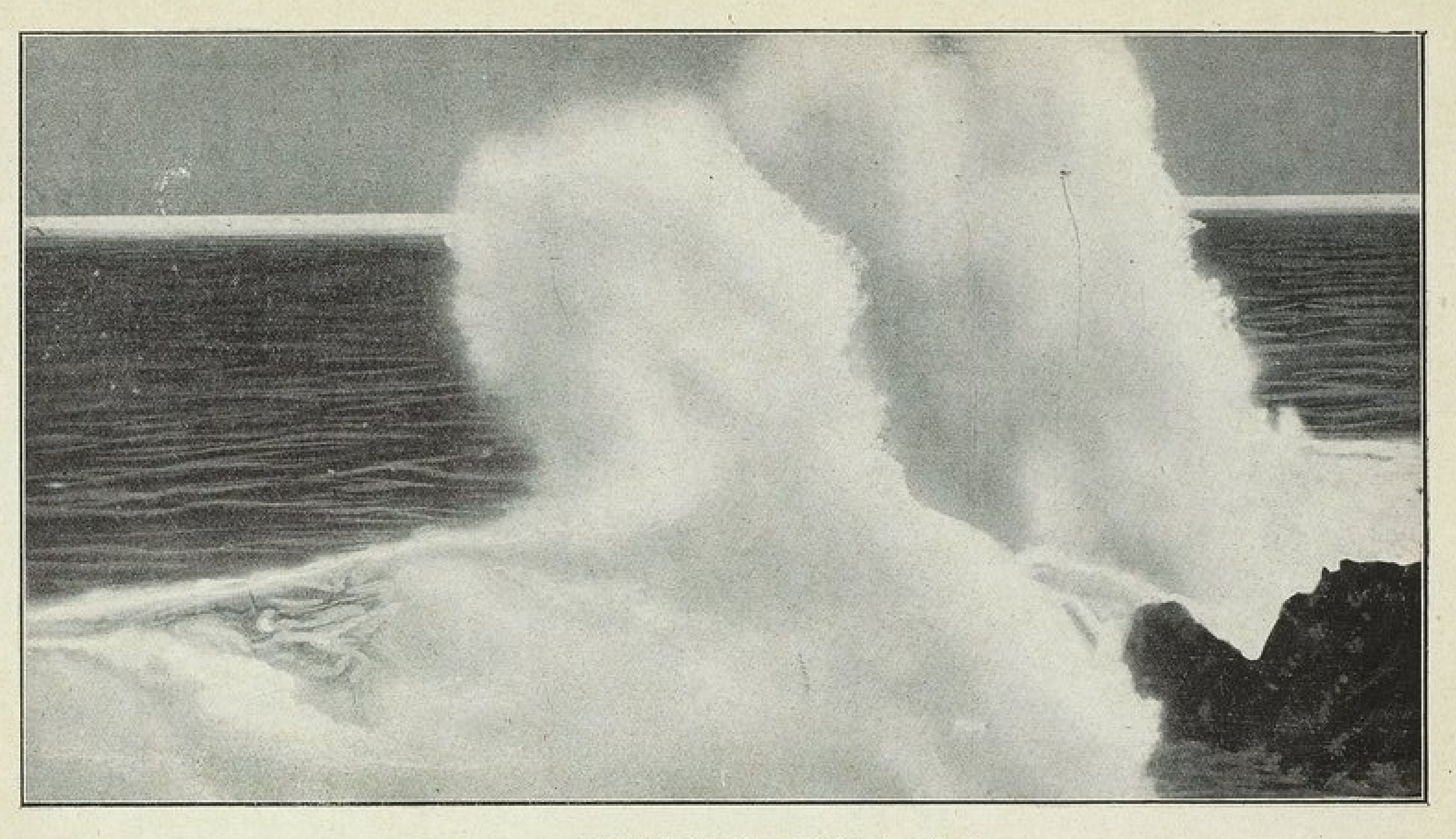
اخوان بالشارع الخامس وعملهم فى الحرير والسجاجيد . وللسوريين بنك فى الشارع الخامس بنيويورك اسمه بنك لبنان ، والتجارة السورية هنا محصورة فى الحراير ، والمخيشات والمطرزات والاوانى النحاسية الشرقية المنقوشة وغير المنقوشة ، ولهم بنيويورك جريدتان عربيتان « البيان » و« مرآة الغرب » .

وهاتان الجريدتان القيمتان لهما فائدتان : الأولى نقل أخبار الشرق الى بنى اللغة العربية الذين فى امريكا ، والثانية نقل اخبار امريكا الى بنى اللغة العربية فى الشرق مما لا يتيسر العثور عليه فى غير هاتين الجريدتين . وهذا يدلك على ان السوريين هنا لهم روابط قوية ، واعتبارهم لقوميتهم – حتى مع تغيير جنسيتهم الى الامريكانية – يدلك على ما فيهم من روح حية لا تزال تناجى مثوى الآباء والاجداد . وهذا غير ما فى قوتهم المعنوية من مساعدة من يفد عليهم من أهل جنسهم ، فيمهدون له الطريق للعمل ، ويخففون عنه اثقال الغربة حتى يجد الى الحياة بجهاده سبيلا .

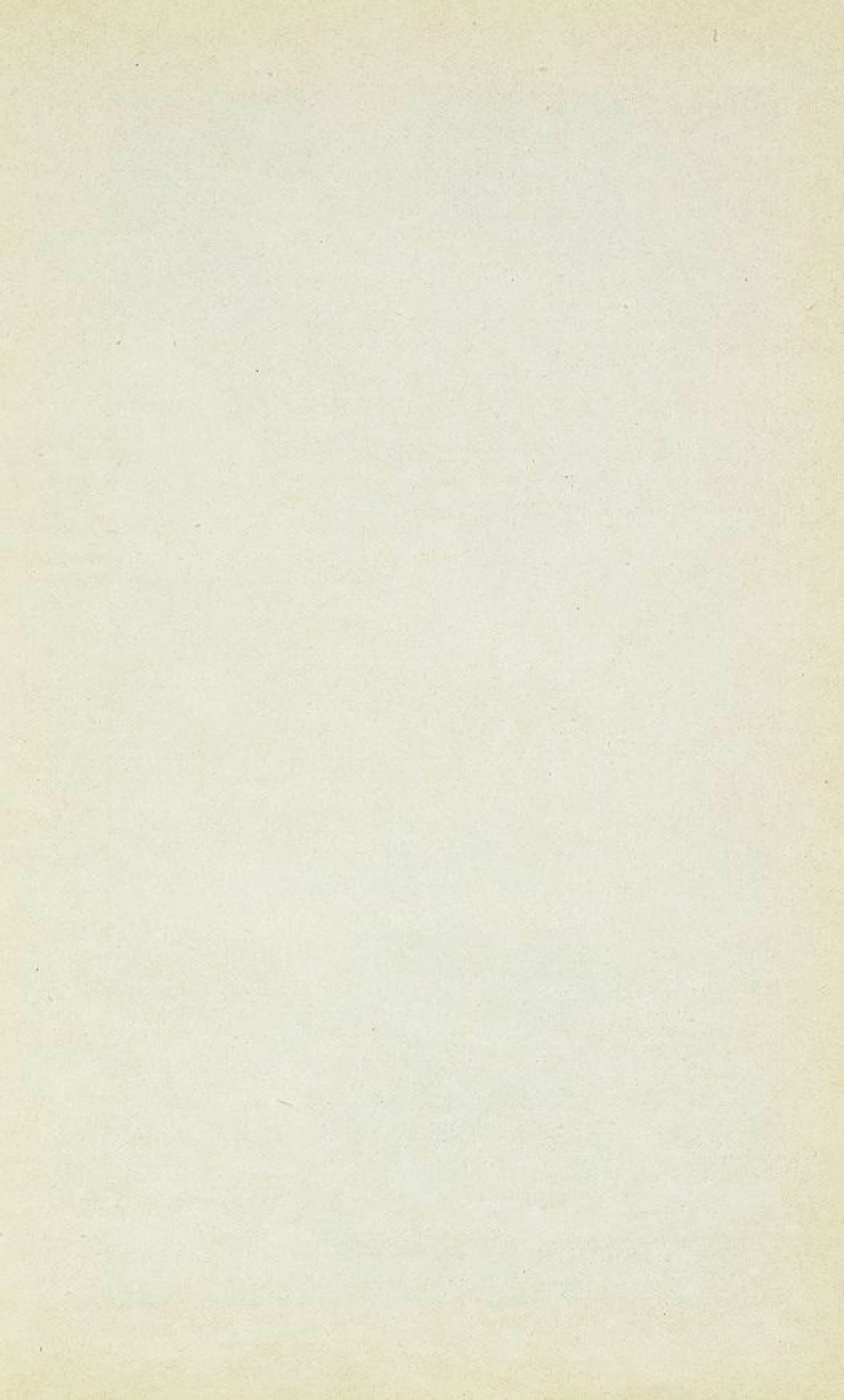
وعلى ذكر الجرائد العربية هنا اقول : إن للصحافة فى امريكا مركزها من الاجلال والاحترام ، ولا برهان على ذلك أظهر من ان رئيس الولايات المتحدة مستر كولدج كان يرأس جلسة من جلسات نقابتها فى شهر يونيه الماضى . ولا غرابة فى هذا فان أغلب الرجال العظام بامريكا يمتون بصلة الى الصحافة فى مبدأ أمرهم

وفى نيويورك جرائد كثيرة جدا من سياسية وتجارية وصناعية ورياضية وتمثيلية وغيرها من مجلات اسبوعية وشهرية . وأهم الجرائد اليومية هى : نيويورك تيمس – ونيويورك هرالد – وقد نكتفى بذكر شئ عنهما لتعرف شيئا عما يقال له جريدة هنا :

فنيويورك تيمس ، يطبع منها يوميا ٣٥٠ الف نسخة ، والنسخة مؤلفة من ٢٤ صفحة ، وتطبع يوم الأحد ٦٠٠ الف نسخة ، والنسخة مؤلفة من ٦٠ صفحة ، والاشتراك فى الجريدة بنسبة ٧٠/١٠٠ من الأعداد المطبوعة ومطبعة الجريدة تطبع فى الساعة الواحدة ٤٠٠ الف نسخة مطبقة ومعنونة ، وعدد العمال بها ٢٢٠٠ عامل ، ومصاريف المطبعة يوميا ٤٠ الف دولار .



منظر الامواج العالية على شاطيء المحيط الاطلانطى ص — ٢٠



وأما نيويرك هرالد — فتطبع يوميا ٣٣٠ الف نسخة ، ذات ٨٠ صفحة ، وتطبع يوم الأحد ٤٠٠ الف نسخة ، ذات ١٨٠ صفحة ، وفيها من العمال ١١٠٠ عامل ، وتستهلك يوميا من الورق ٢٠ طنا .

ولقد كنت أظن أن إخواننا المصريين أبعد الناس عن الهجرة ، وأنهم لايحبون الرحلة ولا يميلون الى الاغتراب ، حتى علمت بانه يوجد فى ناحية شيكاجو رجل مصرى اسمه أحمد حسنين ، هاجر الى الولايات المتحدة واشتغل فيها حتى وصل من طريق التجارة الى ثروة غير قليلة ، وقد علمت أنه يتخاطب مع قنصلية مصر بنيويورك لمساعدته فى إرسال ولده الى أحدى مدارس القطر المصرى حتى لايحرم من لغة آبائه . فهل كان السيد احمد حسنين هو الشذوذ الوحيد الذى تثبت به قاعدة عدم ميلنا الى الهجرة ؟ والأرمن هنا كثيرون ، وقد وصل منهم شخص أسمه بول آدم الى أن صار له بنك خاص فى شارع ٤٩ ، ومنهم كثير من ذوى النفوذ وقد حالوا بنفوذهم وشدة قوميتهم بين الولايات المتحدة وما كانت تريده من عقد معاهدتها مع تركيا .

ومع فخامة المبانى فى وول استريت فمجموعها ليس فيه شئ من التناسب ، لأنك تجد العالى منها بجوار الواطئ ، والشكل الحديث بجانب القديم ، مما جعل بين هذه الشامخات فراغا لابد أن يمتلئ يوما من الأيام بما يزيد فى تشاكله وتناسقه

وكيفية بنائهم لهذه الشامخات أن يحفروا فى أرض هذه المدينة الصخرية قاعدة عمقها ثلاثة أو أربعة أمتار ، ثم يحفرون فيها حفراً بعيدة القاع فى زواياها الاربع ، وفيهايضعون كتلا كبيرة من الحديد وهذه الكتل تكون أركان العمارة الخارجية، ويقيمون فى داخلها كتلا أخرى ربما كانت أصغر منها لكل تربيع كبير تتكون به المداخل والطرق، ثم مربعات أصغر تتكون منها الغرف ويصعدون بهذه التخشيبة الحديدية الى الارتفاع الذى يرغبون فيه ،وهنا يبدؤن فى وضع سقف كل دور على حدته مع بناية محيط البناء بالمادة التى يرغبون فيها من رخام أو آجر أحمر أو أبيض

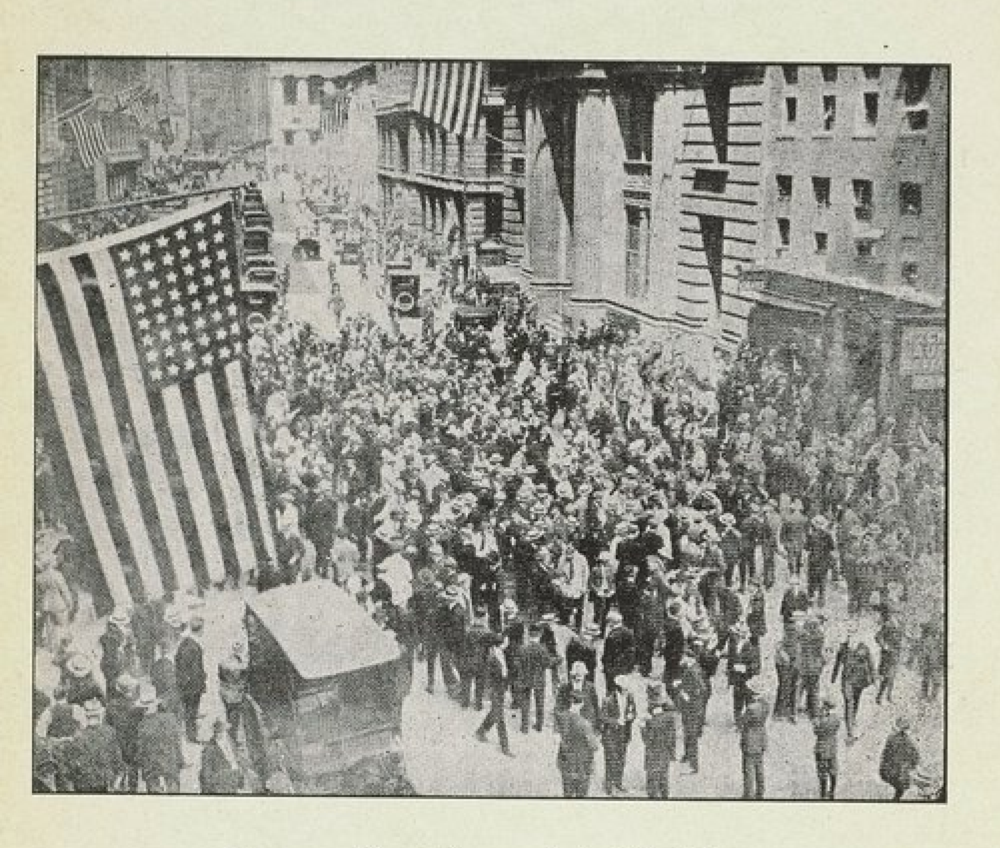
حتى اذا اكتمل البناء وضعوا أبوابه ونوافذه ثم طلوه بما أرادوه من ألوان مختلفة غالبها من اللون الذهبي الذى يكاد يكون شعار هذه المبانى الهائلة ، تلك المبانى التى لاتمضى بضع سنوات على نيويورك حتى تراها عمت شوارعها جميعها، لأنهم من الآن يهدمون البنايات التى من الشكل القديم ليقيموا مكانها شيئا من تلك الشامخات . وكثرة الصلب فى هذه الشامخات يرى أثره فى المراكب الداخلة الى نيويورك والخارجة منها، فانها تحدث بها اضطرابا فى بوصلاتها على مسافات بعيدة.

والسبب فى التجائهم الى هذه البنايات الهائلة، هو زيادة السكان زيادة مستمرة وزيادة العمل طبعا مع غلو ارض نيويورك وضيقها لأنها محصورة بين النهرين ، ولأن صخرية الأرض تساعد عليها وهم الآن يهدمون المبانى التى على النظام القديم مهما كانت جديدة ومهما كانت لاتقل عن ست أو سبع طبقات ، ليبنوها على نظام الشامخات .

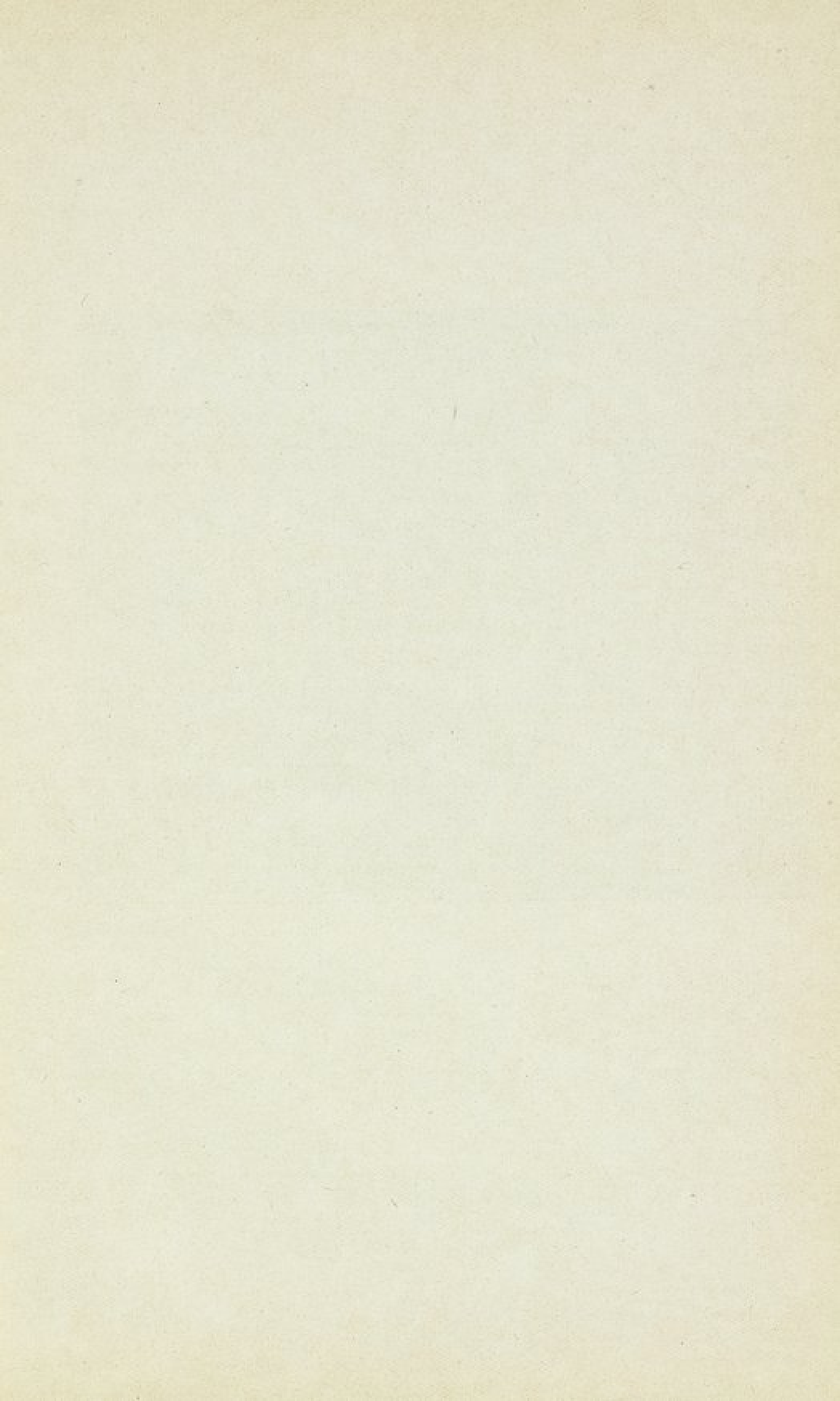
وفى هذا القسم أكبر بورصات العالم نذكر لك باختصار مازرناه منها

بورصة الاوراق المالية

زرنا « اعضاء المؤتمر » هذه البورصة بدعوة من غرفة نيويورك التجارية ، وهى مكان عظيم دخلنا اليه من بابه العمومى وصعدنا الى دوره الثانى أو الثالث مع مندوب هذه الغرفة ، ومنه دخلنا الى إيوان يشرف على متسع مربع فى الدور الأرضى يبلغ طوله نحو ٥٠ متراً فى مثلها (أو تزيد) وهذا الوسط ممتلئ بالناس الذين تراهم فى جيئاتهم وغدواتهم كالنمال أزعجها شئ فى جحرها فاذا بها تغدو وتروح بسرعة هائلة وهى فى شدة الاضطراب ، والفارق بين هؤلاء وبينها أن الناس فى حركاتهم فى هذا الوسط تراهم يصرخون هنا وهناك بأثمان الأسهم المبيعة أو المشتراة ، وفى حائط البناء لوحان كبيران أحدهما فى اليمين والآخر فى الشمال ، وهما مقسمان الى مربعات صغيرة (تقريبا عشرة سنتمترات مربعة) وفى وسط



اجتماع المضاربين خارج بورصة نيويورك ص — ٢٢



المربعات علامات حمراء أو خضراء تراها على الدوام متحركة بحركات أوتوماتيكية بمختلف الاسعار فى كل وقت (وذلك بواسطة تيار كهربائى) .

وفى هذه الصالة عشرون مكتبا للتلغراف منتشرة فى وسطها تأتى فى كل دقيقة باسعار جميع الولايات المتحدة ، كما أن فى جهتى الصالة مكاتب للسماسرة الذين لهم حق العضوية فى البورصة ، وكل مكتب له تلفون خاص يذيع به الأخبار الى عملائه فى وقتها . ورسم العضوية فى هذه البورصة أربعون الف جنيه لكل من أراد أن يكون عضوا فيها .

وهذا المكان فيه أكبر حركة مالية فى العالم كله ، ويكفى أن تعرف بانه يباع فيه فى اليوم الواحد ثلاثة ملايين من مختلف الأوراق والسندات المالية ، وهو محل إسعاد الالوف من الناس وإشقائها فى كل ساعة بل فى كل دقيقة من دقائق الزمن ، فبينا ترى الرجل بجوارك غنيا لايتكلم إلا بمئات الالوف ، اذا به بين كلمة وأخرى ينفض وفاضه بكل غضاضة ! ! واذا بالآخر قد رفعته يد الحظ مرة واحدة الى مكانة ما كان يحلم هو بها ، وهما نتيجتان لازمتان للتهور والمخاطرة اللتين هما من صفات الرجل الأمريكى ، وكثيراً ماترى ملوك الأموال أنفسهم ينزلون عن عروشهم وسط هذه المعارك ! ! !

بورصة القطن

أما صالة بورصة الأقطان بنيويورك فهى عبارة عن ٢٥ مترا فى ١٥ مترا ، وفى وسطها دائرة فيها البائعون والمشترون وفى جانب منها هؤلاء الذين يكتبون الأسعار . وبحركة أوتوماتيكية تكتبها آلات فى لوح كبير على إحدى حوائط الصالة بحيث يطلع عليها من يعنى بالنظر اليها .

وفى جانب منها على ارتفاع نحو مترين ونصف ألواح خضراء يكتب فيها الأسعار التى تأتى من الخارج بالطباشير عمال على آذانهم سماعات التلغراف

اللاسلكى ، وفى الصالة لوح مبين فيه قوة الرياح واتجاهاتها فى مناطق القطن ، وكذلك حركة السحب والامطار فى الجهات التى تنزل بها من الولايات القطنية ، وفى هذا اللوح علامات حمراء وصفراء وزرقاء ذات اتجاهات مختلفة ، وهى تبين حركات البارومتر : فاللون الاحمر للصحو وتحته درجة الحرارة مبينة ، والاصفر للمطر ومكتوب تحته مقدار الكمية التى نزلت منه ، والازرق ــ وأظنه ــ للرياح وتحته مقدار قوتها واتجاهاتها . وهذا اللوح يغير مرتين كل يوم مرة فى الصباح ومرة بعد الظهر ، وعمل هذه البورصة خاص بالقطن الامريكانى ، أما القطن المصرى فالعمل فيه خاص ببورصة نيواورليانس . وفى الجملة فحركة العمل فى هذه البورصة قل منه فى بورصة السندات المالية .

بورصة المحاصيل

مكان هذه البورصة فسيح جدا وفيه جملة موائد عليها المحاصيل المختلفة ، فترى فى جهة المحاصيل الزراعية من قمح وذرة وشعير وبطاطس وما الى ذلك من شحم وزيوت مختلفة ، والى جانب منها المحاصيل الارضية من فحم وحديد وقصدير وبترول وغير ذلك . وفى هذا المكان سماسرة يعرضون العينات على المشترين ، وعلى كل حال فالبيع والشراء فى هذه البورصة بطبيعته ــ لأنه مرتبط باسعار العالم كله ــ وهى أبعد البورصات عن المخاطرة .

وقد أخذت صورتنا فى أحدى غرف هذه البورصة وفيها وزعت علينا الغرفة التجارية (على اعضاء المؤتمر) أوسمة شرف ، وقدم الينا رئيس هذه البورصة الأخيرة طعام الغداء فى مطعم قريب منها جزاه الله خيرا .

وفى شارع برودوى نمرة ٥٧ ادارة للبوليس السرى لجميع الولايات المتحدة، اسمها (أيالكيرتون) وهى فى وسط المحال التجارية والبنوك والمصارف المالية، وعملها لحساب هذه المحال فى الغالب ،ويصح أن يكون لبعض من يكلفهم أمره من الأفراد.

ومهمتها البحث وراء اللصوص الذين ينشلون من البنوك والعصابات التى تهاجم قطر السكك الحديدية والتى تهجم بما لها من قوة على بنوك الارياف وخصوصا التى لم تدخل منها فى هيئة الادارات التى تمون هذه الفرقة البوليسية ، والامريكان يسمون هؤلاء اللصوص Zeggs وهم فئة شريرة تصل بها الجرأة الى غايتها والقسوة الى نهايتها ، وكيفية سرقتهم للبنوك أن يضعون فى ثقب الخزانة جانبا من . . . ثم يغلفون الثقب بمادة . . . وبواسطة كبسولة ينفجر الباب ، ولهم تحايل غريب فى غش الحوالات المالية وقبضها مما لا معنى هنا لذكره (أرجو معذرتى فى عدم ذكر هذه المواد لخطرها) .

ورجال الفرقة البوليسية تساعدها مصلحة تحقيق الشخصية مساعدة هامة، وأفرادها من جميع الطبقات بحيث يوجد منهم من يمكنه أن يدخل فى الصالونات المعتبرة ، ومنهم الظرفاء والادباء الذين يملكون ناصية الحديث بفكاهاتهم ، وهم فى كل مباحثهم فى حزم وسكينة من غير أن يشعر أحد بصفتهم الحقيقية ، وهنا ألفتك الى ما يسمونه عندنا بالبوليس السرى المكتوب على وجهه تلك اليافطة « حضرته بوليس سرى » كفانا الله شر تلفيقاته ! ! !

وبمناسبة الكلام على البوليس السرى أقول لك إنه يوجد فى نيويورك نادٍ خطره جسيم ،وشعاره وخيم، هو « نادى الاجرام » يجتمع فيه أولئك الذين لا قلب لهم ولا رحمة فيهم ، ويقررون القتل أو الفتك بكل فريسة أوردها سوء حظها بين أيديهم . وهذه الفئه المنحوسة منبثة فى كل الولايات المتحدة وخطرها فى نيو يورك ربما كان أقل من خطرها فى جهة أخرى ، وضحايا هذه الفرقة الشريرة فى البلاد الكبرى نسبتها هكذا فى كل مائة الف نفس :

نيويورك ٥ ونصف فيلادلفيا ٨ شيكاجو ١٢ منفيس ٧٠

والبوليس ينسب هذه الجرائم الى الاساليب التى يتعلمونها من مناظر السنما التى لاتنطبق على مصلحة الجمهور ، وعلى الكتب الساقطة ، وعلى عدم سرعة

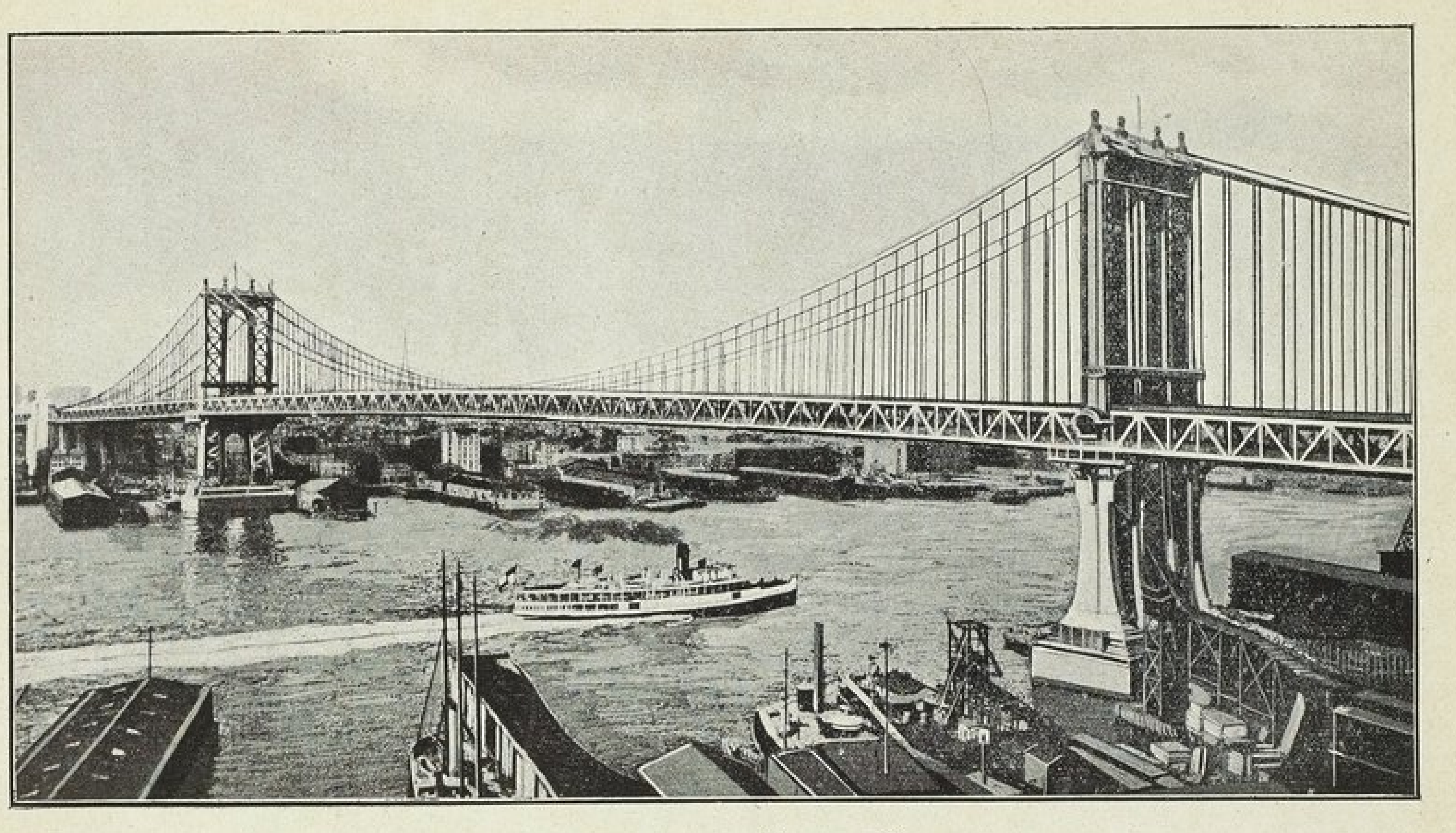
بت القضاء فى قضاياهم .

وبمناسبة الكلام على هـذا النادى أقول لك : أن بنيويورك ناديا من السخافة بمكان هو « نادى المنتحرين » هذا النادى يجتمع فيـه كل من وقفت به آماله عن الوصول الى غاياتها من حب ، أو زواج ، أو ثروة ، أو أية صفة من صفات الحياة . وأعضاء هذا النادى يجتمعون من وقت لآخر ويعملون قرعة عن الذى لابد وأن ينتحر منهم ! !

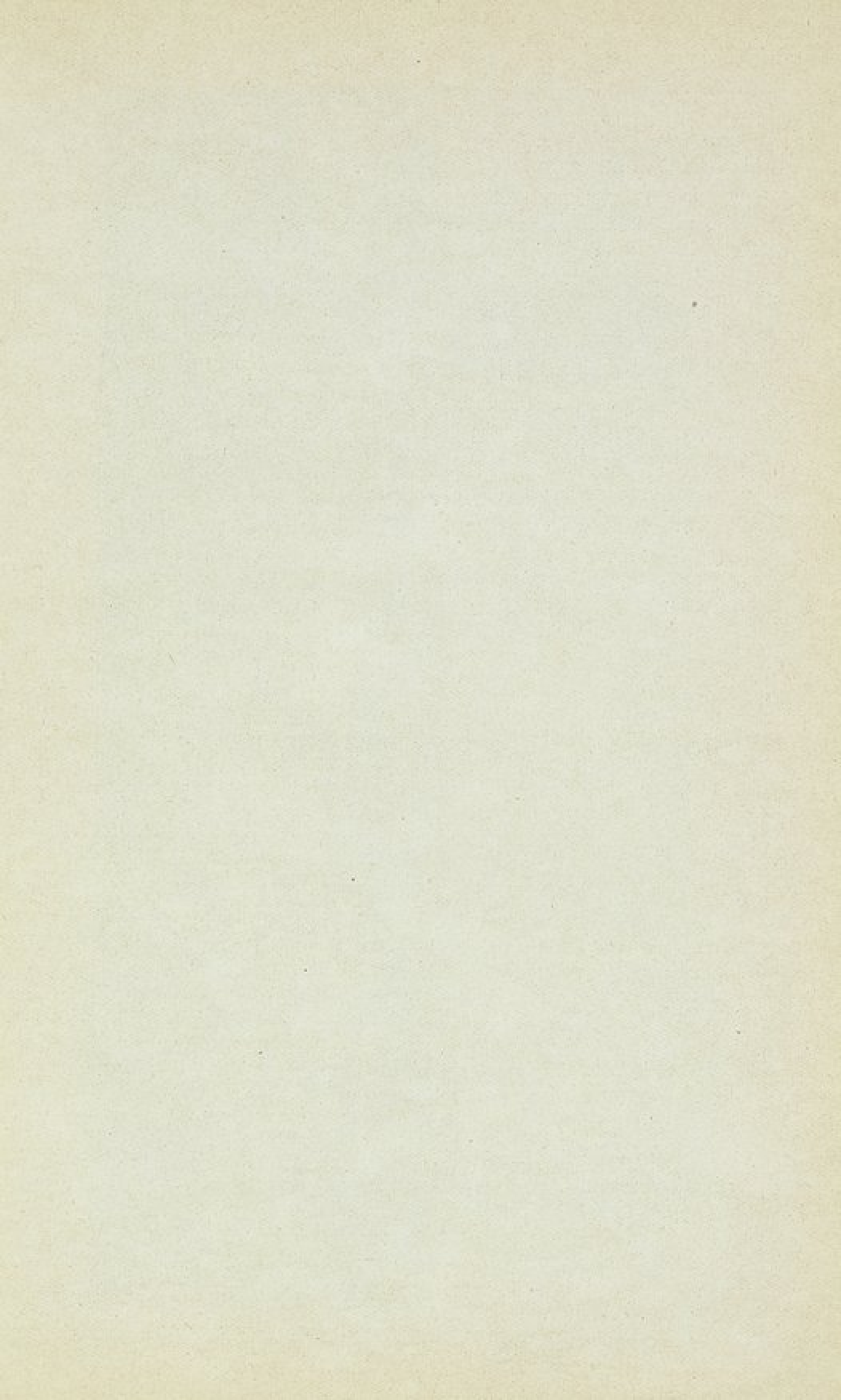
وقد ينتحر منهم فى نيويورك كل سـنة مايقرب من الف شخص نحو ثلثهم من النساء والاطفال ، ويبلغ عدد أعضاء هذا الـكلوب ١٥ الف نفس .

وقد تألفت تلقاء هذا الخطر الانسانى « جمعية اسمها جمعية النجاة » ومهمتها أن تـكتب الى أعضاء هذا النادى الخبيث بكل نصحها وإرشادها ، وتساعدهم على الاقلاع عن فـكرتهم بأية وسيلة من الوسائل .

وقصارى القول أن أهـل نيويورك ـ بصفة عامة ـ لـكل طائفة منهم أندية يجتمعون اليها وقت فراغهم من أعمالهم ، فالطلبة لهم أندية كثيرة ، والعملة لهم أندية مختلفة ، والتجار لهم أندية عـديدة ، ولـكل جالية أنديه خاصة بها ، فالانجليز لهم أندية ، والفرنسيون لهم أندية ، وهكذا . واذا كانت حالة البلاد العامة تلبس اللباس الديموقراطى فى مظهرها ، فان كثيرا من هذه الاندية تلبس لباسها الارستقراطى فلا يقبلون فيها الا من كان فى درجتهـم من الوجاهة وسـعة المال ، وحتى الطلبة لا يقبلون فى أنديتهم هؤلاء الفقراء الذين وإن جمعتهم معهم قاعات الدراسة ، فقد تفرق بينهم ما يقومون به من خدمتهم بعـد فراغهم من الدرس ، وهى أنانية لا تتفق مع الديموقراطية التى يدعونها ويرفعون عقيرتهم بها .



كوبری منهاتان بنیویورك ص — ٣٦



قسم منها ثان

هـذا هو القسم العالى أو الشمالى من مدينـة نيويورك وهو القسم الجديد ، ويبتدئ من المدينة الواطئة متجها الى الشمال الى مسافة ثمانية أميال تقريباً ، أعنى الى قنال هارلن الذى يفصلها عن مدينة برونـكس ، وهى ضاحية كبيرة فى شمالها ، ومتوسط عرضه فيما بين النهرين نحو ميلين . وتخترق هذا القسم جملة شوارع رأسية تقطعها جملة شوارع أفقيه . وكأنهم فرغوا من الأسماء التى يسمون بها الشوارع عادة فوضعوا نمرا وصفية للرأسية ، ونمرا عددية للأفقية . فيقولون عن الأول : الشارع الخامس أوالسادس ، وفى الثانية الشارع خمسة أوستة . وقد يبلغ العدد فى نمر الأفقيه نحو المائتين . وأهم شوارع المدينة هو الشارع الخامس ، ويتلوه الرابع من جهة بارك أفنيو وفى الأول أكبر المحال التجارية وأفخمها ، على أن جميع الشوارع سواء كانت رأسـية أو أفقية لاتخلو من الحركة التجارية . وينتهى الشارع الخامس الى الحديقة المتوسطة ، وعليها فيما يلى هـذا الشارع مسا كن الخاصة ، مثـل منزل استور وفندربلت ، وجراى ، وفرنك . ويقدرون بيت الاخير بخمسة ملايين وأربعمائة الف دولار ، ويقدرون مافيه من الأثاث والرياش بخمسة عشر مليون دولار ! !

والحديقة المتوسطة مستطيلة ، واتجاهها من الجنوب الى الشمال ، وفيها أمكنة لبعض الحيوانات المفترسة كالسباع والذئب والنمور والدباب وغيرها ، كما يوجد فيها جملة محال للالعاب الرياضية كالتنس والجولف وغير ذلك ، وفيها بركتان للتجديف ، ومساحتهما ٣٥٠ هكتارا . ويقطع (منها ثان) الترامويات الـكهربائية ، والسكك الحديدية التى تسير فى الهواء على قواعد من الحديد ترتفع عن سطح الأرض بنحو ثمانية أمتار أو أكثر ، ثم السكك الحديدية التى تسير تحت الأرض ، وهى هنا أقل جمالا من مثلها فى لوندرة وبرلين وباريس . ويسير تحت الأرض أربعة قطر ، الواحد تلو الآخر الى جهات مختلفة . ولابد لمن يركبها أن يكون له علم باتجاهاتها ،

خصوصا مع سرعتها الهائلة وعدم وجود خرائط لها بالقطارات تساعد المسافر بها على تحديد سفره بها كمثيلاتها فى البلاد التى مر ذكرها .

وعند اتصال الشارع الخامس بالشارع ٤٢ تجد مكتبة المدينة ، ويقولون إن هذه النقطة أكثر بقاع الأرض حركة ، ويقدرون المارين فيها على أرجلهم يومياً بما يزيد على مائتى الف نفس . أما حركة الاتوموبيلات فان لها منظم يقيم فى جهة مرتفعة وسط الطريق ليرشدها بواسطة أنوار كهربائية ، فالأحمر للوقوف والأخضر للمرور ، وكثيرا ماترى هذا المنظم أوتوماتيكى يعمل بواسطة آلة كهربائية وبهذه الطريقة أمكنهم أن يقللوا من الخطر الملازم لمثل هذه الحركة الهائلة . وبناء هذه المكتبه فخم وفيه أكثر من ثلاثة ملايين كتاب ، ويزورها يوميا مابين ثمانية وعشرة آلاف زائر !!

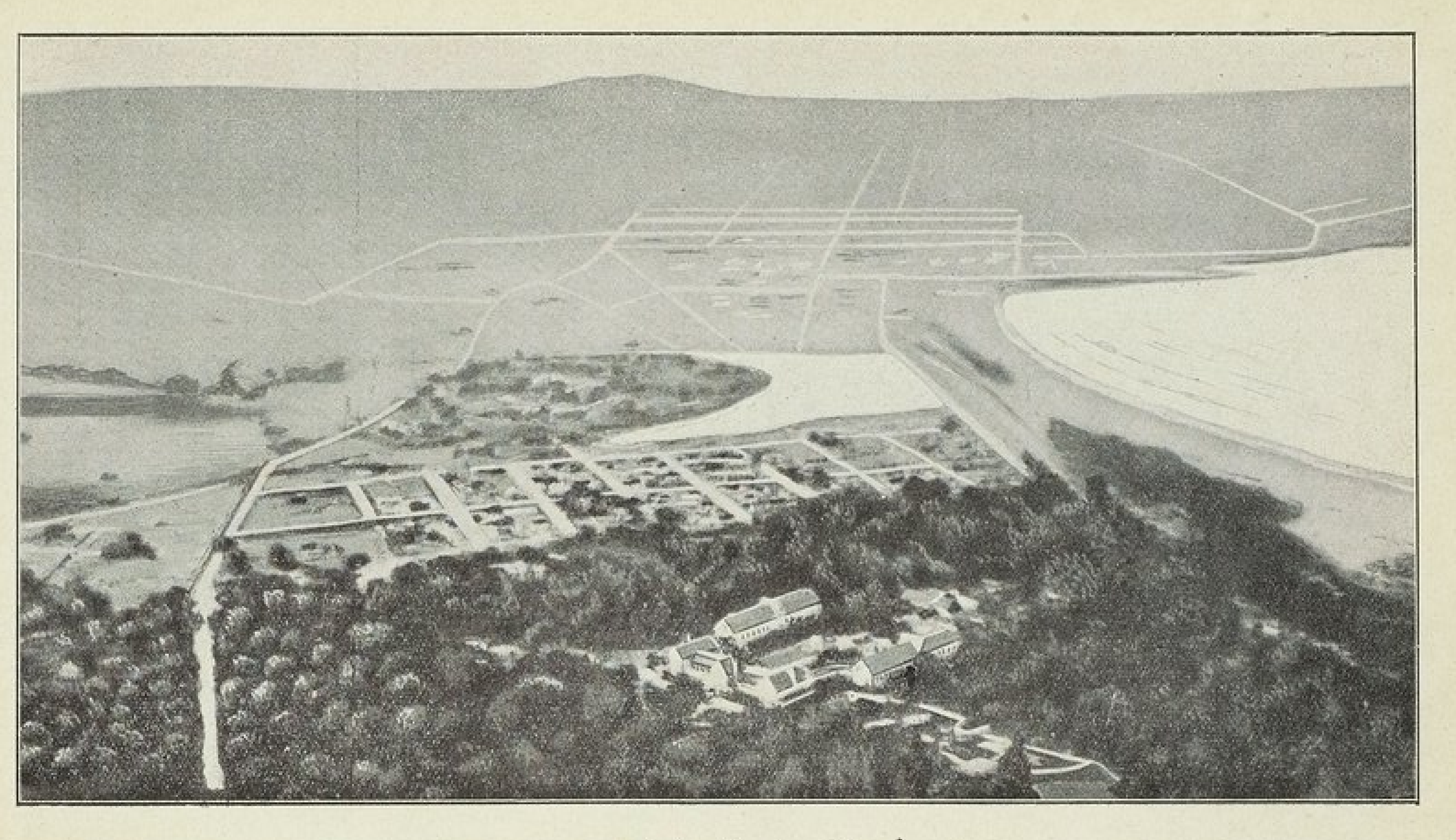
أما حركة البريد فانى أكل اليك وصفها بعد أن أقول لك : إن متوسط مايأتى الى مدينة نيويورك وحدها كل يوم مائة مليون من الخطابات . وينقل اليها البريد البرى على القطارات ، والجوى على الطيارات .

وأما السكك الحديدية فانها تنقل كل يوم فيها نحو نصف مليون من الناس ، والترامو ايات التى تسير على وجه الأرض تنقل سنويا خمسمائة مليون من النفوس .

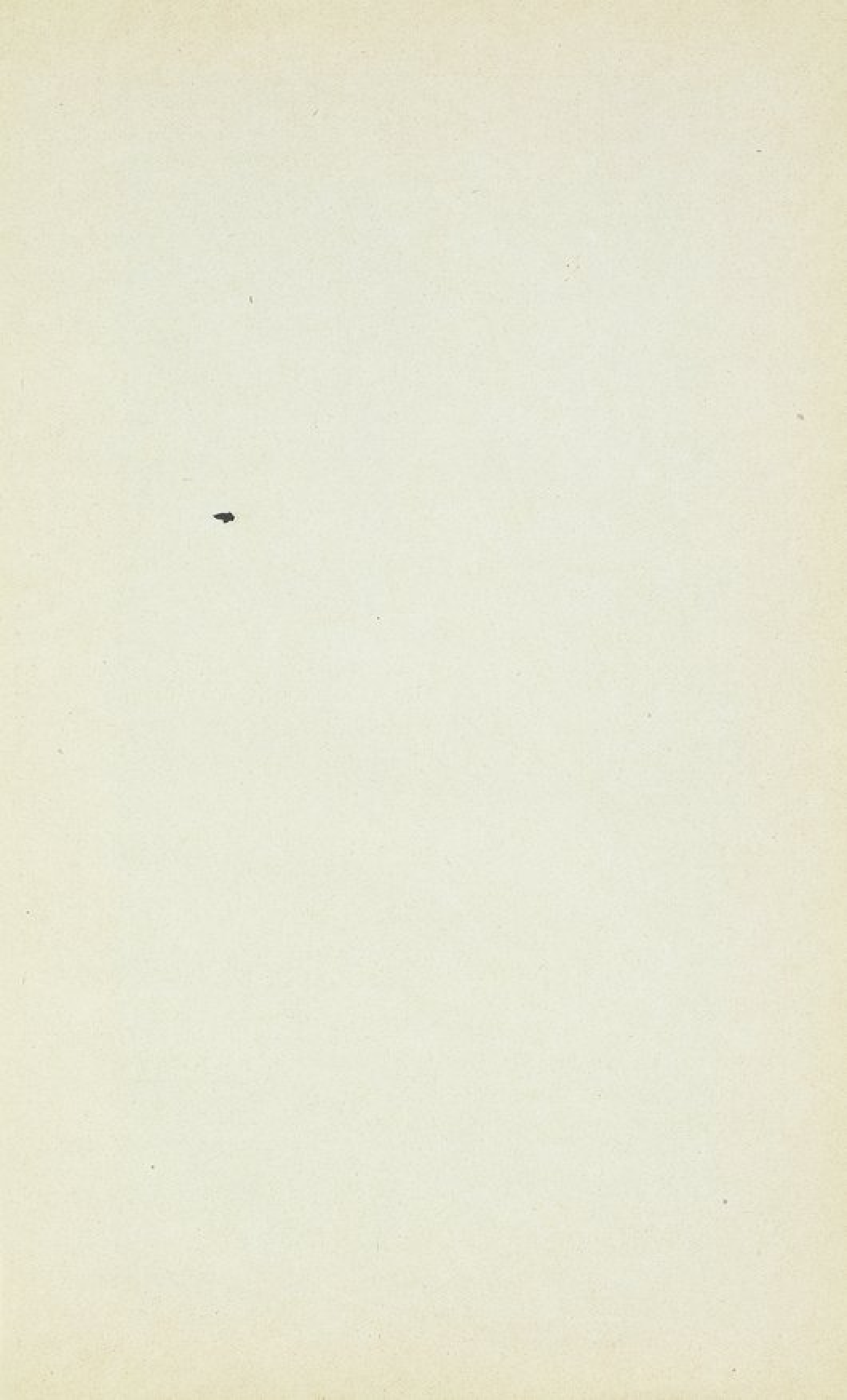
أما السكك الحديدية العالية ، والتى تحت الأرض ، فهى تسير فى المدينة بامتداد ٨٠٠ ميل ، وكان عدد من ركب فيها فى سنة ١٩٢٥ بليونين وخمسمائة مليون نفس ، والأجرة التى حصلت منهم ١١٩ مليون دولار .

وفى نيويورك ٤٧ كبريا للحركة العامة على نهر هيدسون . وعلى النهر الشرقى ، وكانت حركة المرور عليها فى سنة ١٩٢٥ كما يأتى :

عدد	
٨٢٠ ، ٤٩١ ، ١٤٠	قطر ترام وقطر كهربائية عالية
٧٢٠ ، ٧٧٠ ، ١٠٣	مركبات مختلفة الأنواع



أحد المناظر على شاطئ المحيط ص — ٢٨



٦٥٨،١٥٩،٠٨٠ عدد من مر عليها من الأنفس راجلين أو راكبين .

وكان نصيب كبرى بروكلن من ذلك :

٠٠٣،٢٠٢،١٢٠ قطر ترام وقطر كهربائية عالية

٠٠١،٧٠٣،١٦٤ مركبات مختلفة الأنواع

٠٥١،٠٧١،٧٤٠ عدد من مر عليه من الأنفس .

أما السكك الحديدية بمعناها المعروف عندنا فيكفى أن أقول لك : إن فى (منهاتان) اثنتى عشرة محطه ، تنتهى اليها كل يوم مئات من القطر، ويدخل منها الى المدينة يوميا أكثر من أربعمائة الف نفس ، وأكبر هذه المحطات هى محطة . . جنرال سنترال . . ويقال إنها أكبر محطة فى العالم ، ثم محطة بنسلفانيا ، وهما من العظم بحيث لاتتسع كلمتى لشرح واحدة منهما ، ويصح أن أقول لك : إن محطة مصر كلها فى مساحة بهو من أبهائهما ، وحركة القطر فى هذه المحطات كلها تحت الأرض ، وكل قطار يخرج من المحطة تجره قاطرة كهربائية الى خارج المدينة ، وكذلك الداخل اليها تدخله قاطرة كهربائية خشية الدخان الذى ينشأ عن الفحم فى القاطرة البخارية .

وفى نيويورك ثلاث شركات لانارتها بالنور الكهربائى ، ولها فيها ثلاث مكنات هائلة ، مجموع قوتها ٦٠٠٠٠٠ الف حصان بخارية .

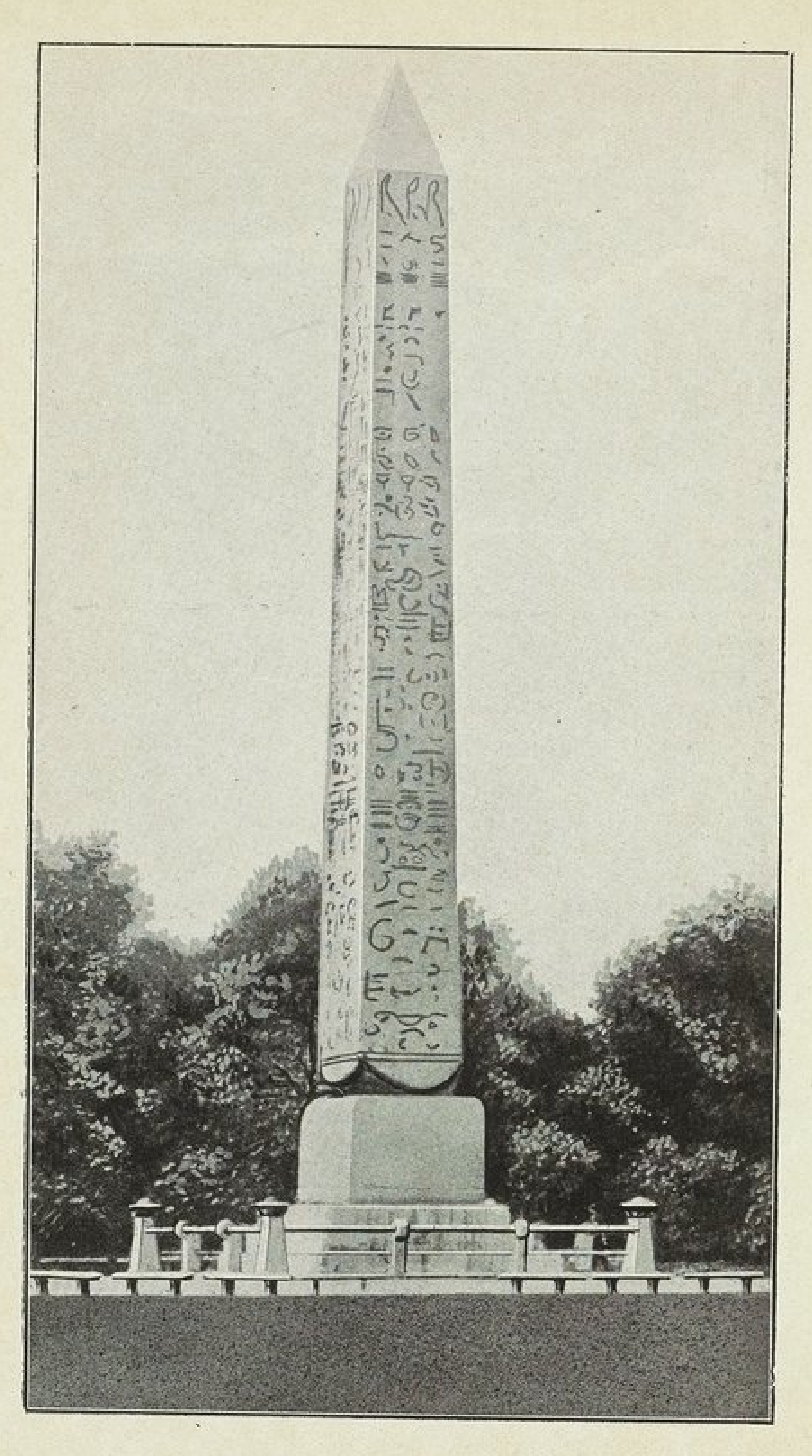
وفيها شركة للتلفونات يبلغ عدد موظفيها ٦٣١٠٦ نفس ، والمشتركون فيها يبلغ عددهم ١٥٦٤١٢٠ مليون وخمسمائة أربعة وستين الف ومائة وعشرين مشترك .

ومن هذا وذاك تعلم أن الحركة هنا حركة هائلة ولكنها عملية صرفة ، وهذا يظهر لك جليا من عدم وجود مكتبات فى نيويورك تليق بعظمتها ، وأقصد بالمكتبات تلك التى تبيع الكتب للجمهور ، وتجدها بالقاهرة تملأ دائرة الأزهر والازبكية والظاهر ، سألت بعض المقيمين هنا عن مكتبة اشترى منها كتابا ، فقال لى بعد

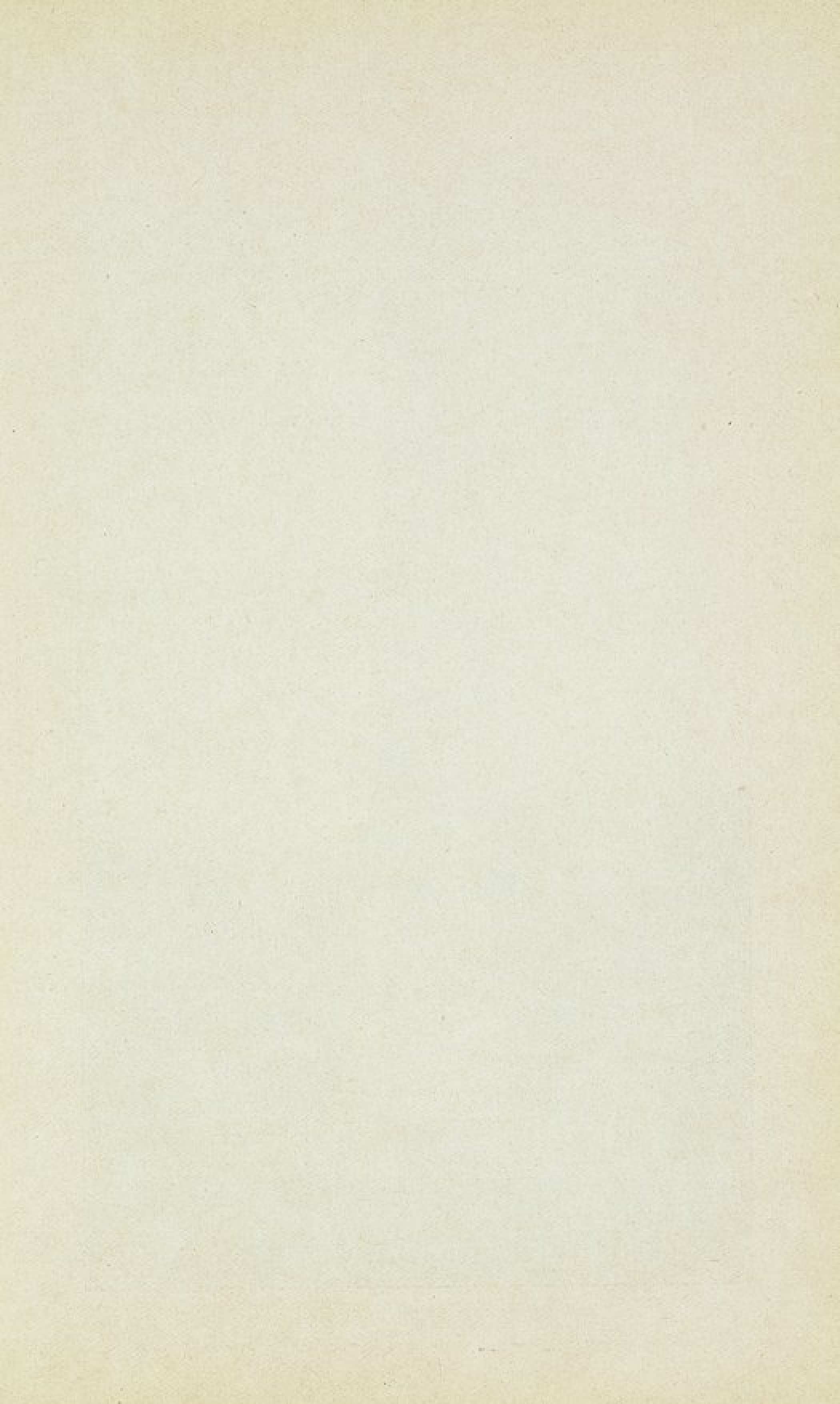
تفكير : « توجد مكتبة فى الشارع الخامس » ومن هذا تعلم أن ليس للقوم من زمن يقرؤن فيه شيئا مما يذكر فى الكتب ، فكل قديم عندهم لا قيمة له ، بل الجديد هو المرغوب فيه ، لذلك ترى الجرائد عندهم لها المركز الأول خصوصا التى تبحث منها عن المال والصناعات والتجارة ، وللمجلات المركز الثانى . وقد ترى لبعض سراة الناس غراما بحيازة الكتب ، ولكن لا ليقرأ فيها بل ليذهبها ويجعلها ضمن رياش منزلة ليزيده جلالا وفخامة .

ويكفى أن أقول لك عن حركة الناس فى نيويورك : إنها وقت الظهر عند انصراف الناس من أعمالهم للغداء حركة هائلة ، خصوصا فى الشوارع الكبرى مما يلى المدينة الواطئة . أما فى الصباح وفى المساء فاذا عرفت أن تعداد نيويورك هو تسعة ملايين نفس ، يقطنها منهم سبعة ملايين ، والمليونان يسكنان فى الضواحى ، فيأتون اليها فى الساعة الثامنة صباحا ، وينصرفون منها فى الساعة السادسة مساء ، وفى هذا الوقت رأيت الحركة هائلة فى شوارع السيتى (المدينة القديمة) وفي الشوارع التى بها المحلات التجارية الكبرى ، فالترامو ايات والقطارات التى على الارض وفوقها وتحتها تراها كلها مكتظة بالناس بعضهم فوق بعض ، وترى فى الطرق الاتوموبيلات الخصوصية والاتوبائات والتكسات والموتسكلات كلها تراها فى حركة لايمكن وصفها . أما من يسير على أفاريز الطرق ، فهم فى حركتهم أشبه شئ بحركة النمال فى هيجانها ، وكنت أتحرك فيها بحركة المجموع حركة أتوماتيكية من غير ما إرادة ولا مقصد ، ولا تزال هذه الحركة العامة الى الساعة الثامنة مساء ، فتخف نوعا بمن يقصد ابواب المطاعم والتياترات والسيماتوغرافات وما اليها من محلات اللهو أو الرياضة النفسية .

وفى هذه المدينة تهيج أعصاب الانسان بكل ما يضعفها ، حتى أن أعصاب الدماغ تضعف الى درجة فقدان الذاكرة ، وهذا من شدة التعب الذى ينال الانسان من كثرة الحركة ، وشدة ضغط الجو ! وهل تريد برهانا على شدة



مسلة كليوباتره فى سنترال بارك بنيويورك ص — ٣٠



هذه الحركة الجهنمية أظهر من أنك كثيرا ما تصادف من المارة من يأخذهم دوار الأرض بنفس الحالة التى يأخذهم بها دوار البحر ! !

وفى الجملة فنيويورك عالم وحده قد يضل الانسان فيه عن كل شئ ، وقد يبحث فيه عن نفسه فلا يجدها ! ! خصوصا اذا كان مثلى من عابرى الطريق .

وقد يأخذك العجب كل العجب اذا نظرت الى الناس وهم فى حركتهم الكبرى فى الطريق ووجدت أغلبهم من النساء ، فهل نسبة الاناث هنا أكثر من نسبة الذكور ؟ واذا سلمنا بذلك فهل هذه النسبة تتمشى على كل الولايات المتحدة؟ واذا كان هذا صحيحا فهل تعدد الزوجات عند طائفة المورمون من الأمريكانيين وهم على دين النصرانية له أصل يتصل بذلك ؟ ؟

ومما يلفت نظرك فى نيويورك أنك لاتجد إنسانا فى يده عصاة مطلقا حتى ولو كان به عرج ، وفى وقت المطر تجد فى يد بعضهم وخصوصا السيدات (مطريات) ولكن عامة الناس وعلى الاخص الشبيبة نساء ورجالا تراهم متمنطقين برداءخفيف من الكاوتشوك ، حتى اذا انقطع نزول المطر فلا يضره أن يمسك به فى يده .

أما الكنائس فى الولايات المتحدة فلا حصر لها ، وفى نيويورك وحدها ١٧٠٠ كنيسة عدد القسس بها أكثر من ٢٤٠ الف ، وفيها من اليهود ١٧٥ الف ، ومن العبيد أكثر من ٢٠٠ الف .

وخير ماتدهش له آداب الاجتماع فى الطريق ، فان النساء يسرن بحالة عامة محترمات لأنفسهن ، بحيث لايرتفع نظر امرأة أو شابة أو بنت فى عين أى رجل فى الطريق ، لذلك تراهن يسرن حيث شئن وهن فى حماية القانون والشعب . واذا تعدى أى أنسان على واحدة بكلمة أو بنظرة كان البوليس ثالثهما .

وأهل نيويورك يخرجون عصر كل يوم فى الصيف الى جهة على المحيط فى بروكلن اسمها (كونى أيلن) والمواصلات اليها إما بطريق الاقيانوس ، أو بالطريق

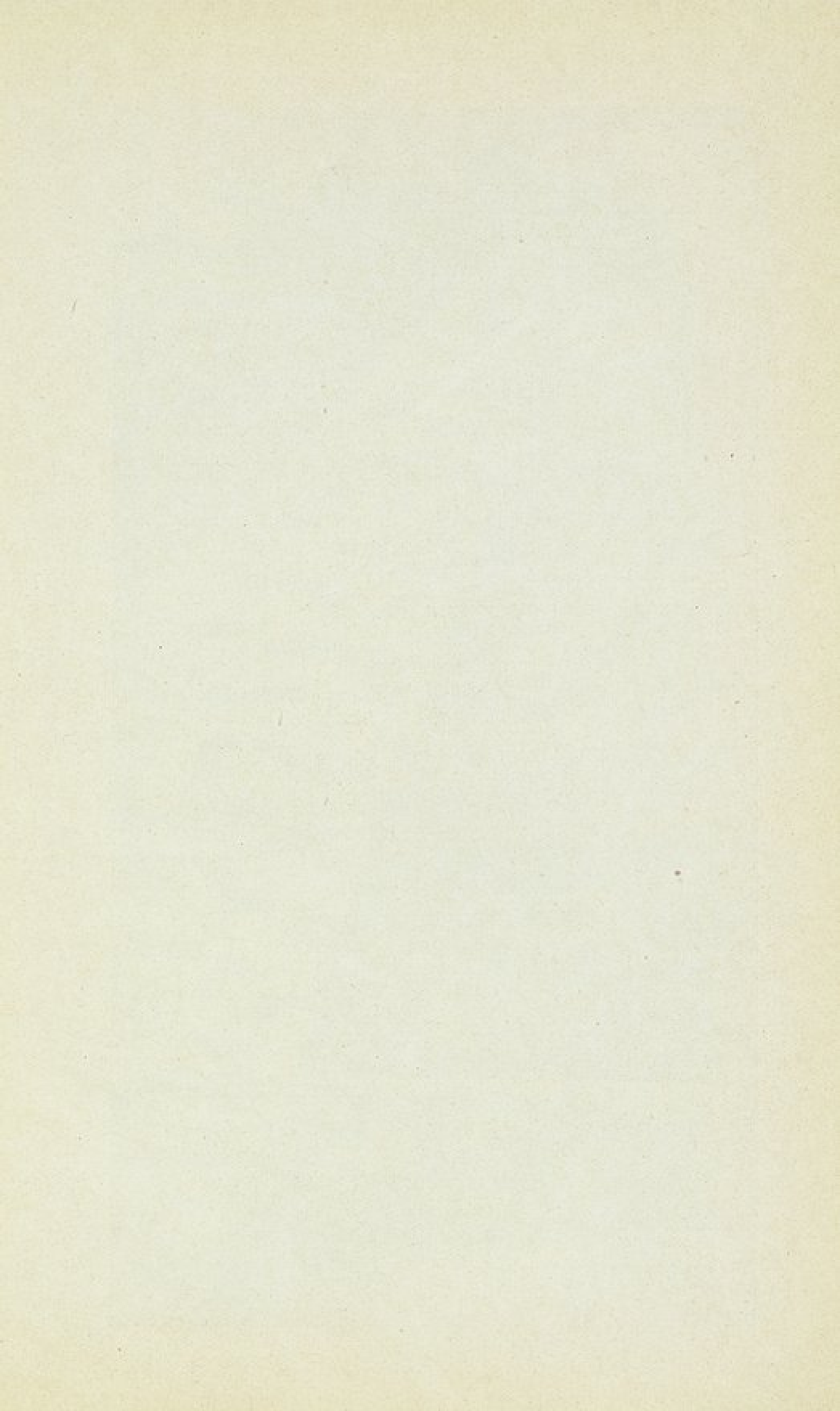
الحديدى الهوائى ، أو الذى تحت الأرض ، وهناك عربات كبيرة (أوتوباث) توصل من يريد الى هذه الجهة فى مسافة ساعة ، وأجرتها ريال فى الذهاب ومثله فى الاياب .

توجهت الى هذه الجهة فوجدت الناس قد حشدت فيها بمئات الآلاف ، ويتوفر فى هذه الجهة كثير من دواعى التسلية كما ترى صورة مصغرة منها فى لونابارك بمصر الجديدة ، وبجوار هذا كله دكاكين كثيرة بها من أنواع المآكل (على الماشى) وترى الناس منكبة عليها نساء ورجالا ، فيأخذون مايشتهون، وكل يده فى جيبه والأخرى فى فمه ، ولا يزالون يأكلون فى الطريق بكل قابليه ، وإن شئت فقل بكل شراهة لافرق بين آنسة لطيفة أوشاب متأنق أو عامل من العمال . وقد يمشون فى الطريق بلباس البحر لأنهم فى مدده . ومن ضمن مافى هذه المنطقة من الألعاب خيل يركبونها ويجرون بها أشواطا بعيدة فى دائرة مخصوصة لها ، وقد رأيت كثيرا من الشابات مع قصر ملابسهن يركبن مثل مايركب الرجل ويجرين فى هذا الميدان رغم مخاصمة الهواء لملابسهن ، ولكنها قوة الارادة مع شدة الحرية التى قد ترجع بهم فى كثير من الأمور الى نقيض مايقصد الشارع منها .

وأما سراة الناس فيذهبون الى جهة اسمها اطلانطق سيتى ، فيقضون بها أيام عطلتهم ، وهى تبعد عن نيويورك ثلاث ساعات فى السكك الحديدية .

وفى نيويورك كثير من الحدائق العموميه ، ومن أكبرها حديقة برونكس ومساحتها ٢٦٠ هكتارا ، وفيها بستان نباتي جميل جدا فيه كثير من الاشجار المختلفة التى لأهل الفن عناية بها ، أما قسمها الحيوانى ففيه كثير من أنواع الحيوان فى العالمين الجديد والقديم ، وشهرته على الخصوص فى الطيور والثعابين المختلفة الانواع وعلى الخصوص البوا . ويسافر من نيويورك أناس كل سنة الى أفريقية والهند لمشترى جملة من أصنافها . والبوا يعيش من ٢٠ سنه الى خمسين ، وهو فى شيخوخته لايأكل الا قليلا جدا ، وربما مرت عليه ثلاث سنوات من غير أن

مظاهرة نسائية فى نيويورك . ص — ٣٢



يأ كل مطلقا ! ! وفى هذه الحال لابد من تلقيمه غـذاءه من وقت الى آخر ، وهو عبارة عن ست بيضات مضروبة فى لترين من اللبن ، وتلقى فى حلق البوا بواسطة خرطوم. والبوا والبيتون لا يأكلان عادة إلا مرة واحدة فى كل شهر ، فيلقون اليهما بالحيوانات الصغيرة وهى على قيد الحياة فتتلقفها وتبتلعها بكل شراهة .

أما دور التعليم فى هـذ المدينة فهى كثيرة : ففيها ١٢ جامعة وكلية بها نصف مليون من الطلبة ، ثم ٥٥٣ مدرسة بها مليون تلميذ . وأكبر هذه الجامعات هى جامعة كولومبيا ، وهى عبارة عن جملة أبنية فخمة على مرتفع عـلى نهر الهيدسون ومساحتها ٢٨ اكر (فدان) وفيها من الطلبة ٢٩ الف طالب ومن المعلمين ١٥٠٠

والدراسة فى هـذه الجامعة مدة أربع سنين لمن أراد أن يحصل عـلى درجة (دجرى) أو على درجة (بكالوريوس فى الفنون) ، أو فى الهندسة ، أو فن المعمار (أرشتكتور) ، أو الحقوق ، أو الطب ، أو العلوم السياسية ، أو الفلسفة ، أو العلوم .

أما جامعة نيويورك فيعلم بها العلوم والفنون المختلفة ، وبها قسم للتعليم العملى ، وقسم للاشغال ، وقسم للادارة . والتعليم نهارا وليلا ، وفيها قسم للتعليم مدة الصيف. وفى نيويورك مدارس أخرى كثيرة ، منها : مدرسة للصحافة فيها مكتبة بها عشرة آلاف كتاب ! ! ويأتى اليها كل يوم خمسون من الصحف اليومية الـكبرى ، وفيها مجموعات للصحف بها نحو مليون صحيفة .

والجامعات والمدارس فى نيويورك لاتتسع لتعليم الفقراء الذين لاقدرة لهم على مصاريفها ، ومن من الطلبة لا يمكنه دفع المصاريف يشتغل فى أوقات الفراغ بنفس الجامعة فى أية خدمة ، فمنهم الفراشون ، ومنهم السفرجية ، ومنهم من يكسب مايدفعه للجامعة من عمل فى الخارج بعد مواعيد الدراسة ، كأن يشتغل فى محل تجارى ، أو فى مطعم أو غـيره ، وقد رأيت طالبا فى الطب يشتغل بصفة فراش فى قنصلية مصر بنيويورك . وهذا شأن الطالبات أيضا : يشتغلن فى المحلات التجارية أو غيرها بما يحصلن من أجرة تعليمهن ، وهى همة نذكرها بالشكر لهؤلاء الافراد . وكان يجب

على الاغنياء هنا أن يعنوا بمثل هـذا الأمر لولا أن فى دمهم الهرب من كلمة فقر» ومن كل مايتصل بها كفقير أو بائس أو مسكين ، وهى كلمات عندهم لا يقابلها غير كوليرا ، أوطاعون أو سل ، مما تجب محاربته والهرب من وجهه .

وفى هـذه المدينة كثير من المتاحف العمومية ، منها ما هو للتاريخ الطبيعى ، ومنها ما هو للآثار العامـة ، ومنها ما هو للجغرافيا والتاريخ ، ومنها ما هو للفنون الجميـلة ، وكلها آثار قيمة ولـكنها فى مجموعها لاتصـل الى مثلها فى عواصم أوروبا الـكبرى .

وقد ترى فى هذه الاخيرة تمثالا على شكل عربى بين يديه الى صدره لوحة قرأت فيها لفظ محمد ـ الله ، وأظن أن بها لا إله إلا الله محمد رسول الله ، ومكتوب تحت اسم الجلالة لفظ محمد ؟؟

وفى (منها تان) وحـدها الف وخمسمائة لوكندة من مختلف الدرجات ، فهى هنا كثلهما عندنا ، تجـد الـكونتينانتال وليس ببعيد عنها لوكـندة كتكوت . والأجرة هنا تتراوح بين ريال واحد ، وعشرين ريالا للاودة فى الليلة الواحدة . وسنذكر لك شيئا عن بعض اللوكندات لتكون عندك فـكرة عامة منها .

لوكندة ولدورف

تشرف هـذه اللوكندة عـلى الشارع الخامس ، ولها أبواب عـلى شارعى ٣٣ و ٣٤ — وتتكون من سبع عشرة طبقة ، وفيها ١٥٠٠ غرفة — منها ١٢٠٠ فى كل واحدة حمامها ، وكانت كلفة انشائها ٤٠ مليون دولار ، وصالاتها وباراتها ومطاعمها وغرف التدخين بها تحت تصرف عموم الناس ، وفيها تياترو ودكاكين لـكل مايريده المسافر ، ممـا هو للفوتوغرافيا ، والزهور ، والزينـة ، والسجاير ، وعيادات لثلاثة أطباء ، ومكتب للصحف ، وآخر لتذاكر التياترات ، ومكتب للتلغراف ، وآخر للبوستة ، ولـكل غرفة فيها صندوق بوستة خاص بها ، حتى اذا

ورد مكتوب لصاحبها فتختم عليه الساعة والدقيقة التى وصل فيها ، واذا وصلت اليه بطاقة زيارة توضع فى مظروف يختم عليه الثانية التى وصلت فيها وترسل فى أنبوبة بواسطة الضغط الهوائى فى نصف دقيقة الى الدور المقيم به ، وهناك عمال مخصوصون يوصلونها اليه فى الحال، أو يجيبون عليها بانه غير موجود . وتوجد لكل طبقة مصاعد خاصة بها . وصالات هذه اللوكندة غنية بكل أنواع الرياش الثمين ، وفيه مايؤجر فى الليلة بالف ريال لمن يريد .

ويوجد فى هذه اللوكندة مساكن لاتزيد عن أودة نوم فاخرة ، وأودة استقبال صغيرة ، وغرفة للتواليت بحمامها ولوازمها ، وأودة صغيره للسفرة وأجرتها فى الليلة ٥٠٠ دولار .

وفيها ٨ آلات لتوليد الكهرباء اللازمة للانارة والمصاعد والطبخ والتدفئة والتهوية قوتها ٣٠٠٠ حصان بخارية ! ! لها وحدها من العمال ١٥٠ شخصا بين مهندسين وغيرهم، وعندهم على الدوام فى جانب من اللوكندة عشرين الف طن من الفحم لادارة هذه الآلات .

ومصانع الثلج فى اللوكندة تصنع كل يوم ٥٠ طنا من الثلج ، يأخذون منه طلبهم والباقى له مشترون فى الخارج . ولها آلات للغسيل ، وغيرها للتجفيف ، وغيرها للكى ، وكلها تعمل على الدوام بحال أوتوماتيكية ، والذى تغسله وتكويه يومياً لايقل عن ٦٠ الف قطعة بين ملاءات فرش وفوط ومفارش وغيرها .

وفضلات الأكل توضع فى براميل خاصة بها لها متعهد يشتريها كل سنة بخمسة آلاف ريال ليستخرج منها الدهن الذى فيها بالآت مخصوصة .

وتستهلك هذه اللوكندة كل سنة من الفضيات بمبلغ عشرة آلاف دولار ، ومن البياضات بثلاثين الف دولار .

وتستهلك من ورق الخطابات كل سنة بمليون دولار .

وتدفع اللوكندة للبلدية ٥٠ الف دولار لأجل الماء الذى تستهلكه كل سنة

والماء الذى يستعمل فى حماماتها كله مرشح ، والذى يستعمل للسفرة مقطر .
ومجموع مافيها من الخدم ١٦٣٦ بين طباخين وخبازين وسفرجية وليوانجية وغيرهم
ممن يبلغ مجموع مرتباتهم ٨٠٠ الف دولار فى السنة . وقد يبلغ إيراد هذه اللوكندة
فى بعض الأيام مليون دولار ! ! .

لوكاندة مانجر

وهنا أضرب لك مثلا بلوكندة أخرى نزلنا فيها مع جماعة المؤتمر ، وهى لوكندة
كبيرة جديدة فيها أكثر من عشرين طبقة ، وهى فى الشارع السابع ، ولكنها
تجارية بالمعنى الصحيح . ففى كل أودة منها حمام إما بمفرده أو هو مشترك بينها وبين
أودة أخرى ، وقد يكون الحمام مقتصرا على الدش فقط ، والماء فيهما جميعا حار
وبارد ليلا ونهارا . وبجوار ذلك أداة التواليت بكل معناها ، ومن هذا تعرف أن
ليس لانسان أن يترك أودته لقضاء حاجته : لأن بها كل مايلزمه . وفيها حنفية مسلطة
على حوض الغسيل متصلة بثلاجة الفلتر العمومى المخصص للشرب ، تأخذ منها ماء
مثلجا فى أى وقت شئت . وباب الغرفة عبارة عن دولاب له بابان محدودبان ،
أحدهما داخلها ، والآخر خارجها ، فتضع ملابسك التى هى فى حاجة الى التنظيف
من الباب الداخلى ثم تقفله ، فيأتى الخادم كل صباح ويفتح الباب الخارجى فينظفها
ثم يضعها مكانها من غير أن تشعر به ، واذا فتحت باب غرفتك فى الصباح تجد
على عتبته أهم الجرائد اليومية ، فتأخذها وتقرأ فيها ماتريد . وفى دورها الأرضى
مصاعد خمسة أو ستة بجوار بعضها البعض لاتزال صاعدة نازلة بمن يريد .

وليس لاحد من الموجودين باللوكندة صلة بالخدم ، بل عنده مكتب فيه جميع
أدوات الكتابة من حبر وورق وظروف وكارتات وأقلام ، وعلى المكتب الكتاب
المقدس من جهة ، ومن جهة أخرى مجلد ضخم فيه جميع العناوين التلفونية التى فى
المدينة وضواحيها ، وبجوار هذا كله كرسى عليه آلة التلفون المتصل بعامل

اللوكندة ، فاذا اردت منه شيئا أمرته به فيأتيك فى الحال ، واذا أردت أن يصلك بنمرة أخرى باللوكنده أو المدينة فعل بكل سرعة فتتكلم ماشئت وأنت فى سريرك.

وفى اللوكندة صالة للأكل كبيرة لمن يريد أن يأكل فيها . وأجرة الاودة فى الليلة تبتدئ هنا من ثلاثة ريالات ومساحتها فى الغالب ٢ متر عرضا فى أربعة طولا وفيها نصف هذه المساحة للحمام والتواليت .

وفى جوار باب اللوكندة محل يأخذون فيه الشاى والقهوة أو الأكل الخفيف لمن يريد من أهل اللوكندة أو غيرهم .

وتجد الحركة فى اللوكندة هائلة بحيث تجد الداخل أكثر من الخارج .

***

وفى نيويورك كثير من المطاعم ، ومنه ما هو للخاصة بثمنه العالى ، وما هو للعامة بثمن محتمل ربما لا تصل الأكلة فيه الى ريال ، وهى فى عمومها لا بأس بها .

وأغلب المطاعم هنا مايسمونه (الكافيتريا) ونظام الأكل فيها أن ليس فيها جرسونات للخدمة ، بل اذا دخل المرء اليها أعطوه ورقة فيذهب بنفسه الى العامل المختص بتوزيع الأكل ويتناول صينية وسكينة وفوطة من جواره ، ويطلب منه مايريد مما هو معروض أمامه ، ولكل صنف ثمن معلوم يقيده العامل فى الورقة التى بيد الآكل ، فاذا أتم أكله حاسب صاحب الصندوق على ما فيها كثيرا كان أو قليلا .

وليس فى نيويورك شئ من تلك القهاوى التى كثيرا ما تجدها فى عواصم أوروبا (إلا لوندرة) مما يمكن أن يستريح اليه الغريب على الخصوص فيقضى فى دائرته بعض الزمن . لذلك ترى الانسان هنا ان لم يكن له عمل فى مصرف أو فى محل تجارى أو ما يشبه ذلك ، فانه لايجد ما يستريح اليه الا الالتجاء الى لوكندته أو الدخول الى أحد المطاعم أو التياترات أو السينما توغرافات ، وكلها هنا كثيرة جدا ، وخصوصا فى الشارع السابع . أما التياترات فاذا أردتها بمعناها هنا فهى :

الفاريتيه أو المو تقيل . أما التياترو بمعناه الحقيقى وهو الذى تبنى فصوله على العبرة التاريخية فيكاد لا يوجد هنا ، وليس من دليل على ذلك غير رؤيتك لدار الاوبرا وانها بناء قديم لا يصل بأى حال من الأحوال الى ما عليه سينما توغرافات المدينة من فخامة البناء وبديع الشكل ، وكأنى بك اذا زرت سينما برامونت أو روكس أو الـكابيتول ، وشاهدت ما فيها من الأبهاء التى جمعت لطافة الشكل الى جلال المنظر ، ورأيت هذه السلالم الرخامية الفخمة التى توصل الى الادوار العالية وما فيها من صالونات للاستراحة كلها موشاة بالذهب وغريب الالوان ، ورأيت ما الى ذلك من ثمين الاثاث وجميل الرياش ، وما يتلو ذلك من خدم وحشم جمعوا بديع الهندام الى حسن النظام ، لما ترددت لحظة واحدة فى أنك فى أعظم قصر من قصور الملوك .

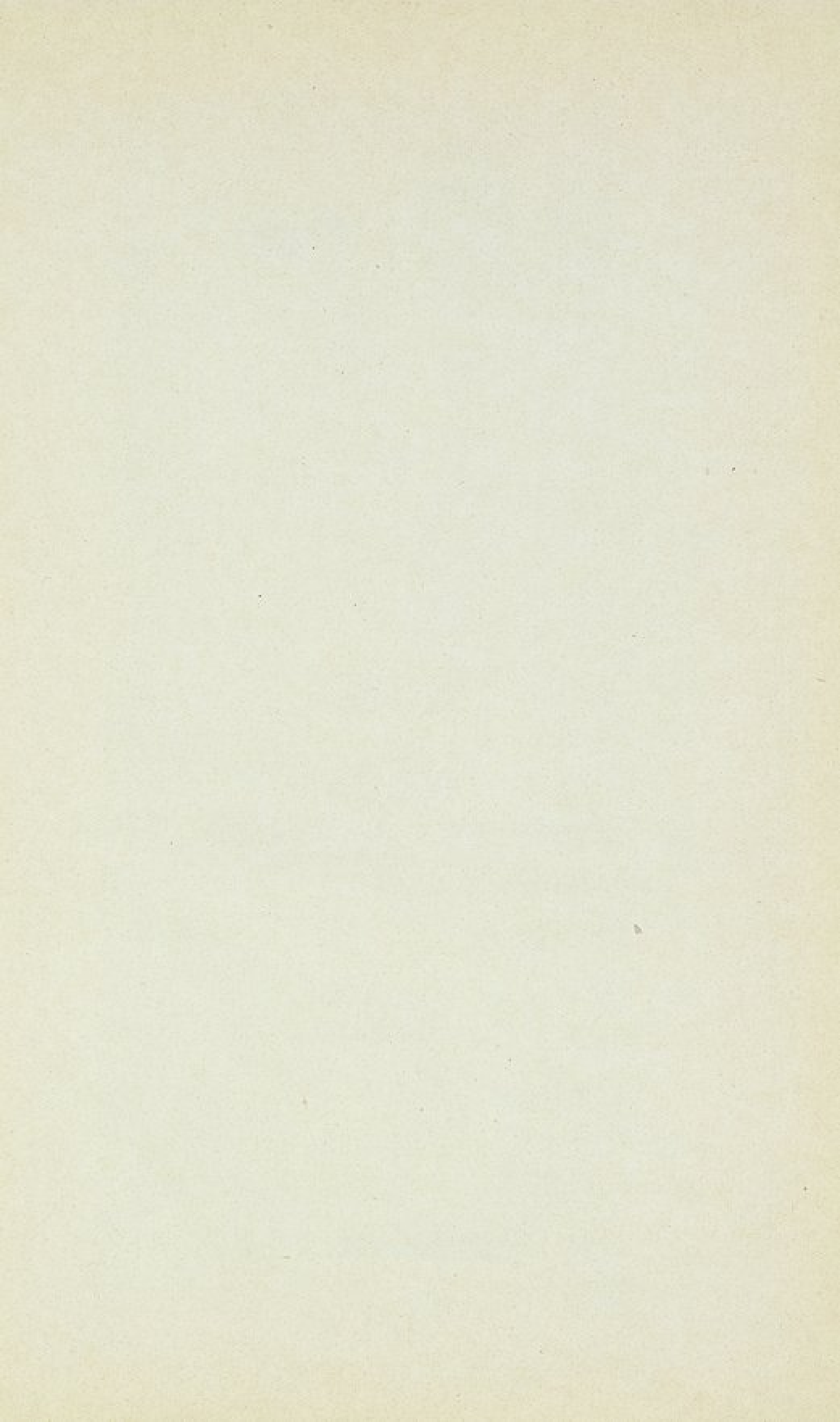
فاذا دخلت الى قاعة السنما وجدتها فسيحة الأرجاء عظيمه الرواء ، تسع من النظارة بضعة الالوف وليس فيها كرسى واحد غير مشغول بصاحبه ، وكثيرا ما ترى العشرات بل المئات من المتفرجين واقفين على أبواب القاعة فى كل أدوارها ينتظرون خلو مكان لاحتلاله — والسبق للمتقدم : ذلك لأن التشخيص مدته ساعتان ، وآخره متصل بأوله من أدوار كثيرة من الساعة الخامسة بعد الظهر الى الساعة الحادية عشرة مساء .

أما التشخيص ذاته فقد وصل الامريكان فيه الى الابداع فى الاختراع والاغراب فى كل باب : لأنهم يستقدمون من أوروبا أعظم المشخصين والمشخصات ويفيضون عليهم ميازيب الاموال حتى يصلوا فى الرواية من جمال الاحسان الى كمال الأتقان .

وقد يتخلل التشخيص فصول من الرقص الصامت الذى لا يتكلم إلا بحركات صاحباته ، يتلو ذلك شئ من الغناء والموسيقى ، وقد يبلغ عدد الاوركستر فى هذه السينما توغراف الى مائة كلهم من كبار الفنيين ، اذا لعبوا دورهم وهم فى وسط تيارات تلك الالوان الكهربائية التى تتناسب مع القطعة التى يمثلونها ذهب بك الخيال



اسكلة لحمام بحرى فى ضواحي نيويورك ص — ٣٨



كل مذهب ، وتصورت أنك فى عالم آخر هو ماترتاح اليـه النفوس وتسمو اليه العقائد ؟ ؟ ومن هذا ترى أن السما هنا فى أرقى درجاته وأتم آياته .

***

وجو نيويورك غير صحى بالمرة : لأنه شديد الحرارة صيفا مع ما يصحبها من الرطوبة التى تهيج الاعصاب وتـكاد تزهق منها النفوس !! وفى الشتاء ترى جوها شديد البرودة بما تـكاد تجمد منه الدماء فى عروقها (وهى ومدريد على خط عرض واحـد) أما هواؤها فـكله متسمم بمـا يختلط به من البنزين المحترق من مئات الالوف من الاتوموبيلات التى لاتنقطع حركتها فيها ليلا ولا نهارا .

ولشدة حرها تجـد فيها دكاكين خاصة كثيرة يبيعون فيها شراب البرتقال والأناناس ، حتى تراه فى دكاكين البقالة والمطاعم والصيدليات وغيرها .

ولاأدرى اذا كانت شدة الحر هى السبب فى كونهم يمضغون اللبان بصفة عامة حتى وهم فى الطريق ، لافرق بين رجـل وامرأة وشـاب وشابة وطفـل وطفلة ، وكذلك يبصقون فيه من غير مبالاة ! !

وعلى كل حال فالذى كتبته عن هذه المدينة لايخرج عن مذكرات سائح وهو ليس بشئ يذكر بجانب مالم أره من مشاهدها ، وقد تمر هنا على العين فى آن واحد صور كثيرة ومناظر جمة لايدرى الـكاتب ماذا يتخير منها :

تـكاثرت الظباء على خراش   فما يدرى خراش ما يصيد

وماعسـاك تريد أن أكتب عن مدينـة كأن الثمان والأربعين الولاية المكونة للولايات المتحدة قد اندمجت فيها مع من انضم اليها من زوار وتجار ممالك أخرى ، بحيث تستلزم الاحاطة ببعض حقيقة ذلك تحليلا واسعاً نفسانيا واجتماعيا وصناعيا وتجاريا واقتصاديا ، خصوصا فى مدة يسيرة كالتى أقمتها فيها ؟ ؟

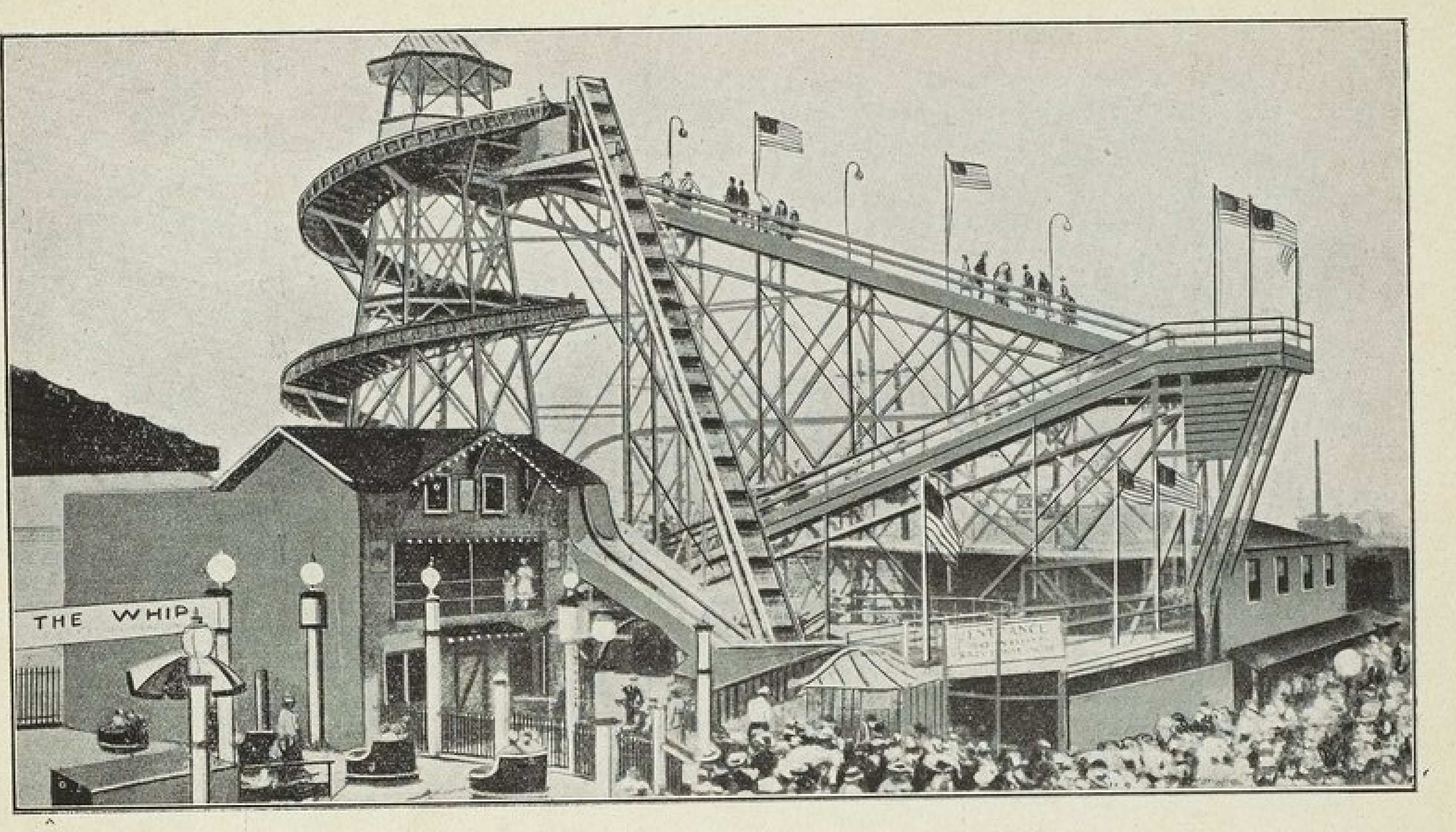
هذه هى نيويورك التى كل ماتقوله عنها كتب الجغرافيا بمصر هى هذه الـكلمة:
« ونيويورك مشهورة بكوبرى بروكلن »

حول نيويورك

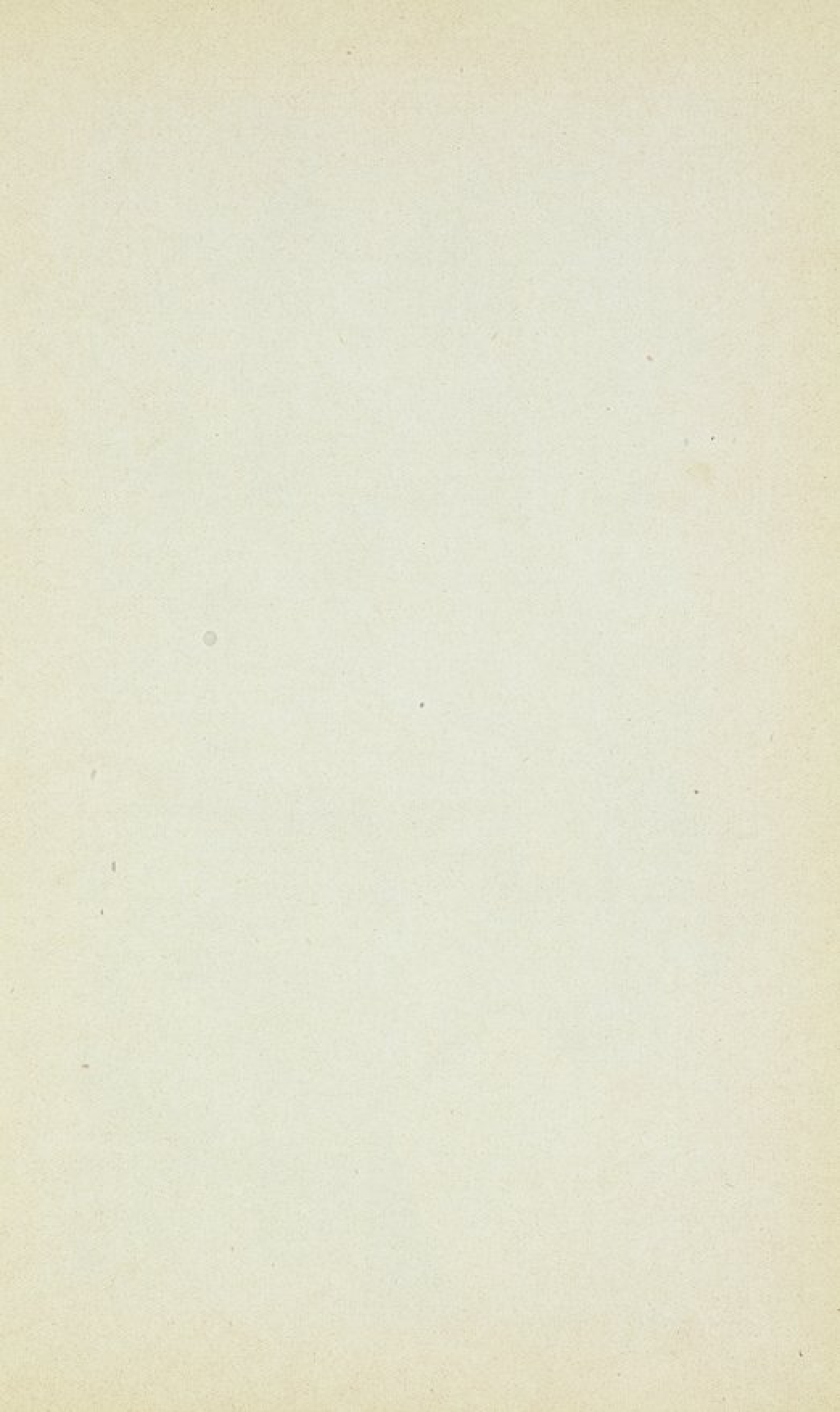
نزهة فى النهرين

أعدت الغرفة التجارية نزهة نهرية لاعضاء المؤتمر، فقمنا بعد الغداء الذى قدم لنا وعدينا الى جهة نيوجرزى فى السابوى (الطريق الحديدى الذى يمر تحت النهر). وهناك رأينا يختا جميلا أقلنا وسار بنا الى النهر الشرقى، وهنا ظهرت لنا نيويورك بعظمتها، وكانت مراكب النقل تغدو وتروح أمامنا بكثرة هائلة. والذى لفت نظرى منها بصفة خاصة مركب ذات سطح مستطيل تحمل سبع عربات من عربات السكك الحديدية لتنقلها من شاطئ الى شاطئ آخر من هـذا النهر العظيم، ومن أعجب مارأيناه فى محطة نيوجرزى عربات خاصـة لنقل الفاكهة فيها مثالج تلطف من حرارتها حتى تصل الى مواردها سليمة من كل مايؤثر فيها، وهناك معديات هائلة ذات دورين لتعدية الناس من جهة الى أخرى، والدور الأول مخصص للعربات بجميع أنواعها، والثانى خاص بالركاب. بهذا وذاك كانت عظمة المدينـة تتمثل أمامنا فى هدوء وسكينة حتى كأننا فى حلم من الاحلام.

دخلنا الى النهر الشرقى فرأينا على يمينه ويساره من مرافئ الشركات البحرية والنهرية مالا يحصيه العـد، وبعد قليـل مررنا من تحت الكبرى العظيم التاريخى الذى يربط نيويورك ببروكلن (كبرى بروكلن) وهو يرتفع فوق رؤسنا باربعين مترا. وكانت حركة العربات والتراموايات والقطر الكهربائية تصلنا من ناحيته بما يصم الآذان. وقد بدا لنا منظر هذا الـكبرى بعظمته الحقيقية، بل بدا لنا وهو معلق بين السماء والأرض فى هـذا الطول المروع، ولا يتصل بالأرض إلا على قاعدتين من البناء قام عليها من كل جهة عمودان هائلان يبلغ ارتفاعهما عن سطح الماء اثنين وتسعين مترا وعن سطح الشارع بنحو عشرة أمتار تقريبا، وكل عمودين



ساقية الهواء فى احد المتنزهات بجوار نيويورك ص — ٤٠



متقابلين يربطهما حبل ضخم من الصلب اتصلت به فروع مائلة تحمل هذا الكبرى العظيم . ثم مررنا من تحت كبرى (منها تان) وربما كان أكبر وأعظم من سابقه ، ولكن الفضل كان على كل حال للمتقدم . وبعد ذلك مررنا من تحت جملة كبار تسير فوقها قطر السكك الحديدية الهائلة ، وكنا فى أثناء ذلك نرى فى جهة بروكلن شيئا كثيرا من المصانع والمعامل الايمكن وصفه ولا حصره إلا بعدد مداخنه التى كانت تخترق الجو بكثرتها ، وتملؤه بدخانها الكثيف ، ويكفى أن تعرف أن فى بروكلن من المعامل مايشتغل بها مليونان أو ثلاثة من العمال .

كلما سرنا الى الامام تجلت لنا عظمة المدينة الصناعية والتجارية : هذه عن يسارنا، وتلك عن يميننا ، هذه بما فيها من المحلات التجارية وما لها من المرافئ الصغيرة على طول النهر — : وتلك بما يخيم على جوها من دخان معاملها التى لا تحصى .

ولكن لم كل هذه الدهشة ونيويورك هى مملكة فى مدينة قد انحصرت فيها بناسها ومصانعها ومتاجرها ومساكنها ؟؟

وكلما سرنا الى جهة الشمال رأينا البنايات تضمر ، والمساكن تصغر ، وتظهر من على يسارنا (جهة نيويورك) متراصة بعضها بجوار بعض ، كما يظهر من الجهة الأخرى فيلات كثيرة منتشرة على أرض قد فرشت ببساط الجازون الأخضر وأظنها مساكن خلوية لسراة القوم . ومن هذا تعرف أن لانسبة بين مافى جنوبها من عظمة البناء ، وما فى شمالها من بساطته . وفى نهاية قنال هالم الذى يصل النهر الشرقى بنهر هيدسون بدأت المبانى الجميلة تظهر من الجهتين ، وكانت القطر الكهربائية بكثرة سيرها على الكبارى المتعددة التى على نهر هيدسون دلالة على كثرة الحركة فى هذه الجهة . وبعد قليل من سيرنا مررنا على جامعة كولومبيا حتى اذا اتصلنا بنهر هيدسون من جهة الجنوب وجدناه قد عظم فى اتساعه وظهرت على جانبه المبانى الجميلة التى يسكنها سراة القوم خصوصا الجهة اليسرى (الشرقية) وهى أهدأ وأنظف جهة فى المدينة ، ويسمونها (ريفرسايد) .والنهر فى هذه الجهة

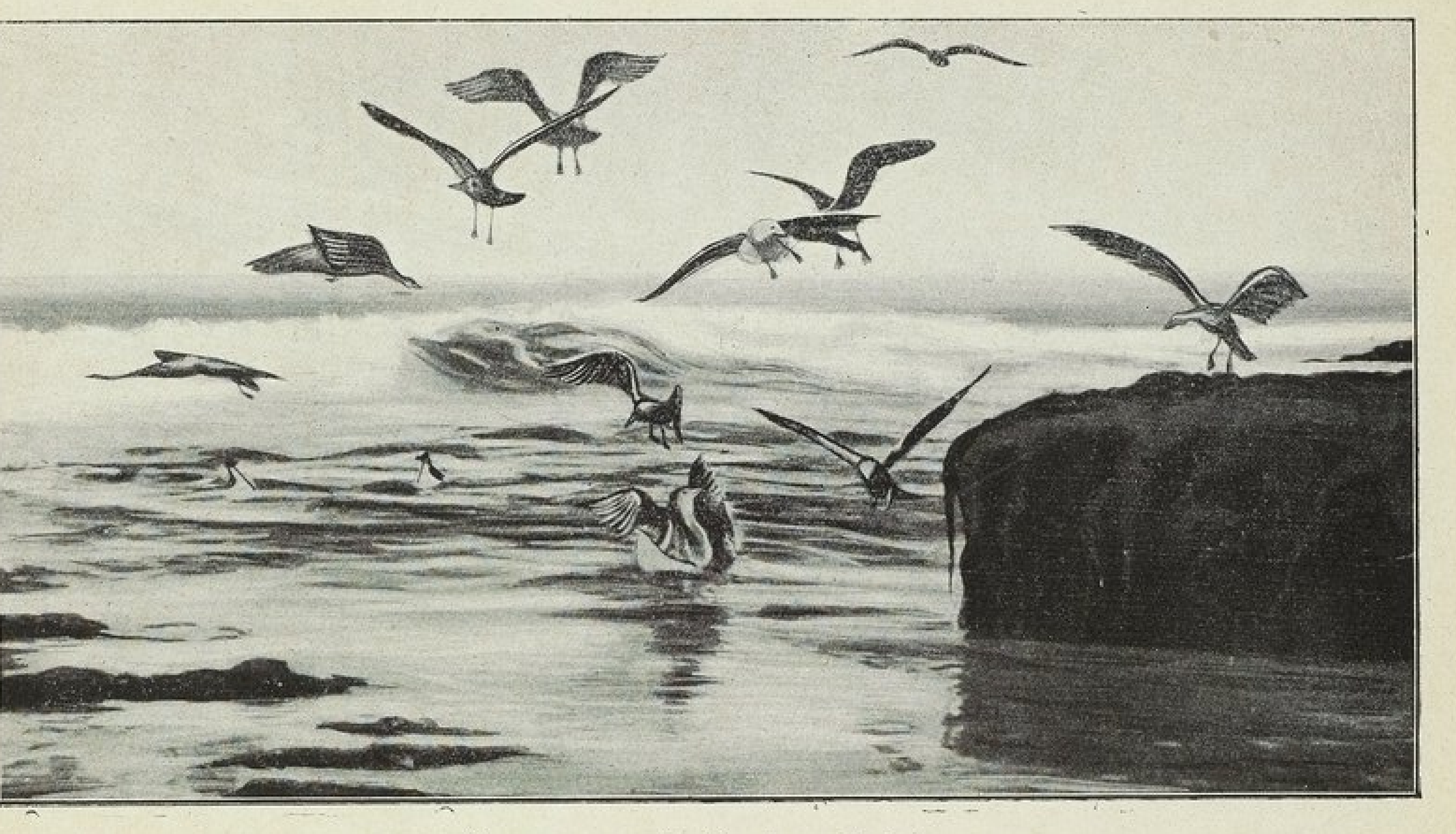
ضعف النيل مرتين . وهو فى فيضانه أو أقل من ذلك قليلا . ومازلنا سائرين بين فخامة هذه المعالم ومعالم هذه الفخامة حتى ظهرت لنا هذه المراكب الجسيمة التى تقطع الاطلانطى أو الباسفيك الى العالم القديم من جهته الشرقية أو الغربية ، وهى فى مرافئها على طول بضعة كيلومترات من جانبى الهيدسون ، وأعظم المراكب التى تسير الى أوربا : « لفياطان » وحمولتها ٦٥ الف طن ، وكانت لالمانيا قبل الحرب والآن للولايات المتحدة ، ثم « ماجستك » وهى لانكلترا وحمولتها ٥٥ الف طن ، ثم باريس لفرنسا وحمولتها ٣٧ الف طن .

وفى نهاية الساعة السادسة مساء وصلنا الى الجهة التى أبحرنا منها وعدنا من طريق السابوى الى فندقنا شاكرين للغرفة التجارية كرمها وحفاوتها .

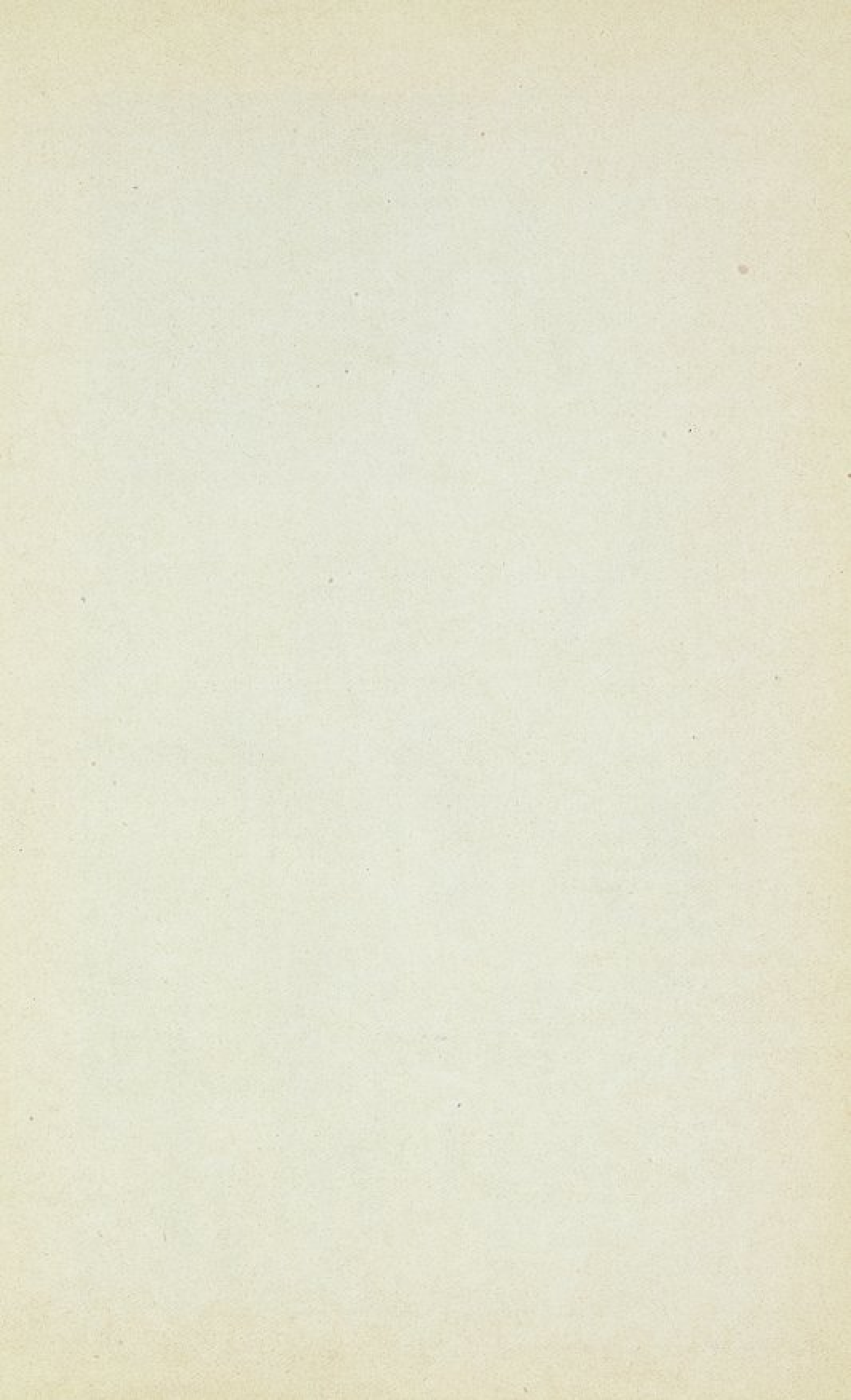
وفى اليوم التالى دعتنا الغرفة الى نزهة خارج المدينة وأرسلت مركبات الاوتوباث الكبرى الى منزلنا ، فركبناها وسارت بنا تخترق شوارع المدينة حتى خرجنا الى آخر شارع برودوى ، وهنالك سرنا بين البساتين اللطيفة حتى وصلنا الى المعمل الكيماوى الزراعى للمدينة ، والذى أدهشنى فيه آنسات يعملن فى التحاليل الكيماوية ، ويدرسن طبيعة النباتات والزهور ، وقد رجوت أن يكون لشبابنا مثل هذا الحال ، والحق يقال إنى كنت أرانى فى هذا الوسط العلمى والفنى خجلا من وقوفى فى نقطة أقرب الى الجهل منها الى العلم ، إن لم تكن هى الجهل بعينه ، مع أن بلادنا زراعية ونحن محرومون فيها من كل شئ من هذا القبيل .

وقد زرنا بهذا المكان محلا درجة الحرارة فيه عشرة تحت الصفر ، ثم آخر حرارته أربعون فوق الصفر يدرس القوم فيهما طبائع نباتات مختلفة ، وبعد زيارتنا عدنا الى منزلنا .

وفى صباح اليوم الثالث أعدت لنا الغرفة التجارية مايلزم من الأوتوموبيلات الكبيرة لزيارتنا جامعة « نيوبرونسويك » التى شيدت فى سنة ١٧٦٦ وكذلك محطة التجارب الزراعية بها ، وهى على نحو خمسين ميلا من نيويورك . فوصلنا اليها



بعض الصخور على شاطىء المحيط ص — ٤٢



قبيل الظهر ، وهناك خيرنا بين زيارة الجامعة أو زيارة معمل الأدوية ، فرغبت فى زيارة المعمل خوفا من أن أجد فى الجامعة لغة لا أفهمها ! ! كما هو الحال عندنا خصوصا وكانت فى آخر أيام دراستها ، وعلمت أنها فى يومها التالى ستوزع القاب الدكتوراه على مائتين من طلبتها بين شبان وشابات ! ! فهل يأتى الزمن الذى نرى فيه هذه النتيجة عندنا ? ? ? هل يأتى الزمن الذى نرى فيه أمهات المستقبل عندنا فى مستوى هذه المرأة فى قيمتها النفسية وتفوقها العلمى ? ? ?

دخلت مصنع الجواهر الطبية (لاخوان جونسون) مع طائفة من رجال المؤتمر ، فبدأنا بزيارة المطبعة التى تطبع الأعلانات والعناوين التى يضعونها على زجاجات أو صناديق الأدوية وهى تقرب فى كبرها من مطبعة مصر ، وفيها تصنع علب الكرتون على اختلاف أشكالها .

ثم صعدنا دوراً آخر فوجدنا آنسات ، هذه تملأ العلب ، وتلك تغلفها بورقة وتضعها على سكة حديدية صغيرة تتحرك بحركة أوتوماتيكية فتنقلها الى جهة أخرى فيأخذونها ويرتبونها فى صناديقها للتصدير . ثم صعدنا الى دور آخر فرأينا به القطن المحلوج الخاص بالصيدليات قد لف على اسطوانات كبيرة تدور بسرعة . ومن دونها آنسات يقطعنه بمقادير مخصوصة بسرعة تساير سرعة الاسطوانة ، ثم يضعن ما يقطعنه على شريط من الحديد متحرك الى جهة يأخذونها منه ويلفونه ويضعونه فى صناديقه ، وكل هذا بسرعة أوتوماتيكية . ثم تسير هذه الصناديق الى أفران درجة حرارتها ٢١٥ فرنهارد ، وتستمر فيها ساعة ونصف ساعة لقتل ماعساه يكون بها من المكروبات .

ثم زرنا دورا فيه اسطوانات كبيرة عليها القماش الخاص بالاربطة وهى تدور ومن دونها آنسات يقطعونه بحساب مخصوص ، ومن دونهن غيرهن يضعنه فى علبه ثم يذهب به الى أفران التعقيم .

وجميع الأيدى التى تشتغل هنا كانت تتحرك بحركة أوتوماتيكية مع حركة

الآلات حتى كأنها كلها مرتبطة بعضها ببعض مما يدهش له الناظر ، وعسى أن يرى بنك مصر ويفكر فى إيجاد هذه الطريقة فى عمل القطن الخاص بالصيدليات ، فهو مع سهولة عمله من أحسن موارد الكسب .

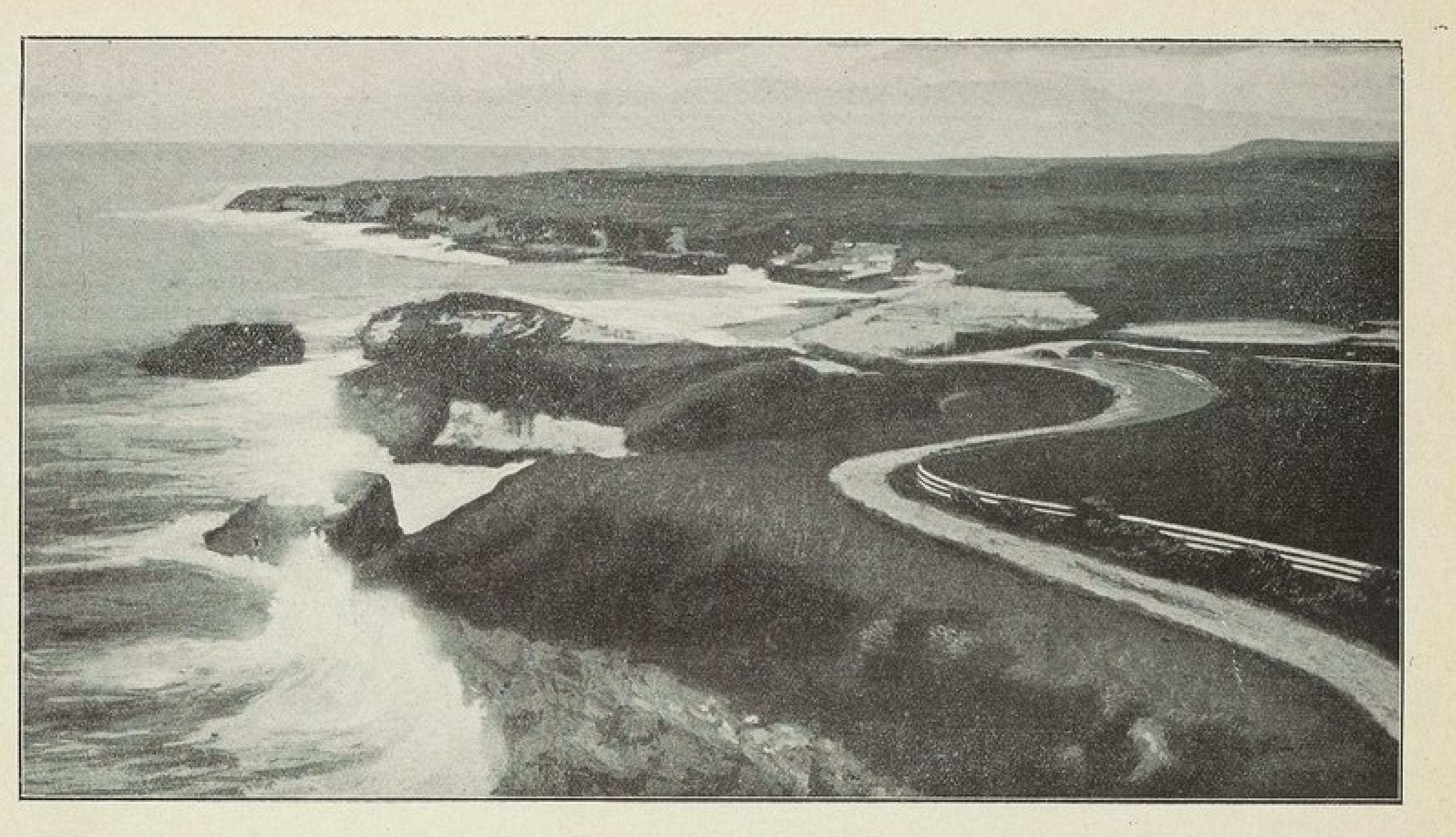
وبعد زيارتنا للمعمل اجتمعنا باخواننا الذين زاروا الجامعة وساروا بنا الى حيث قدم لنا طعام الغداء من محل إخوان جونسون أصحاب معمل الأدوية .

وبعد الغداء أخذ الخطباء يتكلمون من كل صوب شاكرين للجامعة ولاخوان جونسون ، وكم كنت أغتبط بنفسى وانا بين هذه الاوساط العلمية التى كانت تفيض عبقريتها بتلك العبارات الضخمة من أنواع التبجيل والتعظيم لحكوماتهم الاوربية كل بلغته ، خصوصاً الدكتور ليمان رئيس الجامعة شاكرا لهم ولحكوماتهم !! وها تمشى فى عروقى دم الغيرة عند عدم ذكر وطنى المحبوب بين هذه المجموعة الدولية ، وقمت مستاذنا فى الكلام وقلت هذه الكلمة باللغة الفرنسية :

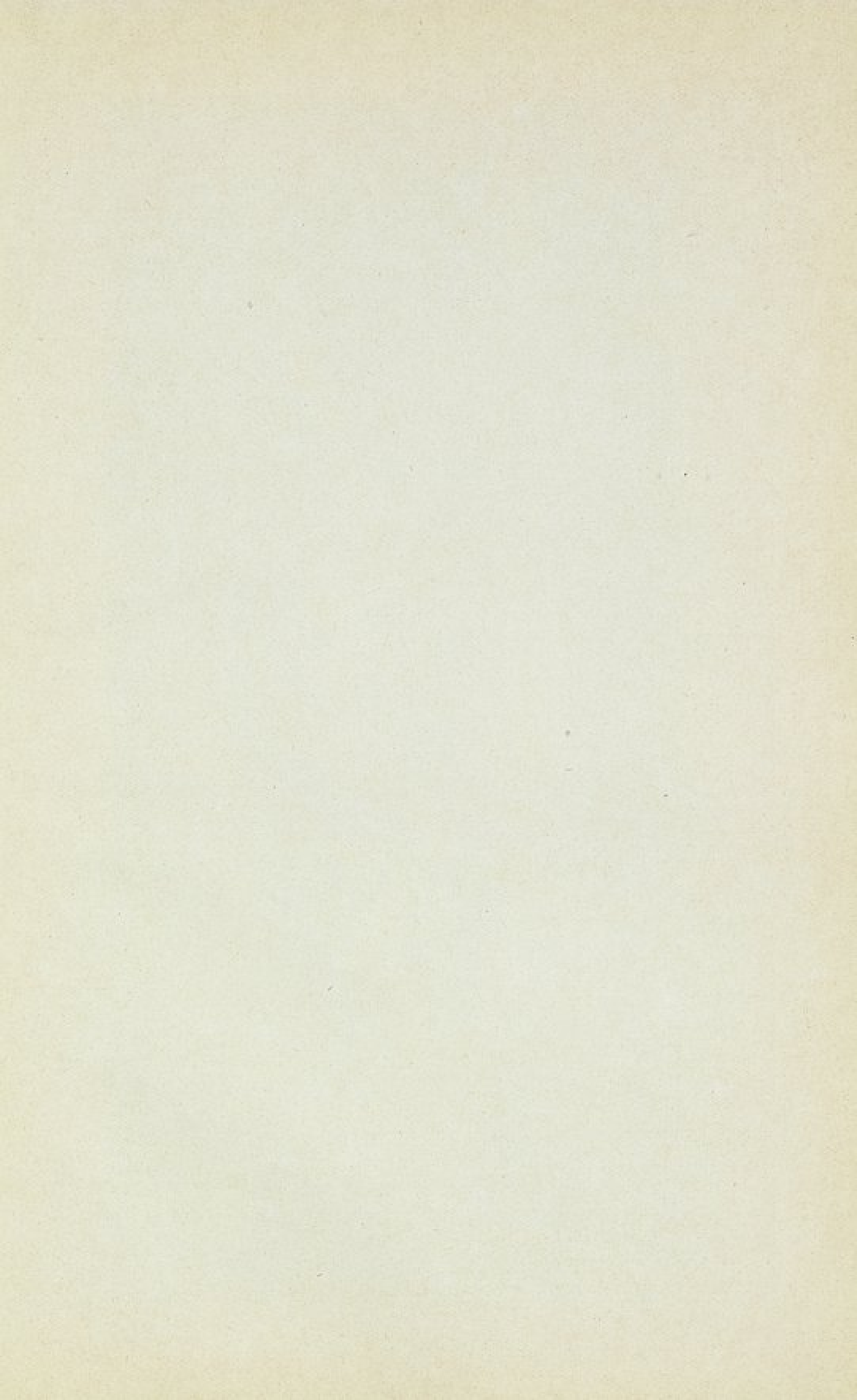
« كنت أود أن يباح لى الكلام بلغتى حتى كنت أكون أقوى منى الآن على التعبير عما يخالجنى من آيات الشكر لهذه الفرصة التى تشرفت فيها بالاندماج فى مجموعتكم الموقرة ، وإنى رغما عما اقتصرت عليه عبارة الدكتور ليمان من ذكر الجنسيات الاوربية المحترمة أرفع صوتى باسم مصر وطنى المحبوب بابداء آيات الشكران والامتنان لهيئة الجامعة الجليلة ، ثم لبيت جونسون الكريم ، وللجنسية الامريكية بصفة عامة على مارأيناه من كرمهم وعنايتهم »

وبعد أن ترجمت عبارتى بالانكليزية قام الدكتور ليمان وشكرنى بكلمات رقيقة .

وبعد الغداء ركبنا الاتوموبيلات الى الأرض التى يعملون بها التجارب ، وهى أرض ملحية حمضية ، فرأينا جميع للتجارب التى عملوها فيها تدور حول تسبيخها بالازوت أو الجير أو سلفات النشادر على نسب مختلفة ، إما بمفردها وإما باضافة بعضها الى بعض ، وكل هذه فيها نتائجها من ضعف أوقوة فى الانبات — :



طريق على شاطىء المحيط الاطلانطى ص — ٤٤



فهل عندنا تجارب من هذا القبيل تقوم بها وزارة الزراعة ؟ ؟ وهل اذا عملت ذلك تذيع النتيجة على الأمة ؟حتى لا تحرم من الفائدة التى تنتج عن أبحاثها ؟

وبعد ذلك توجهنا الى عزبة يسمونها عزبة الابقار ، فوجدنا الابقار فى اسطبلاتها وهى ١٨٠٠ بقرة كلها حلوب ، وكيفية وجودها هنا : أن توضع رؤسها فى مربعات مستطيلة من قضبان من الحديد عرضها نحو ثلاثين سنتمتر بحيث يمكن فتحها من أعلاه ، وهذه المربعات مصنوعة بحالة تمكن البقر من أن تتحرك برأسها أنى شاءت وهى تتحرك بحركتها . وفيما وراء الابقار قناة مسقفة ينزل اليها روثها وبولها ، وفى أول القناة حنفية اذا فتحت تفجر منها الماء لغسيل هذه القناة ، ويسير الماء الملوث الى حفرة خارج الاسطبل ، ولهذه الحالة تجد رأس البقرة سليمة ، وآذانها لاشائبة فيها ، لا كحالها عندنا ! ! وكل بقرة من هاته الابقار تعطى ٢١ الف رطل من اللبن فى كل عشرة أشهر ! ! ولكل مائة منها اسطبل على حدته تربط فيه متقابلة ، وغذاؤها عيدان الذرة الجافة المقطعة قطعا صغيرة ومعطونة بحيث تراها كتفل خشب العرقسوس بعد نقعه فى الماء وقد ظهر فيه رائحة التخمير ، ويضعون عليه البنجر المقطع قطعا صغيرة ، ولهذا وذاك آلات مخصوصة . أما البرسيم فانهم يجففونه بالآت يضعونه فيها من جهة وهو أخضر فيخرج من الأخرى وهو مطحون كدقيق الحنطة ، فيملؤن منه أكياسا يحفظونها لتغذية المواشى فى الشتاء . وتحلب الابقار ثلاث مرات كل يوم بواسطة رجال مخصوصين ، وبعد ذلك ينقل اللبن الى معمل قريب من الاسطبلات فيوضع فى زجاجات معقمة ويرسل بها الى نيويورك .

***

وبعد أن زرنا النقطة التى فيها المباحث على طبيعة الأرض زرنا مكان التجارب على اشجار الفاكهة — وهم يرشون النيوكوتين على الشجر المصاب بالمكروبات وعندهم مربعات من قضبان الحديد مترين فى مترين ارتفاع ثلاثة أمتار مكسوة

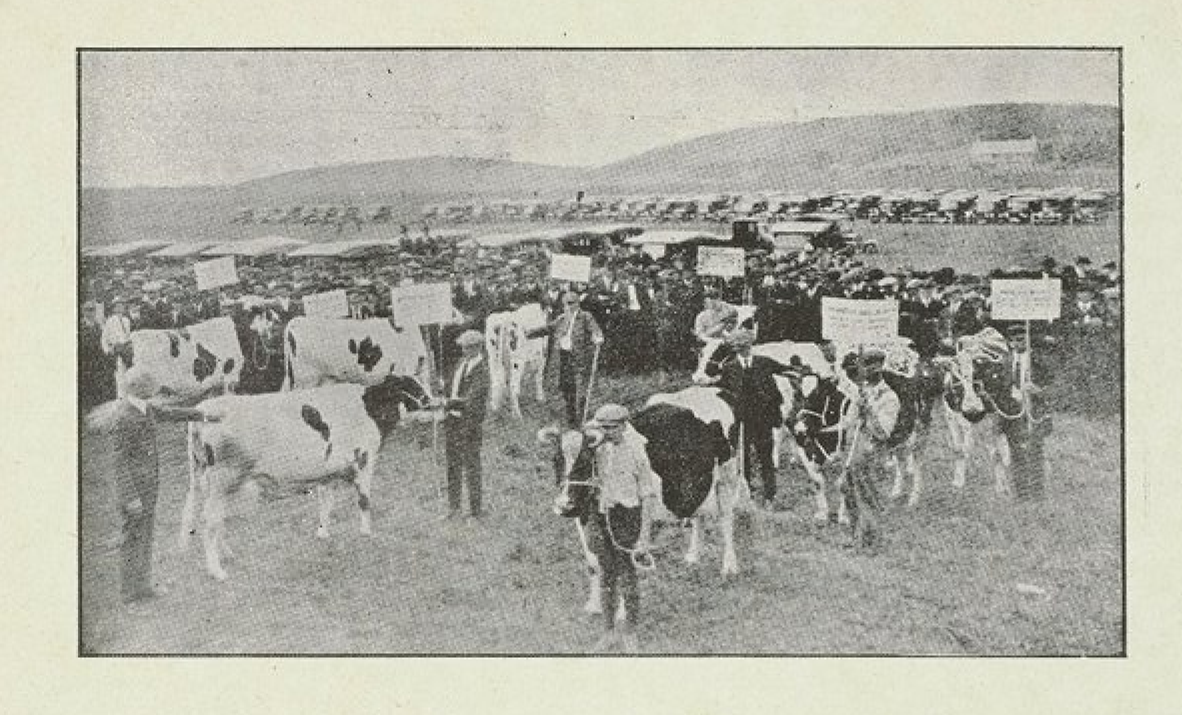
بالقماش وهى أشبه شىء بالبارافانه (الدروه) يحيطون بها أشجار الفاكهة وقت أزهارها لحمايتها من الرياح من جهة ، ومن جهة أخرى لحماية مادة التوليد التى يضعونها فيها : ذلك أنهم يأتون بزهرة من ذكور الاشجار الجيدة فيضعونها فى وسط زهرة شجرة من الاناث فيتم التلقيح ويجود الثمر .

وبعد أن فرغنا من زيارة الابقار ومكان الالبان سيربنا الى محل الادارة وهو مكان جميل فى وسط خضرة نضرة ، وهناك وجدنا صاحب العزبة قد جهزلنا العشاء الخلوى فى هذا الهواء الخالص على نظام السكافيتريا الذى شرحناه لك فى مقدمة هذه الرسائل ، فاكلنا أكلة لا أتذكر أنى أكلت أحسن منها ، وكان موظفوا الادارة يدورون علينا من وقت الى آخر بكل مالذ وطاب ، وبناتها يدرن علينا بأصناف الفاكهة والمثلجات ، ونحن بين يدى هذه الطبيعة الجميلة تحف بنا الأشجار وتظللنا سماء أذكرتنا بسماء بلادنا الزاهرة فى وقت غربت شمسه ، وكمل أنسه ، وبالجملة فقد كان جمال الطبيعة وجمال الوقت وجمال الصنيع ، مما لا ينسى لهذا العالم الذى بلغت أريحيته الى مالا يمكن أن تراه فى عالم آخر .

وفى الساعة الثامنة مساء ركبنا أتوموبيلاتنا الى نيويورك فوصلناها فى الساعة العاشرة .

ونيويورك عاصمة ولاية باسمها فى طول المحيط الاطلانطى ، وهى أغنى ولايات أمريكا ومساحتها ١٢٧ ٣٥٠ كيلو مترا مربعا ، وقنال أريا يقسمها الى قسمين ، وفى شمالها جبال اديرونداك ، وفيها غابات غنية بالأشجار الجميلة ، وأرض هذه الولايات تشقها جملة أنهار منها : نهر هيدسون ، وموهاوك ، ودلاور ، وسيسكهانا ، والنهر الأسود . وفى شمالها بحيرة أونتاريو يحيط بها جملة بحيرات صغيرة .

وفى ولاية نيويورك جملة مدن عظيمة : منها مدينة بافالو وهى مدينة عظيمة سكانها أكثر من نصف مليون ، وهى مشهورة بمصانع الحديد ومطاحن الدقيق ومدينة روشستر ، ومدينة سرقوسة . ويزرع فى هذه الولاية البطاطس والغلال



ابقار معرضة للبيع وبجوار كل منها لوحة بما تنتجه من اللبن والزبدة وفى ذلك اكبر ضمان للمشترى ص — ٤٦



والدخان والبنجر بكثرة ، وفيها معامل كثيرة لـكل أنواع الصناعات للنسيج والحديد والسكر وغير ذلك .

وقبـل أن أترك هذه المدينة أو هذه المملـكة فى مدينـة أقول :

إنى زرت قنصليتها فوجدت قنصلها عسل بك من أرقى من يعهد اليهم بمثل منصبه ، وجدت فيـه رجلا عاملا أديبا لطيفا والعمال الذين معه بصفة عامة ممن تهنأ بهم وزارة خارجيتنا ، وهنا أذكر شيئا أعجبنى من حضرة القنصل ولا أريد أن أترك نيويورك من غير ان اذكر أهميته : عندما حضرت الى القنصلية لتوديعه كان عنده رجل من كبار السورين فى نيويورك ، فلما قابلناه بعد خروجه من عنده أخذ يحدثنا بما كان يتكلم معه فيـه هذا الرجل وهو ان يساعده فى ايجاد معرض من الصناعات المصرية فى نيويورك ، ولا شك ان الصناعات عنـدنا محصورة فى المنسوجات البلدية التى تصنع فى دمياط والمحلة الـكبرى ومصر عـلى الخصوص وفى عمـل قطع المشربيات والأدوات النحاسـية التى تعمل فى الخان الخليلى ، فاذا راجت هذه الصناعات فى الخارج فلا بد أن تجر اليها بعض الصناعات الاخرى التى قد يتحرك أربابها بعامل الرغبة فى المكسب ، وربما جر ذلك الى تعديل وتحوير ترقى به هذه الصناعات مما يكون فيه خـير البلاد . وهنا أقول إن مامورية التمثيل لمصر فى الخارج لايصح أن تقتصر على وضع الامضاءات عـلى جوازات السفر فحسب ، أو كتابة تقارير لافائدة منها للجمهور ، بل يجب أن يكون مركزه مركزاً عمليا بالمعنى الصحيح ، يبحث فيه عن كل مايرقى به بلده فى تجارتها وصناعتها ، بل فى كل شأن من شؤنها الحيوية .

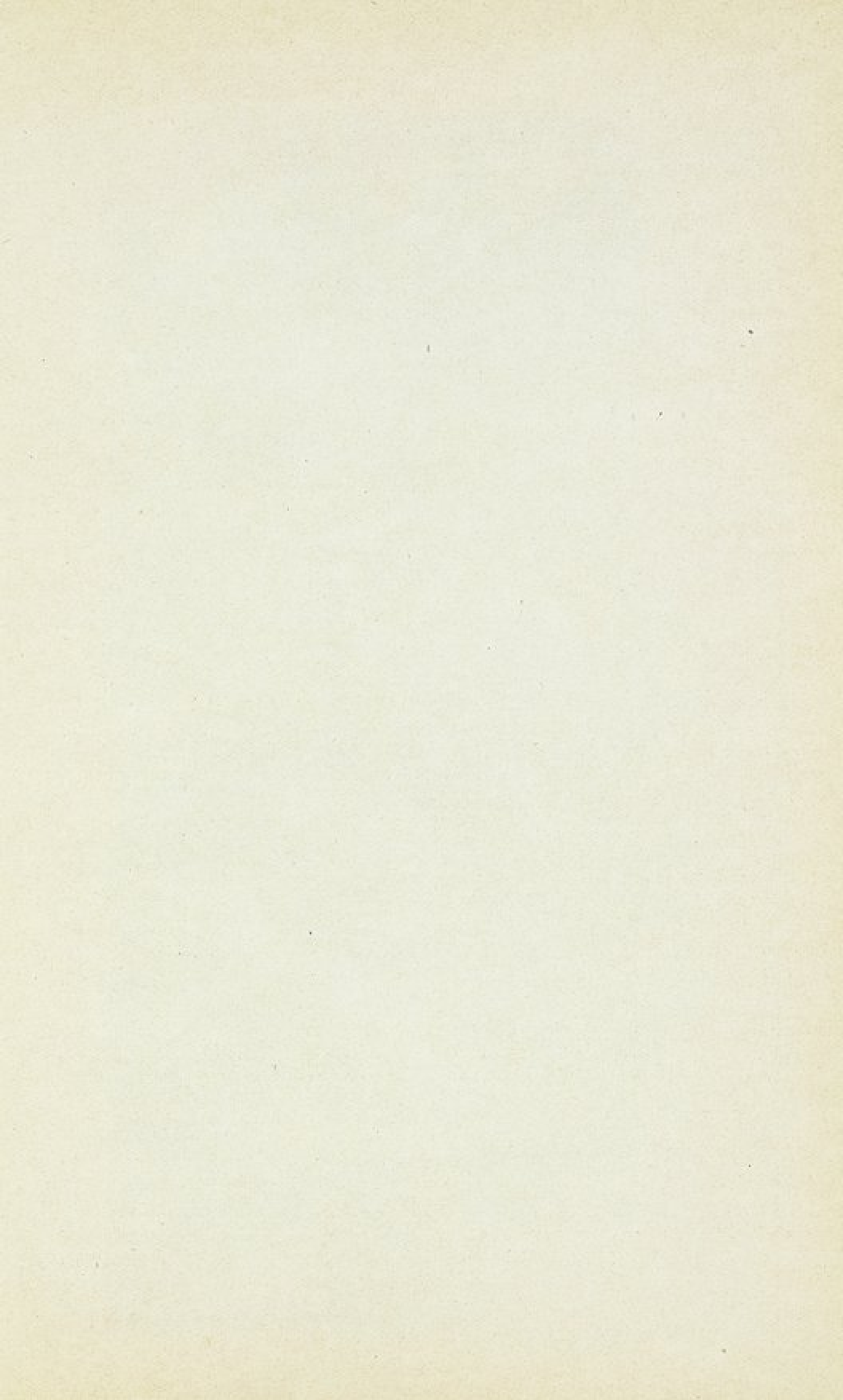
من نيويورك الى واشنجتون

فى الحادى عشر من شهر يونيو سنة ١٩٢٧ ركبنا عرباتنا الى محطة نيوجرزى على الضفة اليمنى من نهر هيدسون ، ومنها ركبنا قطار السكة الحديدية الى واشنجتون ، وكان الحر شديدا بحيث يصل الى ٣٦ درجة سنتجراد ، وقد تحرك القطار فى الساعة العاشرة صباحا وسار يقطع أرضا ليست مستوية ، وفيها من العشب الاخضر ماهو غذاء للماشية ، كما فيها بعض مزارع القمح وكانت السنابل قد بدأت تتكون فيها . وقد ترى فى هذه الاراضى بعض أشجار الفاكهة منتثرة على طول الطريق وغيرها من أشجار الغابات ، ولكنها ليست بنضرتها الاوربية ، لأن الطقس هنا بين حر شديد أو برد قارس . وكنا نمر فى طول طريقنا على مدن عليها أثر الصناعة من كثرة ماعليها من دخان المصانع .

وأهم مدينة مررنا عليها فى طريقنا هى مدينة فيلادلفيا عاصمة ولاية بنسلفانيا ، وكانت عاصمة الاتحاد الامريكى من سنة ١٧٩٠ الى سنة ١٨٠٠ ، وهى الآن من أكبر مدن الولايات المتحدة ، وعدد سكانها ١٨٢٥٠٠٠ وهى مشهورة بتجارتها الواسعة مع الخارج ، وفيها كثير من مغازل القطن التى تستورد كمية كبيرة من القطن المصرى . وأهم مصانعها الحديدية مصانع بلدوين ، وهى أكبر مصانع للقاطرات البخارية للسكك الحديدية ، وفى هذه المصانع نحو ١٤ الف نفس يعملون ليلا ونهارا ، ويشتغلون أكثر من ٢٠٠٠ قاطرة كل سنة !! وهى من صنف القاطرات الجسيمة التى يبلغ ارتفاعها ٥ أمتار عن شريط السكة الحديدية ، وزنها ١٤٠ طنا . وفى هذا المعمل يحرقون نحو عشرة آلاف طن من الفحم الحجرى كل شهر ، وفى مكاتبه أكثر من عشرين مهندسا ومائة رسام .

وفى هذه المدينة أكبر مطابع الولايات المتحدة وهى مشهورة باسم « كارتس

بناية البرلمان بواشنجتون ص — ٤٨



دوفيلادلفيا » ولا أدرى كيف يكون مبلغ دهشتك اذا زرت هذه الادارة الهائلة ولم تر فيها شيأ من الكتب مقدما للطبع ! ! فى حين أنك تجد فيها شيئا كثيرا جدا من النشرات والمجلات .

وأهم مايطبع فيها من المجلات الاسبوعية « المجازين الثلاث » ويطبع منها كل أسبوع مليونان ونصف مليون نسخة فى اثنتين منها ، ومليون ونصف فى الثالثة ! !

ومن باب الفائدة نذكر لك كلمة عن هذه الادارة لتعرف شيئا عما يقال له مجلات هنا كما عرفت بعض الشئ عما يقال له جرائد يومية فى كلامنا على نيويورك

هذه المطبعة لها بناء مكون من إحدى عشرة طبقة فى أحسن ميادين فيلادلفيا ومسطحه أكثر من ثمانية آلاف متر مربع ، بحيث يكون مسطح جميع طبقاته نحو عشرين فدانا ، والطبقة التاسعة منه فيها مطعم العمال ومحل استراحتهم ورياضتهم ، ومكان للسينما ، ومكان للمحاضرات ، والعاشرة فيها المطابخ والمستشفى وغير ذلك مما يتعلق بلوازم العمال . وكل هذه المحال على أحسن مايكون من النظافة والنقش وجميل الأثاث . وفى هذا البناء ١٤ مصعدا للرجال ، وعشرة للبضائع ، وفيه ثلاثة آلاف عامل ، ويطبع فيه كل يوم خمسون الف صفحة تستلزم نحو مائتى طن من الورق الجيد ! ! وفيه من الموتورات الكهربائية ماتزيد قوتها عن أربع آلاف حصان بخارية ، وذلك كله لادارة المطابع والانارة . وعند انتهاء طبع المجلات تشحن فى عربات توصلها بغاية السرعة الى أماكن تصديرها .

وحيث أننا تكلمنا هنا بشئ عن القاطرات فيجمل بنا قبل أن نترك أرض بنسلفانيا أن نتكلم عن مصانع قضبان السكة الحديدية فى (بتسبورج) التى هى من أهم مدن بنسلفانيا والتى بها أكبر مصانع الحديد فى العالم .

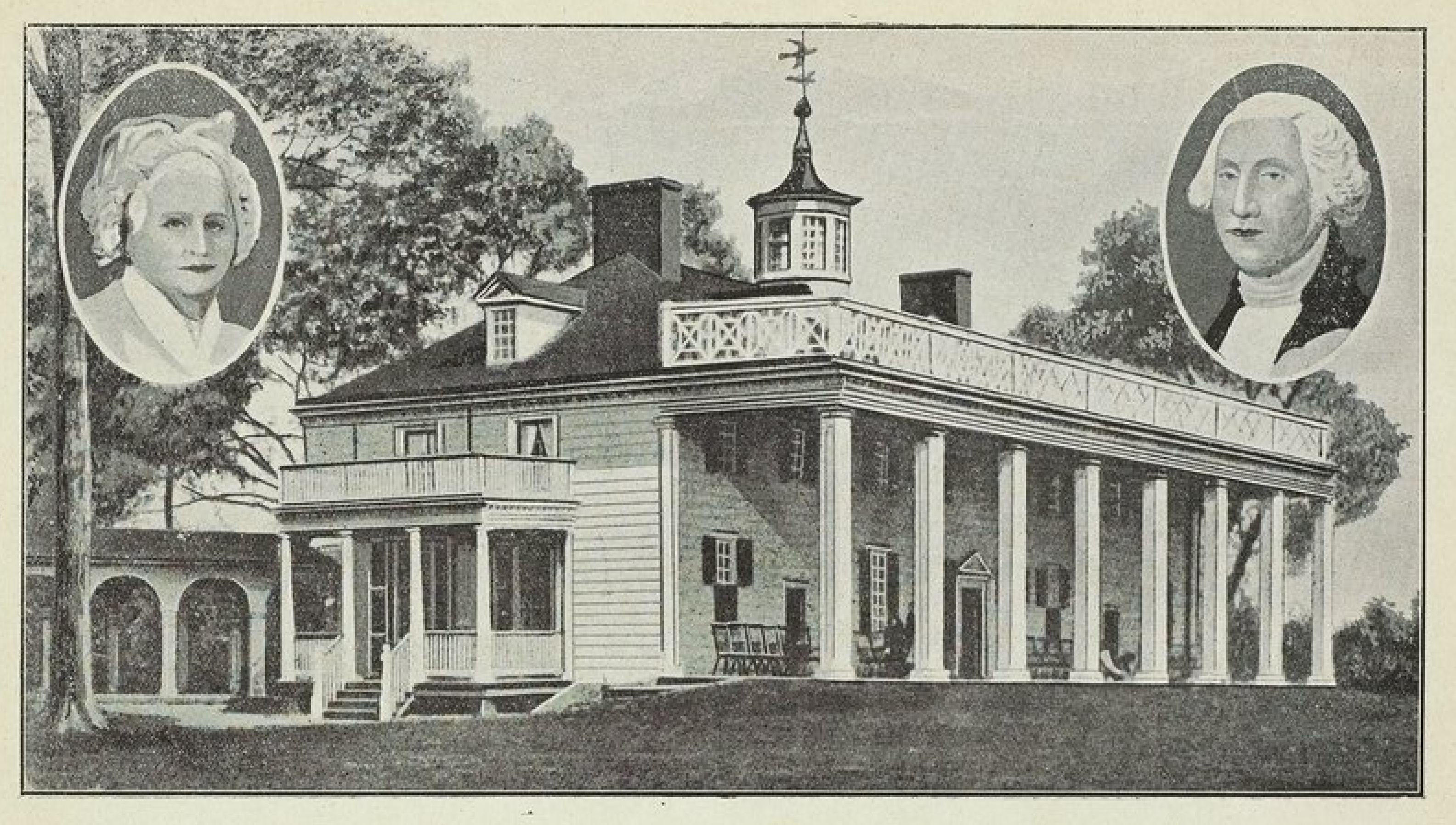
بتسبورج

ويسمونها مدينة الحديد ، لان فيها أكبر مصانع الحـديد ، لا فى الولايات المتحدة وحدها ، بل فى جميع العالم ، بحيث لا تذكر مصانع كروب (بالمانيا) بجوارها فى شئ !! وعدد سكانها ٦٠٠ الف نفس ، وهى على ملتقى نهرى اللجانى — وموننجاهيـلا ، وتتصل بما وراء النهرين بجملة كبار ، وينتهى اليها ١٥ طريقا حديديا ، ويقوم منها ويدخل اليها كل يوم نحو أربعمائة قطر من قطر السكة الحديدية وتبلغ صادراتها كل سـنة برا ونهرا ٧٥ مليون طن مابين حـديد وفحم حجرى وبترول ! ! وأرض هذه الجهة غنية جداً بهذه المعادن الثلاثة لدرجـة أنهم يزعمون أن معادنها هذه تكفيها على نسبة هذه الصادرات سبعمائة سنة أو تزيد ، وخصوصا فى البترول الذى يكثر فيها جـدا ويصدرون منه كل سـنة أكثر من ٤٥ مليون برميل ، ويصنع فى هـذه المدينة ثلث ما يصنع فى الولايات المتحدة من قضبان السكك الحديدية ومن صفائح الصلب . ويصنع فيها غـير الحديد الزجاج . وفيها معمل كبير للفواكه المجهزة تصدر فى علبها الى جميع جهات العالم . وبالجملة فالمدينة كلها مكونة من مصانع مختلفة ، وتراها بالليل والنهار كتلة واحـدة ملتهبة تتغلغل جذوتها فى الجو وتتصل أعمدة دخانها الى عنان السماء ! !

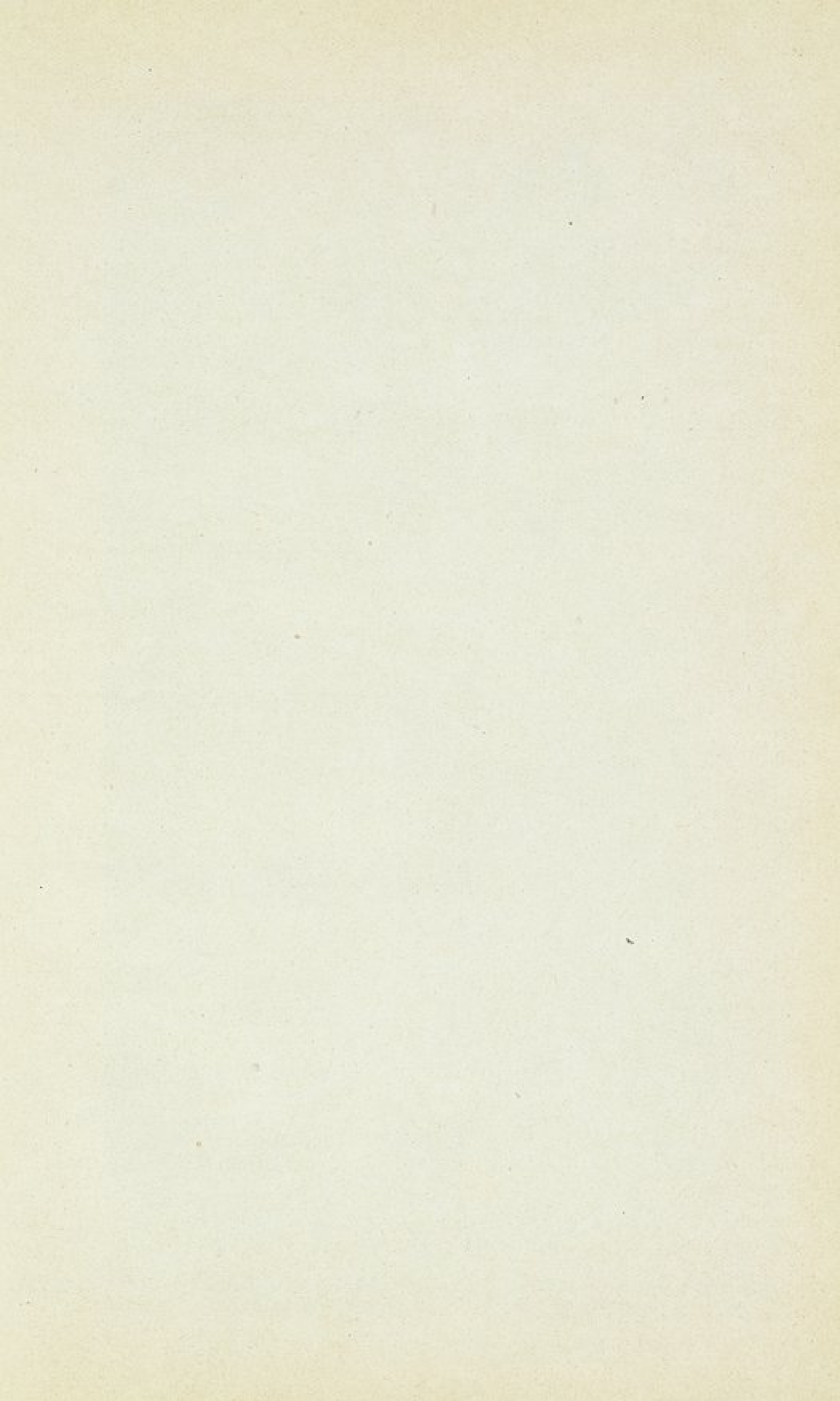
ومن أكبر مصانعها التى تعمل الصلب كتلا وصفائح: مصانع (هو مستيد) وبها من العمال سبعة الاف وخمسمائة عامل ، وتصنع كل سـنة أكثر من مليونى طن من كتل الصلب ،ومن ضمن آلاتها مطرقة زنتها ١٢٥ طنا ! !

***

أما المصانع التى تعمل لقضبان السكك الحديدية فهى: مصانع (ادجار تومسون) وفيها من الآلات مابها يمكن للعامل الواحد أن يصنع بمفرده فى اليوم كيلو مترا من القضبان العريضة التى طول الواحد منها ٣٠ قدما ، ويصنع المعمل كل يوم ماطوله ستين



منزل واشنجتون وهو اول رئيس للولايات المتحدة ص — ٥٠



كيلو مترا من هذه القضبان .

مدينة واشنجتون

هى عاصمة الولايات المتحدة ، وواقعة على نهر بوتوماك ، وتعدادها نحو ٨٠٠ الف نفس ، وشوارعها واسعة ونظيفة ، وتسمى الشوارع الكبرى التى تتجه من الكابتول (مجلس النواب) بالاحرف الهجائية ، والشوارع التى تقطعها بالاعداد فى الغالب ، فيقولون : شارع حرف ب مع شارع ١٥ مثلا . وهذه المدينة مركز سياسى وأدارى أكثر منه صناعى وتجارى ، لذلك تجد أهلها أرستقراطيين لان غالبهم يعمل فى مصالح الحكومة .

وقد رسم كروكى هذه المدينة فى سنة ١٧٩١ ووضع أساسها (جورج واشنجتون) الذى كان رئيسا للولايات المتحدة ، وصارت مركزا لحكومة البلاد المتحدة من سنة ١٨٠٠ وتسمت باسم رئيسها الموقر ، وقد أحرق الكابتول سنة ١٨١٤ زمن حربهم مع الانكليز ثم شيد بعدها على ماتراه من العظمة والجلال ، وكان القوم يتبركون باسم واشنجتون حتى أطلقوه على ولاية فى الشمال الغربى من الولايات المتحدة ، ثم على نحو عشرين مدينة من مدنهم المختلفة فى دائرة الاتحاد ! !

جورج واشنجتون

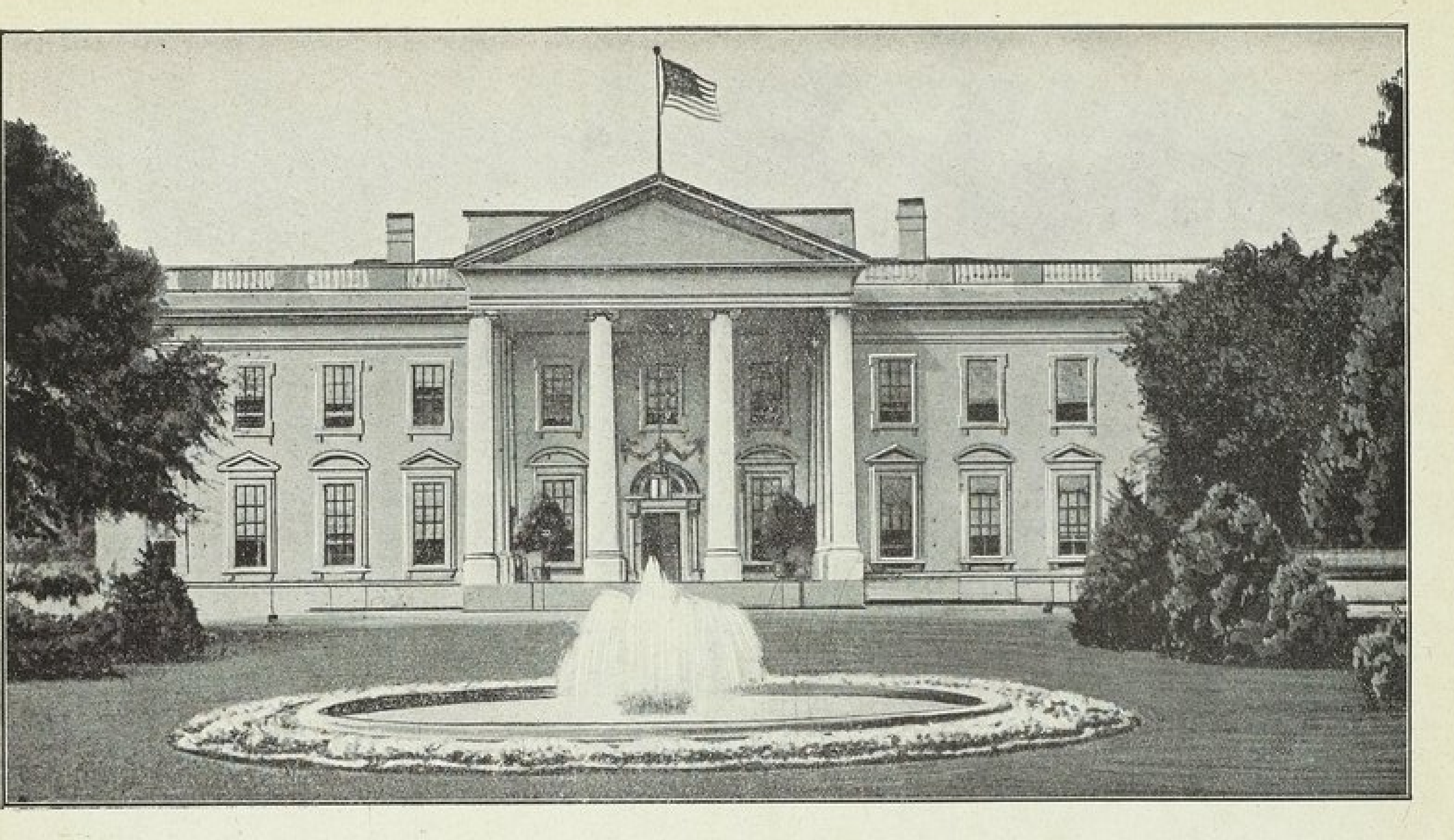
هو ذلك الرجل العظيم الذى كون الولايات المتحدة وكان أول رئيس لها ، هو ذلك الرجل العظيم الذى ولد فى مزرعة أبيه بولاية فرجينيا سنة ١٧٣٢ وفى سنة ١٧٥١ كان قومندانا للفرقة العسكرية التى كانت بهذه الولاية ، وكانت له مواقف معدودة مع الفرنساويين ، وفى سنة ١٧٧٩ انتخب عضوا بالجمعية العمومية لهذه الولاية ، وفى سنة ١٧٧٥ عينه مؤتمر فلادلفيا قائدا عاما للجيوش الامريكانية وحارب الانجليز واجلاهم عن بوسطون ، وعقب انتصاره عليهم اعلنت الولايات

المتحدة استقلالها فى سنة ١٧٧٦ وما زال فى حرب معهم الى سنة ١٧٨٣ ، وكان يساعده الجنرال لافاييت بجيش من الفرنساويين وفى هذه السنة تم الصلح المشهور بصلح فرساى ، وبه اعترفت انكلترا باستقلال الولايات المتحدة ، وبعد هذا كله عاد واشنجتون الى مزرعته يشتغل بالفلاحة ، حتى اذا تكون البرلمان فى سنة ١٧٨٧ انتخب واشنجتون رئيسا له ، ثم عرض عليه قومه تاج البلاد الملكى فرفضه بكل اباء ، ولما انتهت الانتخابات البرلمانية انتخب رئيسا لحكومة الجمهورية المتحدة سنة ١٧٨٩ ، واعيد انتخابه سنة ١٧٩٥ ولكنه رفضها لما عرضت عليه فى المرة الثالثة وانسحب الى مزرعته يعيش فيها بين افراد عائلته كواحد من عامة الناس . وفى سنة ١٧٩٨ أعلنت الحرب بين فرنسا والولايات المتحدة فقبل واشنجتون أن يتعين قومندانا عاما للجيوش الامريكية ، وبدأ فى تنظيم خط الدفاع ، وبعد أن تقرر الصلح فى سنة ١٧٩٩ مات واشنجتون الى رحمة الله فبكته البلاد بكاء مرا ، وهو الى الآن والى الغد عنوان سعادتها وعظمتها .

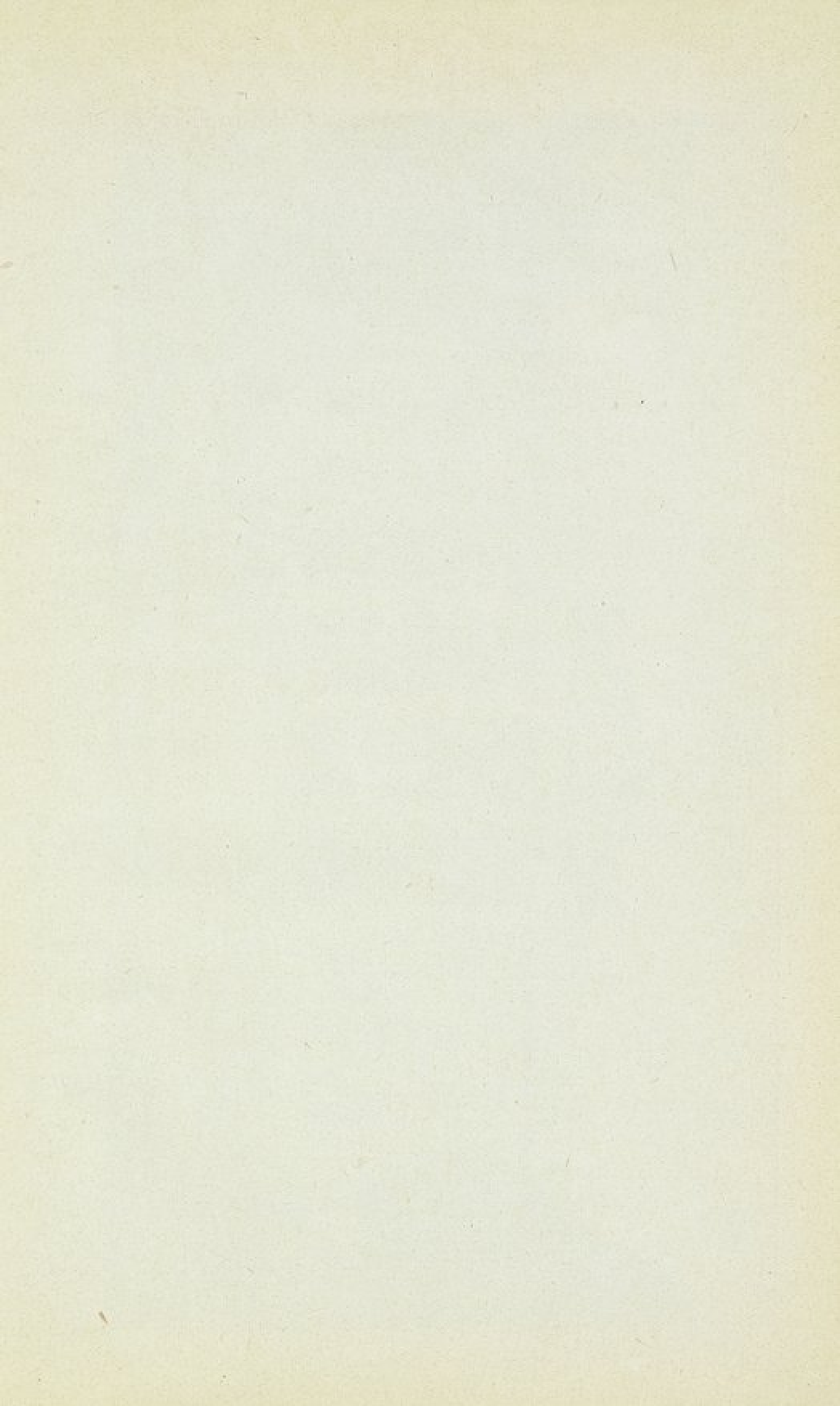
وأول واجب رأيته عـلى فى هذه المدينة بصفتى مصريا هو زيارتي للمفوضية المصرية ، فاستقبلنا سعادة الوزير المفوض محمود سامى باشا بما هو معهود فيه من سمو آدابه ، وكريم محتده ، بما جعل له فى قلوبنا اثرا لا تمحوه الايام .

وهنا يجمل بنا أن لا ننسى مارأيناه من لطف وآداب موظفى المفوضيـة المحترمين وهم حضرات رمسيس بك السكرتير الاول ، والعيسى بك ، ونور بك . وكانت دار المفوضية حين زرناها لاتليق بها ولكنهم انتقلوا بعـدها الى دار أنور وأشرح .

وهنا أستميحهم الاذن فى أن أعتب عليهـم لبخلهم فى اجاباتهـم على بعض ما كنت أريد الاستفسار عنه من المسائل العامة التى قـد تفيد مصرنا العزيزة ، حتى لـكانها سر من الاسرار السياسـية التى هى من شئونهم الخاصة ومن وظيفتهم المحافظة عليها ، وكذلك لا أخلى قنصلية نيويورك من هذا العتب بعينه وإن كنت



البيت الابيض بواشنجتون ص — ٥٢



شخصيا لا أنسى كرم موظفيها وأدبهم .

***

وهنا أرجو أن يسمح لى حضرة القارئ بكلمة فى هذا الموضوع ليتعرف منها بعض ما عليه السفارات الاخرى بواشنجتون :

فى اللوكندات بيانات بالبنايات المهمة التى يوصون بزيارتها ، ومن ذلك بعض السفارات الهامة ، ومن أهم السفارات هنا سفارة الانكليز ، ويقال إن مرتب وزيرها لا يقل عن سبعة عشر الف جنيه فى السنة ، غير ما يأخذه من مصاريف التمثيل وهو ما لا يقل عن نصف مرتبه ، وقد بلغنا أن فى هذه السفارة من الموظفين ما لا يقل عن خمسين موظفا ، هذا للسياسة ، وذلك للجرائد ، وذلك للزراعة ، وغيره للتجارة ، وهكذا لكل شأن من الشؤون الحيوية موظف خاص به لا يشتغل بغيره ، ولا بد أنه متقنه وعارف بجميع مفرداته وتفصيلاته ، ولا بد أن يستخلص منه ما يفيد دولته ، أو بعبارة أخرى أمته ، أما مفوضيتنا فليس فيها غير نفر ثلاثة ! ! وحكومتنا تريد أن يكون ممثلها رئيسا ومرؤسا وكاتبا وحاسبا ومحررا ومترجما ، أو بعبارة أخرى أن يستعمل نفسه فى كل غرض من الأغراض وفى كل لون من الألوان حسب مقتضيات الأحوال ، وهو تكليف من لا يريد أن تكون له نتيجة محمودة فى عمله .

وهنا نذكر لك باختصار أهم بنايات المدينة :

البيت الابيض

هو البيت الخاص بسكنى رئيس جمهورية الولايات المتحدة ، وهو واقع على دوران ميدان صغير يجمع بين بساطته وعظمته وصغره وفخامته . وكان واشنجتون يلاحظ مع زوجته بنايته حتى تم فى سنة ١٧٩٢ . وقد أحرقته الجنود الانكليزية فى حرب الاستقلال سنة ١٨١٤ فرشوه بالجير ليخفوا ما تأثر به من اللون الأسود ، ومن

هذا الوقت سموه بالبيت الابيض .

وفى جانب من جوانبه جناح فيه مكتب الرئيس ، وهو على منتهى بساطته وصغره يعمل فيه ذلك الذى بين شفتيه إسعاد دولة من الدول أو إشقاؤها ، ومعه ياوران وعدد من الكتبة والسكرتاريين يقوم بتنفيذ أوامره الى حيث أراد من داخلية بلاده أو خارجها ، وليس فيه من الحرس إلا بوليس واحد على بابه . وفى الوقت الذى رأيناه فيه كانت به عمارة فالتزمت حكومة الولايات المتحدة أن تستأجر له منزلا آخر قد لا يصل الى أصغر منازل الخاصة فى مظهره وفى سعته .

وبهذه المناسبة أقول لك : إن رئيس الولايات المتحدة مرتبه ١٥ الف جنيه فى السنة وخمسة آلاف بصفة مصاريف يقدم عنها لحكومته حسابا بالجهات التى صرفت فيها

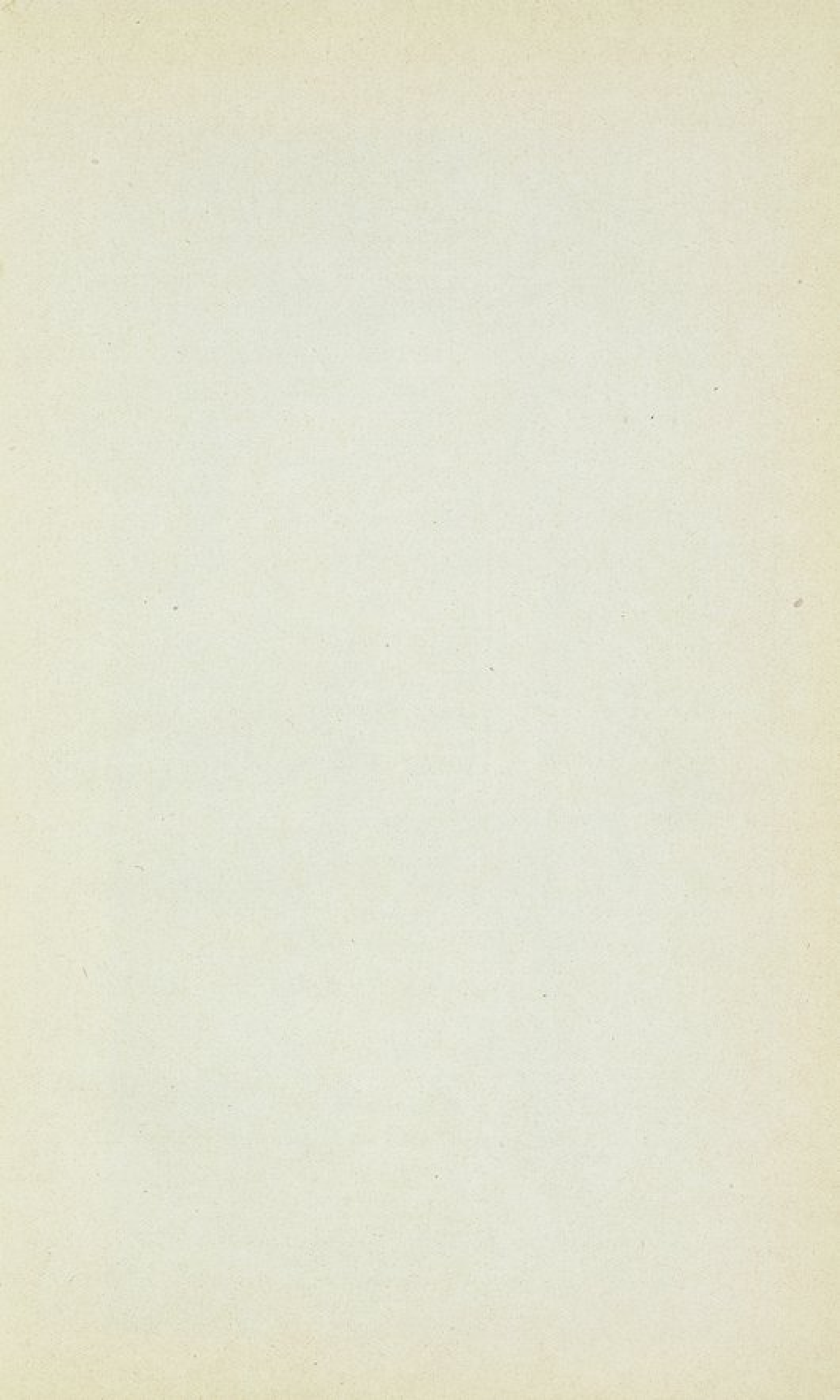
***

ومن أشهر العمارات التى زرناها عمارة الصليب الاحمر ، وعمارة عصبة الأمم الامريكية ، وهذه الاخيرة من أحسن عمارات العالم ، جمعت الى عظمة مناظرها جلال داخلها ، وكلها مبنية بالرخام الأبيض من الخارج والداخل ، وقد دعانا اليها مع أعضاء المؤتمر وزير الزراعه دعوة رسمية فاقمنا بين بهوها وغرفها الى فترة من الليل ، وانصرفنا شاكرين له كرمه ولطفه .

***

أما بناء المكتبة العمومية فهو من أجمل ما رأيته فى جميع البلاد التى زرتها ، وجميع مبانيها تشغل نحو ثلاثة أفدنة ونصفا ، ومع أنهم بدأوا فيها من سنة ١٨٠٢ فانهم لم ينتهوا من بنائها إلا فى سنة ١٨٩٧ وقد تكلفت مبانيها ستة ملايين من الريالات !! ويحيط بالمكتبة بستان جميل ، فاذا دخلت من مدخلها العمومى وجدت طرقة بديعة جدا أرضيتها من الموزاييك ، وحوائطها من الرخام الابيض ، وفى حوائطها بعض صور صنعت من الفسيفساء المختلفة الالوان يدخلها شئ كثير من

دار الكتب بواشنجتون ص — ٥٤



الذهب . وهذه الطرقة توصل الى صالة فى منتهى الفخامة كلها من الرخام ، وفيها سلم من المرمر يصعد الى الدور الاول الذى يرى به طرقة تدور حول مربع مستطيل يحيط به دربزون من المرمر ، ويشرف هذا المربع على الصالة التى فى الدور الارضى. وسقف هذا المكان الهائل مركب على حنايا ترتكز على نحو ستين عمودا من المرمر اسطوانية الشكل ، قطر الواحد منها نحو ٥٠ سنتمترا ، ومن هذه الممشاة يدخل الى طنف يشرف على دائرة قطرها نحو ثلاثين مترا فى ارتفاع اربعين مترا ، تعلوها حنايا قامت عليها قبة عظيمة غاية فى الابداع ، وفى وسط هذه الحنايا منافذ واسعة للنور ، وفى أسفل الدائرة مكاتب المطالعين على شبه ثلاث دوائر بعضها أصغر من الآخر ،وفى وسطها مكتب دائر فى وسطه دولاب من الخشب فيه أدراج صغيرة وحوله عمال ، فاذا طلب أحد المطالعين كتابا قدم نمرته الى العامل فيضعها فى أحد هذه الدواليب ويضغط على زر فتذهب الورقة بواسطة ضغط الهواء الى الغرفة التى بها الكتاب، فيضعه العامل فى أنبوبة موصلة الى ذلك الدولاب فيصل اليه بواسطة ضغط الهواء فيسلمه العامل الى الطالب ! !

ومسافة مابين المكتبة والبرلمان نصف ميل ، فيها نفق يصل البنائين بعضهما بالآخر ،فاذا أراد أحد أعضاء البرلمان كتابا وصل اليه فى ثلاث دقائق .

أما غرف الكتب فهى فى أجنحة خاصة بها ليس فى بنائها شئ من الخشب خوف الحريق ، وفيها من الكتب مليونان وثمانمائة الف كتاب !! على أن تصميمها عمل على أن تسع أربعة ملايين من الكتب .

وبالجملة فهذه المكتبة من أفخم شئ فى نوعها ، وليست هى الوحيدة فى واشنجتون ،بل هناك دور أخرى للكتب لاتقل عنها فى مقدار كتبها وإن قلت عنها فى روائها وبهجتها .

***

ومن أهم أبنية المدينة وزاراتها جميعها ، وخصوصا وزارة الحربية ووزاة المالية

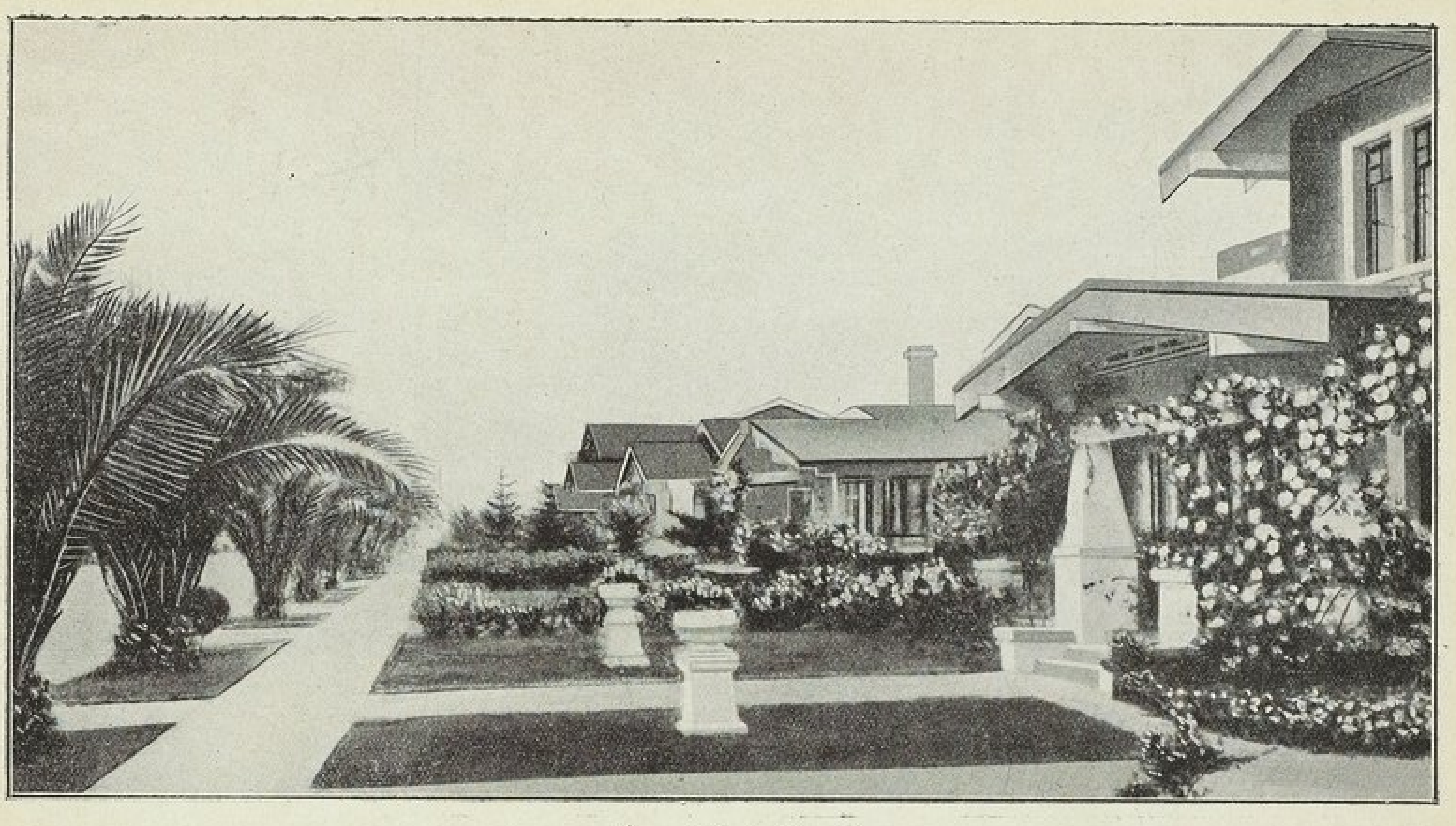
وفى الدور الارضى من هذه الاخيرة خزائن الذهب المكدس بين جدرانها والذى ربما زاد عن الذهب الموجود بين دفتى العالم القديم جميعه !!! ومن العجيب انك لاترى به حراسا ولا بوليسا ، بل تراه محميا بقوة أوتوماتيكية لايعرفها غير من يعرف سرها !! حتى اذا أتاها غريب ووصلت رجله أويده الى طرف من أطراف الخزائن دقت الاجراس من جميع جهات المكان فيأتى الجيش ويحاصره بغاية السرعة ، ويقبض على من أوقعه سوء حظه بين يديه فى هذا المأزق الذى لا مخرج له منه .

***

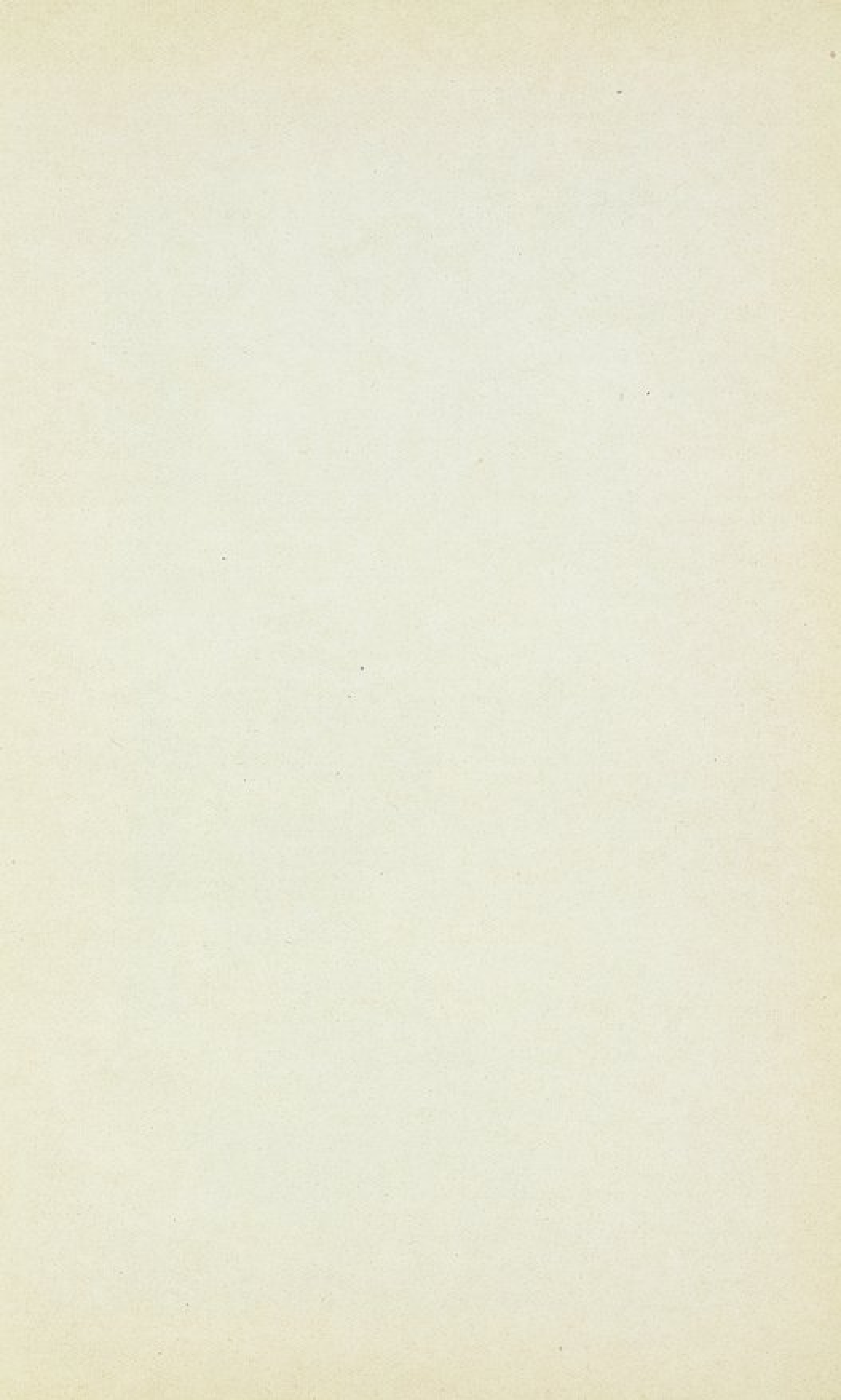
وأضخم أبنية المدينة هو الكابيتول (البرلمان) الذى تراه قائما فى وسط المدينة على هضبة عالية تتصل منحدراتها ببستان جميل جدا آية فى روائه وبهائه ، ويقطع هذا البستان جملة طرق أبعدها عنه ما جعل لمرور الاوتوموبيلات ، حتى لا تسمع لها حركة مطلقا فى محيطه ، ويصعد الى بناء البرلمان من جهاته كلها بدرجات واسعة جدا من الرخام تراها فى منحدرها العظيم قد اتصلت عظمتها بذلك الجلال الذى يحيط بالبناء الذى تعلوه قبة تكاد تناطح السماء ، وعن يمين القبة وشمالها بناآن عظيمان فخمان ، أحدهما لمجلس النواب ، والآخر لمجلس الشيوخ ، وفى اتجاه كل منهما — على اتصال بالحديقة من الجهة الاخرى — بناء فخم فيه مكتب خاص لكل عضو من أعضاء المجلسين ، وفيه سكرتير لتحضير المواضيع التى هو فى حاجة اليها ، ومصاريف هذا كله على الحكومة بطبيعة الحال . وقد كان البرلمان وقت زيارتنا للمدينة فى عطلة من عمله ولذلك لم أتمكن من زيارته .

وفى الجملة فالبرلمان هنا هو كل شئ ، بل هو الحياة التى تستمد منها البلاد وجودها ، وكل عضو من أعضائه — : إنما هو قوة لبلاده تستعين بها فى حل المشكلات ، وانارة المدلهمات ، وفى تقنين القوانين ، وتشريع الشرائع المختلفة لكل فرع من فروعها الحيوية .

وبناء البرلمان مركز تتفرع منه أنصاف أقطار الى نقط مختلفة من محيط دائرة



بعض مساكن الامريكان الخصوصية ص — ٥٦



المدينة ، وهذه الانصاف الاقطار التي هي الشوارع الكبرى تقطعها شوارع أخرى أقل منها اتساعا ، وإن كانت لاتنقص عنها جمالا ورواء . وجميع هذه الشوارع ليس فيهاالا حركة هادئة لا يقلقك شئ منها لابالليل ولا بالنهار ، وبالجملة فالحركة فيها طبيعية تنشط نهارا وتسكن ليلا ، لا كما تراها في نيويورك تأخذ بين طرفى النهار وطرفى الليل .

ومن أعجب ماتراه هنا آلاف الاوتوموبيلات على أفاريز الطرق من الجهتين ، لان كل واحد من أهل المدينة — من موظفيها وعمالها وخدمتها — يصح أن يكون له أوتوموبيل ، لان عددها بواشنجتون بنسبة واحد الى خمسة من عموم سكانها فاذا حضر أحدهم الى عمله قف أوتوموبيله مستظهرا للطريق بجوار الرصيف ، حتى اذا فرغ من عمله ركبه وانصرف لحال سبيله .

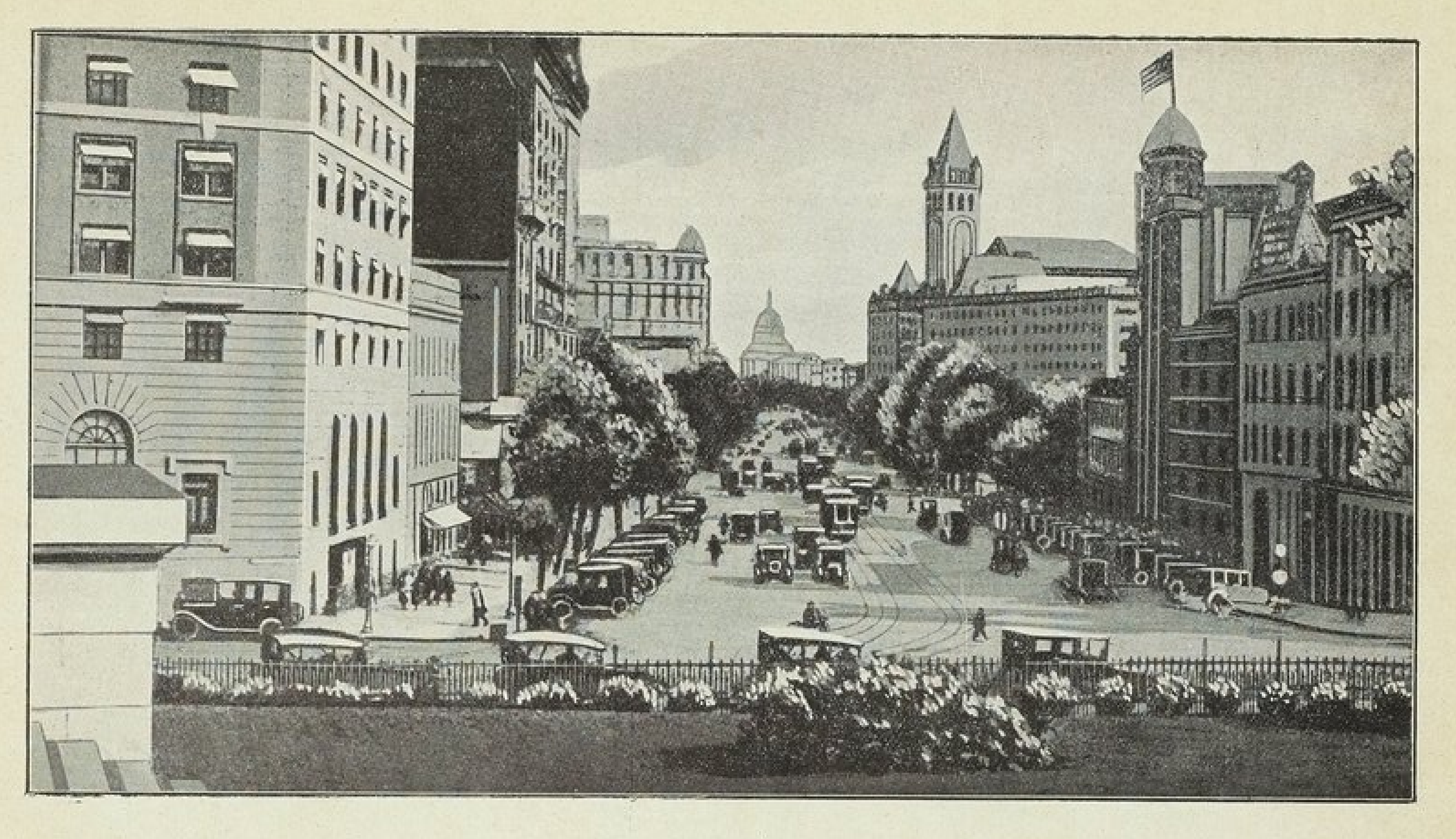
ومساكن المدينة ليست بالجسامة التي تراها في مساكن نيويورك ، بل هي بسيطة جميلة تتركب من طبقتين أو ثلاث في الغالب ، ويندر منها ما يصل الى أبعد من خمس أو ست طبقات ، ودكاكينها عادية في سعتها ، ومن المدهشات ماتراه في كل دكان من صور لنبرج المختلفة ، معروضة للبيع على أشكال متعددة ، فبينا تراه قائما ، فاذا به طائرا أو مصلحا لطيارته ، أوفي بعض استقبالاته الرسمية بفرنسا ، أو انكلترا ، أو بلچيكا — في هذه مع ملكها وملكتها — وفي تلك مع ولى عهدها ، وفي الأولى مع رئيس جمهوريتها ، ثم في استقباله العظيم في واشنجتون ، وفي استقباله الفخم في نيويورك ، ومن أعجب شئ أنك تراه مرسوما على القماش الخاص بلباس السيدات ، وعلى القماش الخاص بالمفروشات ، وترى في فترينات الدكاكين كتبا ضخمة كتب عليها هذا العنوان « سيرة لنبرج » وترى بجوار هذا كله تلك المداليات التي فيها رسمه ، ثم صورته على أبواب دور التمثيل مما لايكاد ترى معه غير صورة لنبرج أو تسمع أذنك غير اسم لنبرج ، ومن هو لنبرج ؟ ؟

لنبرج

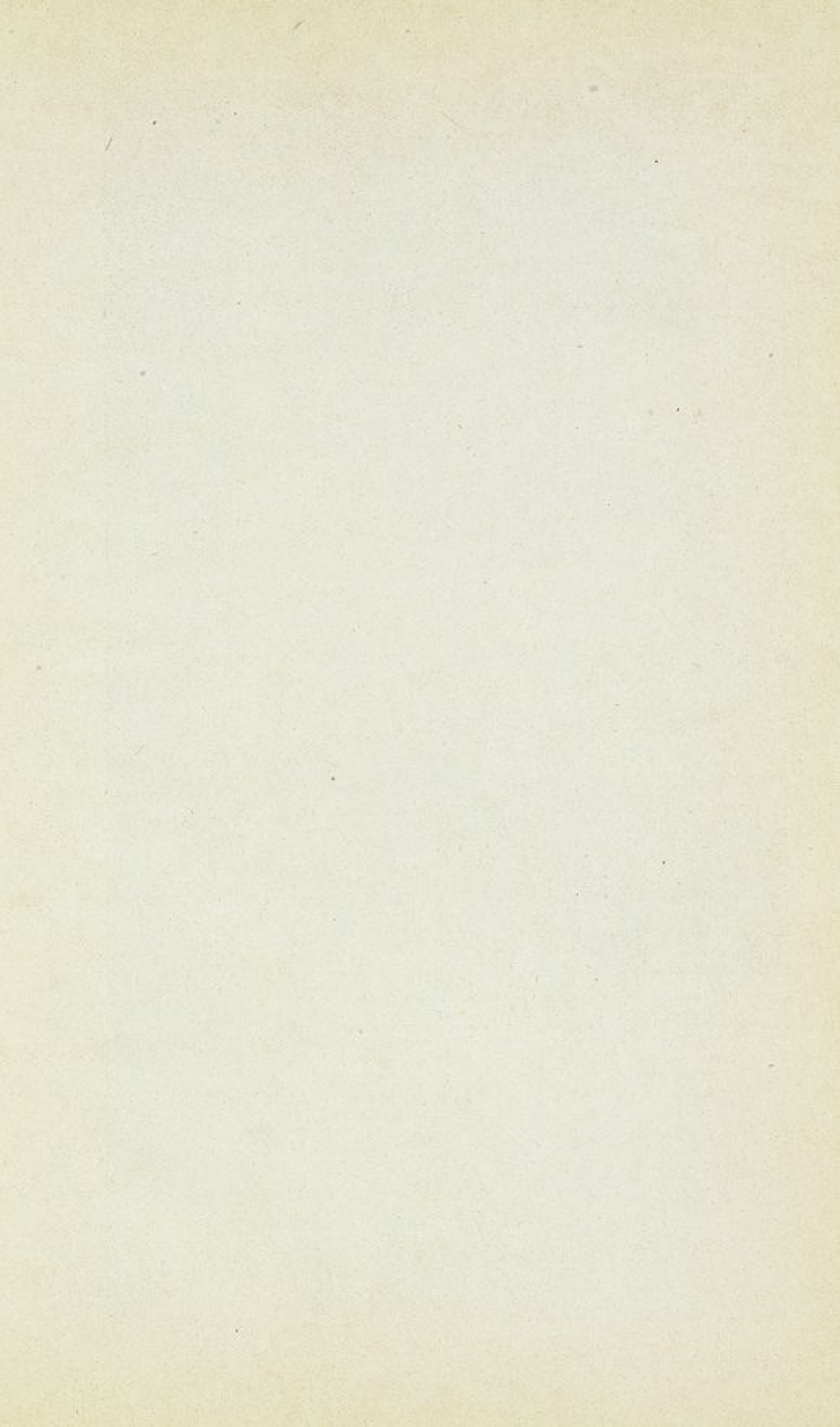
شاب عمره ٢٥ سنة، وهو ضابط فى هيئة الطيران الامريكية برتبة (يوزباشى) فلما رأى أن الافكار متجهة الى الطيران بين العالم القديم والعالم الجديد ، خصوصا وأن الطيار الفرنسى و ننجسر لم ينجح فيما أراده من قطع المسافة بين فرنسا والولايات المتحدة ، اخذ لنبرج اهبته للسفر على طيارته وسافر من غير أن يعلن من أمره شيئا ، ولم يخبر والدته إلا فى آخر وقت ، فكانت إجابتها له : « لو كنت أعلم بسفرك قبل هذا الوقت لسافرت معك » !!

طار لنبرج الى شرق الولايات المتحدة قاصدا باريس ، فوصلها بعد ٣٢ ساعة لم يذق فيها نوما، ولم يستسلم الى راحة !! وكيف ينام من كان الموت يهدده من كل جهة من جهاته الست ، خصوصا فى اليوم الأخير الذى قامت فيه عاصفة جعلت الناس فى باريس تذهب كل مذهب فى حياة الطائر ، وسوادهم على عقيدة مالا يحمد من أمره ، ولكن القدر المحتوم خالفهم ، ووصل لنبرج الى باريس فى نفس الوقت الذى أعلن عنه وهو منتصف الساعة الحادية عشرة مساء ، وكان فى انتظاره عشرات الألوف من الفرنساويين الذين كانوا مع احتفالهم به يرجون أن لو كان هذا الانتصار لمواطنهم وننجسر ! ! ولا عيب عليهم فى ذلك لأن الوطنية رحم بين أهلها .

أحتفلت الأمة الفرنساوية بالرجل من رئيسها لمرؤسيها ، من كبيرها لصغيرها كما أحتفلت به بلجيكا ، وانكلترا ، من ملوكها الى سوقتها ، وقدمت اليه نياشين الشرف من كل صوب ، ثم أرسلت اليه حكومته تستدعيه اليها ، وبعثت له بطراد حربى ليقله من مياه فرنسا الى واشنجتون ، واستقبلته استقبال كبار الفاتحين استقبالا رسميا بفرق من رجال الحرب والطيران والبحرية ، وفى مقدمتهم رؤساء البلاد مع الرئيس كولدج الذى وضع على صدره أكبر أوسمة الدولة ، وسلمه براءة أمارة



شارع بانسلفانيا بواشنجتون ص — ٥٨



آلاى من آلايات الطيران .

وكان فى استقباله من الشعب ماقدروه بنصف مليون نسمة ! ! واليوم (١١ يونيه) ميعاد وصوله الى نيويورك ، وستحتفل به المدينة أيما احتفال !! ففى كل جهة منها ترى الزينات وأقواس النصر ذات الاعمدة الذهبية ، زينات تقام عندهم لكبار الرجال ! تقام لكل مظهر من مظاهر الفتح الذى تستفيد منه الأمة ! ! لا لمظاهر عظمة الاشخاص كما هو الحال فى الشرق ! !

وهل هذه الاستقبالات والحفاوات إلا جزاء وفاقا للعمل الصالح الذى تنتفع به البلاد فى خصوصها والانسانية فى عمومها ؟ لم يصل العلم والفن الى ما وصلا اليه من مظاهر هذه المدنية السامية إلا بجزاء المحسن على إحسانه ، والمتقن على إتقانه ، بهذا سار الغرب وأمريكا بخطوات واسعة نحو حضارتهما الحالية التى تدهش الابصار وتستلب القلوب .

أما فى الشرق ! ! فليس للاحسان من جزاء اللهم غير الاضطهاد ، أو الانتقاد ، أو حسد الحساد ، ذلك لأن الحياة عندنا تكاد تكون شخصية صرفة ! ولا يمكن أن تجتمع مصلحة الشخصيات والعموميات تحت سماء واحدة . وفى نفس واحدة ؟؟ ومادمنا بهذا الخلق فانا سنكون عالة على الامم الأخرى فى وجودنا ، أشبه شئ بتلك المخلوقات الطفيلية التى تعيش على حساب غيرها .

مسلة واشنجتون

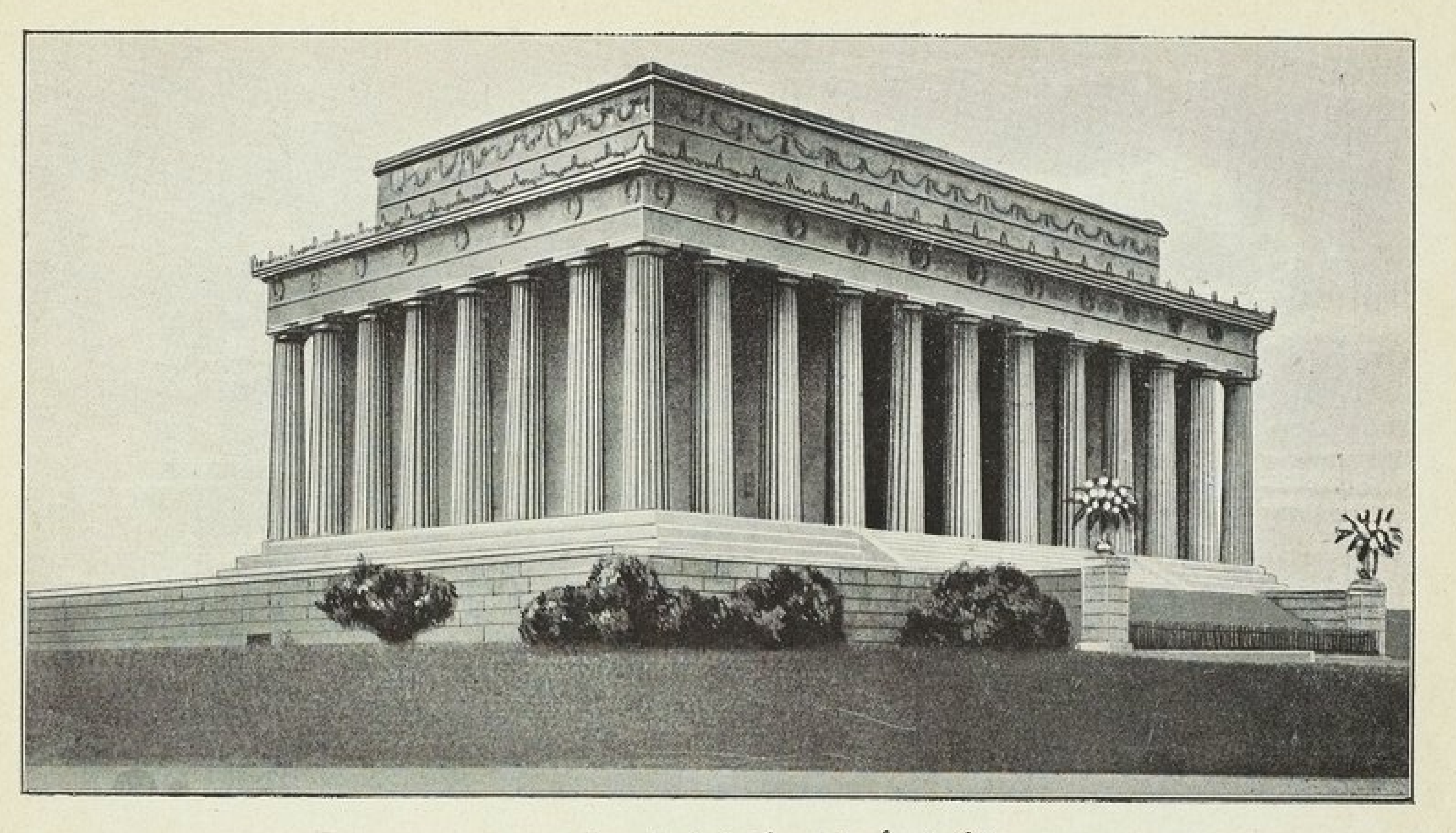
حسبنا هنا أثر على مثال آثار بلادنا : مسلة مصرية فى شكلها وقدها من بعد كالمسلة التى فى ميدان الكونكوردو بباريس ، فقلت فى نفسى : حتى فى قلب أمريكا وصلت آثارنا الخالدة ! إلا أنى لما زرتها ذات صباح هالنى مارأيته من ضخامة هذا الأثر ومن ارتفاعه ! ! وظهر لى أنه إن لم يكن مصريا فى موضوعه فهو مصرى فى فى شكله ، وكم لمدنية مصر القديمة على العالمين القديم والجديد من يد ساعدت

فى تكوين مدنيتهما وحضارتهما ! ! ولكن ما أسرع معدة الأمم الحديثه القوية فى هضم مالوطننا عليها من فضل لو أنكروه فلا يمكن للتاريخ أن ينكره . أما هذا الأثر فقد شيدوه لذكرى الرئيس واشنجتون ، وابتدؤا فى اشادته سنة ١٨٤٨ ، وتم العمل فيه سنة ١٨٨٥ ، ويصعد الى قمته بواسطه فينوكيلير (مصعد كهربائى) من داخله ، وبلغت مصاريفه ٣٠٠ الف ريال ! ! وارتفاعه ٥٥٥ قدما ، وعرض قاعدته ٥٥ قدما أو يزيد قليلا — ومن أعلا هذا الأثر ترى المدينة وشوارعها كأنها مخطوطة ، ولا يمكنك تمييز مصالح الحكومة الكبرى إلا بما يرفرف عليها من هذا العلم الذى يمثل قوة البلاد وعظمتها . وكأنى بروح واشنجتون ينظر من قمة هذا الأثر بعد قرن وربع من موته ليشاهد هذه المدينة العظيمة التى وضع أساسها ، ويتمتع برؤية هذه الأمة التى كان أول المجاهدين فى استقلالها ، والعاملين لحياتها ، تلك الحياة التى برهنت على مافى هذا المخلوق الضعيف الذى يسمى إنسانا من قوة إن أحسن استعمالها وصل بها الى عظمة تستكين أمامها جميع الكائنات ، ويستسلم لها سلطان الطبيعة بما فيه من صلابة واستعصاء .

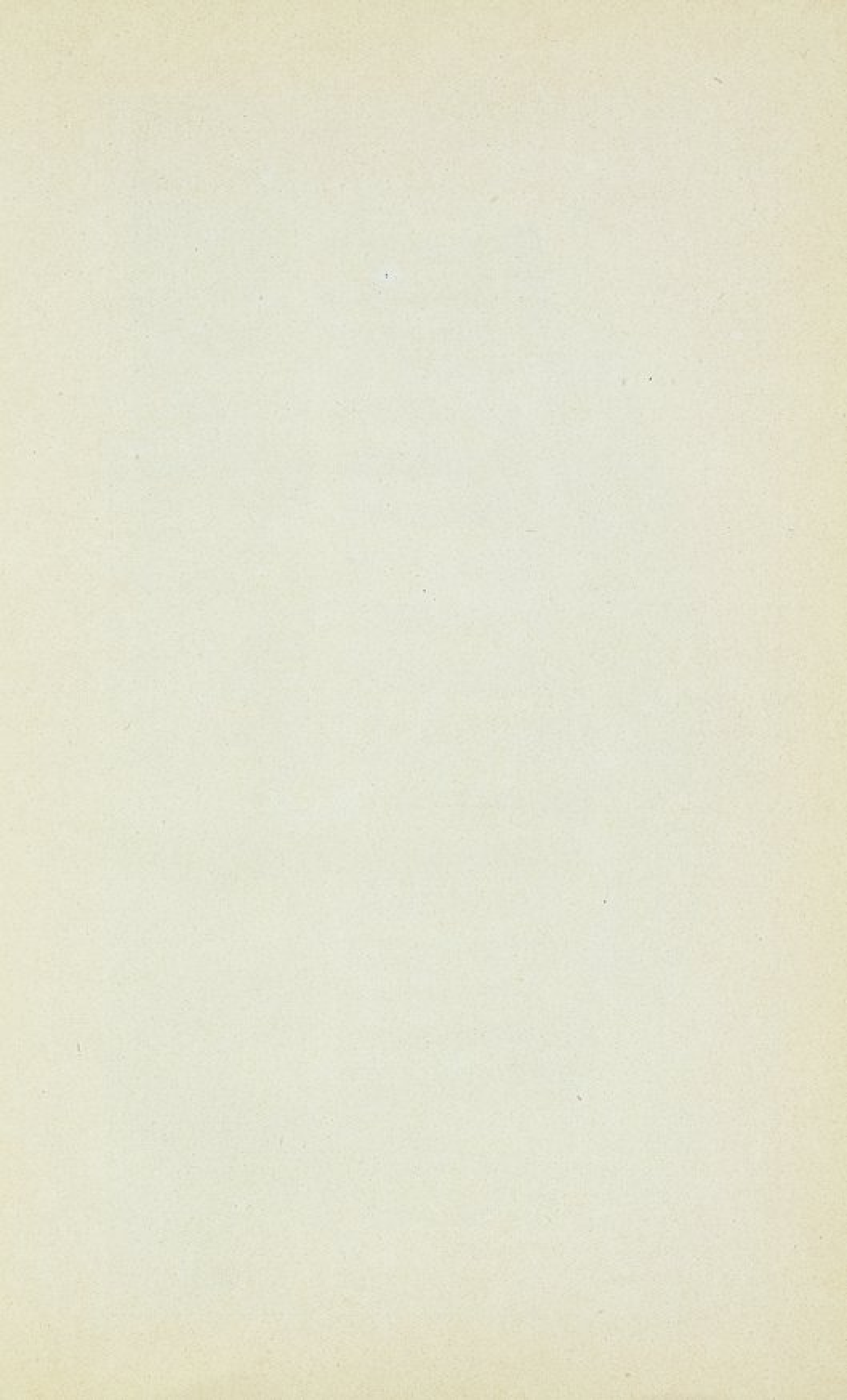
وقد شيد هذا الأثر على هضبة فى وسط حديقة غناء تنتهى الى نهر بوتوماك من الجنوب ، وبيناء البرلمان من الشمال الشرقى ، وبأثر لنكولان من الجنوب الغربى ، ويخرج من النهر خلجان تنساب فى وسط هذه الحديقة بما يحدث عنها جزر صغيرة متصلة بعضها ببعض بواسطة كبار جميلة ، وعامة هذه الجزر داخله فى الحديقة بما يزيدها رواء وبهاء .

أثر لنكولن

هو بناء مربع قام على الشكل الرومانى ، وتراه على نجد مرتفع تدور من حوله تلك الاعمدة الفخمة ، ويصعد اليه بجملة درجات واسعة فى عرض البناء ،



الأثر الذى أقيم للرئيس لنكولن فى واشنجتون ص — ٦٠



حتى اذا دخلت من بابه وجـدت بهوا عظيما مربعا ترفرف عليه روح الجلال ، وفى وسطه تجـاه الباب تمثال لنـكولن جالسا فى صندلية من الرخام قامت على قاعدة مرتفعة ، واتجاه وجهه الى البرلمـان ، كأنه يشير بذلك الى أنه هو القوة الوحيدة التى يضع كل إنسان فيها ثقته فى وصول البلاد الى سنام عظمتهما ومجدها .

وقد نقشت على حائطى المـكان من يمين ويسار تمثال هذا الرجل العظيم كلمتان له نسوق اليـك ترجمتهما لما فيهما من عظمة الأقوال التى اتصلت بما له من عظمة الافعال ، ففى اليمين :

« يجب أن نشمر عن ساعـد الجد فى تتميم العمل الذى بين أيدينا مبتعدين عن الاحقاد ، مرتبطين بروابط الاتحاد ، متصفين بالاحسان ، متمسكين بالحق فى حقيقة الحق ، لا كما نراه نحن بعين الاهواء والأغراض ، وحقيق بنا أن نضمد من جراحات هذه الأمة ونخفف من آلام من حارب من أجلها مع توجيه عنايتنا الى من تركوا من خلف صالح ، وتوحيد جهودنا فى تعزيز دعائم السـلام العام » .

وكلمته الثانيـة : —

« لقد نزل آباؤنا الى أرض هـذه القارة من سبعة وثمانين ربيعا ليكونوا أمة جديدة ، رائدها الحرية ، وشعارها المساواة ، ولم يكن دخولنا فى دائرة هذه الحرب الأهلية إلا لنعلم الى أى حـد تصل قوانا فى احتمال الشدائد ، ويجمل بنا ونحن فى هذا الميدان أن نـكرم تربته ، وأن نخصص جزءا من دائرته ليكون المثوى الأخير لهؤلاء الذين ضحوا بحياتهم فى سبيل حياة هذه البلاد ، أولئك الشجعان الذين نسير نحن على سننهم فى كل ما من شأنه تقديس هذا الميدان ، وإن كانت خطواتنا تقصر فى ذلك عن خطواتهم ، وجهادنا لا يصل الى منتهى ما وصل اليه جهادهم !! قد لا يذكر التاريخ لنا هذه الأقوال ، ولـكن صفحاته لابد وأن تتحلى بما كان لهؤلاء البواسل من عظيم الافعال !! وحقيق بنا أن نـكرس أنفسنا لتتميم البناء العظيم الذى وضعوا أساسـه ، ولتكن غايتنا الوحيـدة السير الى الامام . ويجب أن نستمد من تلـكم

الضحايا التى وصلت الى مقام الشرف إخلاصنا لقضيتنا المقدسة بقدر إخلاصهم لها وتفانيهم فى إحيائها ، وأن نعلن للملأ بان حياتهم إنما كانت كلها خيراً وبركة ، ولنعلم أن هذه الأمة التى ترعاها عناية الله ستتمتع بحرية تامة ، وأن حكومة الشعب إنما تستمد من الشعب، وتعمل لخير الشعب ، ومادامت كذلك فانها لن تبيد ابدا ».

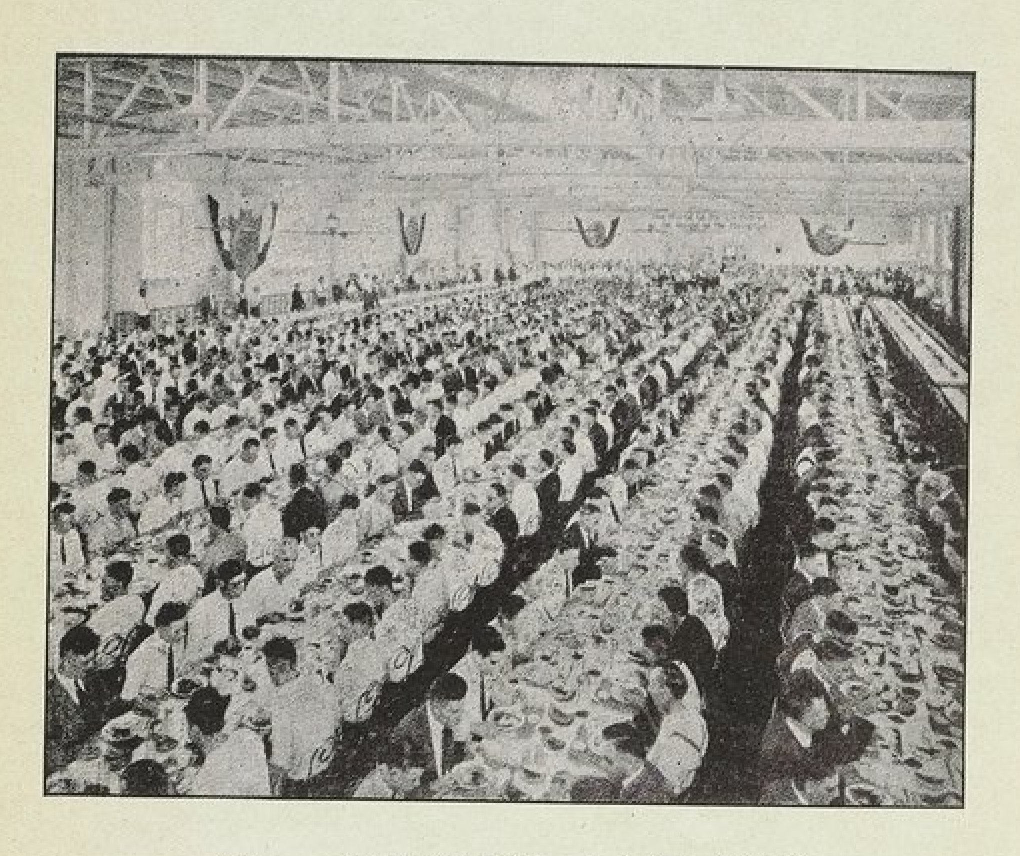
*
* *

ولنكولن هذا هو ابراهيم لنكولن الذى انتخب رئيسا للولايات المتحدة سنة ١٨٥٩ ، وفى سنة ١٨٦٠ أعلن الحرب على ولايات الجنوب من أجل محو الرقيق ، واستمرت هذه الحرب بين ولايات الشمال وولايات الجنوب خمس سنين انتهت بانتصار الشماليين ، ومن وقتها انمحى الرقيق فى الجمهورية المتحدة !! وقد قال كلمتيه اللتين ذكرناهما لك فى الميدان الذى انتصر فيه على اخصامه حتي يجمع بين عناصر الأمة من جديد !! إلا أن رجلا من الدعاة الى استمرار الرقيق قتله غيلة فى سنة ١٨٦٥ فقضى ماسوفا عليه من الجميع ! !

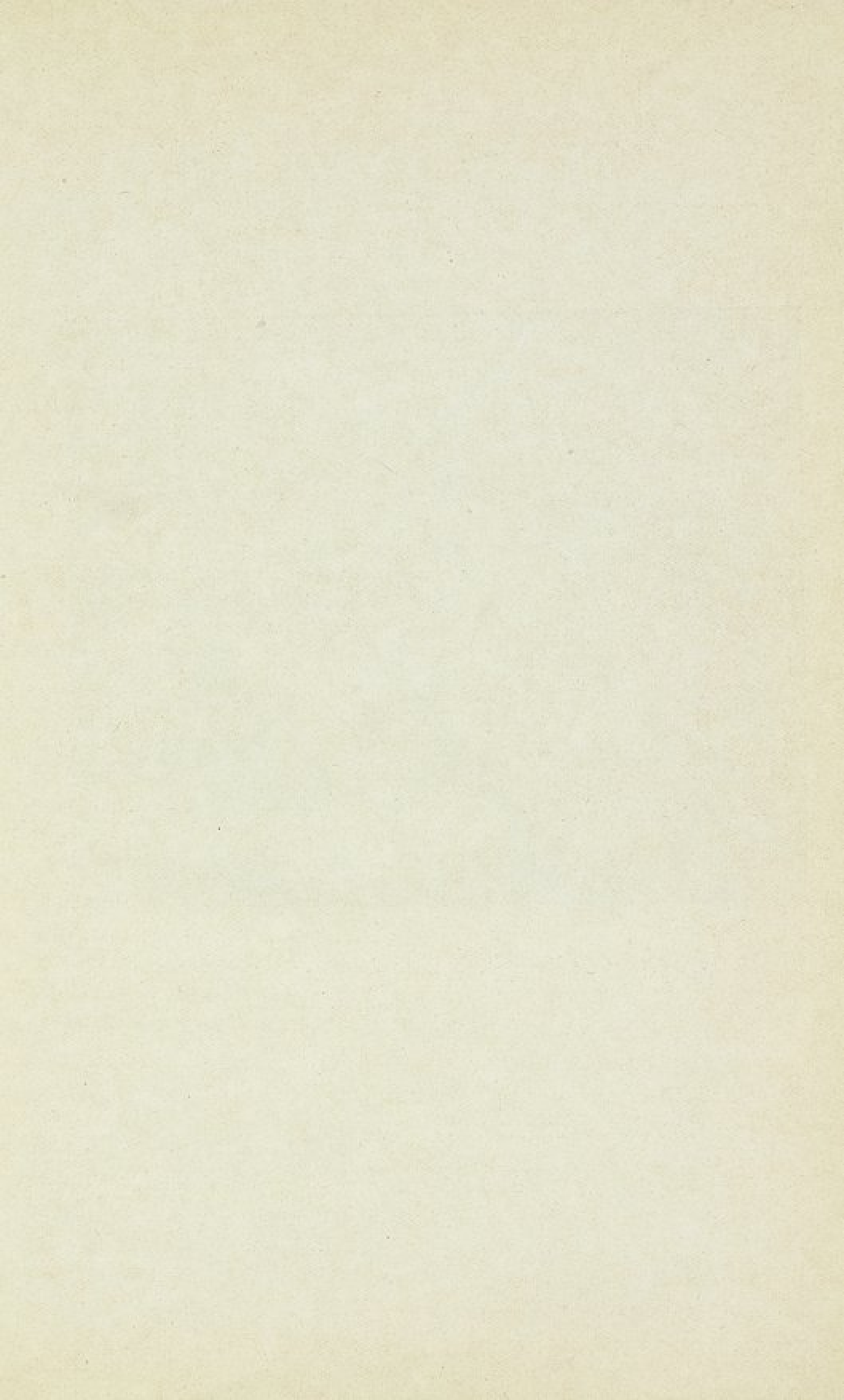
وبمناسبة هذه الحرب التى كانت من أجل العبيد أرى أن أذكر لك هنا كلمة عن العبيد الذين يكونون الآن عشر سكان الولايات المتحدة ! !

العبيد

نشط الجنس الابيض أو الاوربى الى أمريكا وجاهد جهاده مع الحمر وهم الهنود سكان البلاد الاصليين جهادا قضى به قانون الحياة ، وكان الاوربيون فى هذه البلاد الجديدة فى حاجة الى من يعمل فى تلك الارض الواسعة التى من الله عليهم بها ، فنشطوا الى مشترى العبيد من افريقا ، وكانوا يستوردون منهم العدد الجم وخصوصا فى الجهة الجنوبية من الولايات المتحدة . ولما زاد عددهم الى الحد الذى يخشى منه أخذت رؤس البلاد المفكرة فى ولايات الشمال تدرس النتيجة التى قد تؤول اليها كثرة هذا النوع من الناس وهو متأثر بنير العبودية : ذلك النير الذى قد تثور



قاعة لغداء العمال باحدى معامل الولايات المتحدة ص — ٦٢



به حميته يوما من الايام فينفضه عن عاتقه ، وربما انضم اليه فى هذه الحالة من بقى فى شمال البلاد من الحمر ، فيكونون جميعا يدا واحدة على اللون الابيض . وكان محل البرلمان الآن فى واشنجتون سوقا للعبيد يبيعونهم ويشترونهم فيه . لذلك طلبت ولايات الشمال — وكان رئيسها لنكولن — من ولايات الجنوب محو الرقيق وتحرير من فى دائرة بلادهم من العبيد فرفضوا طلبهم وأعلنت الحرب فيما بينهم ، وانتهت بانتصار الشماليين ، ومن ثم أعلن تحرير العبيد فى الولايات المتحدة ، وهم الذين يعبرون عنهم الآن بالسود .

إلا أن الحواجز كانت ولا تزال بين اللونين فى مرافقهم الحيوية ! ! حواجز لاتزال مع كثرة مافى أقوالهم من ذكر كلمات الحرية والمساواة ملموسة محسوسة ، خصوصا فى ولايات الجنوب التى لاتزال تعتبر اللون الاسود أقل الدركات الانسانية ، وله فيها تشريع خاص ، سواء فى الزواج الذى يحرم اتصال اللونين بعضهما بالآخر ، أو بعدم تسامى الاسود الى حيث يكون الابيض مهما كان الاول عظيما فى نفسه ، كبيرا فى علمه وأدبه !! بل وصل بهم هذا التشريع الى تقرير عدم المساواة بين الدماءين فى الجنايات ، وحرمانهم من حق الانتخاب ، ومن التوظف فى وظائف الحكومة ! ! وقد يبلغ عدد السود اثنى عشر مليون نفس فى الولايات المتحدة وسواد هذه العدد فى ولايات الجنوب التى كثيرا مايبلغ عدد السود فيها نصف عدد البيض ، وخصوصا فى ولايات ماريلاند ، وفرجينا ، وكارولين وجورجيا ، وألاباما ، وفلوريدا ، ومسيسبى ، ولويزيانا ، وتكساس ، واركانساس وأوكلاهوما ، ومسورى . وكانتوكى . وبتسى . فهذه الولايات يتكافأ فيها عدد السود مع عدد البيض ، أما غيرها من الولايات فالسود فيها أقل من البيض .

واذا كلمت البيض فى ذلك قالوا : إن السود جردتهم العبودية من الشرف الانسانى ، ولابد من وضعهم حيث وضعهم الله فى أحط درجة فى سلم الحياة ! ! وكأنهم يمشون هنا على رأى العربى الجلف فى القرون الوسطى : « لاتعط العبد

الكراع فيطمع فى الذراع » .

ولكن العربى كان يتحدث عن عبده بمعناه الصحيح فهل هؤلاء السود لايزالون عبيدا حتى بعد أن منحتهم حرب سنة ١٨٦٠ حريتهم كاملة ؟ وقد يقول لك الامريكانى الابيض اذا حدثته فى ذلك : يجب حصر السود فى دائرة هى الضعف بعينه من غير نظر الى شئ اسمه عواطف ، أورحمة ، أوشفقة ، أو آداب ، أوعدالة . وكأنى بهم قد نظروا فى صحيفة مصر فى القرن الخامس الهجرى ورأوا العبيد الذين استكثرت منهم أم المستنصر الفاطمى ، حتى اذا قوى ريشهم ثاروا ثورتهم التى كان من ورائها خراب القاهرة .

وبالجملة فالفوارق موجودة هنا محسوسة بين اللونين : ففى سكة الحديد لهم عربات خاصة بهم ، ولا يركبون الترام الا فى نهاية عرباته إن وجدت لهم محلات بها ، وقد حرموا قانونا من حق مشترى العقار فى كثير من الولايات ـ وفى بعضها استبدادا ـ وحتى فى التياترات لاتعطى لهم الامكنة الاولى لانها بطبيعتها مخصصة للبيض ، وحتى الكنائس لا يجتمعون فيها مع البيض بل لهم بيع خاصة بهم ، ولا ينادى الاسود بلفظ « السيد » مهما بلغ من علمه وفضله ، واذا وجد خادمان احدهما ابيض ، والثانى أسود فى بيت واحد ، فالاسود لايدخل الا من باب الخدم ، أما الابيض فيدخل وسيده من باب واحد ، وحتى أمام منصة القضاء (العدالة) اذا تقدم لها أبيض وأسود سمع كلام الاول ، وضرب بكلام الثانى عرض الحائط لانه لابد محروم من شاهد يعزز كلامه . ولهم مدارس خاصة بهم ميزانيتها لاتزيد عن عشرة فى المائة من ميزانية مدارس البيض ، وترى البلديات تعامل أحيائهم معاملة خاصة ، ولا يعيرونها الا جانبا بسيطا من عنايتهم ، بدعوى أن الميزانية ليس فيها مايسمح بالعناية بها (وهم مشتركون معنا فى ذلك فان التنظيم بمصر لا يوجه كل عنايته الا الى احياء هؤلاء البيض — الافرنج ! ! مهملا الاحياء الوطنية ، أو بعبارة أخرى أحياء السمر بدعوى عدم محل لها بالميزانية) !! وبالجملة اذا قامت بامريكا

أية شبهة على عفاف امرأة بيضاء (ولو بارادتها) ضد أى أسود فلا يغسلها غير دمه حتى إن كان بريئا !!

لايسلم الشرف الرفيع من الأذى حتى يراق على جوانبه الدم

أما اذا كان اجتماع الاسود بالبيضاء بسبب العروة الزوجية، فما أسرع من وصول الانذارات من جمعية ك . ك . ك . السرية الى الأسود بالتفريق أو الموت !!

والسود كانوا الى وقت اعلان الحرب الأوربية يشتغلون غالبا فى الزراعة، ولكن لما حصل التجنيد فى الأمريكيين كادت مصانع الشمال تقف عن العمل مع اشتغالها بادوات الحرب . فانتقل اليها نحو مليون من سود الجنوب وأخذوا من هذا الوقت يشتغلون فى المصانع لأن أجرتها أكثر من الأجرة فى المزارع، ومنهم الآن فى نيويورك وحدها مابين ٢٠٠ الف الى نصف مليون نفس وفى شيكاجو نحو ١٥٠ الف نفس !!

وللاسود فى ولايات الشمال حق الانتخاب والدخول فى الكنائس والمدارس بحكم القانون . وأصبح منهم الاطباء، والعلماء، والكتاب، بل أصبح منهم غير واحد ممن يعدون من أصحاب الملايين بنيويورك !! ولكن على كل حال لاتزال الفروق بين اللونين محسوسة خصوصا فى مسألة الزواج، فانه مع كونه مباحا للاسود فى الشمال فان الزوجة لاتكون متمتعة باحترام قومها مهما كانت منزلة زوجها الاسود من الثروة والعلم .

وقد وصل بعض السود فى مدة الرئيس روزفلت الى بعض مراكز الحكومة العالية، فبعضهم تعين نائبا عموميا فى مقاطعة دلاور، وبعضهم فى وظائف مالية كبرى فى مقاطعة شارلستون .

والفضل فى نهضة السود لرجل منهم هو الزعيم بوكر واشنجتون وهو من خيرة رجال أمريكا فضلا وأدبا وعلما، نشأ عبدا فى عائلة بفرجينيا، ثم تحرر بعد الحرب الداخلية وهو صغير، وكان لايزال فى خدمة صاحب المزرعة التى ولد فيها،

وكان يذهب مع بنت سيده كل صباح الى المدرسة يحمل لها كتبها ، وكانت عيناه تغرورقان بالدمع لرغبته القوية فى التعليم وأبوابه مقفلة فى وجهه ، ولكن رغبته لم تقف به عند حد !! فقد كسر بها جميع الموانع حتى وصل الى المدرسة التى فتحها الجنرال أرمسترنج للعبيد فى مدينة ريشموند ، ومازال يرقى فيها من بواب الى فراش الى سفرجى يعمل نهاره فى وظيفته ويجد ليله فى دروسه حتى أتى يوم تعين فيه بعد أن أتم دراسته بوظيفة مدرس بنفس المدرسة !!

وكان لايقتصر على التعليم بالمدرسة بل كان فى أوقات فراغه يذهب الى البلاد المجاورة ويعقد المجامع للخطابة فيهم وارشادهم الى أبواب الفضيلة ، وكانت خطبه فى أول الأمر دينية لاتتجاوز حدود الارشاد ، حتى وصل الى درجة هى من أرقى درجات الخطابة : من سلامة عبارة ، وفصاحة قول ، وبلاغة تأثير ، فاشتهر أمره ، وانتشر ذكره ، ودعاه الجنرال أرمسترنج الى عمل جامعة للعبيد فى مدينة توسكاجى ، فنشط الى هذه المأمورية ولم يملك من المصاريف التى تلزم لها كثيرا ولا قليلا ، ومازال بهمته ودعوته ومتانة خطابته ، حتى وصل الى مايرجو ، فشيد جامعته من التبرعات التى وصلته من رجال المال . وهاهى الآن من أكبر الجامعات يتعلم فيها أربعة آلاف نفس من السود من الجنسين !! ولكل جنس مدارس خاصة به : فقسم الذكور به ٢٥٠٠ تلميذ ، وفيه قسم لعمل الطوب ، وقسم للسمكرية ، وقسم للجزمجية ، وقسم للسروجية ، وقسم للكوالنجية ، وقسم للحدادة وأعمال الزهر ، وقسم للنجارة الدقيقة ، وقسم لعملية الألبان ، وقسم للمطبعة ، وقسم للحفر وقسم للنقش ، وقسم للرسم ، وقسم للخياطة ، وقسم للاشغال الكهربائية ، وقسم للطبخ ، وقسم للغسيل ، وغير ذلك — أما التلميذات فيتعلمن الخياطة والغسل والكى والطبخ .

وفى هذه الجامعات تخرج كثيرون ممن تفتحت أمامهم أبواب الرزق ، وهاهم الآن وفى يد مئات الألوف منهم أزمة البيوت والمطاعم وحركة المصانع . وقد

انفتحت للسود أبواب معاهد أخرى كثيرة يقرؤن فيها كثيرا من العلوم أهمها : جامعة هوارد بواشنجتون ويبلغ عدد طلبتها من الجنسين الفان وخمسمائة طالب ، وكثير منهم يصل الى درجة استاذ فى العلوم . وبهذه الجامعة مدرسة للطب ، ومدرسة للقانون ، ومدرسة للتجارة ، وأخرى للفنون الجميلة والموسيقى . ولهم بواشنجتون مستشفى جميع أطبائه وممرضيه من السود الذين تعلموا فى جامعة هوارد . وتبلغ مصاريف هذا المستشفى سنويا نحو ٢٥٠ الف دولار . وبالجملة فالسود اليوم غيرهم بالامس : فمنهم المتعلمون ، ومنهم كثير ممن أحرز لقب دكتور فى الطب أو الحقوق. وقد كان فراش عربتنا فى سكة الحديد وقت دورتنا بالولايات أسوداً ، وكان يقول الشعر ، وهم إن لم يكونوا متمتعين بمحبة البيض لهم فقد أصبحوا فى أمن من مظاهر حقدهم ونقمتهم ، ولكن هل من المصلحة العامة أن تستمر هذه الفوارق ؟؟ كلا فان معاملة عشر الأمة بغير قوانينها — وخصوصا فى الجنوب — ربما يؤدى يوما الى مالاتحمد عقباه ، فقد تثور ثائرة السود دفاعا عن كيانهم حتى يحققوا بيد القوة والحق تلك الحرية الزائفة التى منحوها سنة ١٨٦٥ .

المتحف الجيولوجى

هو خليط من معروضات مختلفة ، وفيه كثير من الاحجار والمعادن المتغايرة من ذهب وفضة ونحاس وغير ذلك على حالتها الطبيعية . وبجانبها هيا كل كثيرة من تلك الحيوانات البائدة التى وجدوها بين طبقات الصخور . وفيها هيا كل لم ترد على نظرى فى متاحف أخرى من العالم القديم ، فقد رأيت بها هيكل حيوان بحرى طوله نحو عشرين مترا ! ! وبجواره رأس حيوان هائل عددت فى فكه العلوى خمسين سنا . وفى السفلى ثلاثين سنا ! ومتوسط طولها نحو ١٥ سنتيمترا ، يتخللها أنياب قليلة متقابلة فى وسط الفكين .

تركت هذه الغرفة الى غيرها بسرعة لانى بعيد عن العلم بشئ منها ، ودخلت

غرفة فيها تماثيل الهنود (الحمر) سكان الولايات المتحدة وهم فى حياتهم المنزلية : هذه تغزل ، وأخرى تنسج ، وغيرها تطبخ ، ورابعة تطحن الذره بتمرير اسطوانة من الخشب على الحب الذى من تحته قاعدة حجرية مائلة ، فينزل المهروس الى أسفل الحجر ، فلا تزال ترفعه بيدها حتى يستحيل الى دقيق ، وبجوارها امرأة أخرى فتأخذه وتسويه على طبق من حديد موضوع على النار . وهى حياة أشبه شئ بحياة السودانيين ببلادنا (على رأى الدكتور محجوب) .

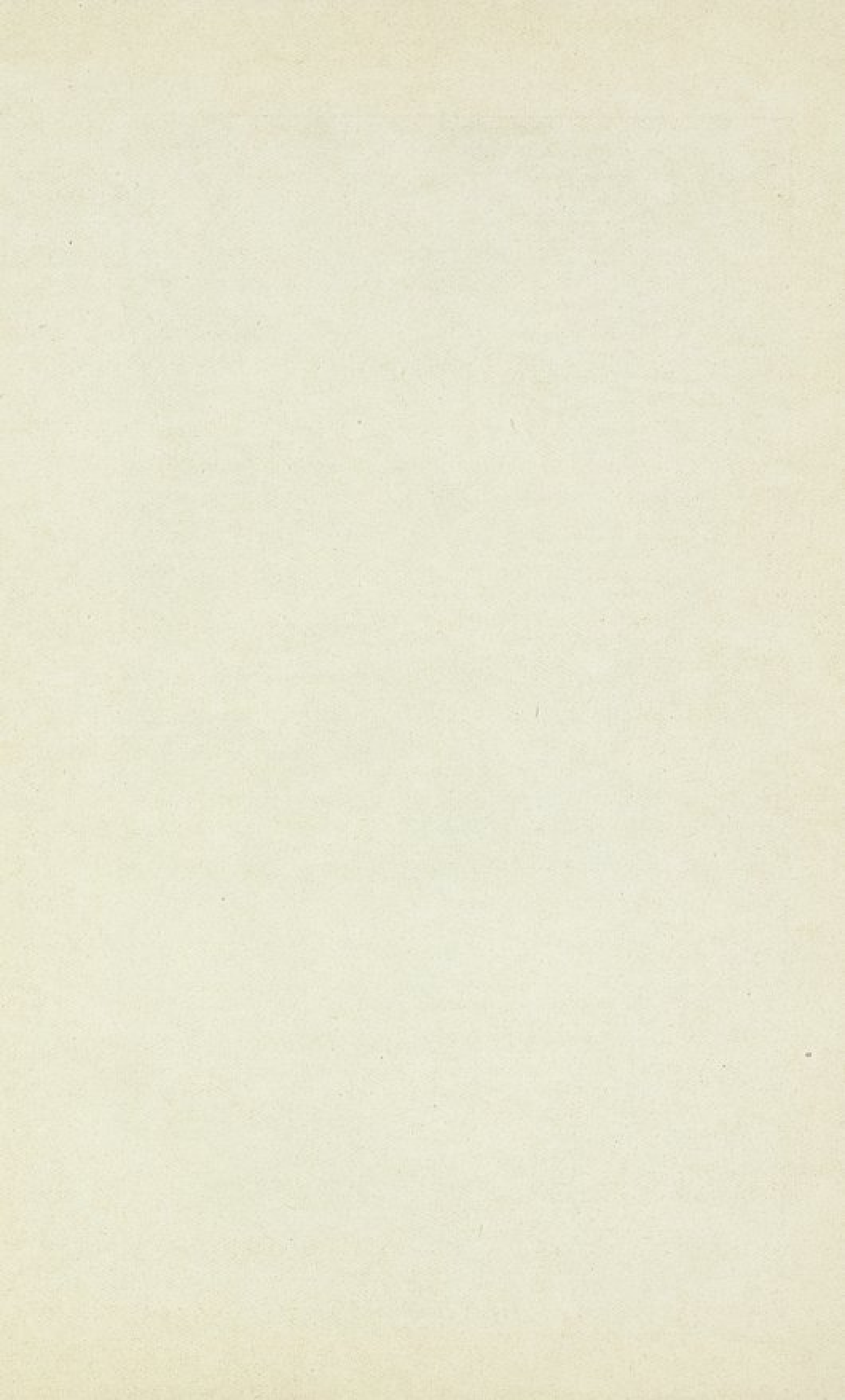
ثم دخلنا الى قاعة رابعة وخامسة وسادسة ، وفيها آثار بلاد مختلفة مع صور أهلها ممثلة تمثيلا ، فمن صينيين ، وهنود ، ويابانيين ، وأعجام ، وملاريين ، وغيرهم وغيرهم وبجوارهم ما تتعرف منه عقائدهم وأحوالهم الدينية والاجتماعية .

وقد تركت ذلك الى قاعة فيها الحيوانات الاهلية مصبرة على حالتها الطبيعية ، وهى منفردة حينا ، ومجتمعة فى دائرة حياتها العائلية أحيانا . فمن غزلان وتياتل اذا رأيتها فى الوسط التى هى فيه بالمتحف عرفت كيف هى تعيش فى صحاريها ، ومنها سباع قد تراها فى اجتماعها العائلى فى صعيد واحد ، هذا يأكل من بقايا فريسة له ، وذلك يشرب ، وأشبال تلعب ، وقد ترى غابة من البردى وقد برزت منها رأس حيوان هائل اذا تحققته رأيته مايسمونه عندنا بذى القرن الوحيد (الخرتيت) وهو هنا له قرنان يتلو أحدهما الآخر ، أو ثلاثة قرون تنأت فى زوايا مثلث من جبهته .

وأحسن شئ أعجبنى : تلكم الامهات ومعهن اولادهن ، وهن يلقين عليهن دروسا فى علم الحيوان — دروسا عميقة فى حياة الحيوان وفى شكله ومقره ، والفائدة التى حصل العلم عليها منه وما يدخل منه فى الصناعات المختلفة ! ؟ وهنا خطر ببالى السواد الاعظم من نسائنا وهن لايدخلن المتحف إلا للحبل ! ! ولتمثيل فصل من فصول الحبل ! ! وبجوار هذا وذاك قاعات خاصة بالطيور المختلفة الاشكال والألوان وكأنى بك اذا أبصرتها وهى على أغصانها يذهب بك جمال شكلها فى نظرك بما تتأثر له أذنك حتى لكأنك تسمع تغاريدها وتشنف أذنك بشجى ألحانها .



متحف التاريخ الطبيعى فى شيكاجو ص — ٦٨



أما ابغال البحر : وهى الحيوانات التى تعيش فى الماء وعلى ظهر الارض ، فهى كثيرة جدا بحيث لم أتمكن من التعرف منها إلا على جملة سحالف مختلفة الاشكال والاحجام . وقد رأيت طائفة من الدب الابيض صادت بعض هذه الحيوانات ، ودارت حول فريستها تتشممها ولاتقترب منها ، ولا أدرى اذا كان هـذا الدب فى منطقته الثلجية كمثله فى منطقته المعتدلة ؟ على مذهب المعرى أيضا (من النباتيين) وانتهى بنا المطاف الى قاعة فيها صور صغيرة من المراكب الحربية ، وعليها مدافعها وآلاتها الجهنمية التى خلقت لعذاب الانسان فى هـذه الدنيا بيد أخيه الانسان . فتركتها راجيا من الله أن يحقق مايدعونه من هذه الاكاذيب التى تدور حول تقليل التسليح فى ممالك الحرب ! ! وهى كلمات إن خدرت أعصاب الشعوب التى أهلكها الحرب فانما هى تهيج اعضاء ورؤساء الامم الذين لايرتوون من الدماء .

الشعب الامريكى

نشطت هجرة الأوروبيون الى الولايات المتحدة فى فجر (القرن السابع عشر) فكانت كل طائفة منهم اذا احتلت جهة أخذت فى تعميرها ووضعت لها أعلاما تربطهم ببلادهم ، وتذكرهم باوطانهم ، وقد يضيفون عليها لفظة نيو (جديد) فالانكليز وضعوا للجهات التى شيدوها أسماء منها : نيويورك ، وبرمنجهام ، وهافر ولندن ، ومالطه ، والطليان وضعوا للبلاد التى أقاموها أسماء طليانية منها : رومية ، وفلورنس ، ونابلى ، وغيرها . والفرنساويون وضعوا لبلادهم أسماء فرنساوية منها : ليون ، وفرساى ، وباريس ، والألمان سموا بلادهم باسماء مدن ألمانيـة منها : نيوونسبروك ، وفرنكفور ، وهامبرج ، وفينا . وأطلق الأوروبيون هنا أسماء أفرنكية أو شرقية على مدن أمريكية مثل : قرطاجه ، وأثينا ، والجزاير ، وفلسطين والقاهرة ، واسكندرية ، ومصر الجديدة ، ومنفيس ، وهذه الاخيرة من أكبر مدنهم . فأخذتنى الغرابة من القوم الذين أحيوا مدينة نحن أمتناها ، وذكروها

بين الاحياء ، فى حين ذكرنا لها بين الاموات ! !

ومن هنا نعرف أن الشعب الامريكى خليط من أبناء دول مختلفة ، وهم يختلفون فى طباعهم وعوائدهم وصفاتهم : فالانكليزى بعظمته ، والالمانى بكبريائه والفرنساوى بوداعته ، والروسى بغطرسته ، والاسبانى بخفته ، والسويدى بتؤدته ، والطليانى بدعوته ، واليونانى باحتياله ، والصينى بمكره ، واليابانى بخطره . كل هذه الصفات اجتمعت فى الامريكى بعد أن طبخت كلها فى إناء واحد ، وعلى الخصوص فى سكان الولايات المتحدة .

وقد ترى صفات الجنسية قائمة بذات الشخص اذا كان لايزال دمه الاصلى فى عروقه ، وكانت نسبته الى الامريكية لم يعترها شئ من القدم . أضف الى ذلك كله فضل الاتحاد ، وقوة الثروة ، ومجد تكوين أعظم دولة فى العالم ثروة وزراعة ، وعلما وعملا ، واختراعا وابداعا ، فى مدة يسيرة هى عمر فرد واحد من الناس !! !

نعم قام مجد هذه الدولة من قرن ونصف على الاتحاد ، ووصلت عظمتها الى عنان السماء بفضل صادق الجهاد ، وكانت قبل ذلك أشتاتا فى مجاهل الصحارى ، تقذفهم مفازة الى أخرى ، ويلفظهم تيه الى آخر ، وتتلقفهم يد بعد يد ، حتى هداهم نشاطهم ومثابرتهم فى طريق الحياة الى قوة دفعوا بها المسيطرين عليهم فى تلك الحرب التى يسمونها حرب الاستقلال ، الذى نالوه بجهادهم فى ٤ يوليه من سنة ١٧٧٦ : ذلك اليوم الذى أصبح عندهم يوم تقديس وتمجيد ، ذلك اليوم الذى هو عندهم يوم الدين والدنيا جميعا ، ذلك اليوم الذى كان له ما بعده من هذه المملكة الهائلة ، وتلك الثروة الطائلة ، ذلك اليوم الذى كان له ما بعده من مجد عظيم ، وخير جسيم ، أحيت كل قطرة من دمائهم فيه قطراً ، وتكونت من مادة كل ضحية فى سبيل استقلالهم أمة ، بيدها اليوم الترمومتر الحساس لسعادة العالم ! ! رفعته إن شاءت ، أو خفضته إن أرادت ! ! قوم صدقوا الحملة فنالوا صداقها ، وأحكموا الجملة فكان لها معنى بين طرفيه ما أرادوه من حرية وحياة ، ومجد وثراء ،

قوم لم يجعلوا الكلام سلاحهم ، والقطيعة وحدتهم ، بل كانوا كلهم يدا واحدة على عدوهم ، فنالوا بفضل الجهاد وفضيلة الاتحاد ـ الغلبة التى بنوا بها صرح فخارهم ، وحصن وجودهم . اشتغلوا بما تحت الارض فوجدوا بين طبقاتها مانسمعه فى كتب الاقاصيص من كنوز الذهب والفضة والجواهر المختلفة ، فكانت منها مطيتهم الى جلائل الآمال ، ثم وجدوا الحديد ، والنحاس ، والقصدير ، والفحم ، والبترول ، فاقاموا بها ومنها جسيم المصانع التى أصبحت أعجوبة الزمان ، ودهشة بنى الانسان ، وقد خرجوا من باطن الارض الى ظهرها : فاشتغلوا بالزراعة التى هى حياة الناس من جميع الاجناس . ومع أن أسواق العالم مكتظة بها فانهم على الاقل قد آمنوا مد يدهم الى غيرهم من هذه الجهة ، حتى لو تكاثر نسلهم وتضاعف عديدهم ، وكيف وهم الآن أسبق الأمم فى الزراعة أيضا . ثم اشتغلوا بعد ذلك بجوها فكانوا هم السباقون فيه ، ولايزال تمجيد العالم لطائريهم يملأ المسكونة من شرقها الى غربها .

وقد وهب الله هذا الشعب وهو فى بدء أمره ، رؤساء كان همهم إسعاده وإرشاده الى كل مافيه خيره : نسوا أنفسهم فى تكوينه ، وتخطوا جميع الموانع والمخاطر فى استقلاله وحريته ، واذا عرفت أن واشنجتون بعد أن انتصر على الانكليز فى حرب الاستقلال وأجلاهم عن أرض الولايات المتحدة ، عرض عليه تاجا فأبى ذلك بكل كبرياء ! ! وأنه لما انتخب رئيسا لجمهوريتها ترك منصة الحكم لغيره بعد اكمال مدته ثم لجأ إلى مزرعته يعمل فيها كأحد أفراد الناس حتى وافاه أجله ـ عرفت أن لرؤساء البلاد وزعمائها كل الفضل فى تكوينها وسعادتها ! ! وهل تنسى أن محمد على هو صاحب الفضل فيما ترفل فيه مصر من حلل الرفاهة والثروة ؟ ؟

والشعب الأمريكى من الأمم الحية التى كلها شبيبة لاتعرف الكهولة ولا الشيخوخة . لامن الوجهة التى يقول عنها الفرنساويون : « إن القلب لايشيخ لانه

يجب أن يكون على الدوام فى فرح ونشاط الشباب » ولـكن لأن هؤلاء لايعرفون غير العمل ، وهو وحده حياتهم شبانا كانوا أو شيبا ! نعم إنهم لايعرفون الشيخوخة ولا يفهمون لها معنى ، لذلك تراهم أصحاء أقوياء نشطاء لاتقوس فى جسمهم ، ولا لفتة ولا فتلة ، ولا ينقم عليهم فى الوسط الذى يعيشون فيه غـير الميكروبات وما يتصل بها من بنى الانسان !! والشيخوخة عندهم مرض يجب محاربته ، ولا يمكن أن يكون المحارب متصفا بغير صفات الشجاعة والنشاط واليقظة والصبر وعدم الاستنامة الى حادثات الأيام : بهذه الصفات يحاربون الشيخوخة (وهم بها فى غير حاجة الى نصائح فورونوف) وبهذه الصفات تراهم شبانا وهم فى لباس الشيخوخة ، واذا كان شيخنا يقول :

إن الثمانين وبلغتها قد أحوجت سمعى الى ترجمان

فهؤلاء يبلغون الثمانين ومافوق الثمانين وهم حافظون لجميع قواهم ، حتى لترى الابن والأب والجد فى عملهم ولهوهم وجـدهم وهزلهم وراحتهم ونزهتهم كانهم فى فى حدود سن واحد كله حياة فى حياة .

والشعب الأمريكى مشهور بثروته وسرائه ، ولـكن ليس معنى الثروة بأمريكا أن كل الناس أغنياء ، بل أفراد منهم ـ ولا أقول قليلون ـ وصلوا اليها من زمن بعيد : فالأب قد وصل الى بعض الثروة عن أبيـه عن جده ، وقد تركها مضاعفة الى ابنه الذى زاد فيها بدوره حتى أصبحت لها قيمتها فى دائرة الملايين ، أو ملايين الملايين ، وقوامها كلها على العمل ـ قوامها كلها على الجهاد فى طريق الحياة . أما عندنا ؟ فالوارثون هم المضيعون فى الغالب ! ! حتى أصبح لفظ وارث اذا أطلق عندنا فانه لاينصرف الا الى هـذا الذى لايعرف للمال قيمة ، لأنه لم يتعب فى تحصيله : وعلة هـذا كله التربية غـير الصحيحة ، تلك التربية التى ترانا محرومين منها فى مدرستنا الاولى المنزلية ، ثم فى مدارسنا الابتدائية التى ليس للتربية فى بر وجرامها نصيب ، وإن وجد شئ من ذلك فهو تافه لاقيمة له .

والعصاميون الذين وصلوا هنا الى ثروة بعيدة الأطراف بعملهم وجهادهم كثيرون جدا ، عصاميون وصلوا اليها بالعمل من طريق العمل ومن وسط العمال إذا فالثروة هنا ليست فى معادن الذهب كما نعتقده مما نراه عندنا أحيانا على صفحات السما ، وليست فى طوع كل من يريد أن يكون سريا كما يخطر على بال أغلب المهاجرين الى هنا : بل هى حياة فى جد فى عمل فى جهاد فى نشاط ، وفكرة الذهب قد أماتها الله من زمن بعيد ، وأصبح أمر الذهب وقد انتهى من على سطح الأرض فى كاليفورنيا واختفى فى باطنها ، يستلزم فى اخراجه عناية كبيرة ، ونفقات كثيرة لا تقوم بها غير الشركات الغنية . اذا فالثرة هنا هى الآن كما هى فى كل مكان نتيجة عمل العاملين .

والشعب الامريكى مشهور بكرمه ، ولكن لا على الافراد، بل على الجماعات. وكثير من سراته يساعدون الانسانية ، ولكنهم لا ينظرون اليها من جهة ضعفها ، بل من جهة عظمتها وفخامتها ، لذلك تكاد لا ترى فى أمريكا شيئا من جيوش هؤلاء المتسولين فى جهات كثيرة ، وخصوصا فى مصر ! !

لقد كان الشعب الأمريكى الى زمن غير بعيد يضم الى عقائده الدينية مذهبا سياسيا هو مذهب مونرو ، الذى كان رئيسا للولايات المتحدة من سنة ١٨١٦ الى سنة ١٨٢٥ ، وهو خامس رئيس لها ، اشتهر أمره فى حرب الاستقلال بهمته فى خدمة بلاده ضد أعدائها ، كما كانت له شهرة عظيمة فى سياسته وكياسته ، وهو مشهور بمذهبه السياسى الذى أعلنه فى الجمعية العمومية الوطنية فى ٢ دسمبر سنة ١٨٢٣ وهو : « أمريكا للأمريكيين » . ومعنى ذلك أنه لا يمكن لأية دولة أخرى مهما كانت صفتها ، أن تتعدى على حرية أية جهة من جهاتها ، كما لا يصح للامريكان أن يتعدوا حدود بلادهم حتى لا يشغلوا أنفسهم بحرب تحولهم عن وجهتهم ، أى عن تكوينهم المالى والصناعى والتجارى والزراعى . وبقيت هذه القاعدة دستورا محترما يعمل به فى الممالك الأمريكية ، وبه طردوا اسبانيا من كوبا سنة ١٨٩٧ ،

ومن ثم أصبحت أمريكا كلها خالية من الاستعمار الاجنبي، اللهم إلا ما كان من دخول كندا فى الاتحاد الانكليزى .

ولقد كان انتصارهم على اسبانيا مهيجا لعاطفتهم الحربية ، حتى إذا رأوا لهم مدخلا فى الحرب الاوربية رموا بأنفسهم فى وسطها ، وخرجوا منها بجميع المكاسب الأدبية والمادية . وهم الآن مع رفع عقيرتهم بحبهم لتقليل السلاح حتى يعيش العالم فى هدوء وسكينة ، تراهم يزيدون فى أساطيلهم ، ويهيجون عواطف الناس بكثير من مناظر الحرب فى جرائدهم ، وخصوصا فى دور السنما ! ! وفى نيويورك أحد هذه السينماوات لايشخص فيه غير المناظر الحربية على الدوام ! ! بحيث يخرج الشاب من تحت سماء هذا المكان وقد ، تشم رائحة البارود من فيه ! ! وتسمع صوت القنابل من بين فكيه ! ! فما معنى ذلك ؟ ؟ أكل الجواب الى مستقبل قد يكون قريبا .

الرجل الامريكى

والرجل الأمريكى عامل غريب فى جميع أطواره عن رجل العالم القديم ، فهو عالم وحده فى طبيعته وعقليته وأنظمته ، عالم راق فى صفاته ، متين فى أخلاقه وللزمن عنده القيمة الكبرى . وهو لايعرف للحياة معنى غير العمل والكسب ، ولا يعرف للعمل صفة غير النظام والدقة والاجادة التى أصبحت طبيعة فيه ، لايتكلف شيئاما فى سبيل القيام بها ، ولاتقف همته من عمله عندشئ يسمونه عندنا القناعة : لأن كل عمل فى عقيدته سلم لغيره من عمل هو أكبر وأظهر ، ولادافع لهولا منشط فى هذا السبيل غير نفسه ، التى تقوده على الدوام الى آمال بعيدة، تصل به أو يصل بها الى حياة مجيدة . ومن صفته العناية بجميع الأعمال صغيرها وكبيرها ، بحيث لاتنقص عناية الرجل بالشئ الذى قيمته قرش واحد ، عن الشئ الذى قيمته ألف قرش ! ! وهو يعنى بالقيام بمواعيده فى نفس الدقيقة التى حددها ،

ويحافظ على زمنه الى الدرجة التى لا يقطع عليه طريقه فى عمله عمل آخر ، وإذا تكلم فى التليفون فانما يكون ذلك بسرعة هائلة لا يفقد معها ثانية واحدة ليست ضرورية فى العمل ، ومن محافظته على الزمن الأجابة على المحررات فى وقتها ، واذا توقفت سيارة بانسان فى طريق عمل تركها الى غيرها . ومن محافظته على الوقت أنه يرى التجديد خيرا من الترقيع ، وجر ذلك الى أن السيدة التى ترى ثقبا فى جوربها فتلقى به لتأخذ غيره جديدا ، لأن ثمن الجديد عندها أقل من قيمة الزمن الذى تخسره فى الترقيع !! ومن قيمة الزمن عندهم أن يجعلوا لكل شئ حدا ، فاذا أردت أن تقدمه عن موعده كان لذلك أجره .

والرجل الأمريكانى رجل جد وعمل وكفاح فى سبيل نجاحه فى أى أمر من ضروب الحياة ، وهو فى حرب مستديم الى حاجته ، حتى اذا ظفر بها تعداها الى غيرها بنية فتية ، وارادة قوية ، وعزيمة من حديد . فهو قوى النفس ، قوى الجسم ، قوى القلب ، وليست للعاطفة من سبيل الى قلبه ، وهو فى طريق عمله لا يشفق على نفسه ، ولا يرحم غيره . واذا وجد عنده شئ من العاطفة فهو فى أخس درجاتها وهو فى ذلك يخالف الرجل اللاطينى الذى للعاطفة عليه تأثير كبير ، وبخاصة الرجل الشرقى ، والفرق بين هذين الرجلين فى تأثير العاطفة : أنها لا سلطان لها على الاول الا اذا فرغ من عمله ، ولها كل التأثير على الثانى حتى وهو بين براثين الخطر ، قال عنترة :

ولقد ذكرتك والرماح نواهل منى وبيض الهند تقطر من دمى

وقال الآخر :

ولقد ذكرتك و(الحمار معاندى) وسط الشريط وقد أتى الوابور

وفى الجملة : فالامريكى نهض الى العالم الجديد فى أوائل القرن السابع عشر ، من العالم القديم بخلاصة مدنيات كثيرة ، ووجد أمامه تربة صالحة لبذور حديثة ، فانتجت خير البذور وجم الغلات . وجد أمامه أرضا بكرا لم تمسسها يد أنس قبله

ولا جان من يوم خلقها الله ، فقد احتفظت الطبيعة بكنوزها وبما فى جوف أرضها ، من معادن مختلفة ، وجواهر متغايرة ، كما احتفظت بما على سطحها من التربة الغنية بعناصر الانتاج الزراعى . هذه تربة أصبحت تمد يدها بكرم حاتمى الى كل ما يلقى فيها من بذور النباتات المختلفة فى مناطقها الطبيعة ، من ثلجية ، ومعتدلة ، وحارة . فتنمو فيها جميعها نموا مدهشا ، لايشبهه الا ذلك الولد الذى أتى من أبوين شابين قويين ، قد أحاطاه بكل نوع من أنواع التغذية السليمة ، والعناية التامة .

ترك الأمريكى وجه الأرض وتغلغل فى باطنها ، بعد أن مهدها لحياته ، فعثر على ما فيها من كنوزها الجمة ، فما هو الا أن بدأ فى استخراجها حتى أفاضت عليه من خيراتها التى لاحد لها ، فامتلأت خزائنه من ذهبها ، فاستعمله فى طريق الأنتاج الصناعى ، فاقام المصانع ، وشيد المعامل ، بفضل هذه المواد الاولية التى يكتظ بها باطن أرضه ، من ذهب وفضة وحديد ونحاس وقصدير ورصاص وفحم وبترول . وأصبحت هذه المصانع تنتج كل دقيقة الملايين من هذه الآلات التى تغلب بها على مصاعب الطبيعة ، ووصل بها الى ما فيها من خير وبركة .

ولم يكن الفضل لثروة الطبيعة وحدها فى رقى هذه البلاد ، بل لم يكن لجهاد الافراد وحده الفضل فى وصولها الى سنام العظمة العملية ، بل الفضل كل الفضل لافراد وصل بهم حظهم بعملهم الى دائرة واسعة من الثراء فلم يختصوا به أنفسهم ولم يرصدوه على ذويهم وأهليهم ، بل أفاضوا منه على بنى جلدتهم تلك الهبات الهائلة التى يتقدمون بها الى دوائر الرقى العام المتغايرة : فمن هبات بملايين الدولارات لتشييد المدارس ، ومن مثلها لاقامة المستشفيات ، ومن مثلها لتكوين المكتبات العمومية ، ومن مثلها لتنشيط الاختراعات ، ومن مثلها لترقية الصناعات ، وليست هبات كارنجى ، وركفلر ، ومورجان وأمثالها ، ببعيدة عن صفحات التاريخ . وهل تنسى الانسانية كلمة روكفلر : « إنى بدأت طريق ثروتى الهائلة فقيرا ولعلى أعود

بخدمتى للانسانية الى النقطة التى بدأت منها ثروتى » . بخ بخ ياسيدى روكفلر ! !
ليست من كلمة تصح أن تكون واسطة للجواهر فى جيد الانسانية أثمن من كلمتك
هذه ! ! وحسبها أن تكون هى ثروتك الحقيقية من حياتك المملوءة بجلائل
الاعمال ، وعظيم الاقوال . وإن كان هذا لا يتفق مع حال الشرق الذى لاوجود
فيه إلا لخيال الثروة ، ولا فضل فيه إلا لاسمها . حتى لو كانت محبوسة عن صاحبها
يحفل الناس فى الشرق بالاغنياء وان كان لا فضل من ثروتهم على أحد ! ! وتحفل
الحكومات الشرقية بهؤلاء الذين يسمونهم أغنياء وان كانوا خلوا من كل شئ
إلا من نضرة الدينار وبريق الدراهم ، وقد يتقدم الانسان الى الانسان فى مصر بانه
من أرباب الاطيان ، فيحفل به السامع لمجرد مرور خيال ثروته على وهمه ، وقد
يتقدم الغنى الجاهل ، والعالم البائس ، الى الناس فيحفلون بالاول دون الثانى ! !
حتى مع عقيدتهم بان الاول لا خير فيه ، وأن الثانى قد يكون فيه من الخير ماينفع
الناس فى حياتهم الادبية والاخلاقية ، بل والمادية . واذا كنا نحن نحترم ثروة
الغنى الى هذا الحد مع عدم انتفاعنا منها بشئ ، فما مقدار احترامه هو لها واحتفاظه
بها لنفسة من غير أن يكون فيها للمصلحة العامة حصة أو نصيب ! !

اذا فحياة الامريكى ليست فى ثروته ومجده ، وحب العيش فى جلوسه على تلك
المنصة الذهبية التى اذا أزالته عنها الأيام لاى سبب من الاسباب ، فانه لايفقد
معها عبقريته ، ولا يعدم نشاطة ، بل يستمر فى جهاده ، ويدخل فى دائرة حياته
الجديدة ، كقادوس الساقية ينزل الى معين الحياة خاويا خاليا ، فيغترف منه ما يكون
له حياة جديدة . ذلك لان الرجل الامريكانى لايغيره الفقر ، بل يعتبره مرضا
يحاربه بكل وسائل الحرب ، وهو يجده متغلب عليه لامحالة . أما عندنا فيكفى الغنى
أن يعثر عثرة واحدة حتى لايجد له مخلصا منها ! ! ولا يزال فى كبوته هذه مريض
النفس ، ميت الروح ، الى أن يقضى عليه قنوطه ! ذلك لان الثروة وحدها
فى نظره هى الحياة ، هى المجد ، هى العظمة ، هى الوجود بكامل معانيه ! ! فاذا هى

ذهبت ، ذهب كل هذا فى عقيدته ونظره . ولا أدرى اذا كان هذا من أمراض الشيخوخة فى الشرق ؟ تلك الشيخوخة التى تقف بالآمال عند بعض الناس الى حد محدود ، اذا تجاوزها الشخص دخل فى دائرة اليأس والفناء ! وهو ما يخالف الاثر الذهبى الأسلامى : « إعمل لدنياك كانك تعيش أبدا ، واعمل لآخرتك كانك تموت غداً » .

لذلك لاترى الامل يقف بالرجل الامريكى عند حد ، بل يذهب به فى مسالك الرقى كل مذهب ، والعامل منهم اذا رأى أمامه صاحب المعمل العظيم وهو لم يكن من سنوات إلا ذلك العامل البسيط المجد ، كان هذا مثالا حياله ، فيجد فى عمله هو الآخر مقودا بفكرة الوصول الى ماوصل اليه رب معمله . هذه الفكرة النبيلة لاتقف به عند حد فى طريق العمل ، وهو أن لم يصل بها الى غايته كلها ، فلا بد من وصوله الى شئ منها قليلا أو كثيرا على حسب حظه فى عمله . لذلك ترى التقدم فى الصناعات مستمرا بين الكبار والصغار على السواء . واذا كان المستحيل لم يجد له محلا من قاموس نابليون ، فالكسل واليأس لم يجدا لهما محلا من نفسية الرجل الامريكى .

وبالجملة فالرجل الامريكى قد أدهش العالم كله باخلاقه العملية ، ومثابرته على عمله ، ووصوله الى غايته بكل سرعة . وقد بحث علماء الاجتماع والأخلاق فى عبقريته ، وكيف أنه امتاز عن العالم الغربى فى طفرته الى غاياته فى بلاد هو جديد فيها ؟ ولم يدروا أنه هو الذى فى دمه مدنيات العالم القديم جميعها ، حتى اذا وجدت لها مجالا للعمل أيقظها الامل ، ونهض بها هذا النهوض الذى أدهش العالم من أقصاه الى أقصاه .

وعند الامريكى كلمة تكثر على لسانه ، مسبوقة بأفعل التفضيل عند ما يتكلم عن أى شئ فى أمريكا ، وهى لفظ فى الدنيا « In the worlb » فيقول : هذا أحسن شئ فى الدنيا ، أكبر شئ فى الدنيا ، أغنى رجل فى

الدنيا ، أكبر بناء فى الدنيا ، وهكذا مما يعده بعض الناس من المبالغات التى أشتهر بها الامريكان عندما تسمعهم يتكلمون فى حقيقة عندهم لايصل الى تصويرها ذهننا ، لأننا لم نتعود مثل هذه الارقام الجسيمة التي تتصل بوصف جملة الاشياء عندهم ، والتى مر عليك شئ منها .

والرجل الامريكى مهما بلغ فى ثروته ، لايتقيد فى زواجه بامرأة من وسط عال فلا يهمه إلا تلك التى أعجبته . كما أن المرأة الامريكية لا يهمها إلا ذلك الذى أعجبها ، من غير نظر الى شئ اسمه كفاءة عائلية كما هو الشأن فى أوروبا وفى الشرق وقد رأينا هنا ضمن التمثيل السينماتوغرافى زفاف شاب من أصحاب الملايين بفتاة فقيرة من كندا ! ! ولم نسمع من النظارة أى انتقاد على ذلك .

والرجل الامريكى لا يتقيد بشئ اسمه « النظام الاجتماعى » . فلا يقيد نفسه بلباس السهرة فى الاجتماعات الليلية ، وقد ترى القوم فى التياترو وقد جلس صاحب الاسموكن بجوار الذى يلبس الازرق أو الاحمر أو الرمادى مما يكون فى نظرك مجموعة من ألوان الطيف خصوصا فى كرافتاتهم (أربطة رقبتهم) .

وقد ترى كثيرا ممن تظنه من الجنتلمانات يعبث بمارون مافوق شفته العليا ، وترى فى أفواه الكثيرين من طبقة العمل ذلك الخلال الخشبى ، حتى فى أوان الاكل ، وكلهم يشرب السيجار ، وقد يمضغون طرفه الاعلى فيتفكهون بعصارته طوال ما كانت السيجار فى فهم ! ! وكثيراً جداً ماترى الشخص وخصوصا الشباب منهم لا يلبس فوق البنطلون غير القميص على جلده مباشرة من غير ياقة ، وأكمامه مشمرة الى ما فوق الساعد ، وقد يكون أصل هذا شدة الحر ، ولكنه أصبح مثالا للقوة (اسبور) وكمال الحرية حتى فى غير طبقة العمال .

المرأة الامريكية

والمرأة هنا لها حرية مطلقة وغير محدودة ، فهى لاترى نفسها أقل من الرجل فى حقوقه المدنية ، وقد تتشبه به فى كلامها ، وفى هندامها ، حتى اذا تكلمت من وراء ستار ظننتها فى الغالب من هـذا الجنس الذى خلق للاعمال الشاقة . وكثيرا ماتراها هنا تعمل مع الرجل فى المصانع والمعامل ، وقـد تراها أكثر منه عملا فى المحال التجارية ومكاتب الادارات المختلفة ، وتمشى معه كتفا لكتف فى الالعاب الرياضية ، ولا تقل عنه حركة فى الطريق ، وتسير بمفردها حيث شاءت ليلا ونهارا وتدخل المطاعم والتياترات ، وتركب التراموايات والتكسات وحـدها الى جميع أغراضها ، وأكثر مارأيت المرأة تسوق الاوتوموبيل بسرعـة هائلة فى الولايات المتحدة وخصوصا فى نيويورك ، وكثيرا ماتراها تلبس اللبس الرياضى (اسبور) وهو بنطلون الى الركبة ، وچاكيتة فتحتها الى الرقبة ، ولا ادرى اذا كان ذلك فاتحة الى لبس البنطلون الطويل تشبها بالرجل فى ذلك ؟ ولـكن هل من الممكن أن تترك المرأة ذلك الفستان القصير الواسع الذى قـد لاتلبس من دونه شيئا ؟ وهو لباس الرقة والزينة النسائية ، لولا مافيه ممـا يكون فوق الركبة ، حتى اذا غازلته الرياح هاج بهياجها ، واضطرب باضطرابها ، وقد يضطر صاحبته الى الاشتغال بتهذيبه بكلتا يديها ، مما يظهر معه أنها ترى فى قصره عيبا لا يتفق مع الآداب العامـة التى ترى هى المحافظة عليها من أكبر الفضائل . وهى كما ذكرناه فى رسالة نيويورك (مع مامنحته من الحرية اللانهائية) تحافظ على الآداب العامة محافظة كلية ، مما لايمكن أن تلاحظ عليه ملاحظة واحدة . والمرأة الامريكية مع جمالها فى الغالب ورقتها لا عاطفة لها : فتراها وسط المعارك والمهالك ، والمؤثرات النفسانية ، من غير أن تأخذها هزة فى قلبها ، وقد رأيت جملة سيدات فى مجازر شيكاجو التى تسيل فيها دماء الماشية أنهارا ، وتقطع فيها أشلاؤها جهارا ، وهن باشات هاشات متسابقات

الى رؤية هذه المناظر التى تهيج الاعصاب ، وتأخذ بالقلوب ، مما قد تنهزم أمامها قوة المتشجع ! ! ولكن شجاعة المرأة هنا شجاعة بمعنى الكلمة . وقد تراها اذا انعقدت حرب فى المستقبل القريب بين الولايات المتحدة ودولة أخرى فى مقدمة من يسير بالجيوش الى معمعة القتال ، كما تراها اليوم أمام منصة القضاء ، وعلى كرسى النيابة عن الامة تترافع وتخطب ، وكما تراها فى المستشفيات تداوى الامراض ، وتبتر الاعضاء ، وكما تراها فى المصانع تشتغل بالنار والحديد ، وبالجملة فالمرأة الامريكية عامل حى يبحث فى جميع الاغراض التى يبحث فيها الرجل من علمية ، وتجارية ، وصناعية . ولم تقف همتها عند حد ترى فيه شيئا من المشقة . والتى تعمل فى أى عمل من الامريكيات اذا قصدت منزلها بعد عملها تجدها عاملة فى كل شئونه الداخلية ، من تنظيف ، وغسيل وطبخ وترتيب ، ونظام . وكل هذا فى سرعة متناهية ، ومن غير مشقة . لأن كل هذه الأعمال أو جلها تعمل فى بلاد الاتحاد بواسطة الاجهزة الكهربائية ، فاذا فرغت من واجبها المنزلى خرجت بمفردها ، أو مع رفيقة لها ، أو مع زوجها — إن كانت متزوجة — لنزهتها ، وهى تقضى فى الغالب بعض وقتها فى دور التمثيل السينمائى .

والمرأة الأمريكية قلما تفكر فى الزواج لميلها الى الحرية المطلقة ، وعدم ارتياحها للدخول فى حدود الزوجية الضيقة ! !

وفى الغالب يكون زواجها من غير تفكير ، ولا سابقة معرفة بمن تتزوج به . ويكفى فى ذلك اجتماعها به اجتماعا بسيطا ، فان راق كل فى نظر الآخر — كانت ساعة واحدة كافية لاتمام العقد ، وإرادة الآباء تأتى عادة هناك بعد إرادة الأبناء ، لذلك لاتجد الزوجة هناك مكلفة بتقديم مايسمونه مهرا ، كما هو الشأن فى أوربا ، بل الزواج مبنى غالبا ببلاد الاتحاد على إيجاب وقبول الطرفين من غير ماشرط . وكثيرا ماتجر هذه السرعة فى الزواج الى السرعة فى طلب الطلاق ! ! وهو شائع فى أمريكا شيوعا فاحشا . ويتم بها بالسهولة التى لاتوجد فى بلاد أخرى

ونسبة الطلاق فى الولايات المتحدة فى كل سنة نحو عشر مايتم بها من الزواج ! !

العامل الامريكى

العمال هنا هم أحسن عمال الدنيا أجورا وحياة ، وكانت حركة أجور العمال قبل الحرب واقفة عند حدها الطبيعى ، أما من سنة ١٩١٤ فقد تغيرت تغيرا محسوسا جدا ، فاذا فرضنا لها قبل الحرب رقم ١٠٠ فقد نراها وصلت فى سنة ١٩٢٠ الى ٢٦٠ متبعة فى ذلك علو أسعار المحاصيل ، وهذا أمر طبيعى لضرورة وجود التناسب بين أثمان المنتجات وأجرة اليد العاملة . هذا من جهة وطبيعة العمل ، ومن جهة أخرى فان الأثمان بصفة عامة كانت قد ارتفعت ارتفاعا فظيعا فى كل شىء : فى المأكولات ، فى الملابس ، وفى المساكن . فكان ارتفاع الاسعار فى هذا كله موجبا لزيادة أجر العاملين فى جميع الاوساط الصناعية ، والزراعية ، والتجارية . ولو نظرت الى نسبة هذه الزيادة فى العالم كله لوجدتها واحدة . فالعامل فى مصر (مثلا) الذى كان يشتغل قبل الحرب بقرشين ، أصبحت أقل أجرة له من سنة ١٤ خمسة قروش ، والذى كان يشتغل فى فرنسا بفرنكين ، أصبح يشتغل بستة فرنكات على الاقل . وهنا نعود الى العامل الامريكى الذى كان يشتغل قبل الحرب بنصف ريال ، فقد وصلت يوميته مدة الحرب الى ريال ونصف فى المصانع والى أقل من ذلك فى المزارع ، وهو ضعف أجرة العامل فى فرنسا ، وضعفاه عندنا. وانا اذا تساءلنا عن السبب فى ذلك ، ومن أن أجرة العامل لابد وأن تتناسب مع أثمان المنتجات ، ونسبتها كلها تكاد أن تكون واحدة فى جميع الاسواق ، خصوصا لعوامل التزاحم والتنافس التى تحيط بجميع البضائع المعروضة ، عرفنا أن المسألة ليست بطلسم من الطلسمات ، ولا بمعادلة جبرية يستدعى حلها فكرا وتدقيقا بل هى بدهية ظاهرة : ذلك أن أجرة العامل الامريكى انما هى بنسبة مايعمله ، وهو يعمل بقدر ثلاثة عمال من الآخرين ، هو عامل لاتراه مسوقا بعصا غيره ، عامل

لايعمل بتهديد ولا وعيد ، ولايعمل بوعد ولا رجاء ، عامل ليس له من منشط غير رغبته فى العمل ، وارادته فى قيامه بواجبه ، وأمله فى وصوله الى منزلة أكبر لها أجر أكثر ، وكثيرا مايصل به اجتهاده فى دائرة عمله الى الاختراع ـ الى اختراع شئ يسهل به العمل عما كان عليـه من قبل . وهنا تنفتح له أبواب الحظ ويصبح من أصحاب الأموال ! اذا فالعامل هنا انما يعمل والأمل رائده ، والاجتهادقائده ، لا كما نراه فى جهة أخرى اذا خرج من دائرة القنوط دخل فى دائرة اليأس ، واذا غفلت عنه عين السائق نام على فراش عمله نوما عميقا ! ! لذلك نرى الاختراع كله هنا فى دائرة العمال ، كما نراه فى أوربا فى دائرة العلماء الذين أفنوا أعمارهم بين خطوط النظريات وارقام المعادلات .

إلا ان العامل الأسيوى اخذ منذ زمن يفد الى أرض الولايات المتحدة ويعمل لحياته مع العاملين ، أخذ الألوف من اليابانيين والصينيين وغيرهم يفدون الى هذه البلاد بحكم الهجرة ، ولا يجدون بها عيشهم الا من طريق التزاحم على العمل ، فاذا وجدوا العامل الامريكى يعمل بريال فى اليوم بالولايات الغربية ، قبلوا العمل بنصف أجره ، وأصبح أرباب المعامل والمصانع والمزارع — وخصوصا فى كاليفورنيا — تنتفع بهذه الايدى الرخيصـة . فحرك هـذا من حفيظة اللون الابيض فى هـذه الولايات — حفيظة اخذت تذكيها نيران الغيرة ، بل نيران الانتقام من هؤلاء الذين جاؤا يقاسمونهم عيشهم ، ويحاربونهم فى دائرة حياتهم وهم فى بلادهم آمنون من عبث الأيام . فشكلت منهم جميعات اسمها (كلو كلوكس كلان) اتفقت سرا على حرب الاغراب ، والاحتفاظ بخيرات البلاد لاهلها بكل وسيلة ممكنة . وذهب بعض من تطرف من هذه الجمعيات الى حصر هذه المنافع لافى الجنس الابيض فى عمومه ، بل فى النوع السكسونى منه ، فاعلنوا نقمتهم على الـكاثوليك وعلى اليهود جميعا . ولهذه الجمعيات مجتمعات سرية أشبه شئ بالمجتمعات الماسونية ، ولا يعرف أحد من أمرهم شيئا حتى ممن كان على غير شاكلتهم من أهل البلاد .

وقد وقفت الحكومة بالولايات المتحدة أمام هذه الهيئة السرية التي قد يصل عددها الى مالا يستهان به ، موقف المضطرب فى رأيه ، لاتدرى اذا كان من الخير أن تتركها وشأنها تعمل فى دائرة حريتها ، مادامت فى دائره القانون. لذلك تراها من جهة أخرى بقدر ماتسهل على الجنس السكسونى هجرته ، بقدر ماتصعبها على جميع المهاجرين حتى من الاوربيين من غير هذا الجنس . وقد يأتى يوم تتحرش فيه هذه الجمعية باللون الاصفر فتطرده من بلادها .

ومن تشديد ولايات الاتحاد للهجرة الى بلادهم تلك الاستمارة التى تقدمها شركات الملاحة الى المسافرين عليها لامريكا ، ومن ضمنها : هل أنت متزوج ؟ هل أنت متزوج باكثر من زوجة ؟ هل تقصد الولايات لعمل ؟ وماهو صفة هذا العمل ؟ وهى أسئلة لانراها فى غير السفر الى الولايات المتحدة .

ومن الجرافيك (الميزانية) الذى عملته وزارة العمل ترى أن الأسعار كانت فى سنة ١٩١٣ فى حدها الطبيعى سواء فى بيعها بالجملة والقطاعى ، وكانت أجرة العمال واقفة معها عند هذا الحد . ولكن فى سنة ١٩١٥ ابتدأت الاسعار تصعد حتى وصلت فى سنة ١٩٢٠ الى حدها الاقصى ، والذى وصلت فيه الى مايقرب من ثلاثة أضعاف ثمنها ! ! وكانت أجر العمال تتبعها فى سيرها شبرا بشبر ، وقدما بقدم ، ولكن الاسعار فى سنة ١٩٢١ انهزمت انهزاما هائلا بحيث نزلت الى نصف ما كانت عليه فى السنة التى قبلها ! ! مع ذلك فأجرة العمال بقيت مرتفعة بل استمرت فى ارتفاعها الى سنة ١٩٢٥ وهى وان كانت نقصت قليلا فى سنة ٢٦ـ٢٧ إلا أنها لاتزال أكثر من نسبتها الطبيعية مع أثمان المنتجات .

ويظهر أن هذه النسبة عامة فى كل جهة من جهات العالم ، وهى أثر طبيعى لتلك الحرب المشؤومة التى أكلت الرطبة واليابسة ، ولا يزال دخان نيرانها يتصاعد من بين أطلال البلاد التى خربتها وأتت على عمرانها ! !

***

وللعمال قانون خاص للعمل اسمه (قانون تيلر). وروح هذا القانون هو أن العامل يعمل كثيرا من غير أن يتعب عقله وجسمه : وذلك بواسطة تنظيم العضلات التى لاشأن لها فى عمله ، فتبقى غير متعبة قوية تخفف بقوتها عن العضلات المجهودة كثيرا مما ينالها من التعب . والعمل على هذه النظرية مبنى على دراسة علم الاعضاء (الفسيولوجيا) وحتى فى هذه لايخرجون عن قواعد العلم ! ! ومن شأن هذا القانون أن يحكم العلاقة بين المنتج والعامل : ذلك بان يجعل لكل منهما واجبات نحو الآخر لا يهملها أحد منهما ، لهذا ترى الاعمال سائرة على الدوام الى الامام من غير محرك ولا منشط ، وحال العمال فى غدهم خير منه فى أمسهم من غير مطالبة بحق أو لفت نظر الى مكافأة .

وأرباب الاعمال من الامريكان لهم سياسة غريبة مع عمالهم ، يضعونهم بها فى دائرة لايخرجون منها ، وان خرجوا منها كانوا كالذى يخرج من الضوء الناصع ، الى الظلام الحالك ، لايزال يتخبط فيه يمينا وشمالا من غير أن يجد له مخرجا ، ذلك لان معرفته لصناعته محصورة فى قطعة واحدة لايعرف لها منفعة ، ولا يقف لها على قيمة ! ! وهى فى نظره شئ تافه فى ذاته إن لم يكن سراً من الاسرار لم يصل اليه علمه ، وطلسما لم يفهم ما فيه من دخيلة غامضة ، لذلك تراه أقل العمال إضرابا ، وأبعدهم عن الثورة .

خذ مثلا فورد : فان عنده مائة وخمسون الف عامل ، كل قبيل منهم يعمل فى قطعة واحدة ، فهذا يعمل الحديد كتلا ، وذاك ينشر الكتل الواحا ، وغيره يقطعها قطعا كبيرة متشابهة ، وذلك يقطعها قطعا صغيرة متماثلة ، وآخر يعمل مسمارا صغيرا ، وغيره يعمله على قياس آخر وثالث يعمل فى عمود من الحديد ، ورابع يعمل فى خلافه ، وخامس يضم القطع الى بعضها فيكون منه آلة من آلات فورد ، وهكذا الحال فى القطع الخشبية ، وما الى ذلك من الكاوتشوك ، والجلد ، ثم يأتى بعد هذا كله من يكوّن هيكل الاوتومبيل ، ثم من يكسوه تنجيدا وتجليدا ، ثم يأتى

بعد ذلك من يعمل فى التلوين والتمكين .

من هذا تعرف أن الاوتوموبيل الواحد عند فورد قد يعمل فى قطعه الف عامل ، كل منهم لايعرف غير القطعة التى يعمل فيها ، وحياته محصورة فى عملها ، ولايمكن أن يجدها عند غير فورد ! ! وبذلك تكون حياة عامل فورد وقفا على فورد بلا قيد ولا شرط . وهذا وأبيك هو الاسترقاق بعينه ، والاستعباد بذاته فى ظلال الحرية المطلقة ، تلك الحرية التى إنما هى اكذوبة من الاكاذيب السياسية ، يكتبها الاقوياء بحروف من نور على صحيفة ظلام حالك تضيع بين طياته حقيقة التاريخ ! ! ومتى كان التاريخ صادقا فى جميع ماجرياته ؟ ؟ وهل التاريخ الامرآة لميول المؤرخين وأغراضهم ؟ ؟ وإن أحسنا بهم الظن قلنا لعقائدهم التى قد تخالف الحقيقة فى كثير أوقليل من الأمور .

تلك هى حالة العامل الامريكى بصفة عامة فى الولايات المتحدة ، وهذا لايمنع من وجود عمال قد تخرجوا فى المدارس الصناعية ، وعلى الخصوص مما يسمونه « مدارس الاعمال » ويوجد هذا النوع من المدارس فى نيويورك ، وشيكاجو ، وبوستن ، وأهم مدرسة فيه توجد فى جامعة هار فارد فى بوستن ، وهى أقدم جامعة فى الولايات المتحدة ، وإن شئت فى أمريكا كلها . هذا الصنف من العمال لهم اعتبار خاص ، ومنهم ينجب الكثيرون ، وقد يصلون الى سنام الثروة بجهادهم واجتهادهم ، ولا نضرب لك مثلا هنا بغير فورد الذى خرج من وسط العمال فى أول هذا القرن ، ومازال بعمله وجده واجتهاده حتى اصبح أغنى إنسان فى العالم جميعه .

التربية النفسية عند الامريكان

أول قاعدة من قواعد التربية النفسية عند الامريكان قولهم : (هلب يورسلف) (ساعد نفسك بنفسك) ويريدون بذلك أن الانسان لابد وأن لا يرتكن على غيره فى أى عمل من أعمال الحياة ، أو بعبارة أخرى أن الاعتماد على النفس هو أول سلم من سلالم الحياة . قف لحظة واحدة فى أية محطة من محطات السكة الحديدية تر الرجل والمرأة والشاب والشابة بل والطفل مهما كانت درجاتهم فى الثروة والجاه — تركلا منهم حاملا حقيبة ملابسه فى يده ، ويخرج من باب المحطة الى عربته أو الى الترامواى ، وهذا كله محافظة على وقته الذى ربما ضاع بين البحث عن يحمل متاعه ، الا اذا كان هذا المتاع مما لا يحمل ، أو مما يضيع وقته فى حمله . والوقت عندهم ثمين . يقع الطفل الرضيع على الارض وهو فى مبدأ حركته للمشى فتدعه أمه لنفسه قائلة له « هلب يورسلف » ، فلا يزال المسكين يجاهد بحركاته المختلفة حتى يقوم على رجليه بدون مساعدة أحد ، وقد يقع فى أثناء ذلك جملة مرات ثم ينتهى أمره بالنهوض . ومن هذا الوقت تتولد عنده فكرة القيام بالنفس ، حتى اذا وصل الى سن الشبيبة كان رجلا يعتمد على نفسه فى كل شئ ! وهذا مايمكنه من كسب حياته بغير معين ولا مساعد . تخرج الخادمة من منزل مخدومها يوم الأحد ، فتطهى السيدة طعام البيت ، ثم تخرج الى نزهتها ، وتعود وقت العشاء لتجهيز الطعام على المائدة وقد يهتم كل شخص من العائلة كبيرا أو صغيرا بمايهمه من أداة الطعام ، فيقصد مكانها ويأخذ مايلزمه منها . يقعد التاجر الكبير فى مكانه من محل ادارته وبجواره الآلة الكاتبة ، فاذا عن له أن يكتب قام اليها وحرر ماشاء من غير انتظار واحد من عماله . ترى الفلاح فى عزبته الخاصة به يقوم بكل عمل من أعمالها ولا يستدعى غيره لمساعدته إلا اذا كان فى حاجة ماسة اليه . وهنا أرجو حضرات القراء أن يسمحوا لى بالوقوف عند هذه النقطة ويذهبوا معى الى قرية من قرى الريف عندنا ،

فماذا نرى ؟ نرى أفرادا من الفلاحين ممن تجاوزوا الثلاثين من عمرهم قد اجتمعوا على مصطبة أحدهم وأمامهم أداة القهوة ، وفى أيديهم أداة التدخين ، وهم يتحدثون فى سخافات وأقاصيص يقتلون بها وقتهم — فاذا جاء الظهر أكلوا غزيرا ، وناموا كثيرا ، ثم اذا عنّ لاحدهم الذهاب الى غيطه الذى يعمل فيه بعض العمال ركب حمارته بحال تمثل الكسل والخبل ، وهناك يجرد لسانا كلسان الحية فيلسعهم تأنيبا وتجريحا بدعوى إهمالهم فى عملهم ، وهو لو أنصف لوجه هذا السباب الى نفسه لاهماله هو عمله الذى يستمد منه حياته ، مما لا يعتبره هو فضيلة : لانه من العيب فى عقيدته أن يعمل وفى قدرته دفع أجرة العامل ؟ ! ! كما أنه من العيب أن يحمل الانسان متاعه ، ومن العيب أن يسير الانسان على رجليه بعض خطوات فى الريف أو فى العاصمة لمسافة يسيرة ، ومن العيب أن يركب السرى الترامواى ، ومن العيب أن لا يركب متوسط الحال فى الدرجة الاولى من السكة الحديد على فداحة أجرتها عندنا ، ومن العيب ان لا يقلد الانسان بمصر من هو أغنى منه فى كل شئ ، ولو يلقى به ذلك فى جب الاستدانة التى تنغص حياته ، وتقضى على كل سعادته فى هذه الحياة ! ! وبالجملة فكل شئ عندنا عيب إلا العيب نفسه فانه ليس بعيب ! ! !

يعتمد الانسان عندنا على غيره فى كل شئ : لذلك نرى آلافا من الشبيبة (من الذين أكملوا دراستهم طبعا) وقوفا على أبواب الوزراء ، وفى أيديهم كتب الرجاء . وماذا يعمله الوزير فى آلاف مايقدم اليه من الطلبات لوظيفة واحدة صغيرة خالية فى وزارته ؟ ؟ اللهم رحمة بأولئك المساكين الذين لم يعرفوا من طرق الحياة إلا التوظف فى خدمة الحكومة ، والوقوف ببابها ، وهو لو قفل فى وجوههم لكانوا عالة على ذويهم حتى يقضى الله أمرا .

وهذا كله ولا شك من نقص فى تربيتنا العملية وعلى الخصوص فيما كان يتعلق منها بالاعتماد على النفس ! !

كو - كلوكس - كلان

فى سنة ١٨٥٥ تكونت بالولايات المتحدة جمعية لمحاربة سيل المهاجرين الذين كانوا يهاجمونهم فى حقوقهم المدنيـة ، ويشاركونهم فى مواردهم الحيوية ، وكان رمزها « ن . ن » ومعناها لا أعرف شيئا وفى سـنة ١٨٨٧ ظهرت فرقة أخرى رمزها . « ا . ب . ا » اعنى جماعة البروتستان الامريكان . وهذه الجمعية اذاعت فى عرض البلاد أن البابا يريد أن يضع يده عـلى القارة الامريكية بحجة أن الذى اكتشفها هو كرستوف كولومب الـكاثوليكى ، وهذا مايهدد البروتستان فى حياتهم. وسرعان ماسرت هذه الفكرة الخبيثة فى ولايات الوسط والغرب ، ومن ثم وقعت كراهة الـكاثوليك فى قلوبهم .

وهاتان الفرقتان كانتا أصل لتكوين فرقة ثالثة سرية رمزها (كو - كلا كس كلان) . التى شعارها محاربة اليهود والـكاثوليك والاجانب بصفة عامة ، والعبيد بصفة خاصة . تكونت هذه الجمعية فى ولاية تناسى سنة ١٨٦٦ باسم الدفاع عن الجنس الابيض — البروتستانتى طبعا — وذلك بعد تحرير العبيد مباشرة .

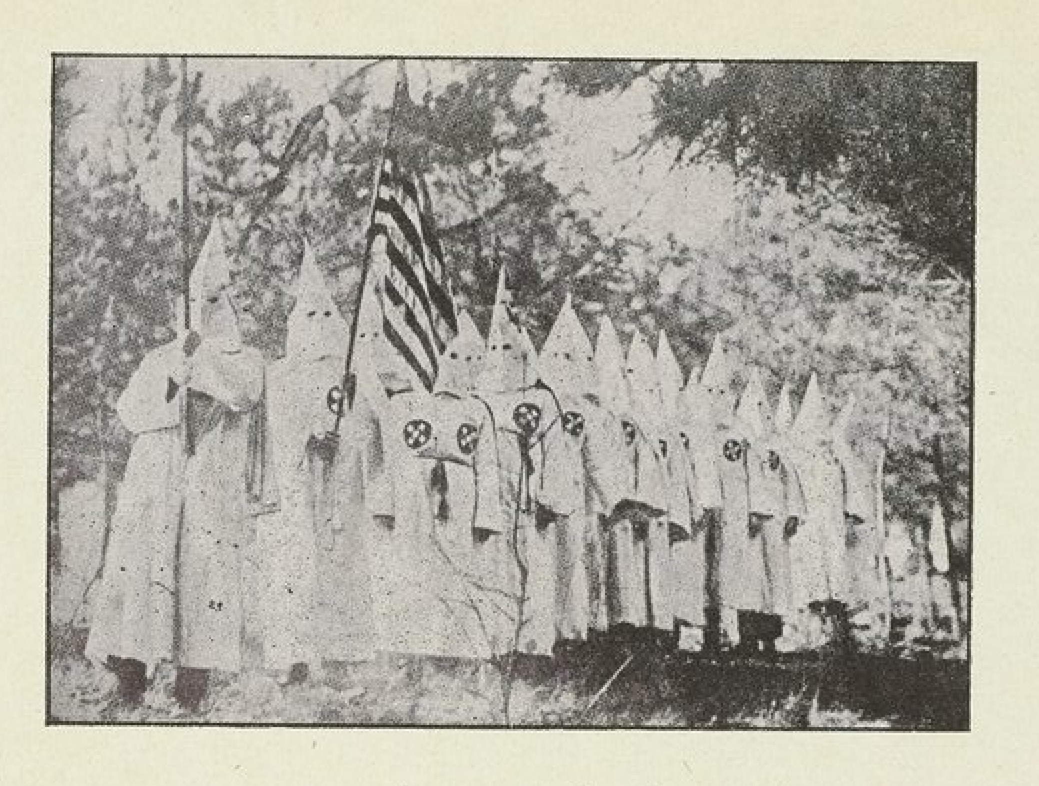
وقد وضعت هذه الجمعية لنفسها قوانين خاصة وضعوها بين جدران مجتمعاتهم السرية ، وكلها تدور حول ازعاج القلوب ، وارهاب النفوس ، بما كانوا يشخصونه بالليـل من أيد ممدودة بسلاحها ، أو هيكل انسان يشخص الموت بصورته ، أو ما كانوا يكتبونه فى نشرات من غير امضاء يلقون بها فى الطرق كلها خوف وفزع تجمد منها الدماء فى شرايينها ، وتشيب من هولها الاجنة فى بطونها ! ! وقد يلاحظ بعض الناس على بعض السود هفوة بالنهار ، فيجدونه غارقا فى دمه بالليـل فى أحد شوارع المدينة ، من غير ما علم بهذا الذى جنى عليه هـذه الجناية . بهذا وذاك أصبحت القلوب فى فزع مستديم من هـذه الفئة السرية التى لا تعرف كينونتها ، ولا تعـلم حقيقتها . وكأن الحكومة تساعدها من طرف خفى عـلى تلك الجرائم

لاعتقادها أنها هى التى بها نجاة البيض من براثن السود .

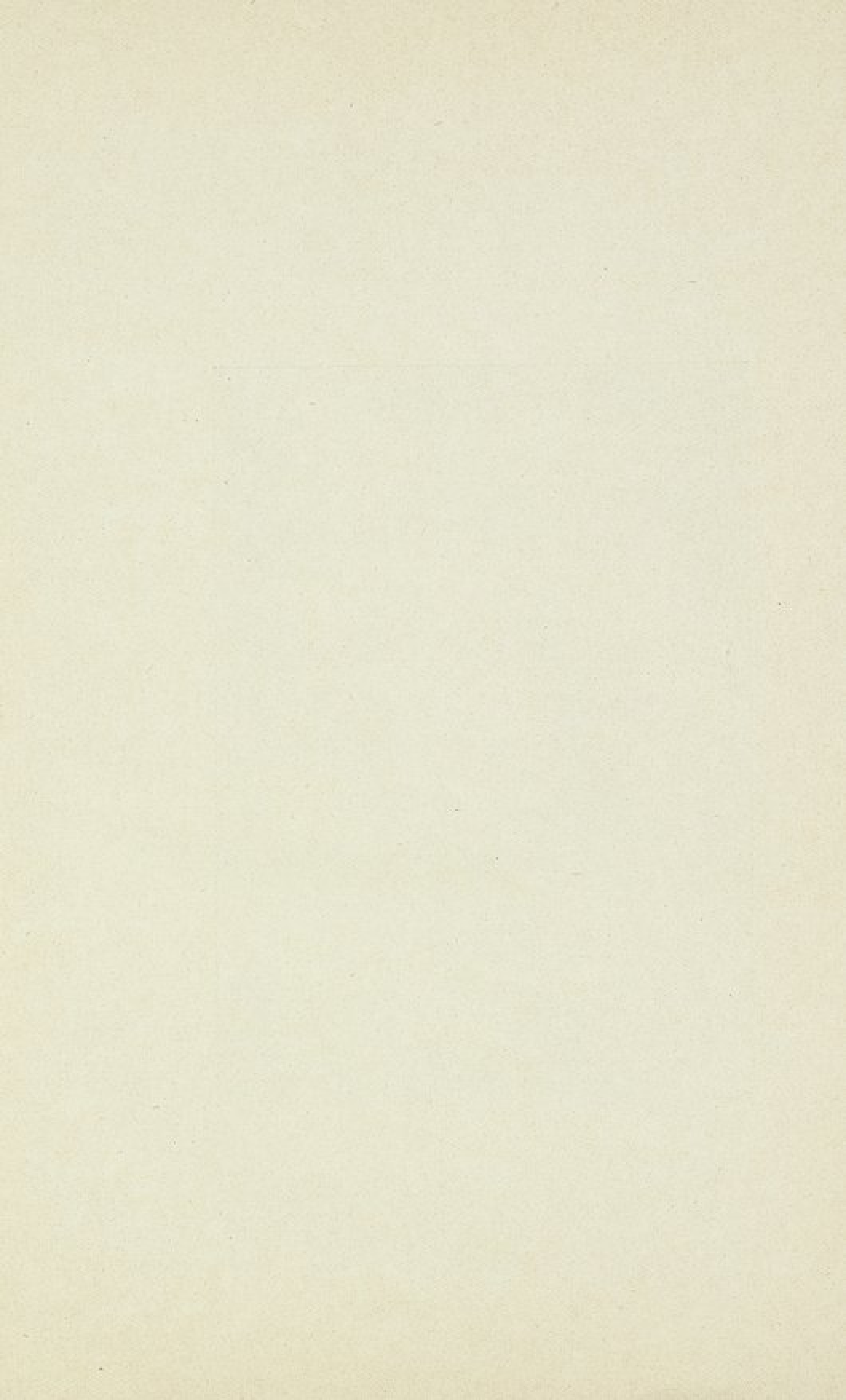
وفى زمن الحرب العالمية هدأت فظائع هـذه الجمعية لاشتغال الناس كلهم بالحرب ، خصوصا وقد تجند عدد عظيم من السود ، كانوا فى مقـدمة البيض أمام فتكات العدو ، وكانت تجمعهم وإياهم سماء كانت تمطرهم بوابل القنابل من غير ما فارق بينهـم ، حتى اذا عادوا شمخوا ، بأنوفهم ، ورفعوا من رؤوسهم ، فخافهـم الامريكان وخشوا من جهة أخرى فلول تلك الحرب التى أخذت تهجم على بلادهم من كل صوب ، فاخذوا فى ايقاظ جمعية « كو كلو كس كلان » من جديد تحت رئاسة الكولونيل سيمون . ولكنها فى هذه المرة لم تستعمل الشدة فى أول أمرها كما كانت بل تبدأ بالنصح تارة ، والانذار أخرى ، فى نشرات عمومية ، أو بواسطة مكاتبات خصوصية لمن يريدون منه غرضا من الاغراض التى يحافظون بها على مبدئهـم ، خصوصا فى الدفاع عن الجنس الابيض فى عمومه ، والمرأة البيضاء فى خصوصها ، والبروتستانتية بحالة أعم . ولهم لباس يغطى الجسم كله لايظهر منه غير أعينهم ، يلتحفون به فى مظاهراتهم ليوقعوا الرعب فى قلوب من يراهم . وبالجملة فالكان (مختصر اسم الجمعية) هى جمعية سرية أشبه شئ بالماسونية ، غير أن أعضاءها غير معروفين ويقال أنهم يبلغون ٧ مليون نفس فى الولايات المتحدة ، وعددهم يزيد بنسبة الف كل أسبوع ، وشعارها أمريكا للامريكيين . ويعنون بذلك للبروتستان البيض . وهم حكومة داخلة فى حكومة مهما صرحت رؤساء البلاد بعدم الاعتراف بهم والتبرء منهـم ، وعلى كل حال فهم قوم اذا أهمـل أمرهم فلا بد من أن يأتى يوم يبثون فيه روح الفوضى فيما بين الاقيانوسين .

الماسون

وعلى ذكر الماسون هنا : أقول إن هذه البلاد تعنى بالماسونية كثيرا ، ولهم ألواج (أندية) مشيدة مكتوب عليها الاسم الخاص بها بالاحرف الكبيرة البارزة



شكل ملابس كوكلوكس كلان فى مجتمعاتهم ص — ٩٠



بالذهب . وشعارهم في الخارج الطربوش الاحمر ذو الزر الطويل ، عليه اسم المحفل الذى ينتسبون اليه بالخيش المقصب ! ! وقد رأيت منهم نسوة يلبسن الطربوش الابيض وعليه اسم محفلهم والشرق الذى ينتسبون اليه بالقصب ! ! وجمعياتهم بالطبع جمعيات قوية راقية كغيرها من الجمعيات الأخرى التى تستمد سلطتها من قوة البلاد وعزتها .

وللماسونية بالولايات المتحدة مكانتها السامية لسمو الغرض المقصود من عشيرتها بهذه البلاد ، وهو خدمة الانسانية ، ومساعدة المنتسبين لها فى حياتهم العملية . لذلك ترى أعاظم الرجال فى كل ولايات الاتحاد يفخرون بنسبتهم اليها ! ! ولأعضائها النفوذ العظيم ، والرأى المسموعُ فى كل عمل من الاعمال الاصلاحية والسياسية : وذلك لأن أغلب أعضاء البرلمان من نواب ، وشيوخ ، ينتسبون لهذه العشيرة . وفى الجملة فنسبة عدد الماسون الى غيرهم من سواد الاتحاد نحو ٣٠ فى الالف من عدد السكان ، وهم فى نيويورك أكثر منهم فى غيرها ، وجملة ما لهم من المحافل فى الولايات المتحدة نحو ستة عشر الفا وخمسمائة . وفى نيويورك وحدها مايقرب من الف محفل فيها من الاعضاء ٣٥٠ الف عضو تقريبا .

الثقافة في أمريكا

قامت ثقافة الولايات المتحدة على أساس ما فيها من عشرات الالوف من كلياتها ومئات الجامعات المنتشرة فى مدنها ، ومالا حصر له من مدارسها الابتدائية . ومن هذه المعاهد ما هو خاص بالذكور ، وماهو خاص بالأناث ، ومنها المختلطة من الجنسين حسب أنظمة الولايات وترتيبها فى عقليتها ، ومبلغ ما تصل اليه حريتها . وهذه وتلك انما قامت باموال المتبرعين من الافراد ، أو الجمعيات الخيرية ، أومن هبات هؤلاء الرجال الذين ذهبت بهم هممهم الى إحراز مجدهم من طريق خدمتهم للمصلحة العامة ، وهم بين اثنين : الاول اندفع الى خدمة بلاده بتغذية الثقافة العامة بهباته

التى لايكاد يحصيها العد أمثال : روكفلر ، وكارنيجى ، ومورجن ، وفورد .

والثانى ما كان يهديه بعض القوم تذكارا لحادث تاريخى يتعلق بأشخاصهم .

ولقد كانت هذه الهبات الجليلة تتناول كل ماله علاقة بالثقافة الاهلية : فمنها ما كان لترقية الدراسة فى ذاتها ، أو لترقية حال الطلبة والمدرسين ، ومنها ما كان لمساعدة فقراء الطلبة على الاستمرار فى دراستهم ، ومنها ما كان لأعانة الطلبة الاغراب على ما تتسهل به أسباب حياتهم فى سبيل التحصيل فى مثل هذه البلاد التى تغلو فيها أسعار المعيشة ، ومنها ما كان لاشادة المكتبات الفخمة التى تساعد الطلبة والمدرسين على البحث والتنقيب ، ومنها ماهو لاشادة دور الرياضة الجسمانية على اختلاف أنواعها ، ومنها ماهو لاقامة النوادى التى يلجأ اليها الطلبة أثناء فراغهم من عملهم ، ومنها ماهو لاقامة المعامل الكيماوية ، أو الطبيعية وغيرها مما يفتح أبوابه لمباحث الطلبة ، ومنها ماهو لاشادة المتاحف المختلفة التى تساعد على ثقافة المعلمين والمتعلمين بحيث تجد من ذلك فى كل كلية ؛ أو جامعة مايجعلها فى غنى عن طرق باب آخر للبحث والتنقيب ، ومنها ما كان لترقية المسائل الطبية تخفيفا لآلام الانسانية أينما وجدت ، وحيثما كانت ، ومنها ما كان لتثقيف العمال فى دائرة أعمالهم ! !

ولكل ولاية من ولايات الاتحاد من المعاهد العلمية المختلفة مايسد عوزها فى كل مرافقها الحيوية ، من زراعية ، وصناعية ، وتجارية ، وعلمية ، وسياسية .

فاينما سرت وجدت مدرسة ، أو كلية ، أو جامعة ، لكل مادة من مواد العلوم ، أو الفنون . وكثيرا ما تجد الجامعة الواحدة فيها عشرات الأبنية المختلفة يبعد بعضها عن بعض بفاصل من بساط الجازون البديع ، أو الاشجار التى تلطف ظلالها من حرارة الصيف ، وكل بناء من هذه لمادة مخصوصة : فمنها ما هو للهندسة ، ومنها ما هو للجيولوجيا ، ومنها ما هو للطبيعة ، ومنها ماهو للكيمياء ، ومنها ما هو للفلك ، ومنها ما هو للزراعة ، ومنها ما هو للطب ، وهكذا وهكذا . . . بحيث تجد لكل مادة ماهى فى حاجة اليه من آلات ومعامل مختلفة على نسبة مالها من

الاهميه فى حضارة الولاية التابعة هى لها .

وحسبك من هذا كله أن أذكر لك جامعة واحدة حتى تكون عندك فكرة عامة من دور التعليم بهذه البلاد : نعم أذكر لك جامعة (هارفارد) التى هى أقدم جامعة بالولايات المتحدة ، والتى توجد فى (كامبردج) احدى مدن ولاية (ساشوسيت) والتى سميت باسم ذلك الرجل الكريم (چون هارفارد) الذى شيدها فى سنة ١٦٣٨ م . على مثال جامعة اكسفورد ، وكامبردج فى انجلترا .

وهذه الجامعة توجد فى متسع عظيم من الارض ، قامت على أبعاد مختلفة فى بنايات كثيرة تفصلها عن بعضها الاشجار الزاهرة ، والازهار العاطرة ، وكل بناء منها لنوع خاص من العلوم والفنون ، أو المتاحف المختلفة ، والمكتبات القيمة ، ومن هذه البنايات ماهو لسكن الطلبة ، بحيث أن كل مسكن منها هو دائما على غاية من النظافة ، ويحتوى على كل مايلزم الطالب من وسائل الراحة ، وهو لسكنى اثنين من الطلبة ، وبه قاعة للنوم وأخرى للمطالعة .

ومن هذه البنايات ناد كبير يمضى فيه الطلبه أوقات سمرهم ، وقد يتخلل ذلك شئ من أغانيهم وموسيقاهم ، مما يخفف عنهم ماعانوه فى عملهم اليومى من تعب ونصب . وللجامعة كنيسة بديعة لتأدية واجبات الطلبة الدينية . ومن ضمن أبنية الجامعة بناء خاص لتحرير جريدة الجامعة تجد به جميع أنواع الجرائد والمجلات المختلفة. ويحرر هذه الجريدة بعض الطلبة فى كل ما يمكن أن يسمح للطلبة التحرير فيه !!

وهذا يؤهلهم بعد تركهم الجامعة الى تعيينهم فى تحرير الجرائد فى ولايات الاتحاد . وتجد الآن محررى الجرائد الكبرى من طلبة هذه الجامعة ، وقد وصلوا الى مراكزهم المهمة فيها بما مارسوه من الثقافة الصحفية فى تحرير مجلة الجامعة .

ولهذه الجامعة شهرة كبيرة فى العابها الرياضية وخصوصا فى (الفوت بول) ، ولطلبتها مواقف كثيرة فى هذه اللعبة مع طلبة جامعة يال (بمدينة نيوها ڤن

الامريكية) والتى لاتقل عنها فى شهرتها . ولـكل من الجامعتين ملعب هائل ربما اجتمع فيه ٢٠٠ الف نفس فى مباراتهما ، وربما بلغ دخل الجامعة منه نصف مليون ريال فى كل سـنة ! !

واملاك هذه الجامعة تبلغ قيمتها ٢٥٠ مليون ريال ! ! ومع هـذا فان إدارتها تذيع من حين الى آخر منشورات تستندى بها أكف المتبرعين ، وكثيرا مايتبرع لها طلبتها بأموال طائلة . ومما يجـدر بنا ذكره أن بعض الطلبة الذين لاتسمح لهم مواردهم بمصاريف الدراسة يعلنون عن استعدادهم لتمضية وقت خلوهم فى خدمة من يطلبهم . وكثيرا ماتراهم فى مخازن التجارة ، أو دور الصناعة ، من أصيل يومهم الى نحو نصف الليل ، وهم يعملون فى خدمات أو مهن مختلفة ـ حتى فى نفس الجامعة ـ وهم بلباس الخدمـة ! ! فاذا طلع كوكب النهار كانوا أول الجالسين فى مقاعـدهم ضمن طلبة الجامعة . ومن أحسن مانشير اليه فى هـذا المقام أنهم يكونون عـلى الدوام ملحوظين باحـترام اخوانهم الذين يكبرون فيهـم تلك الهمة العالية ، ويعظمون منهم هذه النفس الأبية ، التى يصغر أمامها كل تعب ونصب فى سبيل الثقافة والتعليم .

ومما يذكر مع الاجلال والأكبار : أن المستر ويدنار ، ومدام ويدنار ، أنشآ فى سـنة ١٩٠٠ لجامعة هارفارد مكتبة من أحسن وأكبر مكتبات العالم تذكارا لولدهما الذى مات فى سن العشرين فى حادثة غرق الباخرة (تيتانيك) . وأبواب هذه المكتبة مفتوحة لمباحث الطلبة والمدرسين على الدوام .

***

وحيث أنا ضربنا لك هـذا المثل بدور التعليم بالولايات المتحدة : فيجدر بنا أن نذكر — عـلى سبيل المثال — همة رجـل من رجال الاتحاد الذين غمروا بكرمهم وهباتهم معاهد الثقافة والتعليم ، وخدموا الانسانية بمالهم من تلك الأيادى البيضاء التى تذكر فتشكر :

ـ روكفلر ـ

فى سنة ١٨٩٠ تبرع هذا الرجل الكريم بمبلغ ٢٥ مليون ريال لجامعة شيكاجو وخصص قسما من هذا المبلغ لتعليم الفقراء ! !

وفى سنة ١٩١٠ وضع مبلغ مائة الف دولار تحت تصرف مؤتمر الولايات المتحدة فى واشنجتون بقصد مساعدة الانسانية فى عمومها ، وبلاد الاتحاد فى خصوصها ! !

وفى سنة ١٩٢٠ زاد هذه المنحة الى ١٧٠ الف دولار .

وفى سنة ١٩٢١ تبرع بخمسة ملايين دولار لانهاض التعليم فى كندا . وفيها تبرع بخمسة ملايين دولار لانهاض الطب فى لوندره .

ولروكفلر غير هذه التبرعات مدرسة الطب التى أقامها فى سنة ١٩٠١ بالولايات المتحدة خاصة للمباحث الطبية ، وأقام بجوارها مستشفى بما يلزمه من المعامل والآلات من كل نوع مما يحتاجه الطب فى كل فروعه ، وعلى الأخص فى الامراض الباطنية ، والبكتريولوجية ، والفسيولوجية ، والكيماوية التى لها علاقة بالداء والدواء . ومن أنظمة هذه المدرسة أن طلبتها لايسمح لهم بمزاولة مهنتهم فى الخارج . بل يقصرون أنفسهم على البحث الطبى فحسب .

ولم تقتصر هبات هذا الرجل الكريم على ذلك بل له فى كل يوم مأثرة جديدة لبلاده . ومنها ذلك البيت الهائل الذى أهداه الى جامعة كولومبيا فى نيويورك — وقد مر بك ذكره — وأظن أن مصر لاتنسى ماعرضه عليها من منحة (٢ مليون جنيه) منذ سنتين لاقامة معهد للعاديات المصرية بالقاهرة ، فابت عليه الا أن ينزل فى منحته على شرطها ، فلم يجبها الى طلبها ، وبذلك فقدت مصر بمنحة هذا الرجل الكريم أثرا ربما كان له فى البلاد نفع لايستهان به .

وكل يوم لروكفلر خارج بلاده من الهبات الجليله ماتشكره عليه الانسانية .

أما كارنيجى ، ومورجان ، وفورد ، فلهم هبات كثيرة ولكنها كلها لتثقيف العمال فى دائرة أعمالهم الخاصة . ويوجد غير هؤلاء الكرماء من الأمريكان كثيرون جدا أقاموا دورا للتعليم ، والمستشفيات ، وغيرها من الاعمال الجليلة . وليس هنا محل حصر ما للأمريكان من أعمال الخير فى بلادهم ، ولكن غرضنا الاشارة الى ماقام به بعضهم عسى أن يكون تفكهة ، أو تسلية ، أو (تذكرة لأعياننا) تلفتهم بها أريحتهم الى وطنهم ، لاسيما فى زمن يراد به تعميم التعليم بين الاهلين .

***

وبمناسبة هذه الهبات الجليلة التى قام ويقوم بها الامريكان لبلادهم ، مما لم نسمع به فى جهة أخرى فى عالمنا القديم ، وخصوصا فى الشرق ! ! ! نذكر تلك الهبة العظيمة المباركة التى تقدر (بعشرة ملايين من الجنيهات الانجليزية) والتى وهبتها صاحبة السمو البيجوم ملكة باهوبال الهندية الى ترقية الجامعة الاسلامية فى سنة ١٩٢٣ م جزاها الله خير الجزاء .

التعليم بالولايات المتحدة

والتعليم عندهم انما ينظرون فيه الى الغاية المقصودة منه ، وهذه الغاية تدور حول حياة الامريكى العملية ، التى تفتح أمامه أبواب الكسب بكل سهولة وبكل سرعة . وهو على هذه القاعدة أبعد التعاليم عن النظريات الرياضية ، أو التحليلات الكيماوية التى يفنى الانسان حياته بين أجهزتها للبحث عن جوهر ربما لايصل اليه فى طريق بحثه الطويل . وهم اذا كانوا نجحوا فى أعمالهم الصناعية التى تتوقف على الرياضيات — وخصوصا علم الكيميا — فانما كان ذلك باستخدامهم المهندسين والكيماويين من الالمان والسويسريين وغيرهم ، وحاجاتهم الكيماوية تردهم فى الغالب من أوربا وخصوصا من ألمانيا . واحتفالهم بالنظريات العلمية أقل من

احتفالهم بتكوين الشخص من جهة اخلاقه وحسن سلوكه بحيث يخرج من مدرسته وهو عضو عامل فى جسم البلاد . أما تعليم الآداب والفلسفة والقانون والتاريخ فهى عندهم تكاد تكون فى المرتبة الثانية ، أو الثالثة ، وهى عندهم كماليات للتحلية أو التسلية .

وبالجملة فالتعليم عندهم يدور على أمور ثلاثة : الصناعة ، والزراعة ، والتجارة . والصناعة والزراعة هما عندهم آلتان موصلتان الى التجارة التى عليها حياة بلادهم ، ولذلك ترى اهتمامهم بالصناعة اهتماما يفوق الوصف ، وهم الآن يهتمون بالزراعة بما لا ينقص عن اهتمامهم بالصناعة .

والتعليم الصناعى من ضرورياته شئ اسمه مصنع ، فهم يحتاجون فيه الى تصميم البناء ، ثم الى رسمه ، ثم الى إقامته ، وذلك كله مع مايلزمه من الاقتصاد فى المصاريف .

نهضت بهم هذه الفكرة الى اختراع الآلات التى تسهل العمل ، وتوفر من الزمن ، واحكموا معها فروع الأعمال بحيث أصبحت عندهم شركات خاصة بهندسة البناء ، وشركات لاقامته على الرسم المطلوب ، وشركات لنقل المواد الاولية الى مكان العمل ، وشركات لتشغيل الآلات الميكانيكية ، وشركات للمسائل الصحية ، وترى الكل يعمل فى آن واحد بحيث يتم العمل فى أقرب وقت وعلى أحسن نظام ! !

وعليه فاللازم لذلك هى العلوم الهندسية العملية من ميكانيكية وصحية وغيرها ، ومما يدور حول ذلك من علوم طبيعية واقتصادية ، وما الى ذلك من علوم استخراج المعادن وتنقيتها من الغريب ، وعلوم النقل ، كمد السكك الحديدية . فهذه العلوم كلها تعلم عندهم بتوسع ولكن بصفة تكاد أن تكون عملية صرفة ، ليس للنظريات فيها مجال واسع ، وترى لكل علم من هذه معامل خاصة به ، غنية بالآلات التى لاتجدها فى معامل أخرى بالممالك الأوربية ، فيخرج الطالب من المدرسة وقد

أمضى زمنا فى مزاولة العلم من طريق العمل ، عارفا بها من هذه الجهة ، ثم اذا هو تخصص بعد ذلك فى شئ منها أتقنه عمليا حتى اذا تجاوز دائرة التعليم الى دائرة العمل لم يقف فى طريقه شئ من العوائق . ودور التعليم العملى كثيرة جدا : فمنها ماهو للميكانيكى ، والكهربائى ، والصحى ، والمعادن ، ورسم التصميمات الآليه ، والبنائية وحتى الاشياء التى نراها نحن تافهة لها عندهم مدارس خاصة ، كعمل الساعات ، وعمل الجبن واللبن والزبدة ، وسواقة الاتوموبيل ، والمطابع ، والبناء ، والبياض والنقش ، وعندهم مدارس للعرفاء (رؤساء العمل) وليس من قيد فى سن الطلبة (كما هو عندنا) خصوصا فى مدارس الارياف بل ربما وصل سن الطالب الى أربعين سنة ! !

والامريكان يفتخرون بانه اذا كانت القرون الوسطى انتجت كثيرا من الكنائس الفاخرة ، فانهم فى هذا الزمن أوجدوا كثيرا من دور التعليم .

وعلى كل حال فالصناعة هنا وإن كانت عملية فى عمومها ، فانها مبينة على العلم ، لذلك تراها راقية من يوم الى آخر برقى العلم ، وأنك لو رأيت مصنعا ، أو معملا هنا من عشرين سنة ، وزرته اليوم ، لرأيته غيره فى الزمن السابق ، لما دخل عليه من الاصلاح والتعديل ، لا كحالته عندنا موروث عن الجدود الغابرين ، لافى ذات المصنع وحسب ، بل وفى الصناعة نفسها ! ! أنظر مثلا الى هذا المحراث الذى فى يد فلاحنا — تراه هو بعينه ذلك الذى بين جدران المتحف المصرى ، رغما عما عندنا من وزارة الزراعة التى لم تعن بدراسة واصلاح حالته بحيث يكون أصلح مما هو عليه الآن . ولم لاتهتم الوزارة بدراسة حالة المحراث الافرنكى الذى نراه غير واف بالغرض فى بلادنا لانه لم يصنع بنسبة تتمشى مع صلابة أراضينا ، وتطلب من مصانع الآلات الزراعية تكييفه بما يصلح به حاله عندنا .

ومن أهم ضروب التعليم عندهم التعليم الرياضى الجسمانى ، فان لهم به عناية خاصة ، حتى بلغ من أمر الالعاب الرياضية بنيويورك أنهم طلبوا لادارتها محافظ

نيويورك ، وما أدراك ما محافظ نيويورك ؟ ؟ بمرتب مائة الف دولار فى السنة ! !
أما التعليم الزراعى فمداره على المحاضرات العلمية ، والتحاليل الكيماوية ، والدروس العملية .

أما التعليم التجارى فقوامه على الاقتصاد المالى والتجارى ، بما فى ذلك معرفة حركة الاسواق فى العالم ، ومداره على المرونة التجارية ، ودوام الحركة ، وكثرة الاعلان المروّج للصنف لما فيه من المزايا الكبرى . والامريكان مشهورون بمبالغتهم فى الاعلان عن بضائعهم ، حتى لقد تبلغ مصاريف الاعلانات التجارية فى الولايات المتحدة سواء كانت فى الجرائد أو متفرقة فى نشرات خاصة بها ، أو بما تراه من الانوار التى تجذب الانظار اليها ، أكثر من ثمانمائة مليون دولار فى السنة ! !

وعليه فالتجارة هى النتيجة الوحيدة لهذه الحركة الهائلة الصناعية والزراعية مما تجده فى هذه البلاد من أقصاها الى أقصاها . تلك هى النعمة التى تحف بها كل أنواع السعادات ، تلك هى النعمة التى يدرسون أساليبها والاسباب التى يصلون بها الى الغاية منها ، تلك هى النعمة التى انما هى حياة البلاد المتمدينة ، والتى انما هى الاساس الذى ترتكز عليه الآن جميع المسائل الاقتصادية فى الأمم ، المقياس الذى يقيسون به مبلغ الثروة والسلام فى العالم كله . وهل كانت الحرب الكبرى فى حقيقتها إلا احدى النتائج الاقتصادية فى الدول الكبرى ؟ وهل حروب الصين الآن إلا إحدى هذه النتائج ؟ ! ذلك أن الأمم الكبرى انما تعمل لحياتها من طريق التجارة . وهل كان الاستعمار الا احدى آلاتها المروجة لها ؟ . إذن فالتجارة هى محل اهتمام الدول الكبرى خاصة ، والعالم كله بصفة عامة .

أما نحن — والحمد لله — فنحن بعيدون عن ذلك : لانا ربينا على احتقار التجارة وعدم العناية بها ، وكان همنا وهم آبائنا هو شرف الخدمة فى مصالح الحكومة وهل تنسى أبدا ذلك الأثر الخالد الذى ورثناه عن الآباء والاجداد : « إن فاتك الميرى اتمرغ فى ترابه » ! ! ورؤساء الحكومة أنفسهم لم يأبهوا بهذه الناحية من

حياة الامة ! ! أنظر الى بعثات محمد عـلى محيي مصر — هذه البعثات التى قامت عليها حيوية البلاد فى مرافقها الهندسـية ، والزراعيـة ، والصحية ، والحربيـة ، والبحرية ، ومايتبع ذلك من الصناعات المختلفة ، كعمل الاسلحة ، ومد المراكب ، وصناعة البناء ، والنسيج ، فهل كان منها شئ يختص بالتجارة .

والجواب بسيط جدا : هو لا ، ثم لا ! ! والسبب فى ذلك أن موارد البلاد الزراعيـة كلها كانت تحفظ فى أشوان للحكومة ، وهى تصرفها الى تجار يأتون لمشتراها من الخارج ، ليست لهم علاقة البتة بأحد من الأهالى . وعليه فاشتغال الحكومة فى ذلك الوقت بالتجارة أماتها فى وسطها القومى !! فلما أتى عباس الأول محاما أقامه محمد على من دور الصناعات ، فأصبحت البلاد ميتة فى صناعتها وتجارتها !! وجاء سعيدفلم يهتم إلا بجنديته التى كان يقطع معها طول البلاد من شمالها الى جنوبها ! حتى اذاجاء اسماعيل وأخـذ فى اصلاح البـلاد فى كل مرافقها كانت التجارة بين أيدى الأجانب ، وعلى الخصوص الأروام ومن سار على نهجهم من السوريين ، وبذلك صار المصرى أبعد الناس عن شئ اسمه تجارة ، بل كان يحتقرها لجهله بما فيها من مزاياها الحيوية ، وكان لفظ تاجر اذا أطلق فانه لاينصرف الا على هؤلاء الذين كانوا يعملون فى دكاكينهم الحقيرة فيما بين جامع المؤيد وباب الفتوح وما اليه من الجمالية ! ! وهو المركز التجارى للبلاد من يوم بنى جوهر القاهرة فى منتصف القرن الرابع الهجرى . وتجارتهم كانت محصورة فى الخامات وما يتصل بها من مصنوعات الأستانة ، ومن تجارة الهند والشام ، كالبن والعقاقير والأدهان والفواكه الجافة . ولاتزال هذه الأصناف فى أماكنها بين أيدى المصريين ، أما ماعدا ذلك مما يستنزف مالية البلاد فهو فى يد الأجانب وفى حكمهم ، واذا وجد منهم غير ذلك قليل ، على أنهم لم ينجوا من كارثة الأزمات الأخيرة التى كانت من نتائج الحرب العالمية مما قعد بغير واحد من هذه البيوتات الـكبيرة التى لايمكن أن تسعد البلاد بمثلها فى زمن قريب ! ! !

ومصانع الولايات المتحدة توجد فى ولايات الشمال فى الغالب لكثرة مافى أرضها من المعادن الأولية . وبناء المعامل يتم بسرعة هائلة ، لأنه يعطى مرة واحدة الى الفنيين العاملين فيه : فمن عامل فى البناء ، ومن عامل فى الآلات ، ومن عامل فى الأبواب والشبابيك ، بحيث يتم العمل فى وقت واحد ، وبسرعة هائلة . والبناء كله عادة هنا من البناء المسلح ، وهم يراعون قبل كل شئ أن يكون البناء قريبا من الطرق الحديدية أو النهرية ، حتى يسهل نقل مايلزم من المواد التى تقوم بكيانه . وكل هذا انما يقوم بالآلات الميكانيكية المختلفة : فمن رافعة ، ومن واضعة ، ومن مثبتة ، بحيث لاترى من الأيدى العاملة غير القليل الذى لايتناسب فى نظرك مع عظمة البناء ، لذلك ترى الصانع البسيط يتقن حركة الآلة الميكانيكية التى يشتغل عليها ولايتطلب منه العمل بها إلا ملاحظة دقيقة فى تحريكها ، وعلى هذا ترى الايدى تعمل بسرعة تتكافأ مع سرعة الحركة الميكانيكية ، حتى لكأنك ترى العمال أنفسهم مندمجين فى نفس آلات الحركة الميكانيكية العامة . وجميع الآلات تعمل بسرعة هائلة ، حتى ولوجر ذلك الى كسرها ليغيروها بسواها أحسن وأمتن .

والبنوك تساعد على رواج الأعمال الصناعية مساعدة كبيرة ، بحيث لها الفضل فى نمو الصناعات بالولايات المتحدة ، كما لها الفضل فى تنمية جميع المشاريع الاقتصادية والمالية : ذلك لأنها تقدم الأموال الى أصحاب المصانع لأقامتها مادامت على ثقة من نجاح مشروعاتهم ، وحتى شركات السكك الحديدية تعرض على أصحاب المصانع أن تمد سككها الى مصانعهم مجانا فى نظير تمتعها بنقل مصنوعاتهم فيما بعد الى الجهات المصدرة اليها .

وحول المصانع ترى منازل العمال على أحسن نظام وعلى ترتيب صحى ، وترى بها مايلزم لهم من الأندية التى يجتمعون اليها فى أوقات فراغهم ، ومن المستشفيات ، والمصحات ، والملاعب ، والمتنزهات ، والدكاكين ، التى بها جميع لوازمهم

الحيوية ، والحمامات ، والمطاعم ، والمدارس ، والكنائس ، وكل هذا بتصميم جميل يعمل مع تصميم المعمل . بهذا وذاك كثرت المصانع وتوفرت الصناعات فى أمريكا لمتانة الثقة فى نجاحها ! !

أما عندنا فالمشاريع التى من هذا القبيل — وإن شئت فقل جميع المشاريع المالية — لاثقة لأحد بها ، حتى ولو أخذت نصيبها من العمل !! ذلك لأن فلسفة غالب الناس لاتخيل اليهم غير الفشل ! ! نعم قد يكون الفشل نصيب بعض الاعمال التى ذهبت فى نشاطها الى ماوراء طبيعة العمل بحيث لم يكن للروية ولا للتؤدة ولا للاخلاص فيها أى نصيب ، أما اذا كانت مشاريعنا الصناعية والتجارية مبنية على العقل والحكمة ونزاهة العاملين فيها ، فليس أمامها غير النجاح ، وليس من برهان أمامنا غير بنك مصر وشركاته الصناعية والتجارية .

لقد فرغ الناس فى أمريكا من التكالب على استخراج الذهب من أرض كاليفورنيا وكولورادو — لاشتغالهم باستخراج المعادن التى تقوم بها الصناعات المختلفة التى فتحت لهم أبواب الثروة على مصاريعها ، وهاهى مصنوعاتهم تنهال على أسواق العالم كله من جديد وقديم ، فمن أدوات زراعية ، الى أتوموبيلات ، الى آلات ميكانيكية وغيرها وغيرها . وقد تسمع بعض الناس يقول : إن الصناعات الألمانية أتقن وأحسن مما يماثلها من الصنائع الأمريكية ، فاذا سلمنا له بذلك قلنا : إن كثرة مايعمل من الصناعات فى أمريكا يملأ الاسواق — وخصوصا فى الشرق الأدنى — وهلا ترى سياسة الولايات المتحدة فى الصين مبنية على مظاهر الرحمة والأشفاق حتى تستميلها اليها وتفتح أبوابها لتجاراتها وصناعاتها ! ! كما قفلته فى وجه الصناعات والتجارات الانكليزية ! ! وبالجملة فقد كانت الصناعة الأمريكية قبل الحرب فى الدرجة الرابعة أعنى بعد انكلترا والمانيا . أما الآن فهى فى مقدمة الجميع ! !

ولقد نهضت مصر فى هذه الآونة الأخيرة فى بعض الأعمال الصناعية ،

وقد قام بنك مصر أخيرا بعمل جليل هو مشروع (مصنع الغزل والنسيج) فهل لحكومتنا أن تساعده تلك المساعدة التى تضمن نجاحه الذى يكون نواة لمجدها الصناعى بل والزراعى، لانه يخفف ضغط الاسواق الاجنبيه على القطن الذى هو ثروة البلاد ؟ ذلك مانرجوه منها إن شاء الله .

وفى الولايات المتحدة شركات للسوكرتاه على المبانى ضد الحريق ، وخصوصا على المصانع . ومن أكبر هذه الشركات شركة اسمها « اركرابت » والغرض من شركات السوكرتاه هنا ليس فقط ضمانة قيمة الأشياء المحروقة ، بل الغرض منها عمل كل مايلزم لمنع الحريق ، أو للوقوف فى طريقه بمجرد شبوب النيران . وذلك فى نظير أجر بسيط يتروح بين أربعة الى أربعين ، من الريال فى كل مائة ريال سنويا . وللشركة المذكورة معمل كبير فيه مكتب بولاية بروفتس به عدد عظيم من المهندسين والكيماويين والطبيعيين الذين يعملون ليل نهار فى دراسة كل مامن شأنه محاربة النيران ! ! وقد وضعوا رسوما مخصوصة للمصانع بحيث يمكن معها وضع تلك الأجهزة التى تتخلل جوها لتقيها من النيران بمجرد شبوبها بطريقة أوتوماتيكية (عملية) : ذلك أنهم يضعون فى أعلا المصنع صهريجا كبيرا مملوءاً بالماء على الدوام ، وتنزل منه مواسير الى كل جهة من سماء المصنع ، وهى تتصل من جهة أخرى بجهاز كهربائى يسمونه « اسبر نكلر » : وهو عبارة عن زجاجة عظيمة مملوءة بمادة كيماوية اذا أحست بحرارة نار بسيطة انفجرت ، هنالك تنفتح أفواه ميازيب الماء من كل جهة فينزل على شبه مطر شديد يطرد الهواء من جو المصنع ، فتخمد أنفاس النيران فى الحال . وفى الوقت نفسه تنفتح أبواب كثيرة من جدر المصنع بحال أتوماتيكية فيخرج العمال كل من الباب الخاص به من غير هرج ولامرج ، حتى إذا أطفئت النيران وقف نزول المطر ، وابتلعت الارض ماءها ، ورجعت الأبواب الى أماكنها ، وعادت العمال الى عملها ، وكأنه لم يكن شئ غير عادى ذهلت له النفوس ، وارتاعت من هوله القلوب ! !

وقد تتغلب النيران لوقوف شئ من هـذه الاجهزة عن عمله لأى سبب من الاسـباب الغير المنتظرة . وما هى الا أسابيع بعدد أصابع اليد حتى يرجع المصنع الى أحسن مما كان عليه ، بواسطة احد المقاولين الذى يتعهد باقامته على نظام جديد فى مدة لاتزيد عن شهر ونصف أو شهرين على الا كثر ! ! يستأنف بعدها المصنع عمله حتى لـكأنه كان فى اجازة يرتاح فيها بضعة أيام من عمله ! !

النقابات في الولايات المتحدة

الشركات التجارية التى من نوع واحد ، تجمعها نقابة عامة لتنظيم مسألة البيع والشراء من غير أن يكون هناك احتكار يؤدى الى التنافس الذى لاتحمد نتائجه . ولهذه النقابات قوانين تمنع الشركات من التصرف فى تحديد الاسعار بما يكون من ورائه الاضرار بالافراد ، اللهم إلا فى البضائع المصدرة الى الخارج .

أما النقابات الزراعية ، فلـكل طائفة من المزارعين نقابة تشترى لهم كل مايلزمهم من الا ٓلات والسماد والبذور . وهذه النقابات تبيع لهم محاصيلهم مع عدم الدخول فى منافسات مع نقابات أخرى قد تكون سببا فى نزول الاسعار . وهناك نقابة للغلال فى شيكاجو تـكاد يكون لها فرع فى كل مدينة من مدن الولايات المتحدة ، ومن شأنها ابداء النصائح للمزارعين بما يزيد فى غلاتهم ويحفظها من عبث الرطوبة وغيرها من الحشرات الفتاكة وما فى معنى ذلك ، حتى اذا تسلمتها النقابة من الزراع عملت كل مجهودها فى الوقوف على السعر الحالى فى جميع بلاد العالم بالتلغراف ، وتصرف ماعنـدها من البضائع بحال تضمن مصلحـة المشتركين فيها . ولـكل صنف من الاصناف الزراعيـة نقابة خاصة به لبيعه لحساب أربابه . ويوجـد بالولايات المتحدة أ كثر من ١٢ الف نقابة زراعية ! ! !

أما مايتعلق بالفلاح من الوجهة المالية ، فوزارة الزراعة قد قامت بايجاد بنوك كثيرة فى جميع المناطق الزراعيـة لتسليف الفلاحين مايلزمهم بمـا لايزيد عن ٥ فى

المائة حتى تمنعهم من بيع محاصيلهم فى أوقات لا يكون فيها السعر فى مصلحتهم .

ولو كانت حكومتنا حين قررت وقت الازمة القطنية فى الربيع الماضى مبلغ الأربعة ملايين من الجنيهات لتسليفها للفلاح حتى يحتفظ بقطنه ولا يبيعه بذلك الثمن البخس ، فتحت به لصغار الفلاحين بنكا زراعيا له فرع بسيط فى كل مديرية يكون مدار التسليف فيه بمقتضى استمارة من صراف القرية ، بحيث لاتزيد فائدة سلفياته عن خمسة فى المائة فى السنة ، لكان هذا البنك من أكبر النعم على الفلاحين ، وكان بطبيعته فى زمن قريب نواة لبنك أكبر يغذى النقابات الزراعية التى نجد بلادنا فى حاجة كبيرة اليها ، وهى مما تهمله حكومتنا إهمالا جديا .

ومن أهم ماقامت به وزارة الزراعة بالولايات المتحدة ، شئ اسمه الاقتصاد المنزلى للفلاحين ، وهو مايضمن راحتهم ورفاهتهم ويحفظهم من عبث صغار التجار ، ويدخل فى هذا القسم تدبير كل مايلزم للفلاح من رسم لداره ، وأثاث لمنزله ، وآلات لزراعته وملابس له ولعائلته .

وهذه الوزارة تهتم بصفة عامة بحالة الفلاح حتى فى حياته المنزلية فهى تذيع فيهم نشرات سهلة بلغة يفهمونها تشرح لهم فيها كل جديد نافع من الاساليب وترشد أمهات العائلات الى تدبيرها المنزلى ، ثم الى التربية العائلية الريفية ومايزيد فى رابطتها وسعادتها ، ومايتبع ذلك من ثقافة الأطفال بما يتناسب مع الوسط الذى يعيشون ويعملون فيه ، وذلك بواسطة المحاضرات الشيقة التى تربى فيهم روح الفضائل ، مع الابتعاد عن الرذائل . وكثيرا مايكون ذلك كله بواسطة الصور المتحركة التى تشرح لهم مختلف العمليات الزراعية وما اليها من انتقاء البذور ، ومعالجة أمراض النباتات والعناية بالاسبخة ، وتربية الماشية والنحل والطيور الداجنة ، مع ماوصل اليه الاختراع من الآلات الزراعية الجديدة . وعند الوزارة من هذه الاشرطة المختلفة أكثر من الفين شريط قد تصل لغتها الصامتة الى غور بعيد من قلوب النظارة بما لم تصل اليه بلاغة الخطباء والمحاضرين .

ومن أعمال الوزارة المهمة اذاعتها كل يوم بالراديو أثمان المحاصيل ـ والمخزون منها — وحالة الجو — فى جميع جهات العالم : لذلك تجد سواد الفلاحين عند كل منهم آلة راديو فى بيته ليكون على الدوام على علم من أخبار العالم الزراعية ، وغير الزراعية ، مع مايزيد فى سروره وغبطة عائلته بما يسمعونه من نغمات الموسيقى والاغنية ، والمحاضرات ، والخطب ، سواء فى أمريكا أو فى غيرها . وتنشر الوزارة فى أول كل سنة مايهم الزراع من أنواع الزراعة الجديدة ليعمل كل حسابه كما أن شركات التعاون تعمل حسابها هى الأخرى من جهة تصريف المحاصيل التى تدخل الى عهدتها ، وتنصح هذه الشركات أيضا زبائنها ـ فى حينه ـ بحاجة السوق الى الاقلال أو الاكثار من كل صنف من الاصناف .

لا كما هو الحال عندنا من تردد الوزارة كل سنة فى أمر واحد هو اطلاق زراعة القطن أو تحديدها بالثلث ! ولاتزال فى ترددها هذا ، والزراع أيضا فى اضطرابهم لعدم معرفتهم بالترتيب الذى يجب أن يكون عليه زراعتهم الشتوية والصيفية ، وقد يصدر أمر الوزارة بضرورة زراعة الثلث ، بعد أن يكون المزارع رتب زراعته الشتوية على فكرة الاطلاق ، وهنالك يضطر الى تبوير الأرض التى زادت من ترتيب القطن عن الثلث ، وهناك تكون الطامة الكبرى ، خصوصا اذا اضفت ذلك الى رخص الأسعار ، وفداحة أجر العمال فى هذه السنين .

والوزارة بالولايات المتحدة تسهر على تنفيذ جميع القوانين التى يسنها البرلمان لحماية الزراع .

وفى واشنجتون أكثر من ماية وخمسين ممثلا لنقابات وشركات مختلفة ، ولهم اجتماعات يقررون فيها سياستهم الزراعية ، أو الصناعية ، لها أثرها فى البرلمان وفى الجرائد والبنوك ، بل لها أثرها على نفس الحكومة فى كل ما كان له علاقة بهؤلاء الذين يمثلونهم .

أما العمال فحسبهم قانون تلر حافظا لحقوقهم ، ولهم أيضا نقابات تعمل لمصلحتهم

وخصوصا فيما يختص بلوازمهم المنزلية . وأما التجار فلهم غرفهم التى لاحصر لها ، ولهـذه الغرف أعضاء فى كل جهات المسكونة ، ولهـذه الغرف إرشاداتها المستمرة للشركات التى لها ارتباط بها يساعـدها على تعرف حالة الأسواق فى أنحاء العالم ، وهذا وحده السر فى نهوضها بسرعة تكاد تتجاوز حـد المعقول . وقد تسقط فى أمريكا شركات ، وتقوم على أنقاضها شركات أخرى بسبب المخاطرة التى تدخل فى حدود المقامرة ، ولـكن هـذا أصبح شيئا عاديا فى أمريكا بحيث لاتنزعج منه أعصاب الأسواق ، ولا يكاد يلتفت اليها نظر الأفراد .

وليست كارثة وول استريت فى هذه السنة ، والتى نشأ عنها خراب مئات من البيوت المالية الـكبرى بأمريكا وغـيرها ، بل شملت ازمتها المالية العالم من أقصاه الى أقصاه ـ الاحالة فذة لم تمر على وقف تيارها عقلية البلاد الاقتصادية . خسرت فيها أمريكا وحـدها أكثر من عشرين ألف مليون من الجنيهات ! ! ولولا حزم رئيس الاتحاد وتدخله فى الأمر بنصائحه وبنفوذه لـكانت الخسائر أضعاف ذلك .

— التربة الزراعية —

يظهر أن أقدم الدول اشتغالا بالتربة الزراعيـة هى انـكلترا ، لأن بها أقدم مصلحـة تشـتغل بالتربة ، ورئيسها الآن هو السير جون رسـل منذ أكثر من ثلاثين سنة .

أما فى الولايات المتحدة فمصلحة التربة تعمل من خمس وعشرين سنة متبعة روح الجملة التاريخية التى أرسل بها الرئيس الأول جورج واشنجتون الى المؤتمر الأول الذى أقيم سنة ١٧٩٦ وهى : « بقدر الزياده التى تحصل فى الأمم بقدر ماتـكون العناية بالتربة الزراعية فى الأمة جميعها » .

وقد ساعد على تقرير هذه الفـكرة تشكيل وزارة زراعية فى انـكلترا سـنة ١٧٩٣ . ولم يكن واشنجتون يهتم برفعة بلاده سياسيا واقتصاديا وحربيا ، بل كان

اهتمامه موجها مع ذلك الى ترقيـة الأراضى الضعيفة لتساعد بخصوبتها يوما من الأيام على سعادة الفلاح ، إلا أن القوم لم يبدؤا بعمل تجاريب علمية زراعية إلا فى سنة ١٨٣٩ .

وفى سـنة ١٨٤٩ تـكونت مصلحة الزراعة بالولايات ، وفى سـنة ١٨٥٢ تشكلت الجمعية الزراعية بها ، وغرضها الوحيد ترقية المسائل الزراعيـة بأراضى الجمهورية المتحدة .

وكانت هذه الجمعية نواة لتكوين وزارة للزراعة ، صدر أمر الرئيس لنـكولن بأنشائها سنة ١٨٦٠ . وفى هذه السنة انشئت أول مدرسة زراعية . وفى سنة ١٨٩١ أنشؤا قسما للتغييرات الزمنية وألحقوه بوزارة الزراعة ، ثم أنشأوا بها إدارة للتربيـة وهذه الادارة صارت مستقلة بنفسها فى سنة ١٩٠١ .

ومن هذا الوقت أخذوا يبحثون عن التربة الصالحة لزاعة الدخان ، والصالحة للقطن ، وللذرة ، وللقمح ، ولغير ذلك . وكانت النتيجة تقدم الشؤون الزراعيـة فى عمومها . وذلك بتقسيمها الأراضى الزراعيـة الى جملة مناطق فى دائرة تبلغ مساحتها ١٢٨٠٠٠٠ ميـل مربع : وهو يساوى ٤٣ من ١٠٠ من أراضى الولايات المتحدة .

ومن جهة أخرى فان مصلحة التربة حللت الأراضى الملحية وعرفت كيف تستفيد منها . وبالجملة فقد توصلت الى تحليل الأراضى وترتيبها بحسب درجة طبقاتها المتداخلة بعضها فى بعض (سداة الأرض ولحمتها) ، وتوصلت من ذلك الى تعيين كل نوع من أنواع الأرض وصلاحيته لانتاج أى نوع من الزراعات المختلفة . وقد توصلت الى استخراج البوتاسا من الهباب الذى يتطاير من مداخن المصانع بحيث تحصلت منه على مائة الف طن استفادت منه فى زراعتها . وقد توصلت الى عمل حمض الفوسفوريك من الحجر والصخور ، واستعملته ضمن الأسبخة الزراعية . وهى الآن تدرس طبيعة التربة وترسم لها خريطات مختلفة ، وتدرس المسائل الأزوتية

بصفة عامة ، والتجارب التى تهتم بها الآن هى : البحث عن الأزوت الموجود فى الجو على هيئة نوشادر لاستعماله فى تسبيخ أراضيها .

***

وهنا نقول : إن الزيادة فى القطر المصرى فى كل عشر سنوات تبلغ ثلاثة وثلاثين فى المائة من عدد السكان ، واذا كانت محاصيل البلاد الآن غير كافية لتموين أهالى القطر ، مع أنه قطر زراعى ، فكيف تكون حالته بعد خمسين سنة ؟ نحن يأتينا سنويا مقدار جسيم من القمح والدقيق والذرة من روسيا ورومانيا والشيلى والأرجنتين واستراليا، فهل لو قفل فى وجهنا باب تصدير مافضل من حاجة هذه البلاد يمكننا أن نعيش فى قطرنا الزراعى ؟ ! ! عندنا ملايين من الأفدنة التى لاتزرع الآن فى مديريات الوجه البحرى ، وعلى الخصوص فى مديرية الشرقية والغربية ، والبحيرة مع أنها كانت هى التى تمون مصر فى زمنها القديم ، فقد كان المصريون قبل المسيح بعشرين قرنا يزرعون وادى غسان ، فما باله الآن فى أغلب جهاته صحراء جرداء ؟ ؟ وكان العرب بعد الفتح يزرعون المنطقة التى من مدينة القرنة (اطلالها قرب القنطرة شرقى القنال) الى دمياط ، وكانت هذه المنطقة عامرة بالقرى والمدن الصناعية ، وكانوا يسمونها بستان مصر لكثرة خيراتها ، وغزارة فواكهها ، فما بالها الآن كراس الأصلع فى نباتها وسكانها ؟! وكان الرومان يزرعون المنطقة التى فى جهة مريوط ، وكان فيها من الكروم ما كانوا يدفعون خراج مصر من نبيذها الى رومه ، فما بالها اتصلت بالصحراء الغربية لاترى فيها غير بحر بلما (بحر بلا ماء وهو من فروع النيل القديمة الذى كان يصب جهة الاسكندرية فى البحر الأبيض المتوسط)؟ نحن ولاشك نسير القهقرى فى محاصيلنا لجملة أسباب — :

أولها : ضعف التربة لتوالى زراعة القطن فيها — ثم اصابتها جميعها بهذه الأمراض المختلفة التى أخذت تفتك بها من ربع قرن تقريبا !! وليس من اهتمام جدى من وزارة الزراعة .

أبتدأنا فى أعمالنا الزراعيـة بالجمعية الزراعية ، فـكان لهـا نعم الأثر مدة ربع قرن وخصوصا فى زمن المرحوم المبرور الامير (السلطان) حسين ، ثم أتت مصلحة الزراعة ، ثم وزارة الزراعة ، فما الذى أكتسبناه من المعلومات الزراعية فى مدتهما ؟؟ هل أمكننا أن نجد دواء لشى من أمراض النباتات واشجار الفاكهة ؟؟ ما الذى عمله القسم الذى يسمونه بكتريولوجى ؟ إنه يسمى لنا أمراضا ، ويرسم لنا اشكال ميكروبات ، ولـكن من غير أن يصف لنا الدواء ! ! وما الفائدة من ذلك ؟؟ إن المسائل الـكيماوية ليست عندنا إلا قشور لاتسمن ولا تغنى من جوع !!! نرسل الطلبة للتخصيص فى العلوم العالية الى أوروبا فيمضون بها سـنة أو سنتين ، وبعـد عودتهم نرى فيهم الـكفاية — فهل هذا صحيح ؟ انا أفتـكر ان التخصيص إنما هو لمن نضج من الاشخاص الذين زاولوا مهنتهم فى البلاد زمناما ، حتى اذا ذهبوا الى أوروبا أو الى أمريكا شعروا قبل كل شئ بالمسئولية التى عليهم فيشمرون عن ساعد الجد ،ويعملون لبلادهم ولانفسهم . لقد كان محمد على حين عزم على إرسال إرساليات علمية ، إنما أرسل من نضج فى عمله وثبت فى أخلاقه : وهؤلاء هم الذين خـدموا البـلاد بعد عودتهم بعلمهـم وبمؤلفاتهم ، ونقلوها من حالة ظلام حالك الى النور الذى ارشدنا الى طريق حضارتنا ومدنيتنا الحاليتين : وحيث أنا نتكلم فى المسألة الزراعية والـكيماوية ، فعندنا كتاب الزراعة لندا ، ومادة الرشـيدى فى الـكيميا ، منهلين عذبين نستمد منهما الى الآن كل مانحن فى حاجـة اليه من هـذين العلمين الجليلين أليس كذلك ؟؟

— مؤتمر التربة الزراعية —

تنسب فكرة اقامة مؤتمر للتربة الزراعية الى عالم روسى هو الدكتور چلنكا ، وقد كان لاجتماعه بعلماء التربة فى أوربا قبل الحرب ، أن تقرر أجتماع أول مؤتمر لها فى بطرسبورج سنة ١٩١٣ . ولـكن استعداد الدول للحرب العالمية وقف فى وجه

هذا المؤتمر . وفى سنة ١٩٢٤ اجتمع الدكتور چلنكا مع بعض علماء التربة فى المعهد الزراعى الدولى بايطاليا وجدد الكلام معهم فى أمر المؤتمر ، فقرروا اجتماع المؤتمر فى سنة ١٩٢٧ بمدينة واشنجتون . وانتخب الدكتور ليمان مدير جامعة نيوبرونسويك ، ورئيس محطه التجارب بها رئيسا له . وقد قرر مجلس النواب الامريكى دعوة دول العالم اليه ـ فلبى الدعوة جميع الدول ماعدا ، تركيا ، والصين. وحضر اليه بصفة رسمية فى أوائل يونيه الماضى ٧٦ مندوبا عن هذه الدول ، كما حضر لهذا الخصوص على مصاريفهم مئات من علماء أوربا وغيرها ،

ـ افتتاح المؤتمر الدولى الاول لعلم التربة ـ

فى صباح يوم ١٣ من شهر يونيه سنة ١٩٢٧ ذهبنا الى مقر الغرفة التجارية بواشنجتون ، ولا أدرى كيف نسميها غرفة وهى بناء ضخم ، فيه عشرات من الغرف الواسعة الجامعة بين فاخر الاثاث ، وكثرة العاملين ؟ فقيدنا اسمنا وبلادنا ومحل أقامتنا هنا ، ودفعنا لذلك رسما قدره ريالان لمن يريد قيد اسمه ، وحسب ، وخمسة ريالات لمن يريد أن ترسل اليه الغرفة بجميع مذكراتها وقراراتها من أعمال المؤتمر الى محل أقامته . وقد أعطونا كراسة صغيرة فيها جملة شيكات ، منها ماهو للعشاء ، ومنها ماهو للشاى ، ومنها ماهو للفسحة ، وهذا كله بثمن اسمى اخذوه منا . ومع هذه الكراسة دعوة رسمية من وزير الزراعة يدعونا فيها الى العشاء فى يوم ١٥ من شهر يونيه كما سلموا لكل عضو مدالية المؤتمر .

وفى الساعة الثانية بعد الظهر من هذا اليوم قصدنا الغرفة التجارية ، وصففنا جملة صفوف على شبه نصف دائرة فى حوش قصر الغرفة لاخذ صورتنا ، وبعد انتظامنا كل فى مكانه حضر جناب المستر كولدج رئيس الولايات المتحدة فى أبهة وداعته ، وعظمة ديموقراطيته ، ووقف فى منتصف القوس الاول ، ومن ورائه ضابطان هما ياورانه ، وبجواره الدكتور ليمان رئيس المؤتمر .

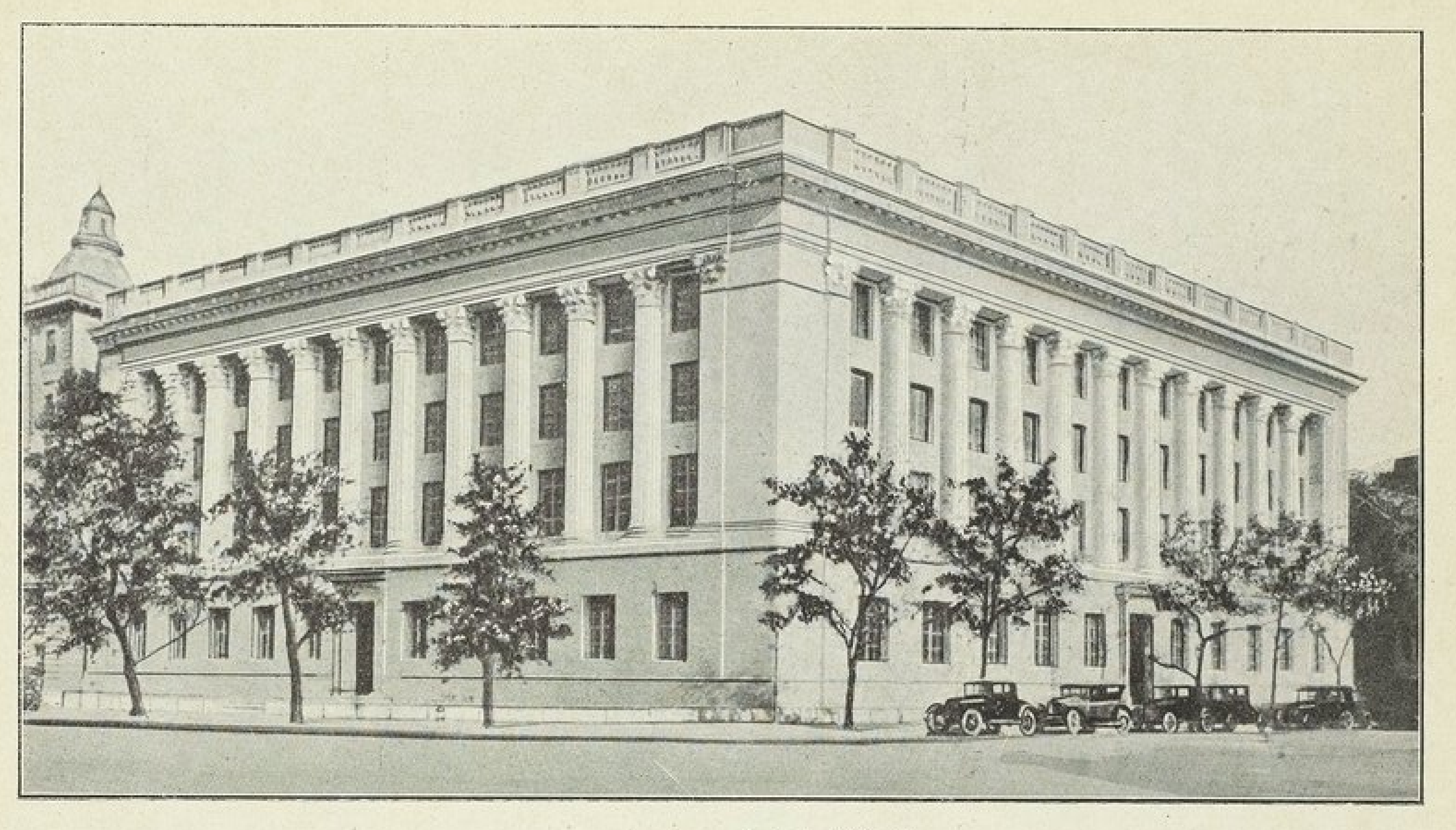
وبعد أخذ الصورة سرنا الى قاعة الاجتماعات ، وهى قاعة واسعة بها جملة مئات من الكراسى الثابتة ، وبعد أن أخذ كل مكانه دخل الرئيس كولدج الى منصة الخطابة ، ومن دونه ياوراه وجناب الدكتور ليبمان الذى رأس الجلسة ، وقدم الخطيب الى الحاضرين ، وهل تخفى الشمس ؟؟؟

وهنا أخذ رئيس البلاد يتلو خطابته فى عظمة ، ودعة ، وتؤدة ، وبلاغة ، وفصاحة : فلا لعثمة ، ولا تمتمة ، بل كانت خطابته أشبه شئ بمحاضرة لفطاحل هؤلاء الطلبة الذين أتوا من شرق المعمورة وغربها — وكانت طبعا دائرة حول التربة وتاريخها فى الولايات المتحدة ، وشكر الاعضاء على قبولهم دعوة بلاده الى هذا المؤتمر ، وبعد الخطابة قام الدكتور ليبمان وشكره بكلمات بسيطة ، انصرف بعدها الرئيس مع ياوريه ، فودعه الدكتور ليبمان (وحده) الى باب غرفة الاجتماع !!

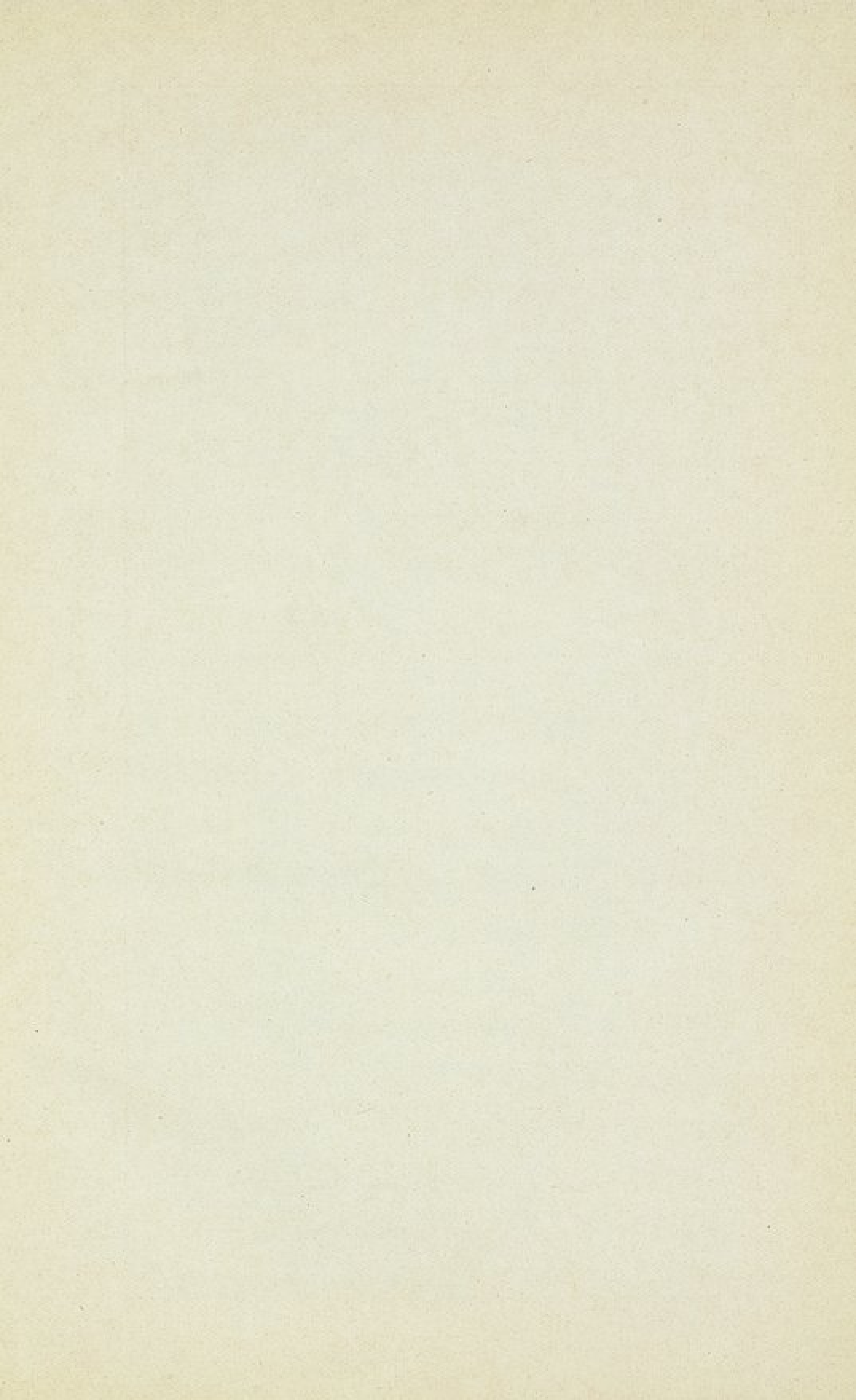
عاد الدكتور ليبمان الى كرسى الرئاسة وقال انه لايذكر أسماء الذين حضروا للمؤتمر بصفة رسمية وطلب من كل كلمة ، وهنا أخذ يذكر اسم مندوب كل دولة فيقوم ويقول كلمته ، ولما أتى دور مندوبنا قام حضرة المرحوم الاستاذ محمود بك أباظه وقال كلمات طيبات كانت كلها رجاء وآمال فى نفع بلاده من نتائج هذا المؤتمر . وانتهينا من هذه الجلسة فى الساعة الرابعة ، فدعينا الى قاعة الشاى ثم انصرفنا وكلنا فى غبطة بما رأينا من عظمة وآداب وكرم . وكانت فى دائرة حوش الغرفة صناديق مستطيلة من الزجاج طولها متران فى عرض نصف متر فيها أنواع التربة الموجودة فى الولايات وهى التى عملوا عليها ابحاثهم وبجوارها بعض التربة لبلاد أخرى ثم رسوم لتربات مختلفة من جهات كثيرة .

وفى اليوم التالى ابتدأت جلسات المؤتمر للمباحث العلمية .

ولما كانت هذه المباحث فنية صرفة . وكان جلها بلغات لاأفهمها : لأن الروسى يتكلم بلغته والالمانى بلغته والاسبانى بلغته والانكليزى بلغته ، كان هذا مثبطا لى فى استمرارى على حضور أغلب الجلسات . وعلى كل حال فقد قسموا الاعضاء



الغرفة التجارية بواشنجتون ص — ١١٢



الى ستة أقسام وفقا للتقسيم العلمى لتربة الارض ، وعلى حسب استعداد كل عضو وتخصصه فى العلم الذى يميل اليه. وقد أخذت هذا التقسيم من صديقى المرحوم الاستاذ أباظه بك الذى كان يواظب كل المواظبة على حضور جلسات المؤتمر جميعها — وهو:

القسم الاول

الابحاث المتعلقة بالتحليل الطبيعى والميكانيكى للتربة ، والابحاث التى نوقشت فيه هى : أولا تحضير النبات للفحص الميكانيكى ، ثانيا تقسيم التربة للتحليل الميكانيكى ، ثالثا أوفق الآلات للتحليل الميكانيكى ، رابعا الخواص الطبيعية للتربة .

القسم الثانى

الابحاث المتعلقة بكيماوية التربة ، والابحاث التى نوقشت فيه هى : أولا المواد العضوية والنتروجينية فى التربة ، ثانيا التحويلات الكيماوية فى العناصر المتركبة منها التربة .

القسم الثالث

الابحاث المتعلقة بعمل البكتريا فى التربة ، والابحاث التى نوقشت فيه هى : أولا بكتريا التأزت ، ثانيا أعمال الفطر ، ثالثا تثبيت الأزوت فى التربة ، رابعا المواد العضوية والتربة ، خامساً المواد المعدنية والتربة .

القسم الرابع

الابحاث المتعلقة بتغذية التربة ، والابحاث التى نوقشت فيه هى : أولا تجارب التغذية فى الحقل ، ثانيا تجارب التغذية فى القصارى ، ثالثا تجارب الانبات ، رابعاً تأثير مواد التغذية بالنبات ، خامساً تأثير زراعة التربة على محصول الفدان ، وعلى مقدار انتفاع النبات بالماء والهواء .

القسم الخامس

تقسيم التربة الى فصائل ، والابحاث التى نوقشت فيه هى : أولا أوفق الطرق

للتقسيم ، ثانيا الطرق المستعملة فى امريكا وروسيا .

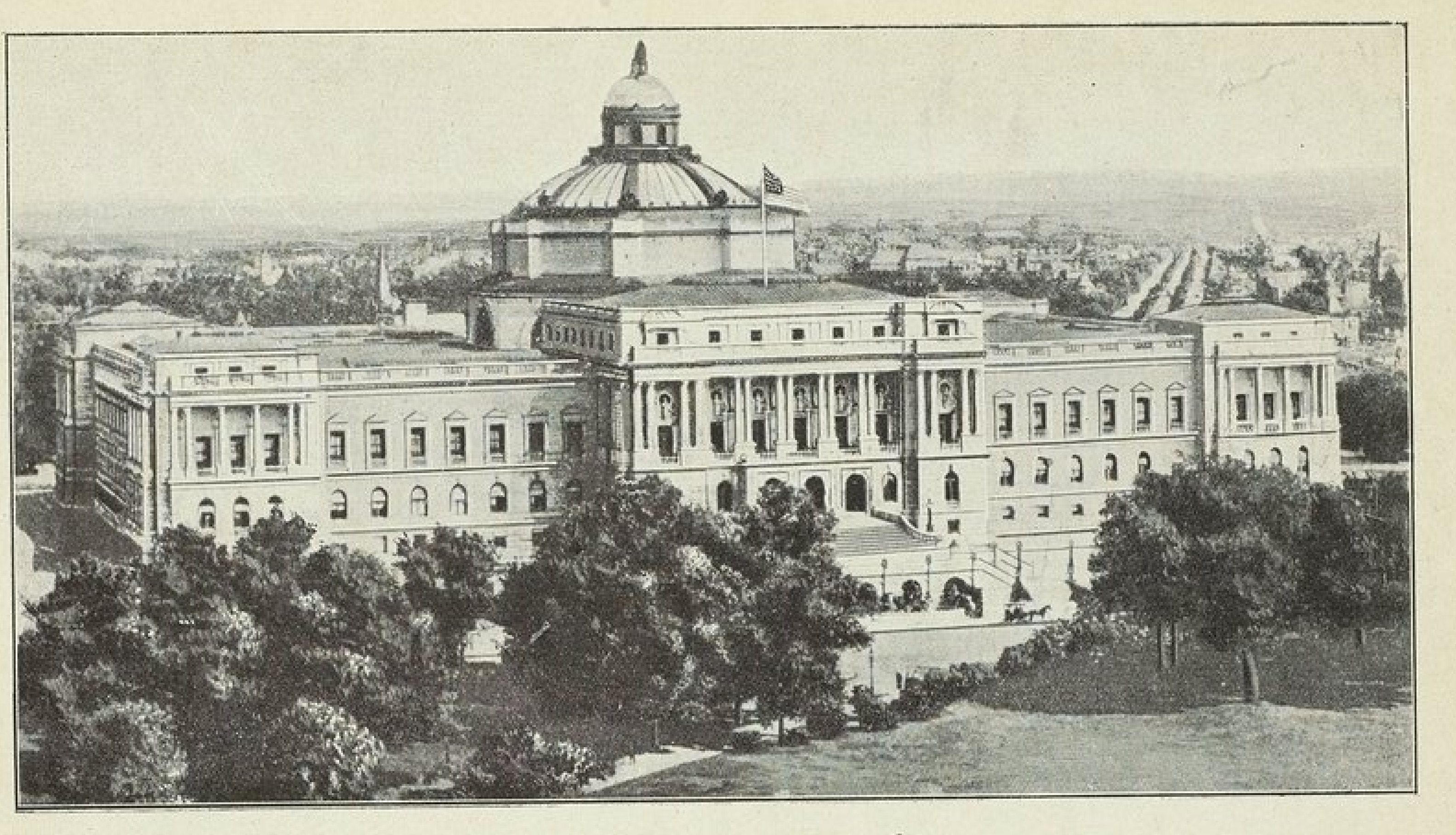
القسم السادس

تطبيق علم التربة على الزراعة ، والابحاث التى نوقشت فيه هى : أولا علاقة الرى بعلم التربة ، ثانيا الرى فى بعض جهات امريكا ، ثالثا الصرف فى الاراضى المعدنية.

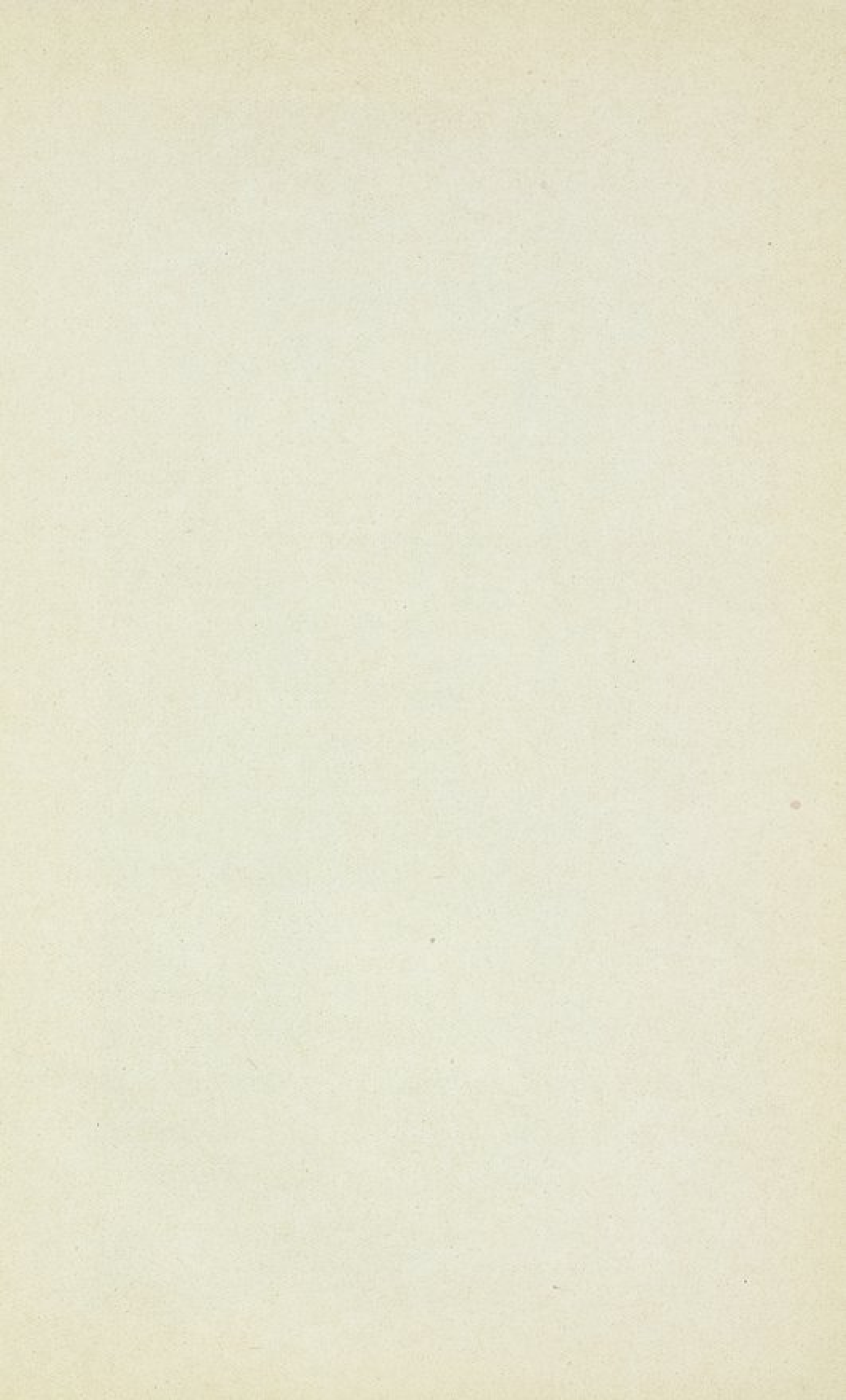
***

وكانت جلسات هذه اللجان تنعقد قبل الظهر وبعده من يوم ١٤ الى يوم ٢٢ يونيه ، وقد حضرت فيها جملة خطب . وإنى وإن كنت لم أفهم منها شيئا له قيمة ، لانها كانت بلغات أجنبيه تترجم بعدها الى اللغة الانكليزية ، وبلغة غير عادية لانها لغة علمية صرفة ، ولكنى عرفت على الاقل شيئا من آداب الخطابة والخطباء (والمخطوبين) : فقد كنت لاتسمع غير صوت الخطيب ولا تنظر غير حركات الآذان والعيون فى اتجاهها الى مصعد كلماته ، نعم انهم يشربون الدخان فى هذه القاعة ، وربما كان ذلك من كمال الحرية التى يريد الامريكانى ألا يحرم نفسه منها مادامت لاتضر بالآخرين فى نظره . وعلى كل حال فقد كنت أرى السحنة الالمانية أكثر الناس اهتماما لهذه الخطابات ، ويكادون لاتفوتهم منها فائتة ، ذلك لانهم من العلم بمكان يريد كل منهم أن يتعرفه ، ومن بعدهم الروسيون وإن كانوا هم الذين يرجع اليهم فى كثير من الأمور الخاصة بعلم التربة .

وصلت لنا دعوة رسمية من وزير الزراعة فى الساعة التاسعة من مساء الثلاثاء ١٤ يونيه بمكان عصبة الأمم الامريكية ، فقصدنا هذا المكان بملابس السهرة فوجدناه على منتهى مايكون من الفخامة ، وبناؤه جميعه من كتل الرخام الأبيض الكبيرة ، ولما صعدنا سلمه وجدنا على باب بهوه الكبير الدكتور ليبمان ووزير الزراعة وزوجته يستقبلون المدعوين ، فقدمنا اليهم الدكتور ليبمان ، وبعد السلام دخلنا الى هذا البهو وفيه من المدعوين أعضاء المؤتمر ، وجميع الهيئات السياسية ، وغيرهم من الوزراء وأعاظم البلاد . وكانت الموسيقى تشنف الآذان بنغماتها الشجية



مكتبة المؤتمرات بواشنجتون ص — ١١٤



ثم دار الرقص حيناما . وقد قابلنا هناك حضرة صاحب السعادة الوزير المصرى المفوض ، وكان فى أوائل المدعوين الى المقصف فدعانا معه ، وبعد أخذ ماتيسر من المرطبات دار معنا يرينا ما فى بعض صالات هذا البناء الفخم من صناعات الدول الامريكية الدقيقة ، وطيورها المصبرة ، ومعادنها . وبعد برهة تركنا المكان شاكرين لاصحاب الدعوة كرمهم وأدبهم .

ومن فخامة هذا المكان ، بل ومن مجرد اسمه تعلم مقدار الرابطة بين دول امريكا المستقلة عن الولايات المتحدة (ماعدا كندا التى هى ضمن الاتحاد البريطانى) وانها داخلة ضمنا فى شبه اتحاد يعزز مركزها بما يجعله كعرين الاسد فى نظر عدوهم ، ومن جهة أخرى فانه يسهل بينهم جميع الروابط التجارية والصناعية.

ولو كنا فى الشرق من أربعمائة سنة مضت عرفنا معنى لهذا الاتحاد أيام كانت الدولة العليـة ومصر والعجم فى عزتها وقوتها — لما كان تيسر للسلطان سليم العثمانى (بغشمه) القضاء على قوة العجم ، وعلى استقلال مصر ، بما أصبح به الشرق كله من هذا التاريخ ضعيفا تتنازعه أيدى دول الغرب الى الآن . ولكن من لنا بشئ اسمه اتحاد وهو يكاد لايوجد حتى بين جدران بيت واحد عندنا ! !

احترام الثروة في الولايات المتحدة

اذا كان للثروة من احترام فى أمريكا فللغاية التى تبحث عنها ، فالرجل الامريكى اذا وصل بجده ونشاطه وسهره وهمته الى ثروة واسعة ، فالناس لايستشعرون بهذه الثروة إلا اذا كان لهم من عمله نصيب . انظر مثلا الى فورد وهو أغنى رجل اليوم فى أمريكا ، وإن شئت فقل فى العالم — وصل هذا الرجل الى هذه الثروة الضخمة بجده ، فكان خزينة مال طويلة عريضة لا ينضب معينها ، ولا تفنى كميتها ! ! ولكنه لم يصل الى مجده من عمله إلا بتلك النتائج الهائلة التى نشأت عنه ، فانه بسهولة اختراعه ، وتفاهة ثمن عرباته ، قد خفف على الناس الانتفاع بها حتى تكاد لاترى

بيتا واحدا فى الولايات المتحدة ليست فيه عربة من عربات فورد ، تنقل أصحابها الى عملهم صباحا ، وتأتى بهم الى مقرهم ليلا ! ! وكم كان لاذاعة اختراعه ونشره فى جميع الآفاق من فضل على عماله الذين لايقلون عن مائة وخمسين الف عامل ، بقطع النظر عما يلزمه من الآلات الاولية ، من حديد ، ونحاس ، وزهر ، ونيكل ، وجلد ، وكاوتشوك ، وخشب ، وبويات ، تلك الادوات التى يشتغل فى استخراجها مئات الالوف من العمال . فالرجل اذاً رب نعمة مالا يقل عن مليونى نفس ! ! يشتغلون فيما يلزم لاعماله الواسعة ، وهذه منفعة لايمكن لانسان انكارها ، وخدمة للانسانية لايستطيع احد كفرانها . على أن أعمال الرجل لم تقف عند حد مزية الانتاج ، بل ترى اهتمامه بعماله وصل به الى أن بنى لهم بجوار فبريقاته قرى جمعت كل مظاهر الحضارة ، فاذا وصلت الى مدينة (ديترويت) ، وهى التى فيها مصانع فورد ، ترى مدينة العمال وقد بدت لك مساكنها متمتعة بجميع أسباب الراحة والصحة ، فمن صالون قد حوى أدوات الزينة والراحة حتى البيانو ، الى قاعة للسفرة ، الى قاعة للرياضة البدنية ، والى حمام والى مطبخ ! ! وهل يريد العامل نعمة أكثر من هذا ؟ وهو اذا رجع من عمله تعبا يجد ما يذهب بهذا التعب من أسباب الراحة المختلفة . ترى بجوار هذه الخصوصيات كنيسة للصلاة ، ومكتبة للمطالعة ، وبستانا كبيرا لنزهة العمال وذويهم ، وأمكنة للمسابقة الرياضية لاولادهم ، ومدارس ، ومستشفيات ، وتياترات ، وسينماتوغرافات ، لاتسمع فيها ولا ترى إلا كل مايرقى العامل فى اخلاقه وعبقريته ! ! وقد تطهرت من تلك الاقوال التى تنزل بالنفوس الى الحضيض الاخلاقى ، وخلصت من تلك المناظر التى تعلم السذج جميع أساليب الفحش والسرقة والغش والخداع و . و . والخ . مما يجعله من شر خلق الله على الانسانية . وقد اشتهر فورد بهذه الاعمال التى يرقى بها بحالة عامة مجموعة لايستهان بها من بنى الانسان ، وإن لم يشتهر كغيره بشئ من تلك الهبات الجسيمة التى يخصصونها لعمل من الاعمال العامة التى تعود على الانسان بالخير والبركة .

أما روكفلر مع أنه لم يعلم عنه أنه مد يده بقرش واحد لفقير أو بائس ، فقد اشتهر بهباته وتبرعاته الهائلة التى يذكرها له التاريخ بعبارات التمجيد والتخليد ، وله فى كل يوم آية ناصعة من البر والاحسان تذكر فتشكر .

انظر الى ذلك القصر الفخم الذى وهبه أخيرا ليكون موئلا للطلبة الاجانب الذين يقصدون نيويورك للتعلم فى جامعتها ! ! أقول : القصر الفخم ، وهو ذلك البناء العظيم الهائل الذى فيه مئات الغرف التى خصصت لسكنى الطلبة بأجر زهيد جدا لا يزيد عن ريال ونصف شهريا ، وقد جعل فيه من الحمامات وأمكنة الرياضات مايكفل لهم راحتهم وصحتهم وكل أسباب سعادتهم ، وجعل لهم فيه مطعما يأكلون به أكلاتهم بدريهمات معدودة فى هذا البلد الذى ترى الريال فيه بمثابة قرش أو قرشين بمصرنا العزيزة بدون مبالغة ! ! انظر الى مورجان والى المكتبات التى وهبها للمدارس ، بل وللعمال هنا وهناك فى كل جهة ، وفى كل ولاية لتثقيف أذهانهم وليزيد بها فى معلوماتهم ومعارفهم .

انظر الى تلك الهبات التى وهبها أصحاب الاموال للمدارس والجامعات فى كل جهة من جهات الاتحاد الامريكى ، بحيث أصبحت لا يعادلها شئ فى نوعها فى كل بلاد الدنيا ! ! أنظر الى الهبات التى وهبها أرباب الأموال للبحث فى المسائل الطبية ، وغيرها من المسائل الطبيعية والكيماوية . أنظر الى هاته المعامل الهائلة التى ضربت قبابها تحت سماء كل ولاية من ولايات الاتحاد للبحث فى المسائل الزراعية وغيرها ! كل هذا وإن كان على مظهره مسحة من أنانيات أصحابها الذين ربما أرادوا بها أن يظهروا فى أفق التاريخ ، ولكن البلاد انتفعت بها انتفاعا — وان كان جسيما — فهو لايزال فى رقيه واكتماله .

لهذا وذاك كان للثروة فى بلاد الاتحاد مايجب لها من الاحترام . واذا فالاحترام لم يكن موجها للثروة فى ذاتها كحاله فى الشرق ، بل للثروة فى الفائدة التى تعود منها على المجموع .

لذلك ترى كثيرا من أصحاب الملايين فى أمريكا ممن ليس فى أعمالهم ماساعد على الرقى العام ، ليست لهم أدنى ذكرى فى بلادهم ويكادون يكونون مقبورين فى فى دائرة أموالهم وأملاكهم ، لايهتم بهم أحد ، ولا يشعر بوجودهم إنسان ! !

الولايات المتحدة من الجهة الاقتصادية

لقد كانت الحرب العالمية سببا لتغيير التوازن المالى والتجارى للولايات المتحدة فقد كانت صادراتها ووارداتها فى ربع القرن الماضى كما ترى:

صادرات بالمليون ريال	واردات بالمليون ريال	لسنة .
١٤٣٠	٩٢٠	١٩٠٤
٢٢٠٠	١٧٠٠	١٩١٤
٦٣٠٠	٣٣٠٠	١٩٢٠
٤٣٠٠	٤٣٠٠	١٩٢٥

من هذا الجدول ترى أن الصادرات والواردات تضاعفت ثلاث مرات فى مدة الحرب ، بحيث كانت تشغل أسواق العالم جميعها فى حين كانت أوربا تداوى جراحها من أثر تلك الحرب المشئومة : جراحا فى جسمها ، فى نفسيتها ، فى صحتها فى مساكنها ، فى ماليتها ، فى صناعتها ، فى مصانعها ، جراحا فى علمائها ، فى فتيانها ، فى شبيبتها ، جراحا فى كل شئ حيوى كانت تتمتع به قبل الحرب . ولسان حالها يقول :

ولو كان هما واحد لاحتملته ولكنه هم وثان وعاشر

ولقد كانت أوربا فى هذه الحرب فى حاجة الى كل شئ : فى حاجة الى الغذاء ، الى السلاح ، الى القطن ، الى الذخائر ، الى الفحم ، الى البترول ، الى الملابس ، وكل هذا كانت تشتريه من وراء الاقيانوس بالعملة الذهبية التى كانت امريكا

تشترطها فى مبيعاتها ، حتى استنفدت جميع مافى خزائنها من مسكوك ومسبوك !! بمـا أصبحت به خزائن الولايات المتحدة مكتظة بأكثر من نصف ذهب العالم شرقيه وغربيه !! وشماليه وجنوبيه !! وأصبح الحلفاء مدينين لها بنحو ٢٤ مليار دولار !! وهو مالا يمكنهم دفعه عينا بأى وسيلة من الوسائل ، بل يدفعونه بضاعة وماهم بقادرين ، لانهم إن أمكنهم أن يدفعوا الفائدة فالاصل باق الى ما شاء الله (واذا فهم يشتركون معنا فى هذا الحال) .

ومع ما كسبته الاهالى الامريكان فى مـدة الحرب ، فانك ترى أن عشرين ولاية من ولايات الشمال والوسـط أغلب أراضيها مرهونة !! أما ولايات الجنوب فقد تمتعت بعلو أثمـان القطن ، ولذلك فارضها خالية من الرهن غالبا . ومع ذلك فنسبة زراع الاتحاد بصفة عامة فى سلم الثروة بالنسبة لارباب الصنائع بهـا ، نسبة منحطة جدا . ولولا أن الافراد ، بل والجماعات ، ترتكز على حسن سياسة النقابات والشركات وصدقها فى عملها ، وعلى يقظة الحكومة الاتحادية وإخلاصها فى خدمة شعوبها ، لـكانت الحالة الزراعية بولايات الاتحاد ممالا يبشر بمستقبل سعيد يتناسب مع النهوض الذى تندفع فى تياره مرافق البلاد بصفة عامة .

ليس امام حكومة الاتحاد غير المصلحة العامـة ، فخريطة البلاد امامها كرقعة الشطرنج ، لاتضع الحجر فى مكانه الا اذا اعتقدت أن فيـه المصلحة التى توصلها الى نجاح البلاد وفلاحها : فلاتسمع أن وزيرا ساعد أميرا بما يؤثر على مصلحة كثير من الناس ، أو أن مرؤسا وجـه نفوذه الى خدمة شخصيـة رئيسه بما يهمل به عموميات الجماعات فى سبيل خدمة الأفراد ، وهى علة الحكم فى الشرق !! تلك العلة التى لاتقوم معها دولة ، ولا ينهض بها شعب ، تلك العلة التى هى من أمراض الشيخوخة التى نتيجتها التلاشى والفناء إن عاجلا وإن آجلا .

وكثرة السكك الحديدية فى بلاد الاتحاد قـد ساعد مساعدة كبيرة فى نمو حالتها الاقتصادية وهى الآن تخترق جميع ولاياتها كما يخترق المجموع العصبى

الأجسام الحيـة ، بما أصبحت معه العامل الوحيد الذى يحس منه الانسان عظمة الحالة الاقتصادية فى الجمهورية الاتحادية . وهذه السكك تدخل فى المصانع والمعامل بما تسهل معه حركتها فى شحن مصنوعاتها وتفريغ مايرد اليها من الموارد الأولية ، ومقـدار أطوالها فى ولايات الاتحاد يزيد عن ٢٦٥ الف ميل ! ! (مع العلم بأن السكك الحديدية فى مصر هى ٢٥٧٤ كيلومترا للحكومة ، وعلى ما أذكر نحو ٦٥٠ كيلو لشركات الفيوم والمنصورة والبحيرة) ويشتغل فى معامل سكك الاتحاد وقطاراتها ودريستها نحو عشرة ملايين نفس أو أكثر ! ! وتقدر ايراداتها بثمن ايرادات الدولة الامريكية . واذا عرفت أن أحد خطوطها فى بنسلفانيا يمر عليه فى اليوم الواحد ألف وخمسماية قطار ، عرفت ماهى حركة القطارات فيها ! !

وهذه السكك كلها لعشرين شركة ، تدفع الى ولايات الاتحاد ضرائب فادحة على مرورها من أرضها ، لاتقل عن ١٦٠ مليون دولار كل سنة . وتملك هـذه الشركات لحركة سككها اليوميـة ٧٠ الف قاطرة (قوتها أكثر من ٦٠ مليون حصان) ، ومليونين ونصف مليون عربة للبضائع ، و ٦٠ الف عربة للركاب ، وبلغ مقدار مانقلته فى سـنة ٢٤ من المحاصيل مايقرب من بليونين وربع طن ! ! ومن الركاب نحو ماية مليون راكب ! !

وعدد عرباب البريد فى الولايات أكثر من خمسة آلاف عربة ، وقد دفعت الحكومة للشركات أجرة نقل بريدها سنة ١٩٢٥ — ١٢٠ مليون دولار .

***

وكانت القوى الـكهربائية المستعملة فى بلادها للانارة وغيرها فى سنة ١٩٢٥ — ٢٣ مليون كيلوات ، ومن البخار للمصانع نحو ٣٥ مليون حصان .

***

وفى الولايات المتحدة أكثر من ١٦ مليون خط تليفونى ، منها فى مدينـة نيويورك وحدها نحو مليون ومائتين الف خط .

***

ويوجد بولايات الاتحاد نحو مليون ميل ونصف من الأسلاك التلغرافية ، ويقدرون ما أرسل فى سنة ٢٥ من الاشارات التلغرافية داخل الولايات بما يقرب من ٢٠٠ مليون تلغراف .

***

ويوجد فى الولايات المتحدة غير مصلحة البريد البرى التى مر ذكرها مصلحة للبريد الجوى بين نيويورك وسان فرنسسكو ، ومسافة ما بينهما فى الخط الجوى ٢٦٦٥ ميلا ، يقطعها الطيار فى ٣٠ ساعة ، وينزل فى أثناء سفره الى ١٥ محطة لتسليم واستلام بريدها . والذين يشتركون فى هذا البريد أكثر من ٤٠ مليون نفس ، والموزعون لهذا البريد نحو خمسين الف نفس فى القرى التى يجب أن تكون أرضها مرصوفة ، وموضوع على كل بيت نمرته ، أما العزب فلها على الطريق العمومى الموصل اليها صناديق مستطيلة (طولها ٤٠ سنتى فى عرض وارتفاع ٢٥ سنتى) ومكتوب على الصناديق اسم أصحابها .

***

وأهم شئ عاد بعد السكك الحديدية بالنفع على بلاد الاتحاد هو الاتوموبيل ، وهو فى هذه البلاد الواسعة الاطراف فى منفعته كالجمل فى صحارى بلاد العرب . ولقد كان فيها الى أوائل سنة ٢٦ أكثر من عشرين مليون أتوموبيل ، فى حين أن أوربا كلها لم يكن بها أكثر من ٢٧٠٠٠٠٠ (أوتوموبيل) . ومن هذا نعلم أن الولايات المتحدة فيها ٨١ فى المماية من الاوتوموبيلات ، والموجود منها فى باقى المعمورة ١٩ فى الماية فقط ! ! وعلى هذه النسبة يكون كل ستة من سكانها لهم أوتوموبيل ، وفى كاليفورنيا أوتوموبيل لكل ثلاثة اشخاص وثلث من سكانها . فى حين أن فرنسا وانجلترا لكل خمسين من السكان فيهما أوتوموبيل واحد .

ولهذا ترى ان الولايات المتحدة تستنفد ثلاثة ارباع محصول البنزين

والكاوتشوك فى العالم كله ، وتستنفد نحو الف كيلو من البترول فى السنة عن كل رأس من سكانها ، فى حين أن فرنسا لاتستنفد منه عن كل رأس إلا ٣٧ كيلوجرام.

وكذلك تستنفد حكومة الاتحاد ثلثى محصول الحرير ، وربع محصول السكر فى العالم .

والولايات المتحدة تصدر مصنوعاتها الى العالم كله ، فيصيب أوربا من الحبوب والقطن ٧٠ فى الماية ، وباقى المعمورة ٣٠ فى الماية . أما الآلات البخارية فان أوربا لاتأخذ منها سوى ٤٠ فى الماية ، وباقى العالم ٦٠ فى الماية . وأغلب صادراتها منها الى كندا ، وامريكا الجنوبية ، والوسطى ، واستراليا .ومع غناء أمريكا فى المواد الاولية ، فانها لاتزال تحتاج الى الكاوتشوك والحرير من الشام والصين واليابان وامريكا الوسطى ، على أنها ابتدأت فى تربية دودة القز فى بلادها .

ومع أنها تستنفد فى بلادها كثير من الملابس الحريرية التى كانت تستوردها من أوربا ، فان صناعة الحرير لم تدخل عندها إلا من نصف قرن فقط ، وكانت فى أول أمرها تشتغله على أنوال باليد ، أما الآن فعندها لنسجه فابريقات هائلة ، تخرج الى أسواق العالم أكثر مما يخرجه العالم القديم جميعه . ويقدرون الحرير الخام الذى يدخل اليها من أوربا وآسيا سنويا باكثر من عشرين مليون جنيه ! ! وهذا غير الحرير الصناعى الذى تقدر قيمته بمليون جنيه.

وقد يضطرنا سياق الحديث عن الحرير أن نصف لك أكبر وأعظم فابريقة للحرير فى الولايات المتحدة وهى « دوبلان سلك قومبانى » وهى موجودة فى مدينة هازلتون بولاية بانسلفانيا ، وتبعد عن نيويورك بمائتى كيلو متر . هذه الفابريقة على أجمل طراز جديد ، ويعمل فيها نحو خمسة عشر الف من الجنس اللطيف ، غير مافيها من الرجال . ومع أن بناءها الخارجى كله من الطوب الاحمر ولامنافذ فيه للتهوية ، فانك تندهش عند ماتدخل اليها اذا لاحظت أن التهوية فى داخلها تنظم بآلات عجيبة من شأنها أن تنزل درجة الحرارة فى داخلها ١٥ درجة عن درجة الحرارة

التى فى خارجها ! ! وترى فى الفابريقة كثيرا من معدات الراحة ، كالحمامات ، وامكنة الاستراحة ، والمراقص وقت الفسحة ، وغير ذلك من كماليات الحياة ، مايجعلك تندهش من أن العامل فى هذا الجهات يتمتع بجميع أسباب الراحة ، إن لم نقل أسباب السعادة .

أما الكاوتشوك فهم يستنفدون منه كميات كبيرة جدا ، يشترونها من أوربا وخصوصا أسواق انكلترا ، ولكنهم ابتدؤا فى زراعته بالولايات المتحدة ، وغير ذلك فان شركات كبيرة من ولايات الاتحاد اشترت فى أفريقا الشرقية أراضى واسعة جدا وبدؤا فعلا فى زراعته بها . وقريبا ستستغنى عن ماتصرفه سنويا من مئات الملايين من الدولارات فى مشترى هذا الصنف الذى أصبح من ضرورياتها فى عمل الاتوموبيلات الذى لايقف عند حد خصوصا وأنها توصلت الى عمله صناعيا ! !

وقد استخرجت الولايات المتحدة من الفحم فى سنة ١٩٢٤ أكثر من ٥٠٠ مليون طن ، وهو ضعف مااستخرجته انجلترا . أما الآن فنسبة مايستخرج منه أكثر من بلاد الانكليز بكثير ، ومصانعها صنعت من الحديد المشغول (سنة ٢٥) ٤٠ مليون طن ، أى أكثر مما صنعته أوربا كلها فى هذه السنة .

والولايات المتحدة تهتم الآن كثيرا بالزراعة، وهى أكبر مملكة فى العالم تزرع البطاطس ، وقد بلغ محصوله فى هذه السنة ٢٥ مليون طن . وهى تزرع الحبوب وخصوصا القمح والذرة ، وتصدر من الدقيق كميات هائلة . وأرض كاليفورنيا أعظم بلاد زراعية فى العالم ، يزرعون فيها السهل والوعر ، ويزرعون الجبال ووديانها ومعارجها وميولها وسطوحها ، وذلك بواسطة مايتدعوه من الخزانات التى يحفظون بها الماء لمدة الصيف الشديد الحرارة . وفيها من أشجار الفاكهة شئ كثير لايمكن أن تراه مجموعا فى غيرها . وقد تصدر فى سنة ٢٦ من حوض الباسفيك (أعنى من ولايات كاليفورنيا ، وواشنطون ، وأريغون) من الفواكه فقط ماقيمته ٧٥ مليون دولار — منها ٤٠ مليونا من التفاح وحده . والولايات المتحدة تهتم بزراعة القطن فى

ولاياتها الجنوبيـة اهتماما كبيرا ، وولاية التـكساس وحدها تجنى من القطن أكثر من ثلاثة أرباع محصول العالم كله ! !

وبولايات الاتحاد مغازل ومناسج للقطن ، وقـد كان عنـدهم من المغازل فى سنة ١٩٢٥ ـ ٤ ملايين مغزل الاربعا ، ولابد أن تـكون الآن أكثر من ذلك لرقيهم المستمر فى الصناعة ، بل وفى الزراعة ، وعلى كل حال فهى ثانى مملـكة فى صناعة القطن فى العالم .

وقد بلغت صادراتها فى سـنة ١٩٢٤ أربعـة بليون ونصف من الدولارات وبلغت وارداتها مايزيد عن ثلاثة بليون ونصف ، الا أن صادراتها أخـذت تقل بعد روعة الحرب ، وبعد أن أخذت الأعمال مجراها فى أوربا . ومن هـذا أخذ بعض الاوربيين يبنى قصور الـكارثة الاقتصادية المستقبلة فى أمريكا اذا استمر نقص الصادرات فيها سنة عن سنة ، خصوصا مع زيادة أجرة اليد العاملة فيها ، والله أعلم بالمستقبل .

***

ولقد كانت انـكلترا فى وقت من الاوقات تحسب حياة الولايات المتحـدة التجارية فى يدها حيث كانت تحمل أغلب صادراتها ووارداتها على مراكبها ، أما وقـد نشطت الولايات فى عمـل اسطولها التجارى بما أصبحت معـه تنقل أغلب بضائعها على مراكبها ، بل ولم تقف عند حد تـكوين اسطولها التجارى ، بل أخذت تزيد بكثرة فى أساطيلها الحربيـة ، فقـد بدأت انـكلترا توجس منها خيفة ، لان اسطولها وان كان لم يصل بعـد الى قوة الاسـطول الانـكليزى ، ولـكنه بصفته جديدا لا ينقص عنه كثيرا فى مجموع قوته .

***

ولا شك أن المهاجرين من اليهود ساعـدوا كثيرا فى الولايات المتحدة على حالتها الاقتصادية من الجهة التجارية ، لانهم وعددهم فيها أكثر من ثلاثة ملايين ـ

منهم نصفهم فى مدينة نيويورك يشتغل بالتجارة ، وقد أمكنهم بما فى دمهم من السياسة الاقتصادية أن يتلاطفوا حتى دخلوا فى سواد الامريكان!! فتسموا باسمائهم واحتفلوا باعيادهم ، وصاروا فى كل مايتعلق بالامريكان — امريكيين أكثر من الامريكان ! ! بل واندمج أغلبهم فى الامريكيين بحيث لا يظهر عليهم أى فارق دينى أو جنسى فيما بينهم . وأغلب اليهود من المهاجرين الروسيين ، والاسيويون منهم قليلون ، وأبناء هؤلاء الآن وقد جاهدوا فى التحصيل فى مدارسهم أكثر من أبناء الامريكان ، فقد أصبحوا من العاملين فى التجارات المختلفة : يرودون بلاد الشرق والغرب فى ترويج تجاراتهم ، وكان لهم من نشاطهم خير معين للحصول على الثروة الواسعة التى إن حرمتهم من محبة الامريكان، فقد جعلتهم جديرين باحترامهم وتقديرهم .

ولقد كان استمرار الزيادة فى حالة الولايات المتحدة الاقتصادية من سنة ٩١٤ الى سنة ٩٢٤ بحالة تفوق الوصف ، حتى أنك لوعثرت على ميزانياتها فى سنة واحدة تجدها مختلفة اختلافا كبيرا فى أعدادها ، لاختلاف الاوقات التى حررت فيها .

هذا من جهة الحالة الاقتصادية العامة ، أما من جهة مالية الدولة فهى فى يد أشخاص ماليين بالمعنى الصحيح ، يقضون كل زمنهم فى الاشتغال بما يزيد فى الدائرة المالية من طريق لا يؤثر على مصلحة الاهالى ، ويكفى أن أقول لك : إن وزير المالية الحالى هو مستر اندربو ميلن وهو ثالث مالى فى الولايات المتحدة وتقدر ثروته بمائة مليون جنيه ! ! ولما انتخب لادارة مالية الدولة ، عين لادارة املاكه سبعة من كبار الماليين ! ! حتى يتفرغ هو عن عمله الخاص تماما ، الى عمله العام . وبمثل هذه المواهب ، وبمثل هذه التضحية ، تسير الامم فى طريق رقيها ، أما اذا وضع الشئ فى يد غير أهله فهذا مما ينذر بسوء العاقبة .

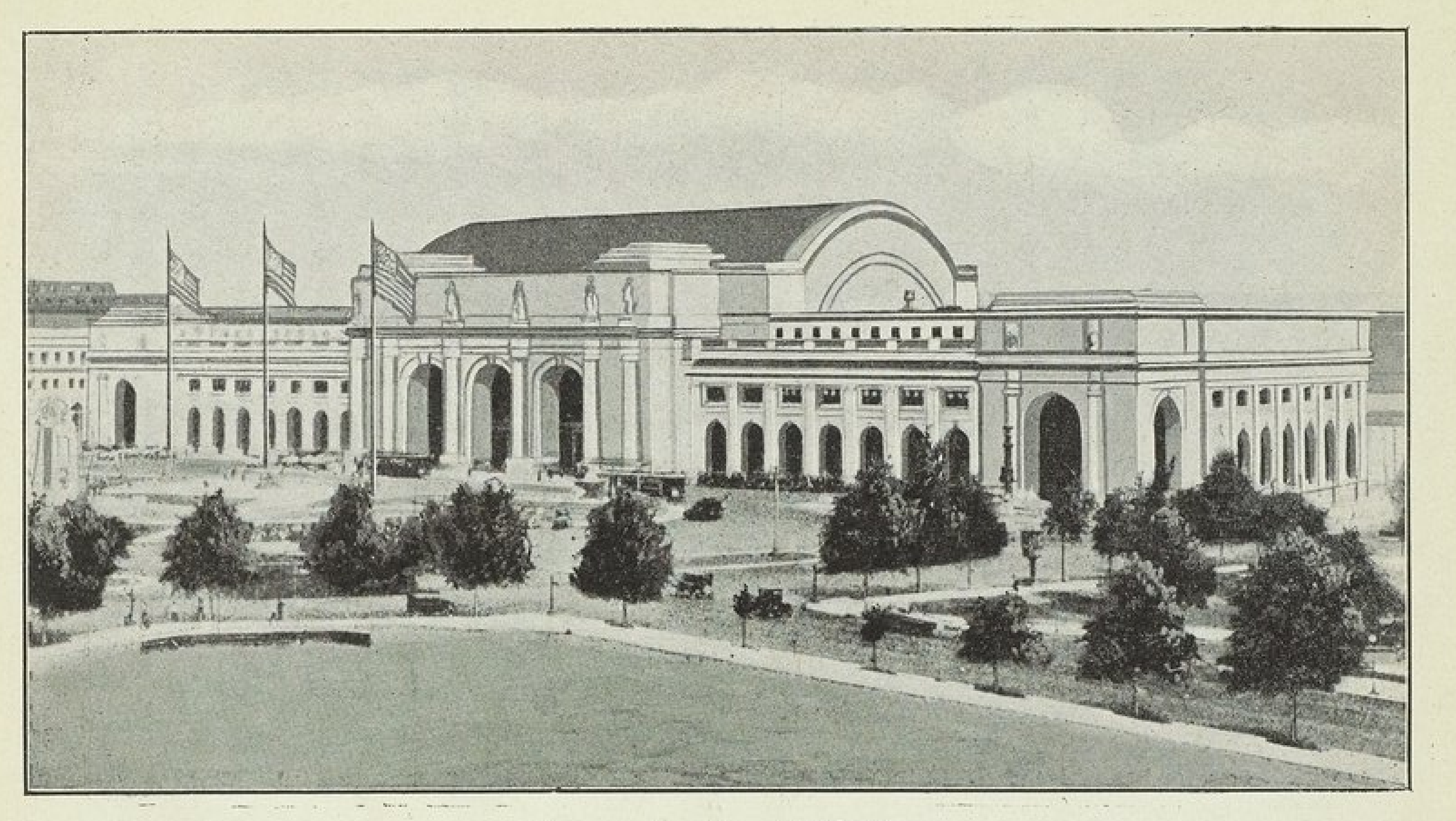
وبالجملة فالولايات المتحدة قد أصبحت أكبر دول العالم من الوجهة الاقتصادية وقد وصل تفوقها الاقتصادى حتى الى العمال الذين وجد لهم فى صناديق التوفير سنة

١٩٢٥ أكثر من ٢٢ مليون دولار ! !

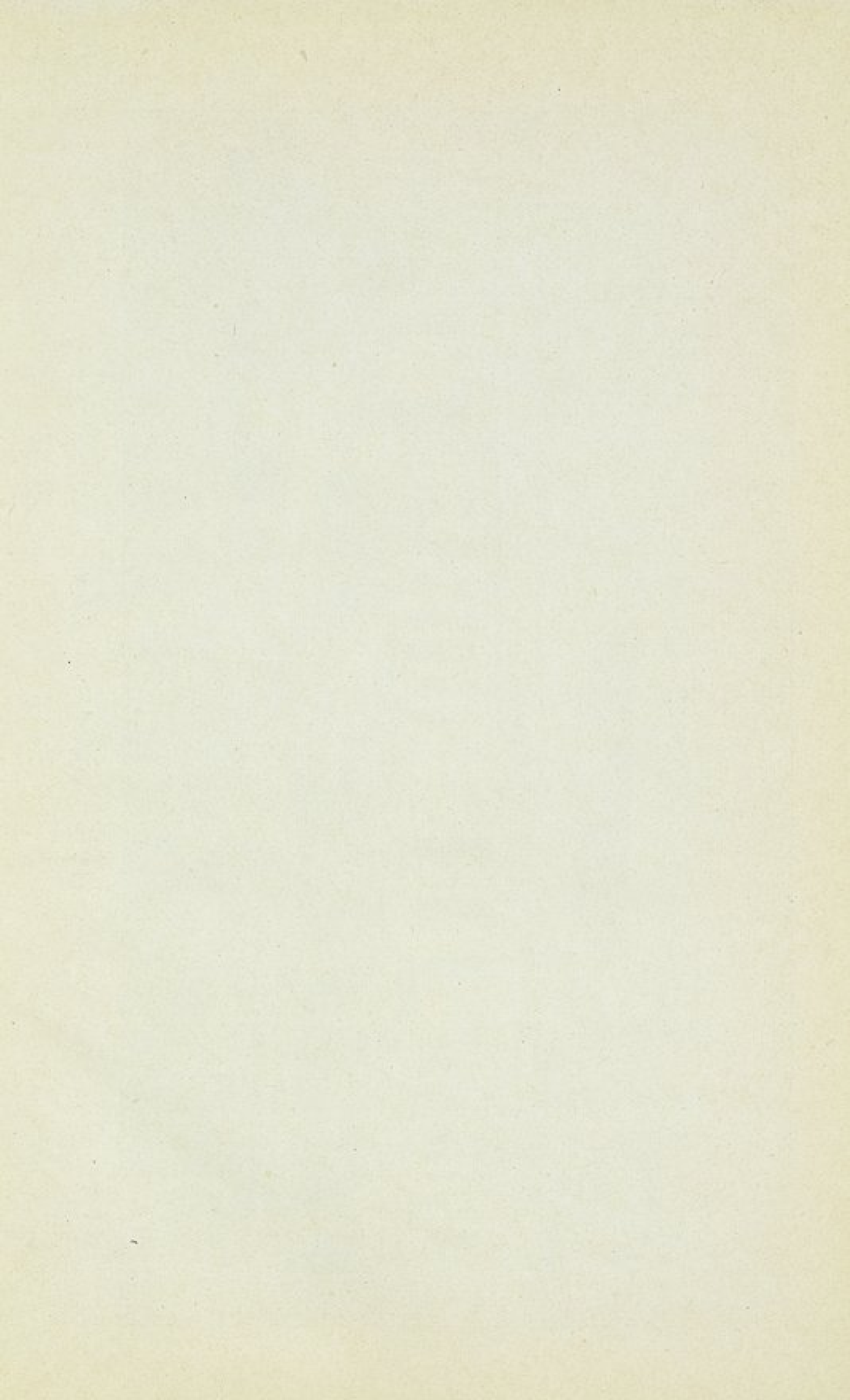
وهنا لا يفوتنا أن نقول : إن وحدة النقود فى انكلترا هى الشلن ، وفى فرنسا هى الفرنك ، وفى مصر هى القرش ، وفى الولايات المتحدة الريال ، وتراه هنا إما من الفضة وهو قليل ، والغالب منه بنك نوت عليه رسم واشنجتون ، وعندهم ورق من ذات الخمسة ريالات عليه رسم لنكولن ، وورق من ذات العشرة أو أكثر عليه صورة أحد رؤساء الاتحاد الذين نهضت بهم البلاد . وينقسم الريال عندهم الى مائة جزء ، أصغرها يقال له سنس ، وهو من البرونز . أما نصف الريال وربعه فمن الفضة ، وما كان أقل من ذلك فمن النيكل . لذلك ترى تعبيراتهم المالية والتجارية كلها بالريال ، وليس للجنيه ذكر فى معاملاتهم وان كان للذهب منه وجود قليل فيها ، ولارتفاع وحدة النقود فى أمريكا ترى ارتفاع أثمان الاشياء فيها بنسبة تفوق أثمانها كثيرا فى الممالك الاخرى ، والمعيشة فيها غالية بصفة عامة فى كل مرافق الحياة .

***

بعد أن انتهت جلسات المؤتمر ، دعت الحكومة الأمريكية أعضاء المؤتمر الى دورة فى ولاياتها الوسطى والشمالية . وقد كنا اشتركنا فى مصاريف هذه السياحة الرسمية من قبل بواسطة مستر هو پسن ، ومقدار هذه الدورة فى السكة الحديدية فقط ١٦ ألف كيلومتر تقريبا ، قطعناها فى ثلاثين يوما ، كنا فيها نبيت فى عربات القطار الذى كان يسير بنا ليلا ، وفى النهار كنا نركب الاتومبيلات التى كانت تجهزها لنا الغرفات التجارية بمساعدة حكومتها طبعا ، وهى فى الغالب لبعض التجار أو الاعيان يسوقونها بانفسهم الى الجهات التى كانت تريد اطلاعنا عليها سواء كان فيما يتعلق بدراسة التربة فى عموم الولايات التى مررنا بها ، أو فى مشاهدة المزارع ، أو العزب لرؤية حيواناتها وانظمتها ، أو لزيارة بعض مافيها من المعامل والمصانع المهمة . واذا فرضنا ان متوسط ركوبنا فى الاتوموبيلات كان ٤ ساعات فى اليوم ، وأننا كنا



محطة السكة الحديد بواشنجتون ص — ١٢٦



نسير بسرعة ٥٠ كيلوا مترا فى الساعة ، كان ما قطعناه بها فى هـذه المدة ستة آلاف كيلو متر .

وهنا أذكر لك يومياتى التى كنت أحررها بفراشى بعربة السكة الحديد ، كنت أحررها فى وقت كنت به فى أقصى مايكون من التعب ، فى الوقت الذى كان ضروريا لراحتى بعـد ماكابدناه من مشقة النهار ، ومع حركات العربات المضطربة ، وما اليها من انزعاجات تكاد لاتنقطع ، حتى لايضيع منى شئ مما شاهدته فى يومى ، وقـد كنت فى ذلك كله مدفوعا بحب إشراك قومى معى فيما رأيت وماشاهدت ، مما أرجو أن يكون فيه بعض الفائدة .

يوم ٢٢ يونيه سنة ١٩٢٧

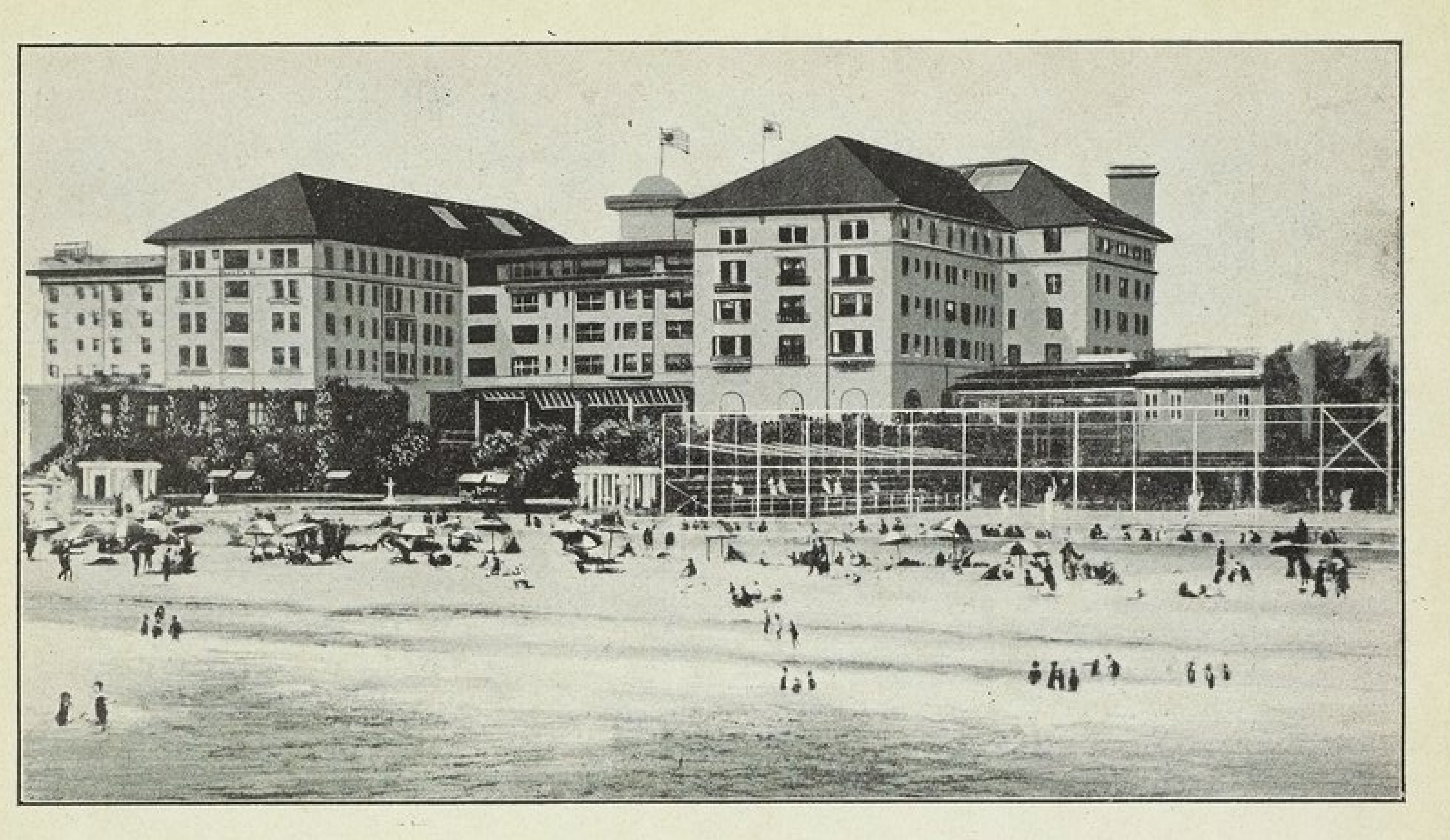
ركبنا قطار السكة الحديدية من محطة واشنجتون العموميـة وهى من أكبر محطات العالم ، وماذا عساى أن أصف اليك بناء من أوسع البنايات وأعلاها ارتفاعا وأبدعها جمالا ، وأجمعها للنظام والنظافة وحسن الرواء . يدخل الانسان من بهوها العظيم الى ممشاة هائلة ، فى نهايتها حاجز يفصلها عن أرصفه القطارات التى تـكاد تتصل بها ، وقدرها اثنان وثلاثون رصيفا ، كل واحـد لسكتين ! ؟ ومن هـذا تعرف أن هـذه المحطة يمكن أن يكون بها فى آن واحـد أربعة وستون قطارا لوجهات مختلفة ، وفى المحطة محلات للزينة وللأكل وللاستحمام مما تدعو اليـه راحة المسافر .

وكانت جميع عربات قطارنا من صنف بولمن ، وقد استحالت مقاعدها الى أسرة واسعة ربما كانت تسر نظرنا لأول وهلة ، لولا أن شدة حركات العربات تكاد تنتزع النفوس من مكامنها . استولى كل على سريره الذى خصص له ، وحركة الأيدى بالمناشف لا تنقطع عن الوجوه لـكثرة ما كان يتصبب منها من العرق ، ولما سار القطار ابتدأت التيارات الهوائية تلطف من لهيب العربات ، وسار بنا فى أرض فرجينيا طول ليله ، وفى الصباح الأول أخـذنا ننظر من منافذ القطار الى تلك

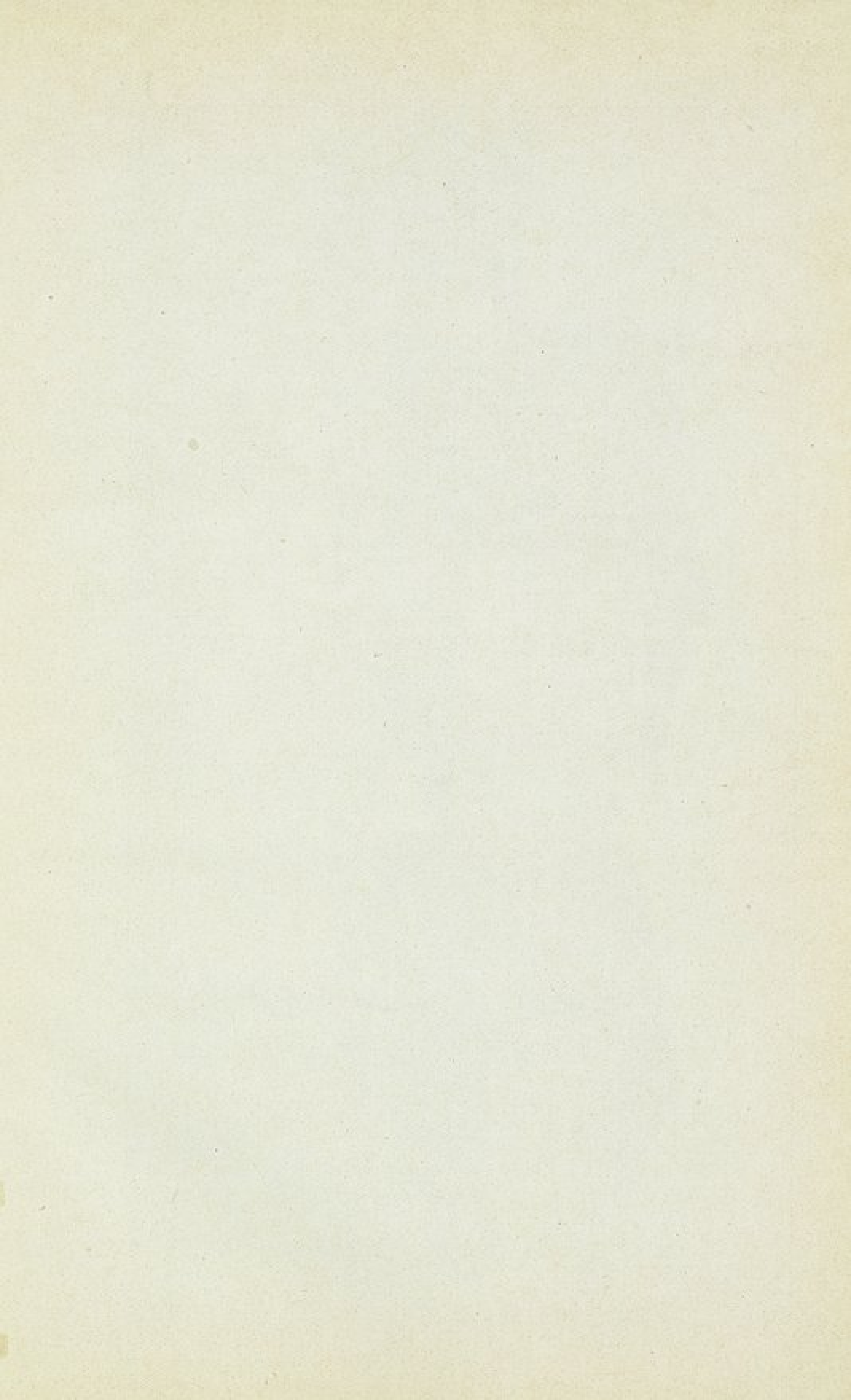
المناظر الباهرة الناضرة التى كانت تلوح هنا وهناك على أرض غير مستوية ، وقد قامت عليها تلك الغابات الصنوبرية التى تتخللها مزارع القمح الذى لازال على أرضه مضموما محزوما . وقبل أن نصل الى محطة « دام فيل » مررنا على ترعة لون مياهها أحمر قاتم قد ذكرنى بنيلنا المبارك فى فيضانه ، ذكرنا بهذا الذى هو حياة وطننا العزيز ؛ فكان صباحنا به خير من أمسنا ، وكانت مساكن المدينة كلها من الخشب ومن ذات الطبقتين — مساكن صغيرة ولكن يلوح لنا أنها نظيفة — لان الطرق ونحن فى الساعة الخامسة صباحا كانت على غاية من النظافة ، ولا أقول لك : إن الطرق العمومية هنا معبدة ، ولكنها مرصوفة ومطلية بالقار بل مصقولة كالمرآة ، ومما يلاحظ أن المساكن هنا منافذها كثيرة مما يدل على أن الحر شديد فى وقته .

يوم ٢٣ يونيه

وفى صباح يوم ٢٣ يونيه وصلنا الى محطة جرينسبورد بعد أن قطعنا اليها ٢٣٧ ميلا ونصفا ، فوجدنا فى انتظارنا الاوتوموبيلات التى أقلتنا الى دورة فى هذه المنطقة لنشاهد تربتها المختلفة ومافيها من النباتات المتغايرة . سرنا فى أرض صفراء تكثر فيها الصوب لتربية النباتات فى غير أوانها ، أو فى غير منطقتها . وقد تكثر هنا أشجار من الفصيلة البقسية ، وأشجار البلوط ، كما تكثر مزارع الدخان والذرة ، وقد ترى بعض أشجار الفاكهة بجوار البيوت الخلوية خصوصا فى الارض الحمراء ، ومنها الخوخ والكراز والكمثرى والتفاح ، ويقولون : إن أصل هذه التربة صخرية بركانية . وبعد أربعين دقيقة وصلنا الى أرض حمراء فى لون المغرة ، والماء الذى يجرى فيها أحمر قان ! ! وتنموا الاشجار فى هذه التربة نموا عظيما ، وخصوصا أشجار الغابات . وبعد قليل وصلنا الى تربة صفراء هى الطفلية بعينها ، والماء الذى يجرى فيها أصفر كأنه ملون بمادة هذا اللون ! ولقد كان كل من المؤتمرين يبحث فى النباتات التى تنموا فيها — وهذا شى جميل فى ذاته — ولكن الاجمل منه أن السيدات اللواتى كن فى عداد المؤتمر — كن يبحثن فى النباتات تارة ،



لوكندة فرجينال على الاطلانطى بنيوجرسى ص — ١٢٨



وفى معدن الارض أخرى ، ويأخذن منها إلى حقائب فى أيديهن ، وغالب تلكم السيدات من الالمانيات اللواتى يمتزن عن غيرهن من الجنس اللطيف بالبحث ، والتنقيب ، بالعلم ، بالفن ، بالاقدام ، بالشجاعة ، باحتمال كل شئ فى سبيل المصلحة الخاصة أو العامة .

إن عندنا الآن شيئا كثيرا من تعليم البنات ولكن كله نظرى ليس فيه من كبير فائدة ، اللهم إلا تلك المدارس التى يسمونها مدارس تدبير ، وبروجرامها ناقص من الجهة العلميـة ، وعسى أن تعنى وزارة المعارف الجليلة بادخال بعض العمليات الكيماوية أو الطبيعية على بروجرامهن لتكمل به الفائدة .

وليست هذه الارض بالصالحة للزراعة فى عمومها : فانك تجد هنا وهناك أرضا ليست بمزروعة ، وإن كان بعضها منزرعا فزراعتها غير جيدة ، اذا فلأى شئ كل هذا التعب ؟ لأى شئ تلك المصاريف التى تنفقها هـذه البلاد فى نقل المؤتمرين وعنايتها بهم فى زيارتهم لتلك الاصقاع ؟ — ذلك بطبيعة الحال لأمر واحد — : هو دراستها لمعدن أرضها ، وبحثها عن مايجب له من الدواء ، فان لم تعثر عليه هى برجالها فقد تصل اليه على يد أحد المؤتمرين .

وبالجملة فالشئ الذى يهمنى لاوجود له هنا وهو القطن — لذلك أرى أن الفائدة من دورتى هـذا اليوم إنما من جهتها الاجتماعية — وأرجو أن يسمح لى حضرات القراء بان أقص عليهم مارأيته هنا : رأيت مدرسة فى وسط الحقول من المدارس الاولية ، وقد بلغنى أن رجلا من أهل هذه الجهة قدم أربعين مليون ريال الى المدرسة على شرط أن تسمى باسمه ! فلم يقبل القائمون بامر المدرسة هذا الشرط لأول وهلة ! ! وهم الآن (وقت ما كنا هناك) يتشاورون فيما بينهم فى قبول الشرط أو عدم قبول الهبة ! ! ذكرتنى هذه الحادثة بهبة روكفلر لمصر على شرطه ويظهر أن حكومتنا هى الأخرى مازالت تفكر فى قبول الشرط أو رفض الهبـة (وانتهى امرها بان رفضتها تماما)

ومدينة جرينسبورو تعدادها ٥٢٥ ر ٤٣ نفساً وهى من ولاية كارولينا الشمالية التى مساحتها ١٣٥٥٦٠ كيلو مترا مربعاً ، وفيها أنهار كبيرة أعظمها نهر روانوك ونهر نوز ، ومن محاصيلها الدخان والقطن والارز ، ومن معادنها الزنك والرصاص .

وفى المساء عدنا الى قطارنا فسار بنا فى أرض هذه الولاية ، فوصلنا فى الصباح الى مدينة كنوكسفيل .

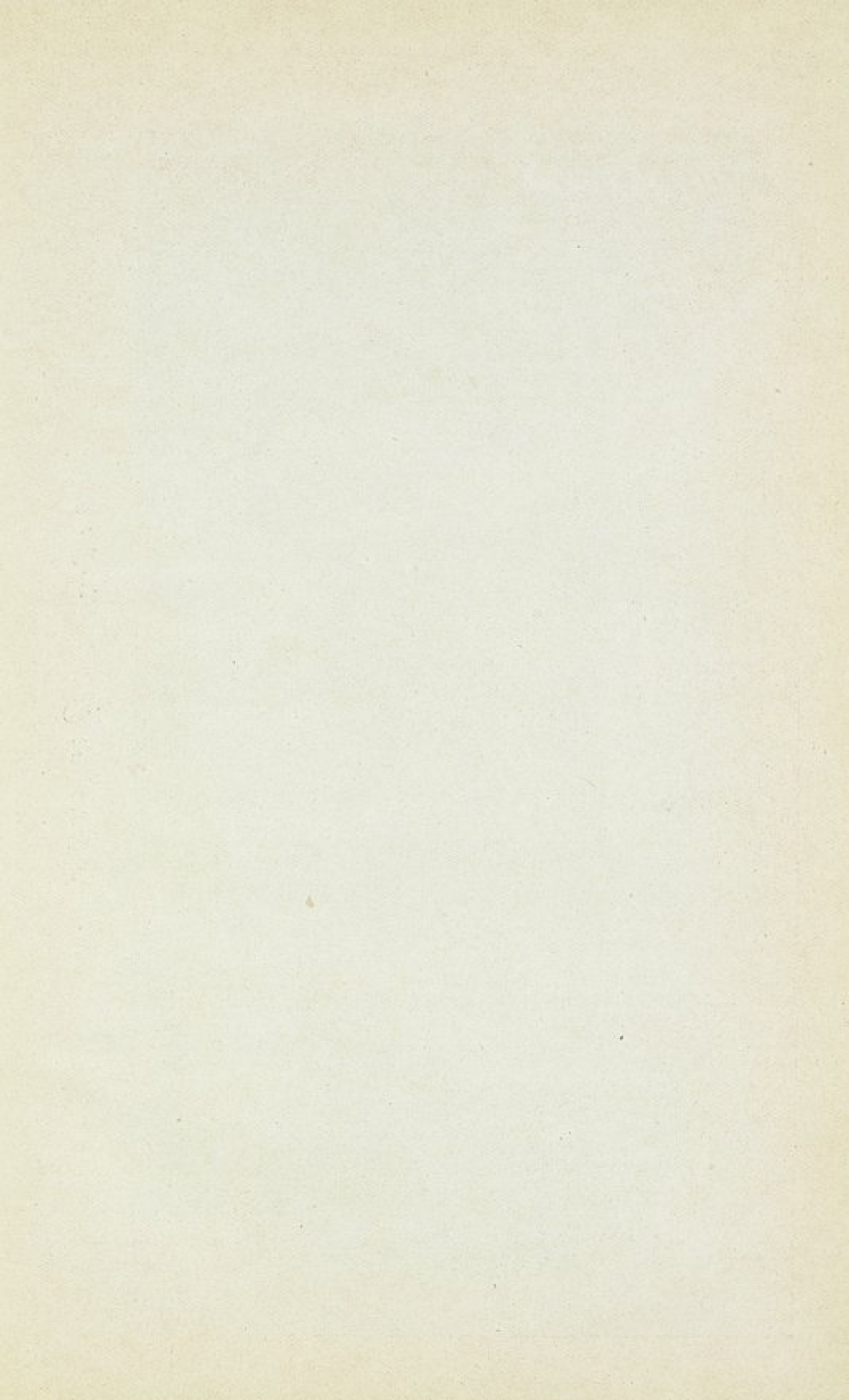
يوم ٢٤ يونيو

وصلنا فى صباح هـذا اليوم الى مدينة كنوكسفيل عاصمة ولاية « تنسى » بعد أن قطعنا اليها ٣٢٠ ميلا ، وقبيل وصولنا الى هـذه المدينة كنا نسير فى واد جميل يخترقه فرع من نهر المسيسبى قامت على جانبيه غابات جميلة ذكرتنا بمناظر سويسرا لولا ما كنا فيه من حر يكاد لايطاق ، وكانت مزارع الذرة تتناثر هنا وهناك فى بعض الاراضى المستوية من هـذا الوادى ، ولم نعثر فيـه على مزرعـة للقطن ، ولـكنهم يقولون : إنهـم بدؤا هنا فى تجربته (ياحفيظ) ! ! وبالجملة فقوة الانبات قوية فى هذا الوادى ، وإن كانت تتخلله بعض قطع ضعيفة ليست فى الجودة مثل التى فى جوارها . ولـكن الحـكومة والشركات والنقابات الزراعية يهتمون جميعا بكل ضعيف ، ويتقدمون الى أصحابه بكل جـديد من التجارب لاصلاحه ـ ولا بد للجاهل من مرشد ، ولا بد للضعيف من طبيب يداوى علله — والا فالضعيف إن أهمل لابد وأن ينشأعنه ضعيف آخر ـ والعلة ينشأ عنها علة أو علل أخرى بما لايكون فى الامكان مداواته بتلك السهولة كما لو كان فى أول أمره ، خصوصا لو اتسعت دائرته بحكم العدوى .

تلك كلمة نقولها بكل إخـلاص لوزارة زراعتنا — نقولها لعمالها الفنيين الذين يقصرون مهمتهـم فى الارياف على المسائل الاداريه من غـير ماعمل فيما تنهض به الزراعة فى نفسها ، أو المزارع فى شخصه . ومن دواعى الاسف أن نجد الموظف



على شاطىء الاطلانطى فى لونج بيش بنيوجرسي ص — ١٣٠



الفنى عنـدنا ، سواء كان مهندسا ، أو طبيبا ، أو زراعيا ، لايريد إلا أن يكون حاكما ! ! لايريد إلا أن تـكون العلاقـة بينه وبين الاهالى علاقة الحاكم بالمحكوم لاعلاقة المرشد بمن هو فى حاجة الى إرشاده : وهى أسمى العلاقات وأكبرها نفعا.

زرنا مدرسة الزراعة هنا فبدأنا بزيارة معملها الكيماوى ، وقد أخبرنى المرحوم أباظه بك بانه أقل من نظيره عنـدنا بكثير ، إلا أنا رأينا أن أنواع الاراضى عنـدهم وضعوها للتجربة فى آنية كبيرة ، وزرعوها بشىء من النبات ، ووضعوا فى أسـفلها أنبوبة سلطوها على أوان أخرى فى قاعة من تحتها ليتعرفوا قوة صرف المياه فى كل نوع من أنواع التربة ، وبجوار هذا المـكان مكان آخر زرعت فى آنيته نباتات من فصائل متعددة ، وقد سمدت بسماد مختلف ، وقد سلطت الانابيب التى وضعوها فى أسفلها على أوان أخرى أقل منها ارتفاعا حتى يتعرفوا مقدار ماتتغذى به النباتات منها ومقدار ماينصرف الى المصارف .

***

وبعد تناولنا الطعام بالجامعة بدعوة منها ، ركبنا أوتومبيلاتنا الى دورة فى مزارع المدينة ، وهذه الولاية بصفة عامة ليس مدار حياتها على الزراعة ، بل على المعادن ــ وأخصها الزنك والحديد والرصاص والفحم — وقـد زرنا مصنعا للجبس الجيرى الذى يأتون به من منجم الزنك الى المصنع بواسطة عربات تسير من معدنها فى الجبل معلقة فى الهواء على حبل من الحديد ممدود الى المصنع ! ! وبعد هرسه يضعونه فى مغاسل ويصبون عليه جانبا من الزيت ، فيعلو الزنك عليه لانه أخف منه فيأخذونه الى تجهيزه فى جانب آخر من المصنع ، ثم يأخذون الجير فيمرونه على اسطوانات محمية حتى يجف ، ثم يطحن ثم يعبى فى غرارات يرسلون بها الى الاسواق ليباع سمادا لنباتات مختلفة .

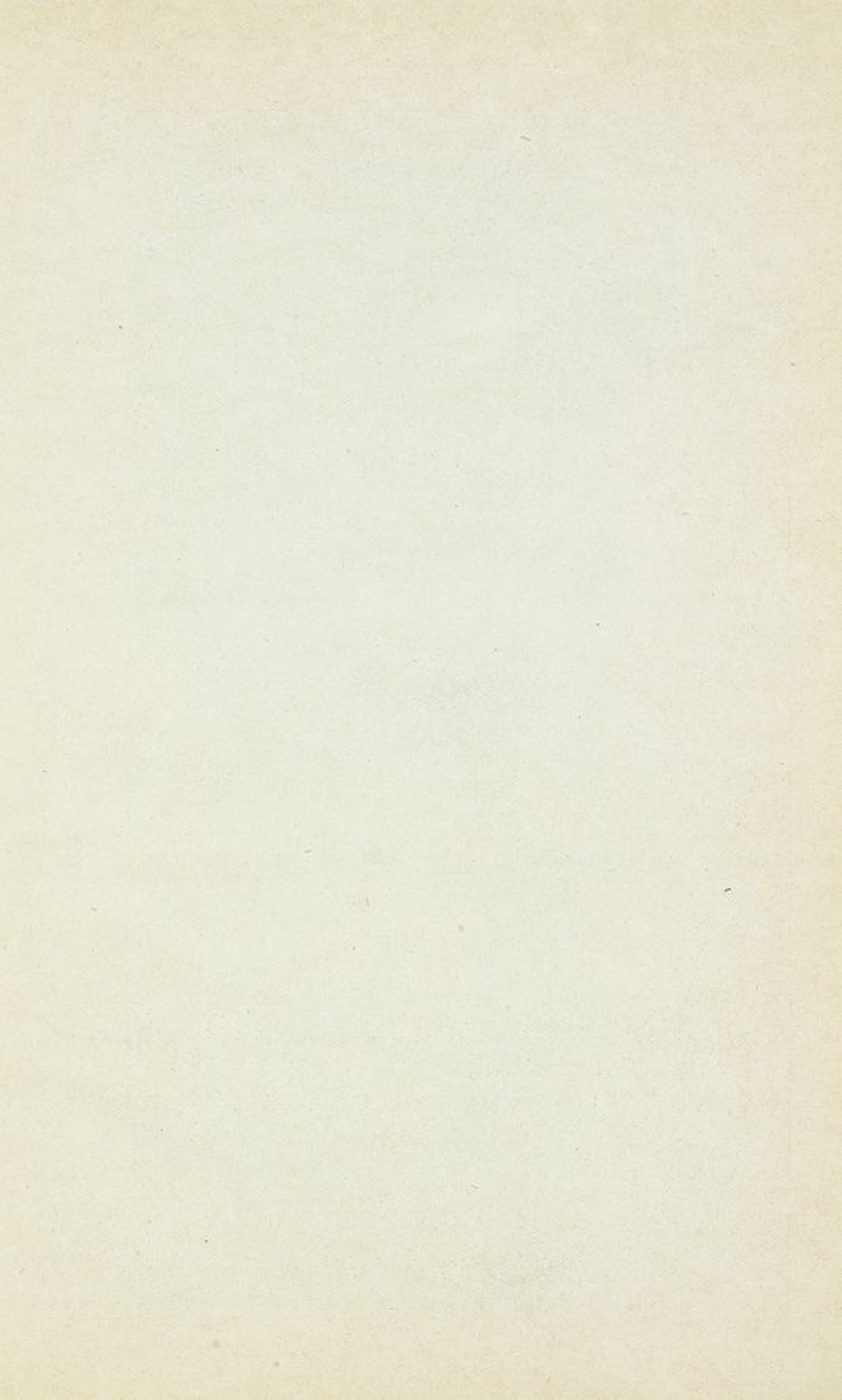
وكان معنا سواق لاتومويبلنا كلما سألناه عن المسافات التى بيننا وبين جهات مختلفة أخبرنا باميالها تماما ، وهى عندهم قاعدة لايجهلها أحـد من الناس حتى النساء

والاطفال . وهنا تذكرت « فركة الكعب » عندنا وماتجره على المسافر من الويلات لبعد ما كان يظنه من طريقه قريبا على قاب قوسين أو أدنى .

وفى دورتنا هذه مررنا فى هذه الولاية على بناء عظيم مقسم الى جملة أقسام هو مستشفى للمجاذيب ، وفيه الفا نفس من هؤلاء الذين حكم عليهم بسلب أنفس شئ فى الانسان وهو العقل ! ! وكانت نفوسنا عند ماسمعنا اسم المجاذيب كادت تفيض رحمة وخشية ! ! كادت تفيض رحمة بهؤلاء البؤساء — وخشية مما عساه ينالنا اذا عثرنا بواحد منهم يكون قد تسرب من الدائرة التى حجزوه فيها ، ولكن كم كانت دهشتنا عظيمة عند مادخلنا الى فناء متسع تظلله الأشجار ، وتحف به الأزهار وقد جلس من تحت ظلاله الوارفة بضع مئات من هؤلاء التعساء فى ملابسهم الزرقاء النظيفه : هذا ساكن فى قراره ، وذلك يتكلم مع جاره ، وآخر يلعب بكرته ، وغيره متمدد على العشب الأخضر ، ومن حول الجميع آنسات يدخلن السرور بمرآهن اللطيف على كل من وقع بصره عليهن . تلكم هن خادمات ذلكم النفر من بنى الانسان الذين أتى بهم الحظ القاسى الى هذا المكان ! !

ولقد زرنا معدن الرخام فى دورتنا هذه ، ورأينا كيف يقطعونه من محجره بواسطة آلات تدور بضغط الهواء ، وكلما قطعوا جملة من الكتل الكبيرة (على حسب المقاسات التى يرغبونها) نقلوها الى جهة يقطعونها فيها ألواحا بطول الكتلة بواسطة مناشير تعمل بالكهرباء وقد رأيت ١٦ منشارا تعمل مرة واحدة فى كتلة واحدة !! ومن المناشير مايعمل بالماء ، ومن ضمن آلات القطع آلة على شكل صينية ركب فى دائرتها شرار من الماس لقطع الكتل الصلبة ، ومن الآلات ماهو على شكل صينيه قطرها نحو ثلاثة أمتار تدور بسرعة ، فاذا وضع عليها الحجر صقلته من الوجه الذى يتصل بها . وهناك آلات يرسمون بها على الرخام ماشاؤا ويكتبون عليه ما أرادوا ، أو يضعونه فى أى شكل أحبوا ويحرك هذه الآلات جميعها آلة قوتها ٢٠٠٠ حصان . وبالجملة فكلها آلات بسيطة ، وحركات غير عنيفة ، وعمل

حمامات البحر فى لونج بيش ص — ١٣٢



كثير ، وعمال قليلون يعملون فى حسن نظام وكمال ترتيب !! وبجوار هذا المكان مصنع لحرق كسارة الرخام ، فيحولها الى جير هو أنقى شئ من نوعه . وأما الصرفان فيطحن ويرسلون به الى الاسواق الزراعية سمادا للاراضى التى بها حموضه .

وهنا خطر ببالى مصانع الجرانيت التى نقرأ عنها فى التاريخ القديم ببلادنا ، ثم محاجر الرخام الاصفر (ألا باستر) التى يتصل تاريخها بتاريخ مسجد الرفاعى ، وكانت أبواب محاجرها مفتحة مادام خليل أغا كان يعمل فيها لتشييد هذا المسجد بأمر والدة الخديو اسماعيل ، لتفاضل به مسجد السلطان حسن الذى فى قبالته .

وقد بلغنا أخيرا ان البابا أرسل الى مصر بعض الطليان لدراسة هذه المحاجر رغما مما عنده من محاجر كراره (فى ليفورنو فى جنوب جنوه) المشهورة بجودتها فى العالم كله !! فهل حكومتنا فاتحة أبوابها للاجانب من هذه الجهة بقدر ماتسدها فى وجه الوطنين ؟؟

***

زرنا سوق الخضار بهذه المدينة فوجدنا مافيه من النظافة طبيعيا فى قومه لاصناعيا ليس له من وجود الا مع مراقبة البوليس ، والذى أعجبنى فى هذا المكان مراوح للتهوية فى كل جهة من جهاته ، وخصوصا فى دكاكين الجزارين .

وبعد دورتنا رجعنا الى الجامعة للعشاء فيها بدعوة من الجامعة مشتركة فيها مع الغرفة التجارية ، وكنا أكثر من ثلثماية نفس كلهم من جلة العلماء من جميع أقطار الدنيا ، ومع أن العشاء كان بسيطا فى نوعه فقد كان لخدمة طالبات الجامعة على الموائد المختلفة ما كان يفيض عليها جمالا ويجعل كل شئ من أيديهن حلوا . فيالله ما أجملهن فى صورهن !! وما أجملهن فى بساطتهن !! وما أجملهن فى ملبسهن !! وما أجملهن فى خفتهن !! وما أجملهن فى عملهن !! وما أجملهن فى كمالهن !! وما أجملهن فى جميع حركاتهن !! حتى لكأن كل واحدة منهن تعمل بحركات ميكانيكية لاعيب فيها غير مافيها من نظام واحكام ، فى هيا كل جمعت بين وداعة

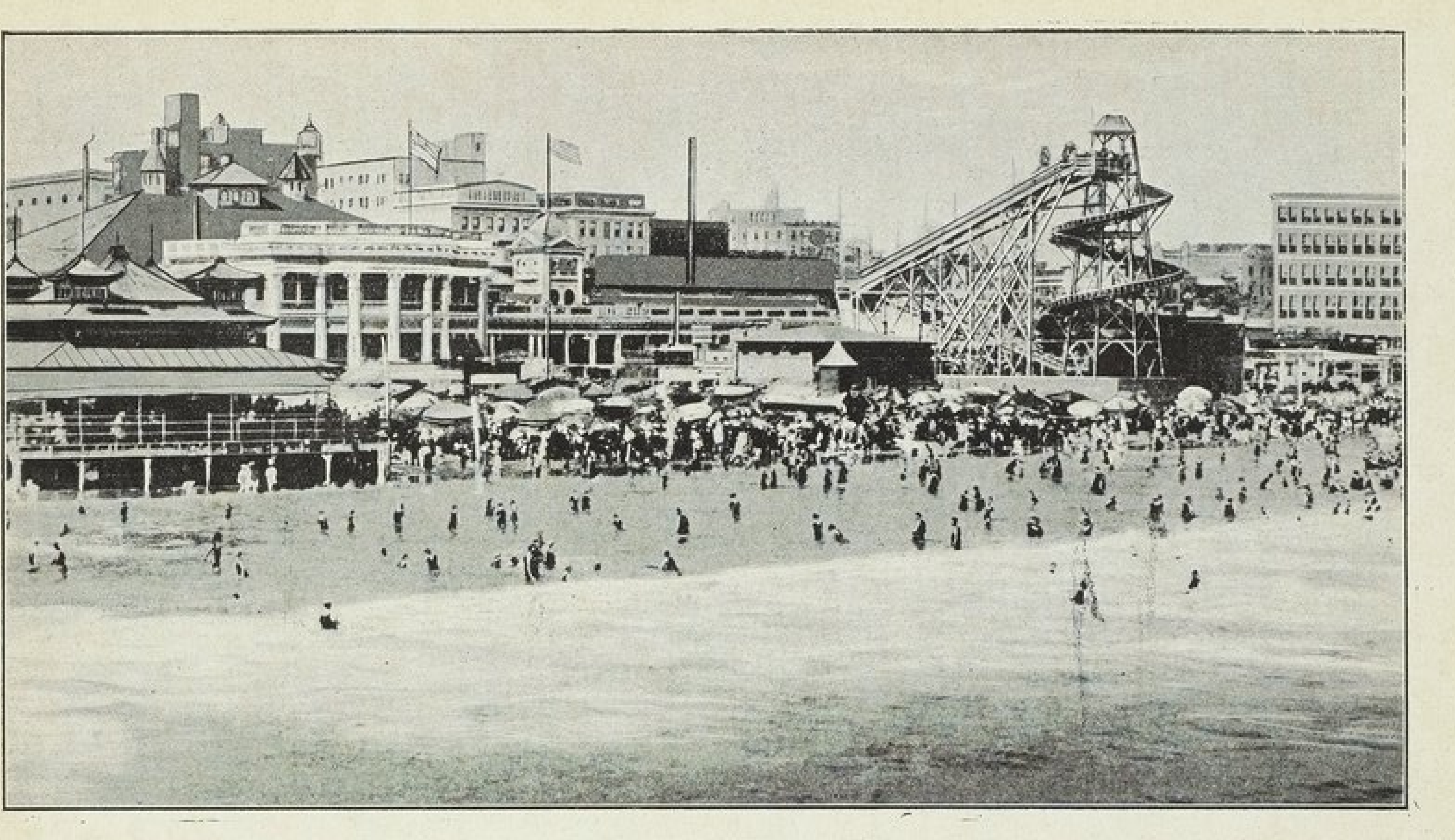
وجمال ، وأدب وكمال . وعند انصرافنا من هذا المكان وقفن ببابه على هيئة نصف دائرة خلناها نزلت من منطقة البروج ، ووقفت على محيطها ملائكة لله يحيين ضيوفا للبلاد جمعوا بين العلم والعمل ، ورجالا هم زهرة العالم ونضرته وفخره وشرفه .

وبعد العشاء قصدنا قطارنا الذى وصل بنا صباحا الى مدينة أطلانطا .

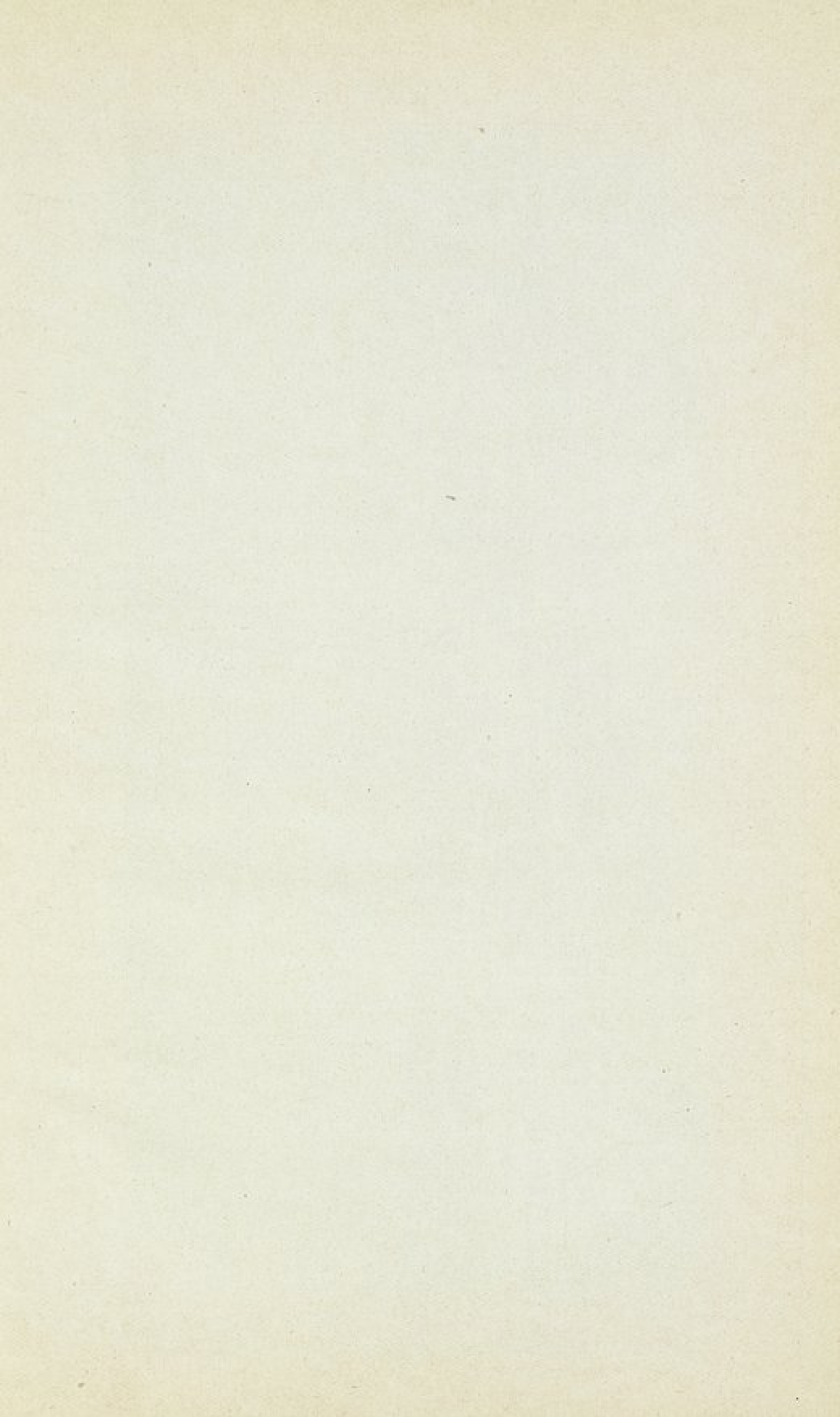
وصلنا الى مدينة اطلانتا يوم ٢٥ يونيه بعد أن قطعنا اليها ٢٢٣ ميلا ، وهى عاصمة ولاية جورجيا ، وعدد أهلها ٢٠١ الف نفس فنزلنا الى محطتها للأقطار وكم كانت دهشتى عظيمة عندما رأيت على باب استراحة فخمة بها « استراحة البيض » ثم على استراحة بسيطة فى مقابلتها « استراحة للالوان » : (يريدون السود والصفر والحمر) . وبعد ذلك رأيت قطارا به عربتان واحدة خاصة بالسود والأخرى فيها بضعة أشخاص من البيض .

وكان يقرب منا الى الشرق على الاقيانوس مدينة (شارلستون) التى ذاع اسمها فى كل جهات العالم من سنوات قليلة : لامن حيث علاقتها بالمدنيـة الصحيحة ، ولـكن لذلك الأثر الذى أحدثته فى العالم المتمدن ، وهو الرقص الذى يتصل فيه الراقص بالراقصـة وتتحد فيه حركاتهـما لفا ونشرا ، وذهابا وجيئة ! وهزاً ولزاً وارتعاشا واضطرابا ، وابتعادا واقترابا (وهوغير الرقص الافرنكى الذى تتضام فيه الصـدور ، وتتعاشق الخصور ، وتتداخل الأرجل فيما بينها من ذلك الفراغ الذى جعلته الطبيعة حرما محترما غير مباح الا لمن يملـكه) ! ، وقد أطرب الجميع تلك الموسيقى الجديدة التى بنغماتها المزعجة ، ونبراتها المهيجة ، تستهوى العقول وتستلب الألباب وتؤثر على نفوس الراقصين والراقصات بما تؤثر به « الكودية » بطبولها على أعصاب المصروعين والمصروعات ـ هذا الرقص وهذه الموسيقى هما مأخوذان عن عبيد شارلستون ومع مالهما فى المدنية الاوربية والامريكية من ذلك الاثر الكبير، لم يجن منهما السود أية فائدة تصلح من حبوتهم فى الوسط الامريكى .

وطبيعة الارض فى هاته الجهة بوجه عام رملية ذات لون أحمر داكن أو فاتح



منظر آخر لحمامات البحر فى بيش ص — ١٣٤



أو أصفر أو أبيض فاتح ، وذلك على حسب ما فيها من العناصر المختلفة التي يغلب عليها الحديد . وبعد دورة فى المدينة ركبنا القطار الى مدينة أثينا (من ولاية جورجيا) فوجدنا على محطتها عميد كليتها ومدرسيها ، فركب كل واحد منهم مع جماعة من المؤتمرين فى أوتوموبيل وقصدنا الجامعة ، ودخلنا قاعة بها بضعة صناديق للتربة المختلفة ، ووجدنا على الارض خريطة من الجبس للمقاطعة فيها بروزات وانخفاضات تبين حالة البلاد الطبيعية ، مبين فيها بالالوان المتغايرة انواع التربة المختلفة ، وعلى كل قسم منها يافطة بنوع النبات الذى ينموا فيها ، وفى هذه القاعة لوحة لبعض النباتات ، وفيها لوحة مرسوم بها شجرتان من القطن بحالتيهما الطبيعية ، واحدة فيها عشرون لوزة منها تسع عشرة مفتحة ، وواحدة غير مفتحة ، وواحدة فيها عشر لوزات خمس مفتحة وخمس غير مفتحة ، ولوزاتها أصغر من لوزات الاولى . وسبب ذلك اختلاف قوة الارض التى زرعت فيهما الشجرتان . وضمن هذه المزارع وجدنا مزرعة للبامية ويسمونها « أوكرة » (كما يسميها العوام عندنا مبرومة) . وزرنا أيضا عدة مزارع منها مزرعة قطن ، وهو فى هذا الوقت ارتفاعه نحو اربعين سنتى وقد أخذ فى التزهير بل فى انعقاد بعض لوزاته ، وقد يصاب القطن هنا فى هذا الوقت فى لوزاته من دودة خاصة غير الدودة التى تصيبه عندنا ، وهم يستعملون لها آلات رشاشة فيها كاربونات الكاليسيوم . ويقولون : إن الفدان فى تجاربهم يأتى بثلث بالة من القطن، والبالة خمسماية رطل شعر ، ومن هنا تعرف أن الفدان يأتى فى تجاربهم بقنطارين الا ثلث شعرا ، وهو مايقرب من اربعة قناطير وثلث ببذره ، وهذا الاعتبار لايتمشى على عموم الاراضى ، خصوصا اذا كانت واسعة ، فقد لايبلغ القطن فيها نصف هذا القدر .

ويسبخون القطن فى تجاربهم بمخلوط من نترات الصودا ، ونترات البوتاسا وسبرفوسفات وليست عندهم دودة للورق ، وقد تنضج اللوزات فى آن واحد كلها أو جلها ، فاذا جنوها بأيديهم كما هو الحال عندنا ، بدؤا فى قطع الخشب من

غير أية صعوبة ، لانه هش ليس فيه صلابة ما عندنا منه حتى فى الاشمونى .
وقد رأيت فى معرضهم شجرة قطن فيها أكثر من ثلاثين لوزة كلها مفتحة فاستأذنت وأخذت منها لوزة لمعرفه حال تيلتها وطولها : فوجدتها خشنة ونوعها أقل من الصعيدى عندنا ، وتيلتها لاتزيد عن سنتى ونصف .

وبجوار بناء الجامعةوجدنا بناء فخما هو نادى مدرسى الجامعة ، اقيم تذكارا لمن قضى نحبه من مدرسيها فى ساحة الحرب الاوروبية .

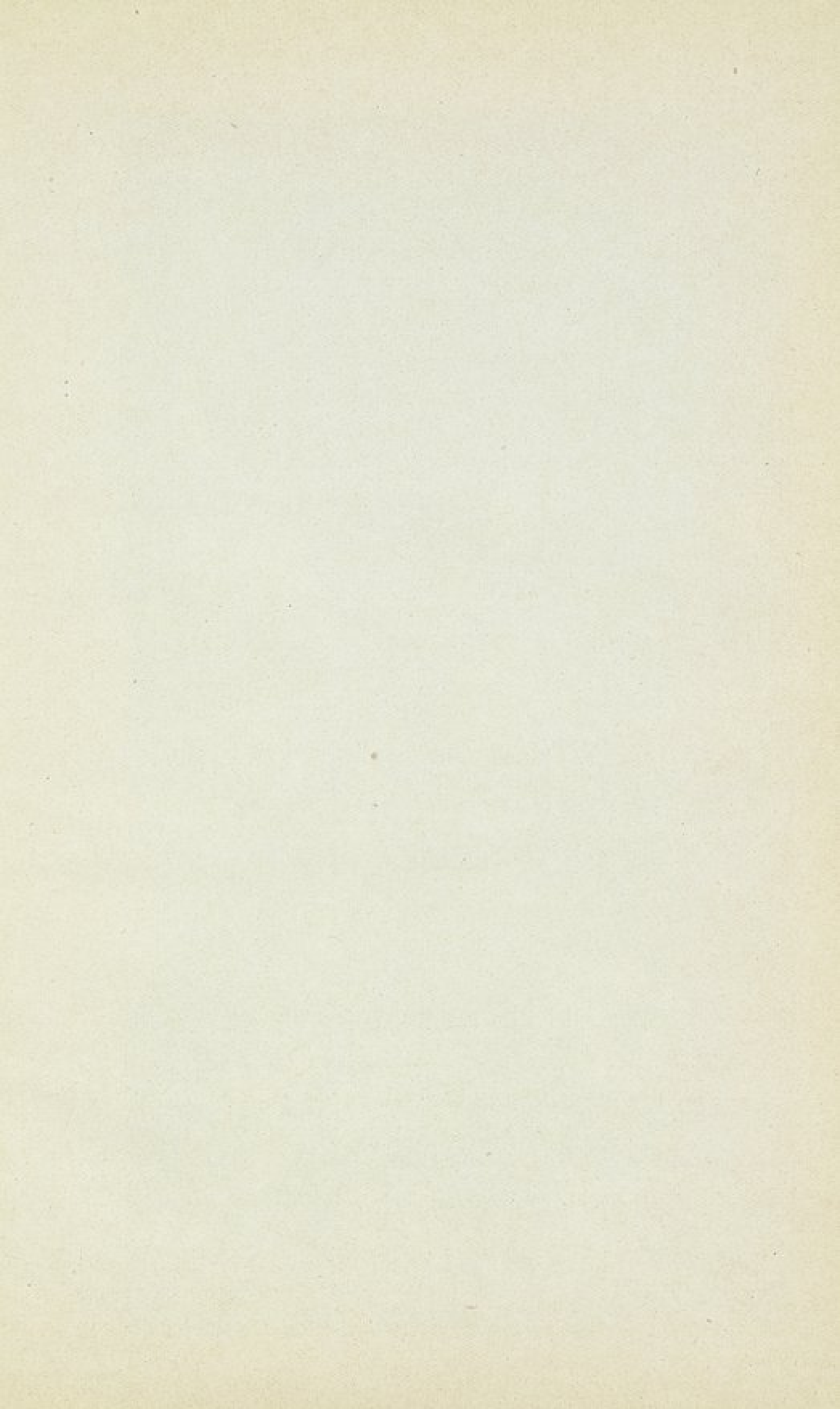
***

ولقد شاهدنا هنا شيئا جديرا بالذكر : وهو أن أبواب الجامعة فى الصيف كانت مفتوحة ، وقد لجأ الى أبنيتها المختلفة المتباعدة عن بعضها البعض معلمات ومعلموا المدارس الاولية ليقيموا بها مدة الصيف فى حضور الدروس الصيفية ، ولهم معلمون خصوصيون يدرسون لهم مايزيد فى معارفهم فى نظير مصاريف تافهة لا تتجاوز بضعة ريالات فى الشهر . والجنسان منفصلان عن بعضهما البعض فى النوم ، لكل دار خاصة به ، وقد يجتمعان فى حضور الدروس كلها أو بعضها .

وهنا لا أدرى اذا كنت الفت نظر وزارة معارفنا فى فتح أبواب مدارس المديريات فى الصيف لمدرسى المدارس الاولية حتى يزيدوا فى معارفهم بدروس هم فى حاجة شديدة اليها ؟

تركنا مدينة أثينا وسار القطار عائدا الى اطلانتا فوصلها فى السابعة مساء وهناك رأينا الاتوموبيلات تنتظرنا مع بعض أعضاء النادى التجارى ، فساروا بنا الى النادى مباشرة ، وكان من معنا بعض مندوبى وزارة الزراعة وقد رتبو أمرنا على الاستحمام به ، حيث كان لنا بضعة أيام ونحن فى دورتنا من غير استحمام ، وبمجرد دخولنا الحمام قرأت فى جوه شيئا من دروس الفلسفة العالية ؟ رجعنا بها الى فلسفات كثيرة ـ منها ماهو خاص باصل الانسان حين كان يسكن الكهوف والأدغال ! ! ومنها مايدور حول الحلقة المفقودة التى تصل الانسان بالحيوان ؟ وقد كنا فى هذا

احدى حدائق لونج بيش ص — ١٣٦



الوسط الى التمثيل العملى بحيث اذا عف البصر عن النظر الى جاره وقد تجرد عن كل شئ الا عن جلده وقع على عشرات غيره تحت سماء هـذا المكان بحالتهم الطبيعية ! ! وكانت أقل الفلسفات بحثا فى هذا الوسط أن الغاية تبرر الواسطة ، ومن أعلاها تلك التى فيما وراء الديموقراطية : فى أن الانسان لايمتاز عن الحيوان فى بلاد فصلت الاوتوقراطية فيها بين الانسان وأخيه الانسان ! ! !

وبعد ذلك قصدنا محطة السكة الحديدية وركبنا قطارنا الذى سار بنا الى منفيس وقـد قطع ولاية الابامًا ، وولاية مسيسبى من الشرق الى الغرب ومررنا فى أثناء سيرنا فى منتصف الليل على مدينة برمنجهام وهى فى ولاية الابامًا .

يوم ٢٦ يونيه

وصلنا فى ضحى هذا اليوم الى مدينة منفيس ، وهى مدينة عظيمة فى الجنوب الغربى لولاية تنسى ، وعدد سكان هـذه المدينـة ١٦٣ الف نفس ، والمسافة اليها ١٩٦ ميلا . ونهر المسيسبى يمر بهذه المدينة ، وهناك شاهدنا مابلغ من أمر فيضانه بما تخلف عنه من الجزاير على جانبى النهر الذى تراها هنا كالنيل تجاه بنى سويف بما فيه من الجزر . وفى الساعة الرابعة بعد الظهر ركبنا قطارنا فسار فى أرض مسطحة والزراعة فيها منتظمة ، تراها وقد غرقت قد أعادوا زراعتها والقطن فيها على ارتفاع ١٥ سنتى مما لا يبشر بمحصول له قيمة . وكما تـكثر المزارع فى هذا الاقليم تـكثر فيه الغابات ، وبهذه المناسبة أرى أن الغابات مزرعة الضعيف قليل الأمل القريب ، مزرعة من لم يكن عنـده كثير من الأيدى العاملة . وفى الساعة الخامسة بعد الظهر كان القطار يسـير فى أرض ولاية أركنساس ، وكانت مياه المسيسبى تعلوا جميع الاراضى من على يميننا وشمالنا على مسافات بعيدة لايصل البصر الى مداها ، وعليه فجميع الغابات والاراضى الزراعيـة هنا يعلوها الماء بمقادير مختلفـة ، وقـد تلفت مزروعات كثيرة فى هذه المنطقة ولا يدرى إلا الله متى ينصرف الماء الذى عليها .

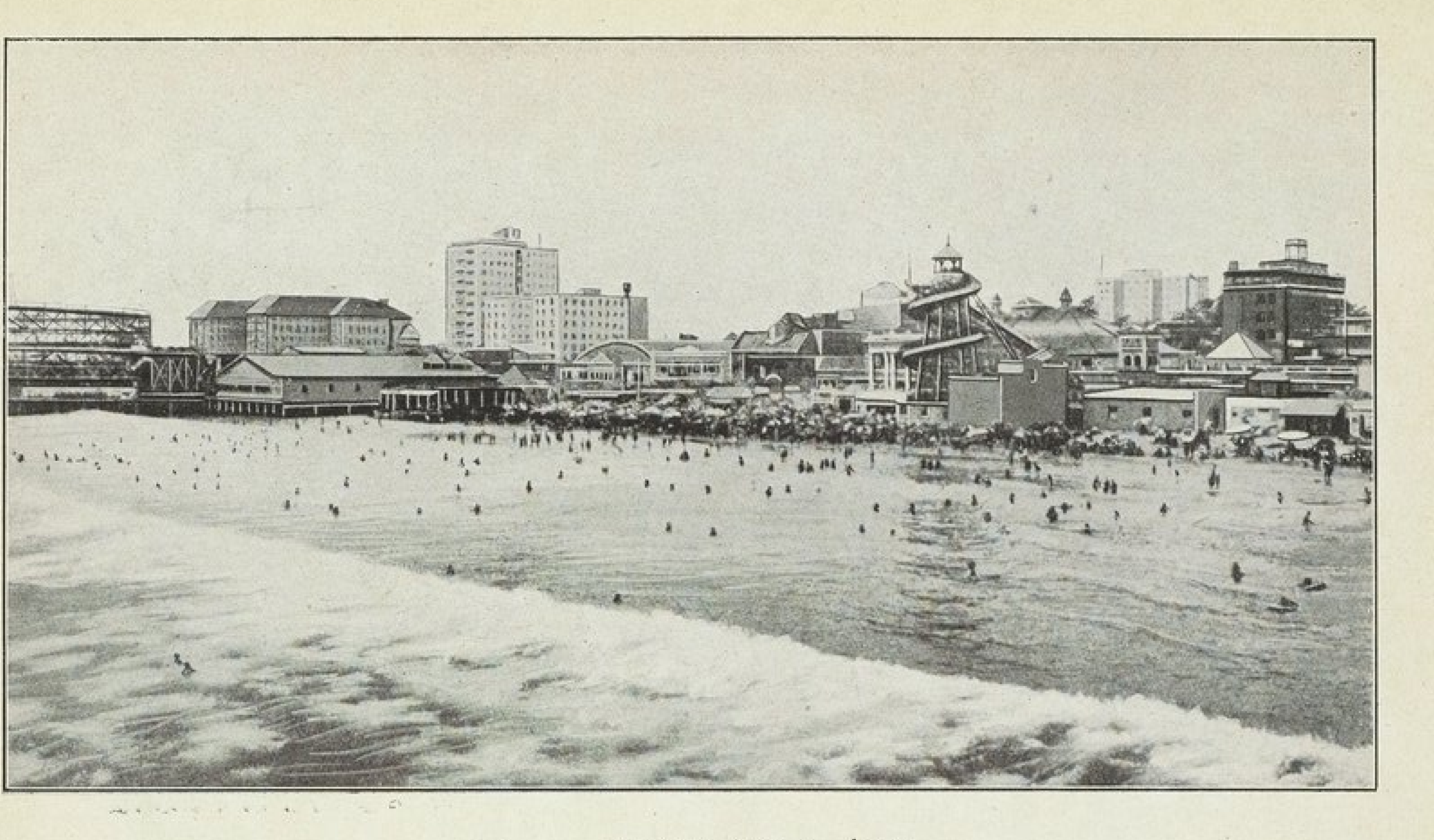
والذى يهم البلاد التى تزرع الجيد من القطن إنه قليل هنا فى هـذا العام ، وكنا فى سيرنا كلما وجدنا أرضا قد انحسر عنها الماء ، لم نعتم أن نجد أرضا يعلوها الماء الى حد لانعلمه ، وعلى كل حال فهـذه الاراضى قـد اكتسبت كلها من الطمى مايعوضها مافاتها فى هذه السنة من وفرة الزرع فى قابل فليعمل على حسابه العاملون .

ونهر المسيسبى أكبر أنهار الدنيا بعـد الامازون وطوله ٧٣٠٠ كيلو مترا ، ويقطع الولايات المتحدة فى وسطها من شمالهـا الى جنوبها حتى يصب فى خليج المكسيك ، ومتوسط تصريفه ١٨ الف متر مكعب فى الثانية الواحدة ، وله فروع كثيرة تخرج منه وتتجه الى الشرق والغرب ، كماله فروع كبيرة تصب فيه ، أعظمها نهر مسورى .

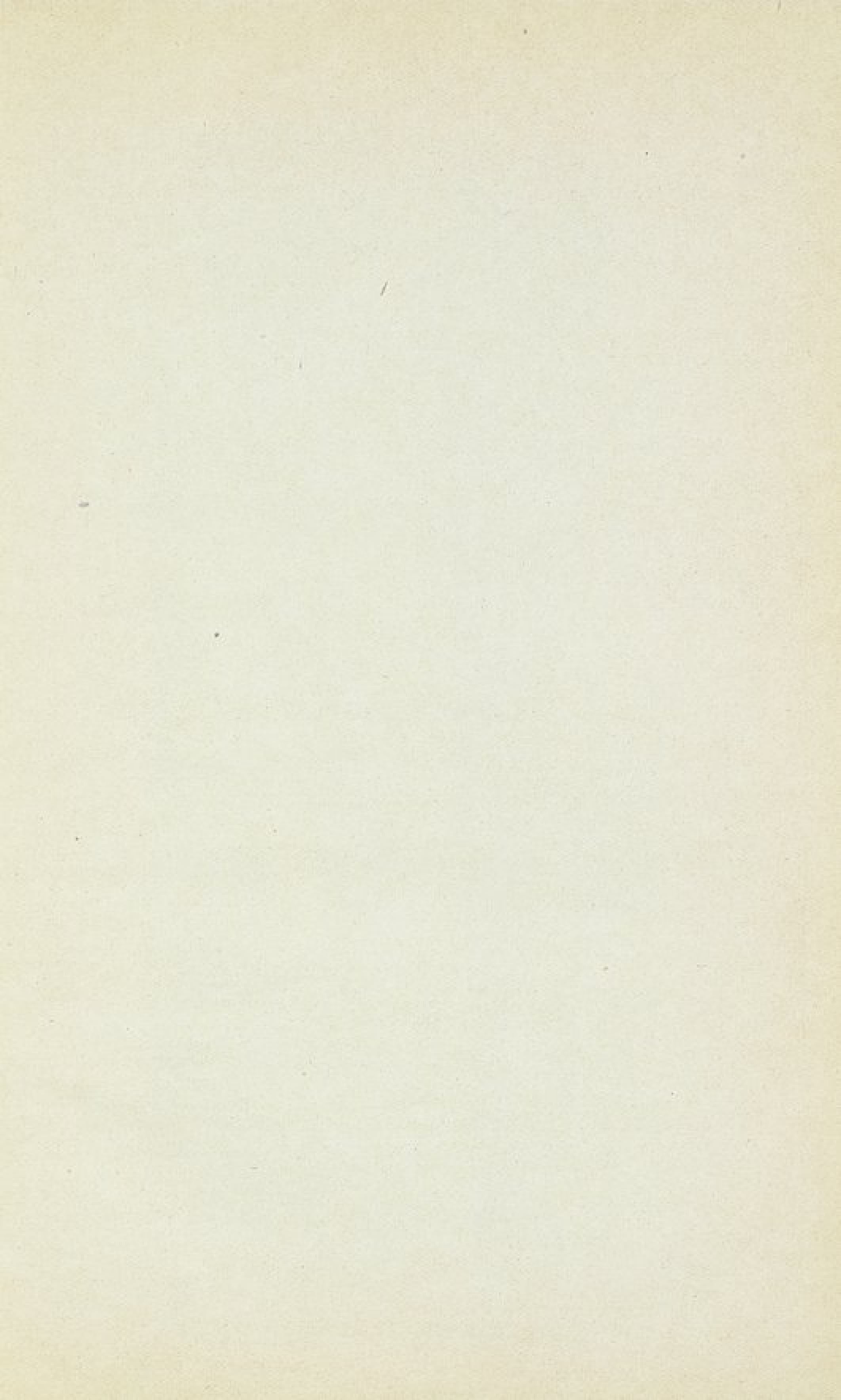
ومازلنا حتى وصلنا فى الصباح الى محطة هوبرج ، بعد أن قطعنا اليها ٣٦١ ميلا.

يوم ٢٧ يونيه

وصلنا فى صباح هـذا اليوم الى مدينة هوبرج ، ومنها الى مدينة قرطاجه ، والمسافة بينهما ٢٩ ميلا ، وعـدد سكان الاخـيرة ٩ آلاف نفس . وفى الساعة ٨ صباحا ركبنا الاتوموبيلات لزيارة بعض المزارع على بعد ٣٠ كيلو مترا كلها فى ولاية ميسورى . وهذه الولاية لايزرعون فيها القطن لانها تشرب على المطر وهو قليل فيها صيفا ، وزراعتها بصفة عامة الغلال وبعض الخضر والفاكهة ، والاراضى فيها يساوى فدانهـا من عشرة جنيهات الى عشرين ، واليد العاملة فيها قليلة ، لذلك لم يعنوا بنظام الطرق بها إلا من خمس سـنوات فقط ، وهى معبدة وليست بمرصوفة ولا مقيرة . وفى هـذه الولاية معادن الرصاص والزنك والبترول . والزراعة فيها ليست على مايجب ، مع أن أرضها أكثر جودة من بعض ماشاهدناه فى غـيرها ، وقد كان معنا شاب هو أكبر سراة هذه الجهة ، أخبرنا أن عندهم ٧٠٠ فدان و ٥٠ بقرة فيها ثلاث عائلات ، فسألته عما يلزم للمائة فـدان من الرجال لزرعها ؟



مدينة لونج بيش على المحيط الاطلانطى ص — ١٣٨



فقال : « ثلاثة رجال » لان عملية الزراعة كلها على الآلات ، والاراضى واسعة وضامنة لمكسب غير قليل . ومن الامور الحيوية فى هذه الجهة الشركة بكل معناها بين الزراع وصاحب الارض : فأثمان الآلات مناصفة ، والمواشى مناصفة ، وغذاء المواشى مناصفة ، والسباخ والبذور مناصفة ، والمحصول مناصفة ، ومع هذا فالأرض تعطى لصاحبها ستة فى المائة من ثمنها سنويا .

وقد سألناه عن كيفية الحكم فى هذه الجهات فقال : « إن لكل ٢٥ الف نفس قاض للحكم فى شؤنهم ، ومرتبه ٥ آلاف دولار فى السنة ، ومن أحسن ما شاهدناه فى هذه الجهة :

آلة الحليب

وهى آلة بقوة حصان واحد تدور بالغاز ، وتخرج منها ماسورتان قطر الواحدة نصف بوصة ، تسيران فى طول مداود البقر على ارتفاع نحو متر ونصف ، وفيها على يسار كل بقرة حنفيتان — وهاتان الماسورتان واحدة للمص والاخرى للكبس وهناك جهاز هو عبارة عن خزان صغير من الكاوتشوك فيه من أعلاه خرطومان يركبان فى الحنفيتين المذكورتين ، واربعة فى محيطه تركب فى ضروع البقرة الاربعة ، وواحد فى أسفلها مسلط على الآنية المخصصة للحليب ، فاذا دارت الآلة وفتحت الحنفيتان حصل المص فى الضروع ، فيخرج اللبن الى الخزان وفى آن واحد يحصل الكبس الى الآنية حتى اذا امتلأت أتي بغيرها .

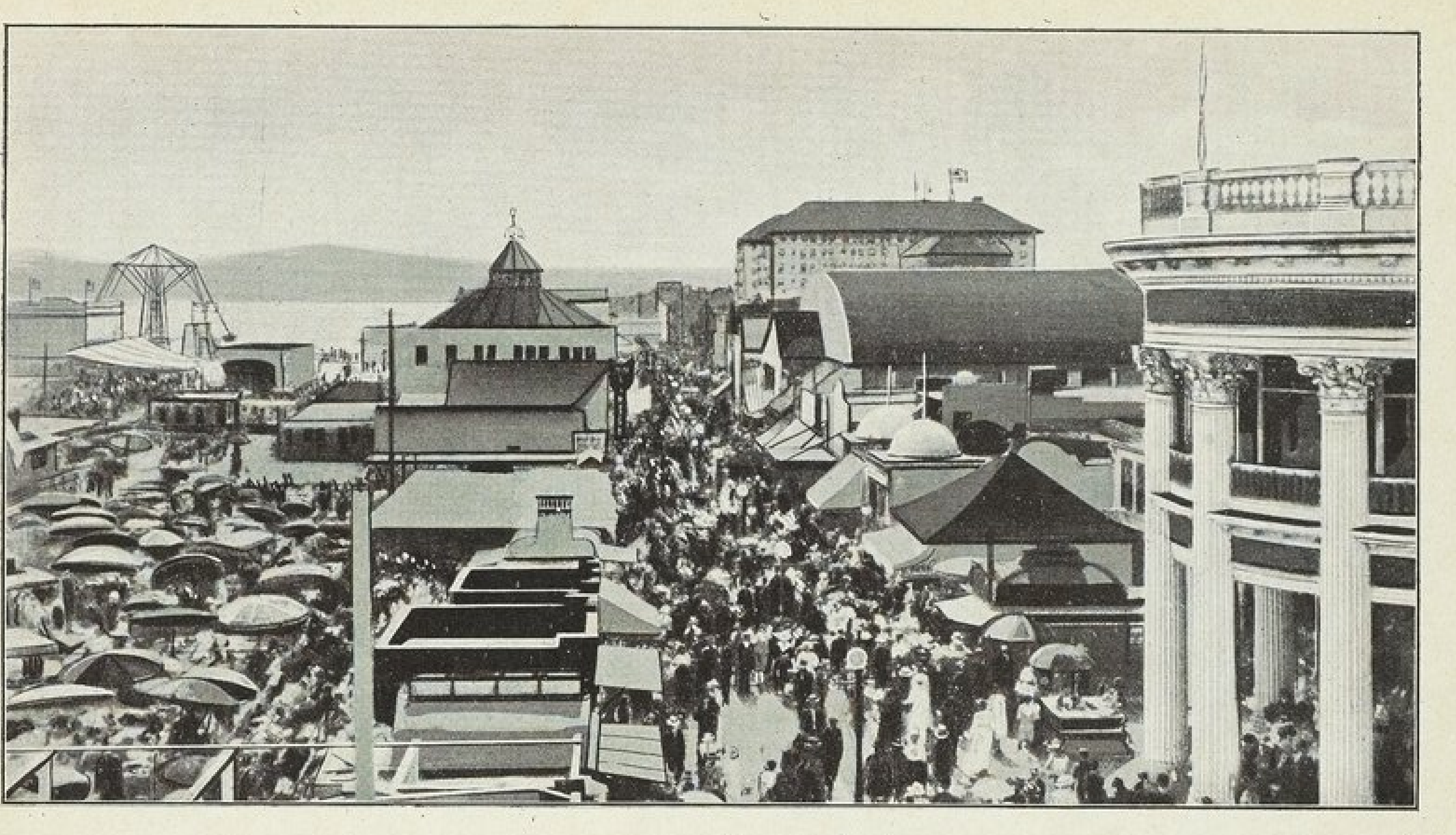
وبعد دورتنا فى بعض المزارع كنا نرى بعضها جيدا والبعض رديئا — لا من جهة تربة الأرض — ولكن من جهة العناية بالاولى وإهمال الثانية : وعلة ذلك هو أن العامل مع قلته هنا يفضل أن يعمل فى المناجم وهى هنا كثيرة جدا ، وخصوصا مناجم الزنك التى قد ترى العشرات منها فى منطقة واحدة ، كلها لمالك واحد أو عدة ملاك .

وقد تغدينا عند أحد أصحاب هذه العزب على النظام الذى مر بك شئ منه ، وبعد الغداء قام الخطباء من الفلاحين يخطبون فى المنفعة المتبادلة بين الانسان والانسان وبين الأمم وبعضها بعضا ، وبعد ذلك عدنا الى قطارنا الذى قام بنا فى الساعة السادسة الى مدينة كانزاس سيتى وهى فى حدود ولايتى ميسورى وكانزاس.

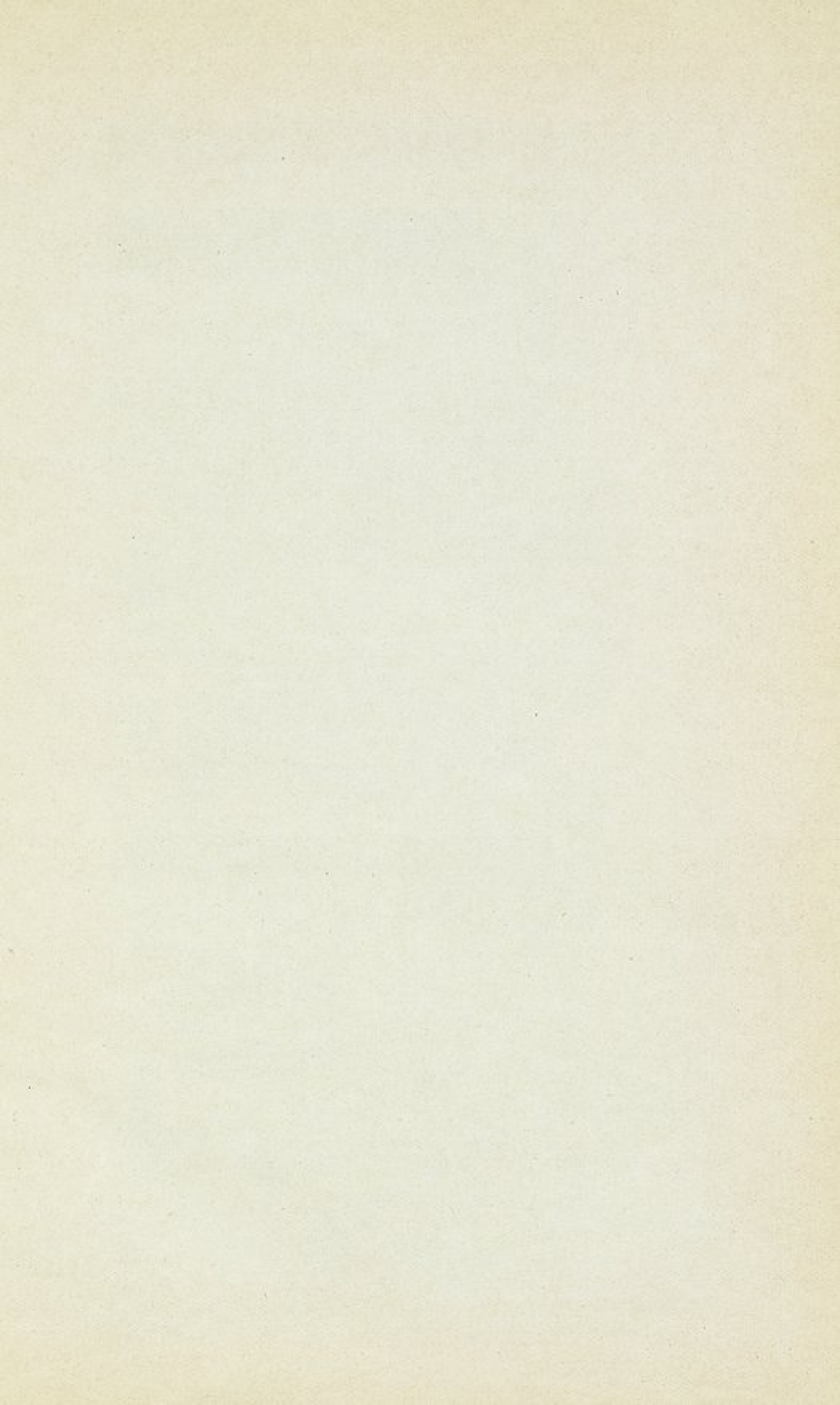
يوم ٢٨ يونيه

وصلنا فى صباح هذا اليوم الى مدينة كانزاس سيتى ، والمسافة اليها ٣٢٥ ميلا واول ما رأينا منها محطتها ، وهى فى ترتيبها ونظامها وفخامتها شئ قد بلغ حده ، بحيث كنت أتردد فى المقابلة بينها وبين محطة واشنجتون التى قلنا : إنها من أحسن محطات الدنيا ، وما من كمال هنا الا اذا سرنا نرى أكمل منه ! ! تركنا المحطة الى الاتوموبيلات التى خصصتها لنا الغرفة التجارية ،وسرنا قاصدين عزبة « أسنى بار» وهى من أكبر المزارع هنا ، وكان البوليس الراكب يحافظ على النظام كشأنه فى كل سياحتنا . وهذه المدينة منقسمة الى قسمين يفصلهما نهر ميسورى — الأولى ولاية فى ميسورى والثانيـة فى ولاية كانزاس ، وعدد الأولى ٤٠٠ الف نفس، وعدد الثانية ٣٥٠ الف نفس . ومحصول ولاية ميسورى من الغلال ويقدر بمليونين ونصف من الدولارات ، وأغلبه من الذرة وايرادها من الألبان والجبن والزبدة ثلاثة ملايين دولار .

مررنا فى شوارع المدينة الأولى وكانت أبنيتها على غاية من اللطف فى نظامها ونظافتها ، ولما خرجنا الى المزارع وجدنا الأرض بين نجود وخيوف ، وهضبات ومنحدرات ، كلها خضراء ، فالعالى منها قامت عليه الاشجار ، والمنحدرات زرعت بالغـلال ، والاخياف فيها زراعة الذرة نامية نموا عظيما ، ويظهر أن تربة الارض هنا أشبه شئ بالطمى . وهذه المنطقة فى زرعها وتربتها خير من كثير ممـا شاهدناه فى الولايات التى قبلها ، وخصوصا من جهة العناية فيها بالزراعـة وأرضها غنية



احد أسواق مدينة بيش ص — ١٤٠



بالصودا والنتروجين والبوتاسا .

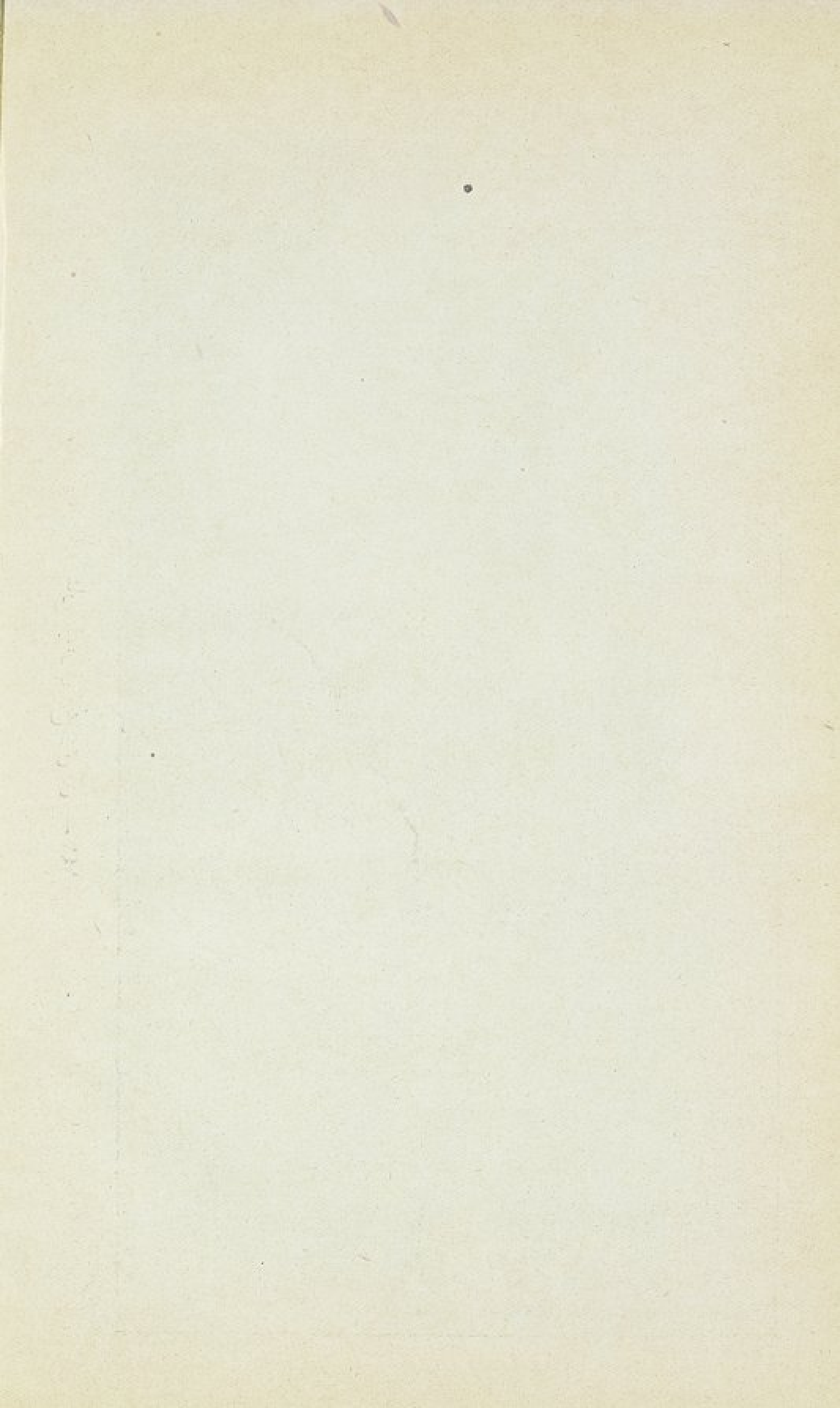
ومن أغرب الامور هنا أننا كلما مررنا على جهة سواء فى التى زرناها أو فى التى بين أيدينا ، يعطوننا بيانات وافية عن تحليل الارض فى طبقاتها الاربع الاولى مع مقدار مافيها من الخصوبة ، كما كانوا يعطوننا فى الجهات التى كنا ندعى فيها للطعام عصير التفاح المتخمر ، وقد أحلوا هذا الشئ من الشراب بعد تحريم الخمر عندهم على شريطة أن لا يكون له أثر فى الاسواق . وقد ذكرنى ذلك بما كنت أقرؤه فى كتب الأدب العربى كالاغانى والف ليله من أن بعض الخلفاء كان يشرب نبيذ التمر أو غيره بما أحلوه لانفسهم بعد تحريم الخمر ولو أسكرت كثرته .

زرنا عزبة أسنى بار ، وكلها أسطبلات من الخشب تربى فيها أبقار من عترة جيدة لها عندهم شهرة كبيرة ، ثم ترسل الى الاسواق فتباع بثمن عال جدا ، وقد أذكر لك بعض ماشاهدته بها لأقرب الى ذهنك شيئا منها : رأينا عجلا من البقر زنته ١٠٥٠ رطلا على أن عمره ١٥ شهراً ! ! وليس هو الوحيد فى نوعه وفى جسمانه وعمره ، وقد رأينا ثوراً تخاله فى جسمانه فيلا لا ينقصه غير الخرطوم ، وقالوا لنا : إن عمره ثلاث سنوات ! ! وهنا يمكنك أن تحكم على مقدار عناية القوم بتربية الماشية.
ثم توجهنا الى عزبة ثانية لصاحب الاولى وتغدينا فيها غداء خلويا جمع بين البساطة وجمال الطبيعة ، وإنى أذكره لك باختصار لتعرف كيف يمكن لرجل أن يعد غداء لثلاثمائة شخص فى بضعة ساعات من غير ماهرج ولا مرج ، وبدون كلفة ظاهرة : يسير مجموعنا صفا واحداً ، وأول مايجده الشخص سيدة من وراء مائدة عليها خزان للماء ، وبجواره كوبات من الورق المضغوط ، والى جانب منها إناء كبير للشراب المخمر ، فيأخذ كل كوبته ويعرج على مايشربه ، ثم يسير الى مائدة واسعة عليها صناديق من الورق (عشرون سنتى فى نصفها فى نصفها) فيعطى اليه صندوقا منها ، ويسير الى حيث يريد أن يجلس على العشب فى ظلال الاشجار المحيطة بالمكان ، وهناك مكان للقهوة يذهب اليه الواحد فيملأ كوبته قهوة أو لبنا أو خليطا منهما ، أما

الصندوق ففيه (سندوتش) باللحم أو بالجبن ، وفيه كوبة بها شيء من الخضار المطبوخ وورقة فيها بعض قطع من السكر لتحلية قهوته ، وأخرى فيها قليل من الملح ، والى هـذا شوكة وسكينة من الورق ، وفى بعض الاحيان ترى به شيئا من الفاكهة ، وكثيرا ماتدور علينا بعـد الأكل سيدات بشيء من الچلاطه — قل لى بربك مافى ذلك من الكلفة ؟ ؟ إنه كرم لا كلفة فيه ! ! كرم جمع بين حاجة الضيف ومالا يثقل على المضيف ! ؟ كرم لاندرى له شكلا فى بلادنا المشهورة بالكرم وسعة الصدر ! لاننا فى كثير من الاحيان نتجاوز حدود الكرم : فاذا أتانا الضيف فى الظهر مثلا على غير انتظار بمجيئه — فعوضا عن كوننا نقدم اليه مايسعه وقته من الغذاء الذى هو فى حاجة اليـه بدون أدنى كلفة — فانا نرى صاحب البيت يغدو ويروح بين يدى ضيفه بعبارات التأهيل (لا التسهيل) . ومع تكرار طلب ضيفه لما تيسر من الغداء فان الغداء لايقدم اليه إلا فى الساعة الخامسة أو الرابعة ! ! يقدم اليه واللهب يكاد يتصاعد من أطباقه ، وهو فى الغالب قليل السواء فى جميع أصنافه التى نراها فوق الحاجة فى كثرتها ، وأقل مما يجب فى جودة صناعتها ! ! ذلك لأن صاحب المكان اعتاد أن يكلف نفسه فى طريق كرمه بما لايلزمه ، ويكلف أهل بيته بما ليس فى طاقتهم ، احتفاء بهذا المسكين الذى كان يفضل أن يأكل فى ميعاد أكله كما لو كان يأكل فى بيته بدون كلفة وبدون أدنى مشقة .

تركنا القرية الى الاوتوموبيلات ، وذهبت بنا تضرب فى الارض كل مذهب حتى وصلنا الى مزرعة مستر لونج — وهو أحد أصحاب الملايين فى واشنجتون — مزرعة هى روضـة من أحسن ما رأيت من الرياض ، تكتنفها غابة من الاشجار الباسقة ، من ورائها جملة صوبات لتربية النباتات . والطريق فى وسط الروضة طريق عام مرصوف محفوف ، وأرض الروضة قد فرشت ببساط سندسى مقصوص بيد العناية والرعاية ، وهل هناك نعيم أكثر من هذا؟! خصوصاً اذا عرفنا ان هنا وهناك أمكنة للعمال المتزوجين فيها بيوت لسكنهم مع عائلاتهم ، وللعزاب أمكنة وحـدها

شارع البحر فى لونج بيش ص — ١٤٢



لكل منهم فيها غرفة ، وبجوار ذلك مدرسة وملعب رياضى للعمال ، وبين هذا وذاك المنزل الخاص لصاحب المزرعة وهو بطبيعة الحال منزل يليق بمثله ، ومن وراء هذا كله الاسطبلات الخصوصية لصاحب المزرعة ، وليس هناك من داع لوصف عظمتها إلا بان أقول لك : إن قريبا منها مكان للسباق الخاص بخيله .

وهذه الولاية لاتفرق بين السود والبيض ، لانها من ولايات الشمال التى ليس للالوان فيها من فوارق ، لذلك ترى السود فيها رافلين فى نعمتهم ، وأسعد حظا من اخوانهم فى ولايات الجنوب . وهنا نتساءل عما اذا استمرت هذه الفوارق بين الابيض والاسود فى ولايات الجنوب (والسود هم القائمون فيها بالزراعة والخدمة العامة) وهاجر الاسود الى ولايات الشمال فماذا يكون من أمر ولايات الجنوب ؟

عدنا فى الساعة السادسة مساء الى المدينة ، وقصدوا بنا نادى الغرفة التجارية وهو بناء فخم أكثر من عشر طبقات ، فصعدنا الى الطبقة الثامنة وفيها الحمامات الباردة والسخنة ، والى جوارها مكان فيه بركة عمقها أكثر من مترين وسعتها نحو عشرين مترا فى عشرة ، وكل بنائها من الرخام الجميل ، وهنا كانوا يطلبون منا أن نداری سوأتنا باللباس الخاص بالحمامات البحرية لان البركة فى أعلاها ايوان قد تشرف منه السيدات على المستحمين ، وبعد ما أخذنا حظنا من الاستحمام صعدنا الى الدور العاشر وفيه مطعم النادى ، ويطل من جهاته على المدينة التى تراها فى انوارها كأنها فى زينة من أجمل الزينات . وبعد أن تناولنا عشاءنا توجها الى المحطة حيث ركبنا القطار فسار بنا فى الساعة العاشرة الى محطة لا كروس ، التى وصلناها فى الساعة الثامنة صباحا ، وكان سيرنا كله فى أراضى ولاية كانزاس .

يوم ٢٩ يونيه

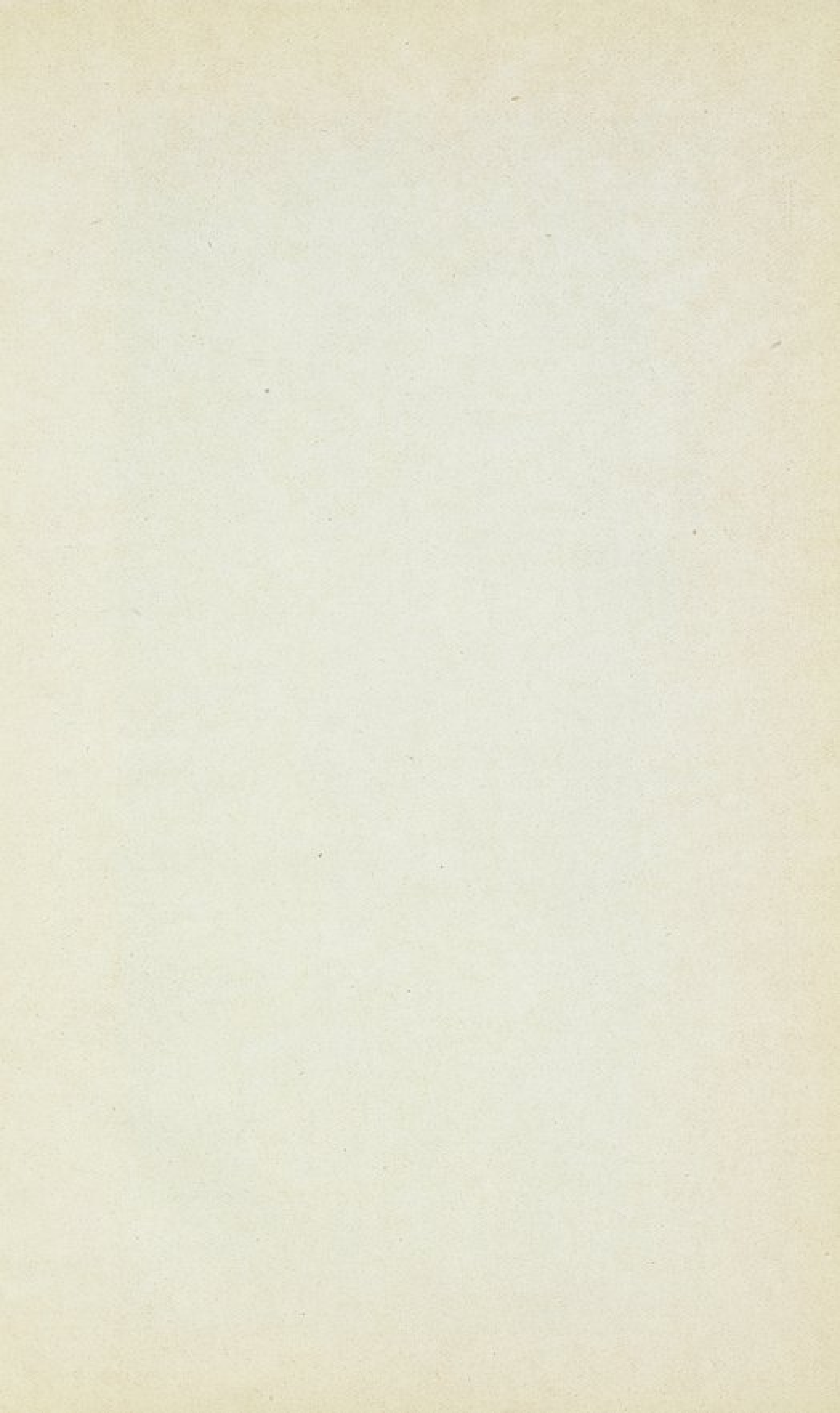
وصلنا فى صباح هذا اليوم مدينة لا كروس وعدد سكانها ٨٠٨ آلاف نفس وهى فى ولاية كانساس والمسافة اليها ٣١٦ ميلا ، والارض فى هذه الجهة منبسطة بحالة عامة ، وترى فيها أثر الغلال مزروعة بكثرة ، وهى تشغل ثلاثة ارباع الارض والزراعة فيها على المطر وهو أقل منه فى ولاية ميسورى واعتمادهم هنا على تربية الماشية ، والزراعة على نسبة ثلاثين فدانا لكل شخص وهذا ما يدلك على كثرة الاراضى فى هذه المنطقة ، لذلك ترى ثمن الفدان من اربعين الى خمسين ريالا ، وارتفاع القمح فى هذه الارض لايزيد عن اربعين سنتمترا ، وعملية الزراعة على الآلات . والذى يظهر لى أن هذه الارض فى غاية الخصوبة ، لان القمح يزرع فيها محل القمح بدون تسميد على الدوام ، وهو مايدعو الى الحكم بان الارض غنية جدا بالنترات ومتوسط محصول الفدان من القمح ١٣ بشل ، والبشل ثمنه ريال . وعلى هذا يكون دخل الفدان تقريبا من أربعة الى خمسة فى المائة ، والحكومة تضع الضريبة هنا على الاراضى بنسبة مايخترقها من السكك الزراعية ، وبنسبة العناية بهذه السكك : فاذا كان الطريق ممهدا معبدا على حالته أخذوا نحو ربع ريال عن الفدان ، واذا كان مرصوفا أخذوا ريالا ، واذا كانت المنطقة فيها مدرسة أخذوا على الشخص ريالا . وهذا غير الضريبة العامة على الاشخاص وهى ريال عن كل نفس .

والتسميد فى هذه الجهة هو مما يسمونه بالسماد الاخضر : وهو ان يزرعوا فيها برسيما أو مافى معناه ثم اذا نما يحرثونه وهو اخضر فى ارضه ، ويكثر عندهم البرسيم الحجازى الذى يمكث فى الأرض جملة سنوات .

وقد وصلنا فى هذه الجهات الى عزبة شاهدنا بها منظرا جميلا : شاهدنا فى دائرة من الارض مسورة بالاسلاك الشائكة بضعة مئات من الابقار بين كبير



شاطيء الاطلانطي ومرفأ حمام البحر في لونغ بيش ص — ١٤٤



وصغير ، ذكر وأنثى ، والكل فى صعيد واحد ، ومن دونها راعيها على فرسه وفى يده فرقلته يفرقع بها يمينا فتجرى جملة الابقار الى اليمين ، ثم يفرقع بها يسارا فتجرى بجملتها الى الشمال .

ومن أغرب شئ أن المطر لاينزل هنا الافى مدة الصيف ،و حيث أن طبقة الأرض صخرية على بعد قريب فيخزن فيها الماء ، وخصوصا فى الأرض المتروكة من الزراعة ، حتى اذا جاء شهر سبتمبر وزرعوا الغلال بها أمكنها أن تتغذى بالامتصاص من المـاء المخزون فى الطبقة السفلى للنبات حتى تنتهى أشهر الشتاء التى لامطر فيها فاذا جاء شهر مارس وابتدأ المطر تغذت منـه فى آخر أيامها الى وقت حصادها ، وعندها يأتون بآلة الضم والدرس فتسير فى الارض فتضم مافيها من النباتات وترفعه الى جهة منها ، فينزل الحب الى مخزن فيها ، وينزل الهشيم عـلى الارض من جهة أخرى ، فيأخذونه غذاء للمواشى . وهذه الآلات إما أنها تسير بواسطة الخيل أو البترول ، وقـد سألنا عن الآبار الارتوازية فعلمنا أن الماء بعيد عن سطح الارض التى طبقتها حجرية صخرية ، عـلى أنهـا تحتاج الى مصاريف باهظة لاتتناسب مع منتجات الأرض .

تركنا العزبة فى الساعـة الخامسة ، وبعد أن تعشينا فى القطار قام بنا فى الساعة السابعة ينهب الارض وهى بصفة عامـة ليس فيها شئ من الغابات ، وحتى أشجار الفاكهة قليلة فيها ، ولـكن يظهر أن للقوم هنا عناية بتربية الماشـية والخيل وهى عندهم كبيرة الحجم . ومازلنا حتى وصلنا الى محطة (أوردوى)

٣٠ يونيه

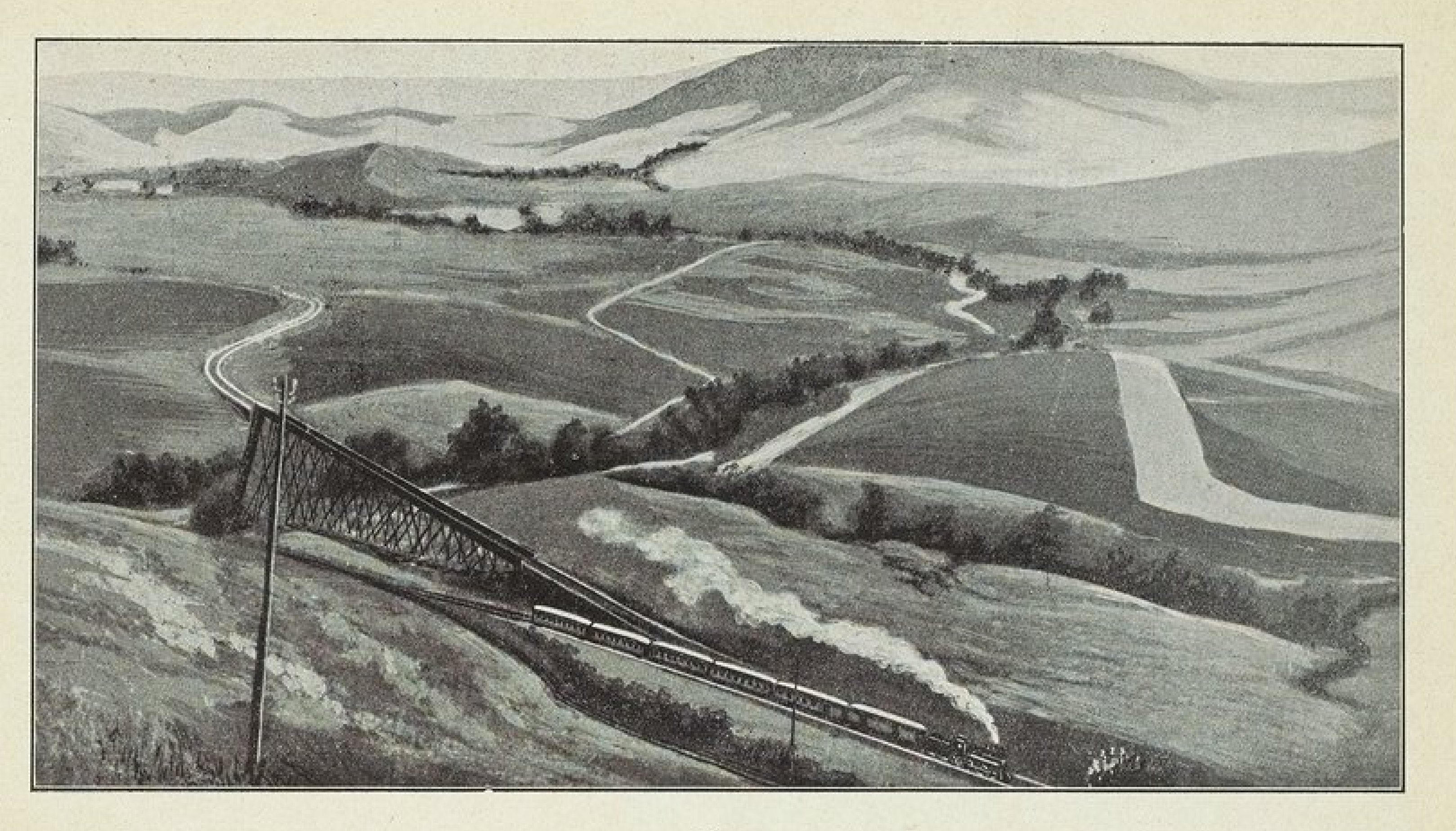
وصلنا فى صباح هـذا اليوم الى مدينة أوردوى وهى فى ولاية كولورادو ، والمسافة التى قطعناها اليها ١٠٧ أميال ، والاراضى فى طول هذه الولاية مسطحة ، والزراعة فيها قليلة أو هى لاتزرع إلا القمح فى بعض جهاتها وبعض الحشائش التى

تغذى الماشية . ولا يلوح على هذه الولاية شئ من مظاهر الثروة لان زراعتها قليلة وليس فيها من المعادن لغاية الآن مايفتح أبواب الكسب من طريق آخر : وذلك لأنها داخلة فى المنطقة الصخرية التى فى غرب الولايات المتحدة .

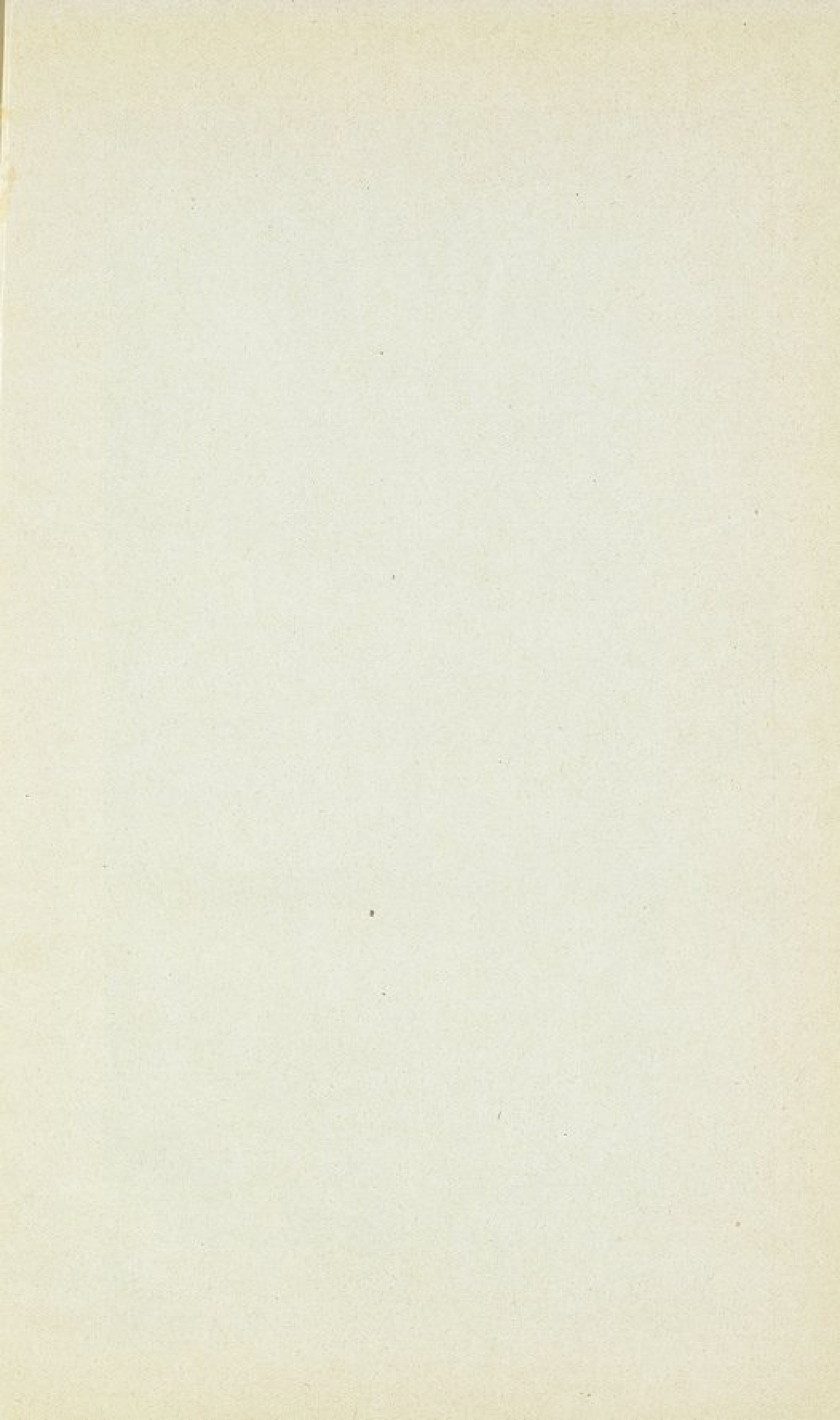
ويحسن بنا أن لا نترك هذه الولاية من غير أن نشير الى الولايتين فى جنوبها : وهى ولاية (أوكلاهوما) ثم ولاية (التكساس) والاولى مشهورة بمعادن الفحم ، وزراعة الحبوب والقطن ، وتربية الماشية . والثانية مشهورة بوفرة قطنها وجودته ، وهو مايهدد البلاد التى نحصر كل حياتها فى زراعة القطن ، كالقطر المصرى .

تركنا هذه الارض المنبسطة التى يهددنا مستقبلها لزراعته للقطن ، واذا عدم القوم كل أو بعض الوسائل التى تسمح لهم بزراعتــه اليوم فانهم والعمل ملازمهم والجهاد دأبهم لايعدمون وسيلة فى المستقبل القريب لزراعته فى أرضهم التى هى من الجودة بمكان عظيم . تركنا هذه البلاد المنبسطة التى تقرأ فى صفحتها كل عبارات التهديد والوعيد لبلادنا بزراعتها القطن الذى حصرنا فيه حياتنا وقوتنا ومجدنا ، أو بعبارة أخرى حصرنا فيــه ثروتنا مادامت الثروة هى ذلك كله !! ودخلنا فى ولاية كولورادو التى تبتدئ بعــد قليل من حدودها الشرقية بالمنطقة الصخرية للولايات المتحدة : وهى تتناول الولايات التى فى شمال وجنوب وغرب كولورادو وهى : ولاية مكسيكا الجديدة ، واريزونا — فى الجنوب — وولاية ويومنج ، ومونتانا وداهو ، واريجون ، وواشنجتون — فى الشمال — وولاية أوتا ، ونوفادا ، وكاليفورنيا — فى الغرب . ومع صخرية أرض هذه الولايات فانها مشهورة بغاباتها الكثيرة ، وبغزارة ماشيتها ، كما أن كاليفورنيا مشهورة ببساتينها ووفرة مافيها من الفاكهة المختلفة الانواع والالوان .

وقبل أن نترك ولايات الوسط المشهورة مع ولايات الشمال بمعادنها وحبوبها وماشيتها ، لابد أن نشير الى ولايات الجنوب (التى حرمنا من زيارتها) وهى كارولينا ، وجورجيا ، والالاباما ، ومسيسبى ، ولويزيانا ، واوكلاهوما ، وكلها تزرع



الطريق الحديدية لصحراء كوليرادو ص — ١٤٦



القطن بكميات وافرة ، وخصوصا الاربعة الاخيرة التى تزرع كثيرا من قطن (سى ايلاند) الذى هو كالقطن السكلاريدى المصرى فى جودته إن لم يكن أحسن منه. وهنا نذكر لك مساحة هذه الولايات التى تزرع القطن فى الولايات المتحدة لكى تعرف شيئا بسيطا مما يهدد بلادك فى هذه المملكة وحدها :

ميل مربع	
٢٦٢٢٩٠	التكساس
٦٩٨٣٠	أوكلاهوما
٥٣٠٤٥	أركنساس
٤٥٤٢٠	لويزيانا
٤١٧٥٠	تنسى
٥١٥٤٠	الاباما
٤٨٥٨٠	كارولينا الشمالية
٣٠١٧٠	كارولينا الجنوبية
٥٨٩٨٠	جورجيا
٤٦١٤٠	ميسيسبى
٧٠٧٧٤٥	المجموع

واذا قلنا إن مجموع الولايات القطنية لا تقل فى مساحتها عن ربع الولايات المتحدة ، واذا فرضنا أن المنزرع من الولايات القطنية ربعها فقط، كان المنزرع كل سنة أكثر من مائة وثلاثين الف ميل مربع من القطن ، وهو أكثر من خمسين مليون فدان مصرى !!! (وقد تجاوزنا عن الكسور ليكون عندنا عدد بارز)

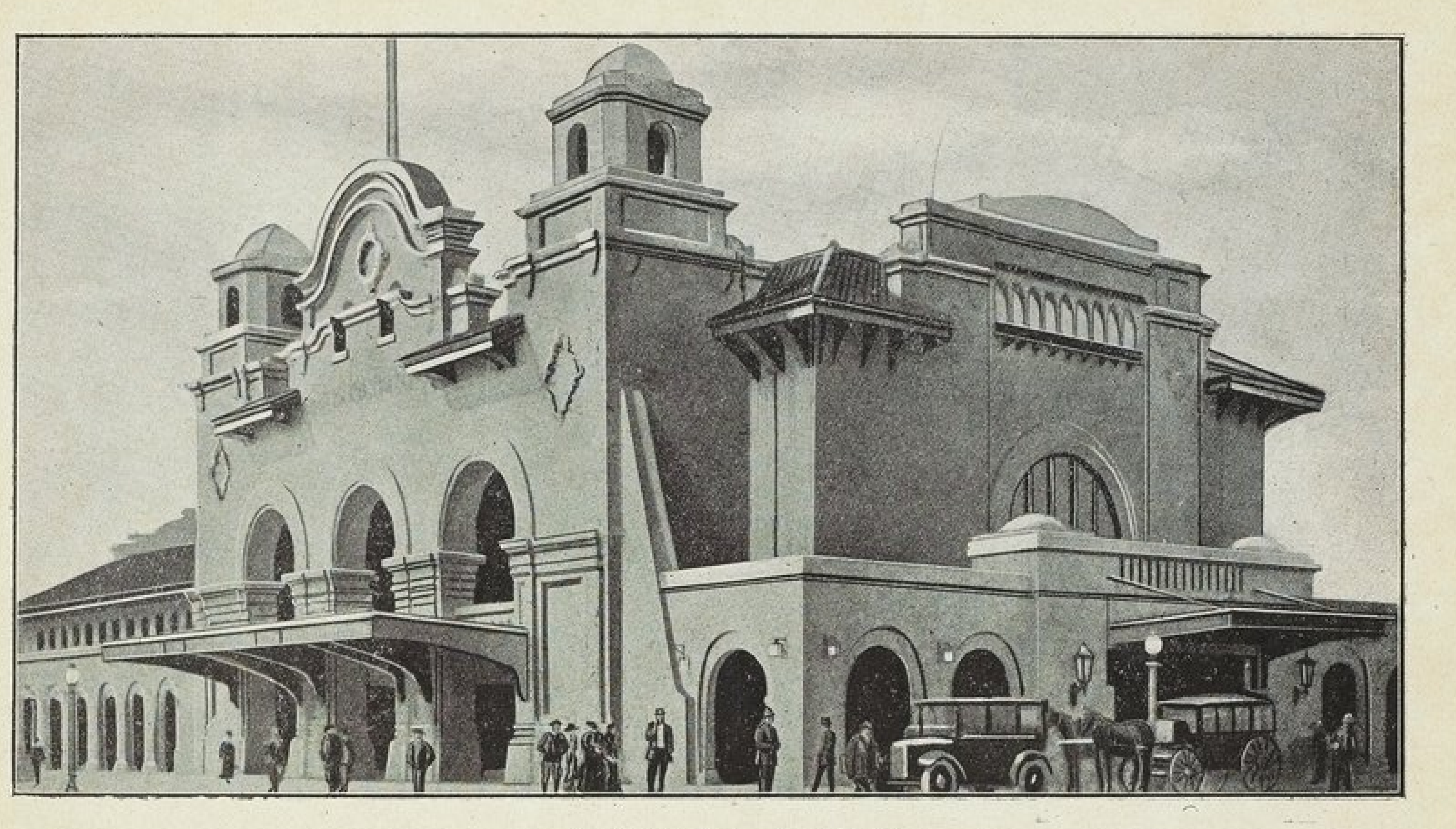
واذا اعتبرنا أن الفدان يأتى فى متوسط السنين بقنطار ونصف شعر ، كان متوسط محصول الولايات المتحدة (فى غير هذه السنة) هو من ١٥ الى ١٦ مليون بالة !! وهى نسبة القلة للمحصول الامريكى . ثم اذا اعتبرنا أن اهتمام القوم بزراعة

القطن سائرة الى الامام سواء فى زيادة المساحة ، أو فى العناية بالزراعة مع قلة الامراض فى شجيرات هذا الصنف عندهم — واعتبرنا أن المزروع هو ثلث الأرض لاربعها. عرفنا أننا مهددون من الولايات المتحدة على الدوام بكثرة محصولها . والقطن يجنى فيها الى الآن باليد ، وكانوا اخترعوا آلة لجنيه ، فكانت تأخذ معها كثيرا من الورق واللوز بحاله ، ثم اخترعوا آلة أخرى لها خراطيم ستة تسلط على الشجرة فتشفط القطن من لوزاته ، ولكنهم وجدوها ليست وافيه بالغرض فتركوها حتى يحسن حالها .

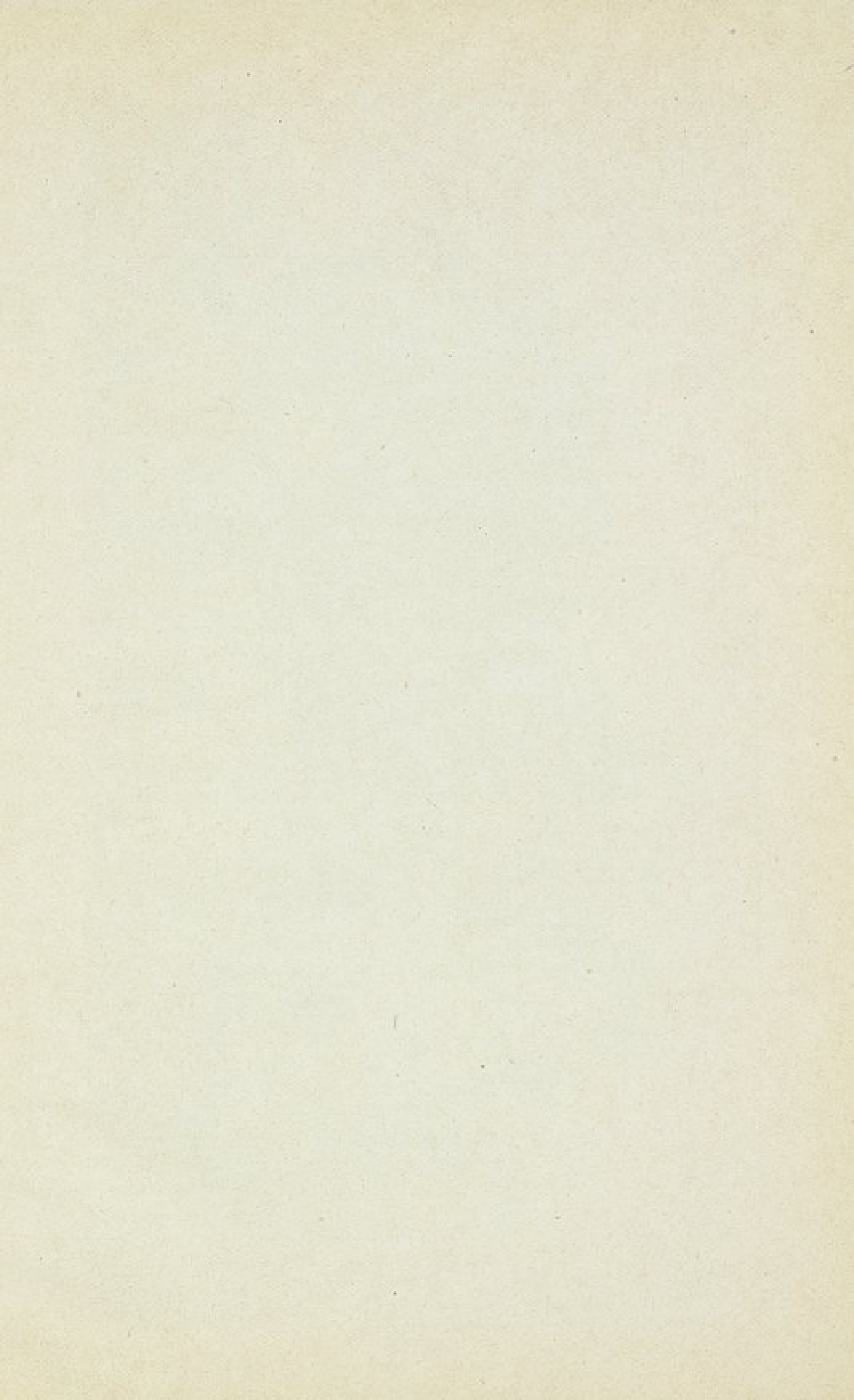
على أن الذى كان مزروعا من القطن فى سنه ١٩٢٦ بالولايات المتحدة وهو ٤٨ مليون فدان ، بلغ محصولها ١٨ مليون بالة تقريبا. وحوض المسيسبى الى الجنوب هو الذى يزرع القطن والذى يتكافأ مع القطن السكلاريدى فى جودته (المسمى أيلاند) إن لم يزد عنه ، وقد غمرت المياه فى هذا السنة من حوض المسيسبى ثلاثة ملايين فدان ونصف ، منها مليونان ومائة وثلاثين الف فدان قطن ، و٧٢٧ الف فدان ذرة ، و٢٥١ الف فدان دريس ، و١٨٠ الف فدان خضارات ، وغرق مع هذا كله ١٧٧ الف بالة قطن محلوج .

ومن الغريب أن وزارة الزراعة فى واشنجتون لاتريد أن تعطى بيانات عن زراعة القطن الحالية ، ولا عن التى فى العام القابل .

وهنا لابد أن نشير الى أن حكومة التكساس استقدمت المستر « طود » الانجليزى الذى يشتغل الآن فى المباحث القطنية فى بلاده ، وخصوصا من الوجهة الاقتصادية . هذا الرجل الذى لايجهله المصريون حيث كان مدرسا لعلم الاقتصاد بمدرسة الحقوق الملكية، استقدمته حكومة التكساس لالقاء بعض محاضرات فى القطن فى بلادها : تريد بذلك أن لاتقف عند حد فى كل مايتعلق بالقطن ، سواء من الوجهة الزراعية أو الاقتصادية ، فهل لحكومتنا أن تستقدمه بعد ذلك للانتفاع بآرائه خصوصا بعد زيارته لهذه الجهة التى تهددنا فى حياتنا ؟ ؟



احدى محطات السكة الحديدية بالولايات المتحدة ص — ١٤٨



أظن أن الحكومة لاتضن بمثل هذا العمل ، فى حين أنها لاتضن على بلادها باستقدام هؤلا الذين يحاضروننا فى التاريخ القديم - لايطاليا مثلا - مما نحن فى غنى عنه لانه لايزيد فى حياتنا المادية ولا ينقص منها .

وأمراض الوراثة فى النبات كما هى فى الحيوان تجب العناية التامة بها ، والقوم هنا درسوا كثيراً من أمراض النباتات ، وإن كانوا لايزالون فى حيرة من وصولهم الى دواء نافع لبعض الادواء ومنها الحشرة التى تصيب لوزات القطن ، ولـكنهم أخيرا توصلوا الى حل: وهو أنهم يرشون القطن بمادة سامة بواسطة الطيارات،تطير الطيارة فوق سطح شجيرات القطن وبواسطة خرطوم رشاش يرشون الشجيرات ، ويقال إن هذه العملية أنتجت نتيجة محسوسة فى ابادة هذه الحشرات ، ولكن هل يمكن أن تتوفر عندنا هذه العملية بعد أن رأينا ماعملته الحكومة مع الطيارة أنيسة التى قدم بها حسن أنيس باشا من أوربا فى الخريف الماضى سنة ١٩٢٦ ؟! وقد وضعت الحكومة فى وجهها جميع الموانع بحجة أن قانون (١) الطيران لم يسن بعد فى بلادنا .

وهل لوزارة الزراعة ان تدرس هذا الموضوع بحالة جدية فيما يختص منه بدودتى الورق واللوز ؟خصوصا بعد أن شاهدت ماعملته دودة الورق بقطن مصر فى هذه السنة ، وتعمل لذلك طيارات تضيفها الى ما عندها من ادوات التبخير الذى نراه وإن كان لم يأت بكل الفائدة فقد وصل منها الى شئ كثير .

***

وكلما تقدمنا فى هذه الجهات الى الغرب كلما دخلنا فى أرض الصحراء التى

---

(١) والآن وقد اهتم شبابنا المصرى الجرئ أمثال صدقى ورشدى وحسنين بك بالطيران الأهلى،ووصول الأول الى مصر بين مظاهر الحفاوة الكبرى التى استقبلته بها الحكومة والشعب جميعا — لعل هذا كله يفتح السبيل الى ايجاد مصلحة طيرن أهليه تنتفع بها البلاد فى مرافقها الحيوية المختلفة .

لاحدود لها . وهنا نرجع بالقارئ الى القرن الثانى والثالث للهجرة لنرى معه أن العرب سيرت الماء الى صحارى إسبانيا ولم يكن عندهم من الوسائل الهندسية، ولا من هذه الآلات الجهنمية ماعند القوم الآن منها ، إذن فلا يبعد على القوم يوما من الايام أن يسيروا الماء من نهر كولورادو الى هذه المناطق التى تنتج كل شئ اذا وجدت الى الماء سبيلا . وهل مانراه فيها الآن يمينا وشمالا من ذلك السراب الذى يرينا على حدود الافق ماء ولا ماء ، يتحقق بعناية القوم يوما ما مع مساعدة الاقدار التى نراها على الدوام سائرة خطوة بخطوة مع العاملين المجدين .

هذا إذا حصرنا خوفنا فى الولايات المتحدة وفى محاصيلها ، ولكننا إذا نزلنا إلى الجنوب وتعدينا المنطقة الاستوائية إلى البرازيل — تلك المملكة الواسعة الشاسعة التى تتيه فى مجاهلها الولايات المتحدة بقطنها ومحاصيلها ، هذه المملكة الجديدة فى كل شئ ، والفتية فى كل شئ ، والغنية فى كل شئ ، إلا فى ناسها : غنية فى أرضها ، فى غاباتها ، فى معادنها ، فى مائها ، ببركة كثرة مافيها من الانهر ، وخصوصا نهر الامازون الذى هو أكبر نهر فى الدنيا . فلو تيسرت لها اليد العاملة هى الاخرى ووصلت فيها زراعة القطن الى كل أو بعض ماوصلت اليه فى الولايات المتحدة فماذا يكون من أمرنا ؟؟ نعم أن هذا لا يتيسر فى زمن قريب ، ولكننا إنما نبحث عن حياة الامة — نبحث عن حياة امتنا العزيزة — وعمر الأمم لايحسب بالايام .

وهنا نرجو وزارة زراعتنا الاهتمام بهذا الموضوع ، نرجوها أن تضع من اليوم أساس تجاريبها فى كل ما ينفع فى بلادنا ، نرجوها أن لا تجعل تجاريبها على مافيه رقى زراعة القطن بصفة خاصة ، بل زراعات القطر بصفة عامة ، خصوصا إذا راعت زيادة السكان عندنا بهذه الكثرة التى إن استمرت على نسبتها الحالية ، لابد أن تصل بنا إلى ضعف عددنا فى عشرات من السنين ، نرجوها أن تفكر فى وضع أساس لتجاريب جديدة فى زراعات جديدة ، وعندها من خيرة رجالها المجدين المفكرين مايكفل قبول الرجاء ، ويصل بنا إلى ما يتحقق به الأمل .

فى ظهر يوم ٣٠ يونيـه وصل قطارنا الى محطة بيوا بلو ، وتعدادها ٤٣ الف نفس ، ومسافة مابينها وبين أو ردوى خمسون ميلا . وبعد أن تغدينا بالقطار ركبنا الاتوموبيلات التى سارت بنا فى وسط أرض منبسطة من على الجانبين ، وممهدة تمهيدا تاما ، وهـذه الأرض تسقى بالرى المنظم من نهر كولورادو . رأينا من الجانبين أرضا تميل الى بعض الاصفرار ، والزراعة عليها نامية نموا عظيما ، والاشجار فيها هنا وهناك نضرة ، والعزب تتخلل المزارع من قرب ، فتخيلنا أننا بمصرنا العزيزة ، لولا مانراه فى مزارعنا من كثرة الأيدى العاملة ، وان كان العامل عندنا لايعمل بهمة العامل الأمريكى ولا بنشاطه ، اللهم الا القليل ممن يعمل لخاصة نفسه . وهـذه الأراضى تزرع فى الغالب البنجر وثمن الطن منه سبعة ريالات ، والفدان ينتج هنا عشرة أطنان ، فيكون ايراد الفدان نحو ١٤ جنيها فى الأربعة أو الخمسة الأشهر التى تشغل فيها الأرض بهذا الصنف ! ! سألنا عما يعملونه فى الأرض بعد ذلك ، فقالوا : سلبا . ثم أردفوا ذلك بأنهم مجدون فى عمل دورة زراعيـة حتى لايحرمون من الانتفاع بالأرض طول السـنة . والزراعة هنا واسعة تسقيها ترع صغيرة عرضها نحو مترين ، وماؤها فيما رأيناه أعلى من الأرض الزراعية باكثر من نصف متر ، وبهـذا تعرف أن الرى بالراحة ، ومع ذلك لم أر فى الأرض تطبيلا مطلقا ، كما لم أربها أملاحا . والشئ الوحيد الذى رأيت عدم العناية به ! هو جسور الترع ووفرة الحشائش التى تنمو عليها ، وهذا ولاشك سببه قلة الأيدى العاملة . ولقد شاهدت هنا القمح ينمو نموا عظيما ، وان ماشاهدت منه هنا يمتاز فى جودته عن كل جهة رأيتها . ولابد أن غلة الفدان تأتى بضعفها فى الجهات الأخرى ، لأن زراعته صيفية وصفوفا صفوفا ، وبين كل صف والذى يليه عشرة سنتيمترات أو تزيد قليلا ، فى حين أنها فى غـير هذه الجهة لاتقل عن أربعين سنتمترا . وقد شاهدت أن البنجر هنا قوى جدا . ومسا كن هـذه الجهة من الخشب ، وبعضها بالطوب الأحمر ، وفى أبنيتها ماهو من الطوب الأخضر ، وطول الطوبة نحو ٤٠ سنتمترا

فيما يتناسب معها عرضا وسمكا . وكانت أشجار البقس وغيره مما لا أعرف له اسما تظلل الطرق ، ومجارى المياه الحمراء تخترق الأرض فى كل جهة . ذكرنا هذا فى مجموعه بمصرنا العزيزة ، ذكرنا بوطننا المحبوب الذى وان بعدت عنه جسومنا فقلوبنا كانت حيثما كنا واينما وجدنا لاتبرح عالقة به تؤدى له على الدوام تحية الولاء والاخلاص . ومما شاهدناه هنا مزرعة تكثر فى ارضها نترات الصودا ـ والغريب هنا أن تجاربهم دائرة حول تخفيف مافيها من هذا الجوهر الذى نحن محرومون منه ونشتريه بثمن غال !! وذلك باضافة املاح أخرى على الأرض تقلل بتفاعلها الكيماوى من شدة تأثير النترات على النبات . ولقد أعجبنى أن البنجر يزرعونه خطوطا ، وكل خطين مزروعين يمررون بجوارهما قناة صغيرة لاتزيد من أعلاها عن عشرين سنتيمترا فتسقى وحدها صفين من النبات ، ويبقى الخط الوسط بينهما جافا .

وبعد ذلك توجهنا الى حيث أخذنا عشاءنا فى محل لاصحاب هذه الأرض يسع نحو أربعمائة شخص ، وكانت الموسيقى به تنعشنا بنغماتها وقت الأكل ، وعند الانتهاء قام الخطباء شاكرين كرم القوم ، ذاكرين مافى البلاد من نعيم وخيرات لاتفنى ، ثم عدنا الى قطارنا الذى قام بنا صاعدا نحو الشمال الى (كولورادو اسبرنج) .

يوم أول يوليو

وصلنا الى هذه المدينة فى أول يوليو بعد أن قطعنا اليها ١١٩ ميلا ، وعدد أهلها ٣٠ الف نفس ، وهى فى آخر الخط الحديدى الذى يسير اليها من نيوا بلو . وفى الساعة السابعة صباحا تركنا القطار وأفطرنا فى لوكندة المحطة ، ثم ركبنا الاوتوموبيلات الى محطة الفنوكيلير ، للصعود الى قمة جبل كولورادو ، وكنا أخذنا لها تذاكرنا من قبل . ركبنا هذا المصعد الكهربائى فى الساعة التاسعة صباحا فسار بنا مارا فى طريق محفور فى الجرانيت بيد الطبيعة وهذبته يد الانسان ، وقد قامت على حافتيه أشجار الصنوبر والبلوط . وعلى ارتفاع ١١٥٠٠ قدم انبسط

الوادى نوعا ، ورأينا فيه بحيرة ممتلئة بالماء الذى ينزل اليها من المثالج التى فى أعلا الجبل ! وبعد أن صعدنا نحو مائة قدم رأينا السحاب يتكون فى منطقة أسفل منا . ولما صعدنا الى ١٣٠٠٠ قدم وجدنا البرد قد اشتد كثيرا ، والاشجار قد انقطع نموها وأصبحت رأس الجبل جرداء ، وقد ابتدأت مثالج الجليد تظهر لنا هنا وهناك فى أخاديد الجبل مما ذكرنا بجبال سويسرا ، لولا أن منظرها هنا جاف وليس فيه من مظاهر الحياة الا ذلك الطحلب الذى نراه عادة على قبور الموتى .

وصلنا الى قمة الجبل ، وكانت درجة الحرارة نحو عشرة تحت الصفر ، ودخلنا لوكندة هناك أخذنا بها شيئا من الشاى ، وبعد أن استرحنا حول المناقد التى بوسطها ، عدنا أدراجنا الى قطارنا الكهربائى الذى سار بنا فى منتصف الساعة الحادية عشرة الى مدينة كولورادو ، فوصلناها الساعة ١٢ ونصف . ولا يفوتنا هنا أن نقول إن كثيرين من الركاب أخذه دوار الجبل ، وهو مايشبه دوار البحر تماما فى تأثيره على أعصاب المعدة . ثم ركبنا قطارنا فسار بنا الى مدينة (كامون سيتى) والمسافة التى قطعناها اليها ١٦٠ ميلا .

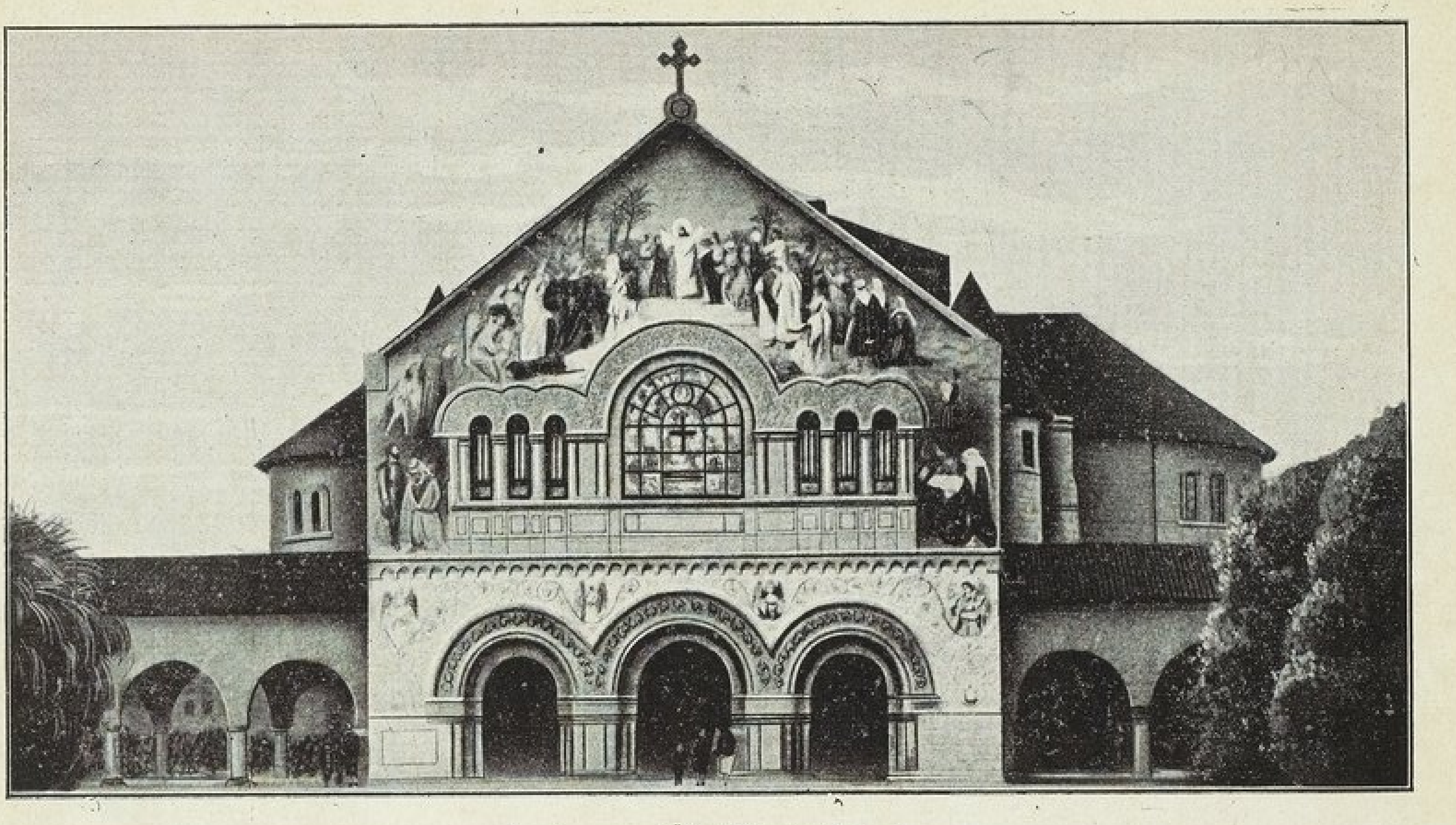
يوم ٢ يوليو

وصل القطار الى محطة كامون سيتى فى صباح هذا اليوم ، وهى مدينة صغيرة عدد سكانها أقل من خمسة آلاف نفس ، وبعد أن أفطرنا ركبنا المركبات لمشاهدة مزارع هذه الجهة التى تكتنفها الجبال من كل جهة حتى يصح أن نسميها واحة جبلية ، فيها بعض أشجار الفاكهة ، ومزارع الخضر والحبوب ، وتتخللها بعض مجارى المياه ، ومنها مجارى جافة لايسير فيها الماء إلا فى آخر فصل الشتاء . وهناك جبل على شكل حائط بين الصحراء والواحة يبلغ ارتفاعه مائة متر ، وعرضه من أعلاه على عرض الطريق الذى لايزيد على أربعة أمتار ، فلما وصلنا الى أعلاه تمثل لنا الخطر فى صعوده ونزوله ، خصوصا ونحن راكبون (الاتوموبيل) ولما نزلنا الى

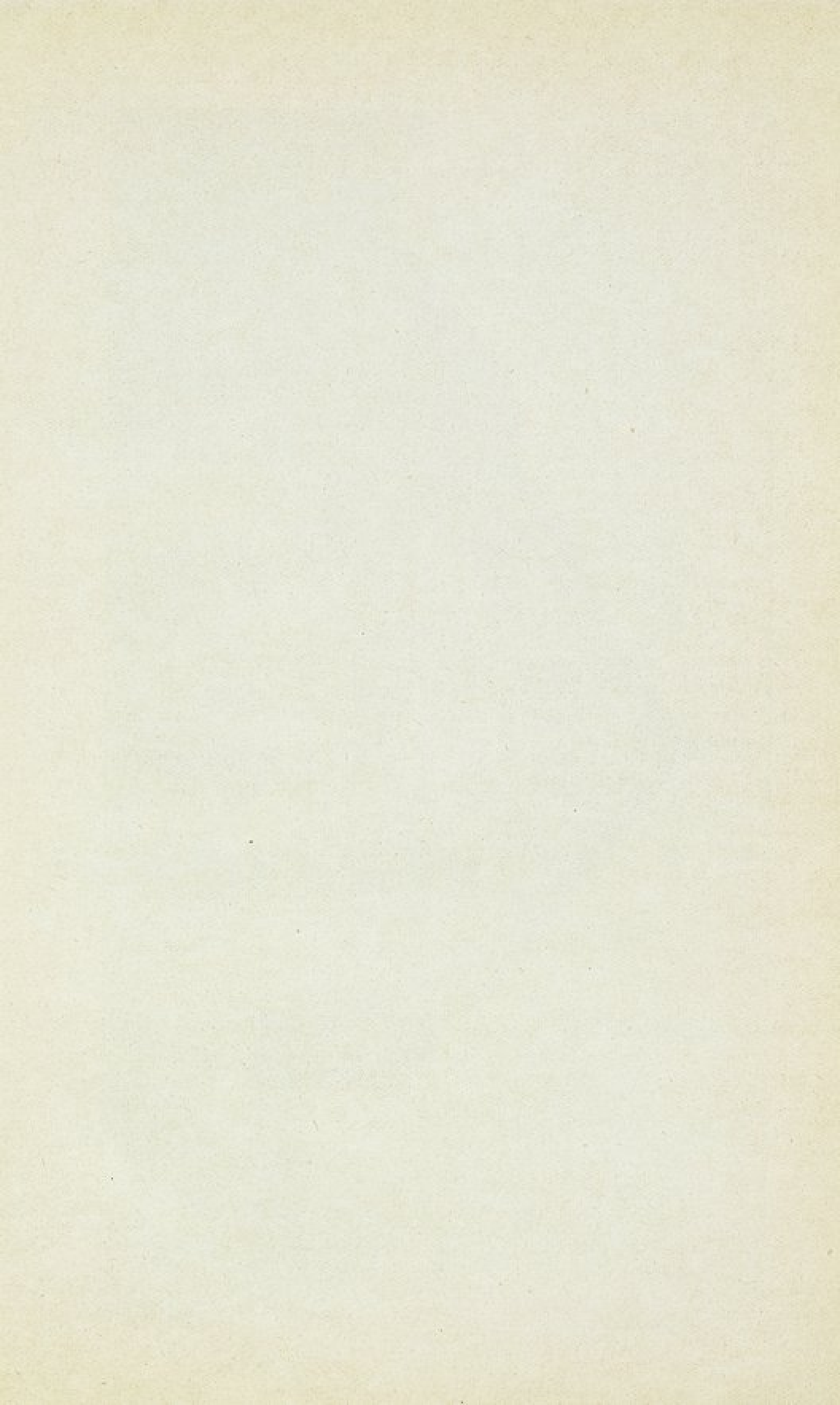
الوادى حمدنا الله على سلامتنا ، وسرنا الى المحطه حيث ركبنا قطارنا الذى قام وقت الظهر وسار فى طريق بين جبلين عالبين أحمرين يسمونه (ويل جورج) ومن دون الطريق الحديدى نهر كولورادو الذى لاتزيد سعته هنا على ثمانية أمتار ، وقد امتدت فى حضن الجبل على جانبه الايسرا نبوبة قطرها نحو ثلاثين سنتيمترا يأتى فيها الماء من ارتفاع بعيد لشرب المدينة ، وعلى جانبه الآخر طريق عرضه نحو ثلاثة أمتار يرتفع عن الماء بمتر ونصف أو مترين على الأكثر يسير فيـه الطريق الحديدى . فوقف القطار بين لابتى الجبلين الصخريين ، ونزل بعضنا منه لمشاهدة هذا الوادى الذى خطته يد الماء لمجرى الماء ، ذلك الوادى الصخرى الذى اخترقتـه تلك اليد اللينة الرقيقة التى مازالت ـ والصبر قرينها والجهاد ملازمها ـ تطالب على ضعفها بحقها فى الحياة ، تلك القوة الهائلة التى وقفت فى طريق حريتها ، حتى زحزحتها عن مكانها بيد الحق لا بيد القوة . وهاهو هذا المخلوق الرقيق يسير بين هذه الصخور الشامخات بكل عظمة وكبرياء هما نتيجة صالحة لصدقه فى جهاده ، وإخلاصه فى عزيمته. وهل يصح أن يكون هذا الوادى مدرسـة يتعلم الانسان فى صفحتها درسا من دروس الدفاع الوطنى ؟! من هذه الطبيعة التى كثيرا ماتقف منا عن قرب موقف تعريف وارشاد ونحن فى عمى عنها ، وصمم عن نصحها وارشادها ! ؟ !

استأنف القطار سيره فى هـذا الوادى الضيق نحو ساعتين ، ثم انفرج نوعا وظهرت امامنا رءوس الجبال وقد ظهر على نواصيها جلال المشيب ، وظهرت على قممها المثالج ، وأخذت تظهر عـلى صفحة الوادى هنا وهناك بعض المزارع ، حتى اذا كانت الساعة الرابعة تغيرشكل وجه الطبيعة بما هو فوق الجفاف ، حتى لـكأنك ترى الأشجار التى تمر عليهافى حالة النزع ، وقد سار قسم من النهر الى جهة المغرب بعد أن كان سيره كله الى المشرق .

ومازال القطار يسير وسط هذه الجبال الجافة ، وكلما سرنا أخذ منظرها يزداد جفافا حتى خلنا أنفسنا بين يدى تلك الطبيعة المتوحشة التى يذكرنا مافيها من وحدة



واجهة كنيسة بولايات الاتحاد ص — ١٥٤



ورهبة بالنقطة التى تنتهى اليها الكائنات الحيه ، خصوصا اذا لاحت منك التفاتة ورأيت جميع السفار وكل جاثم على نافذته وأبصارهم حائرة ، وقلوبهم طائرة من خشية ماينظرون ، ووحشة مايحيط بهم من تلك المناظر التى اذا تركوا شيئا منها وقعوا فى دائرة مناظر أخرى أشد وحشة ورهبة ! وكان بجوارى رجل من أهل المكسيك حقق لى أنه مع كثرة أسفاره لم ير مشاهد أعجب ولا أغرب ولا أوحش مما وصفناه لك بكل اختصار .

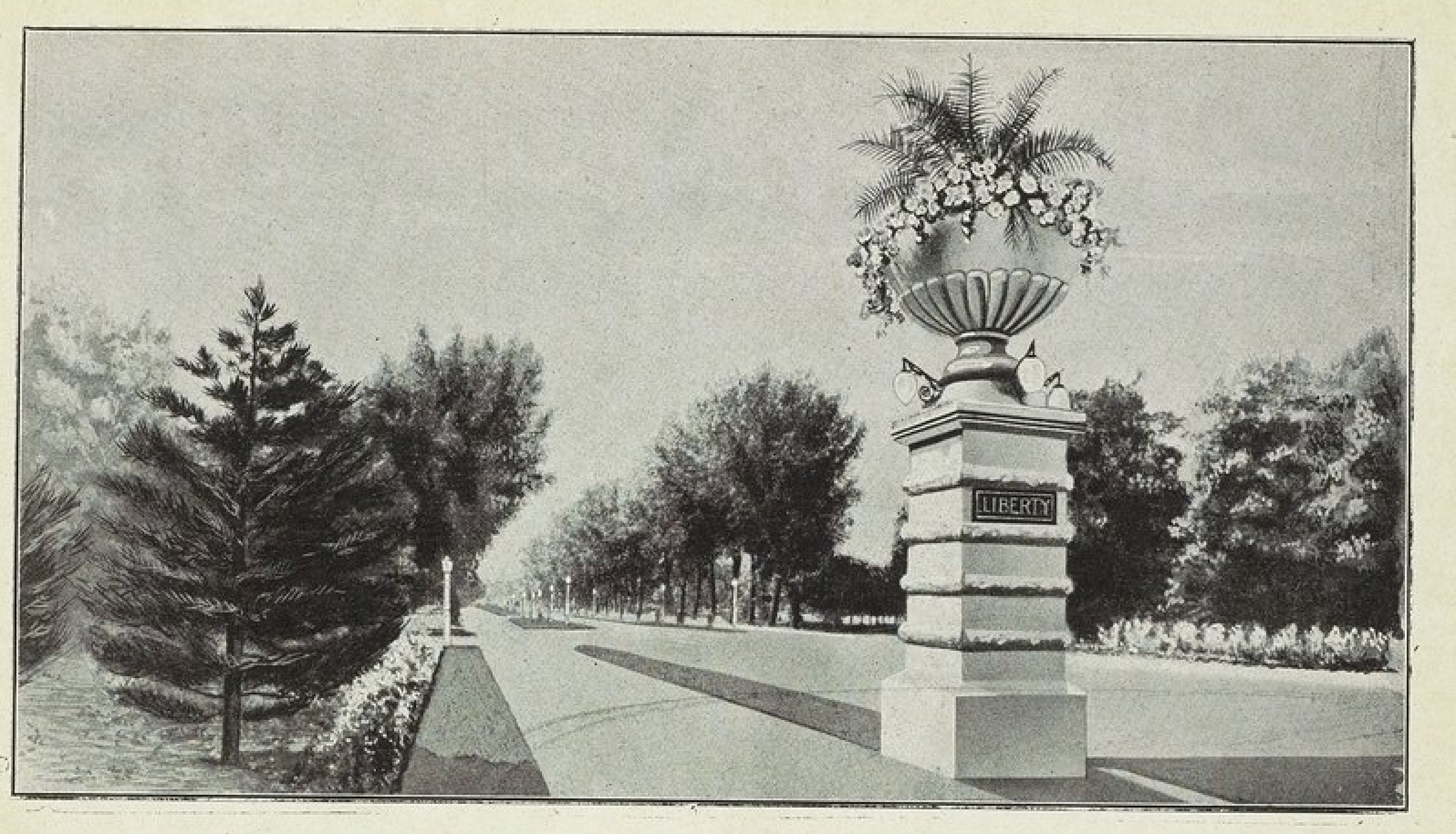
وفى الساعة السابعة مساء وصلنا الى محطة « جلنوود اسبر نجس » وفيها تغير منظر طبيعة الوادى الذى ظهر لنا لا بساحلته السندسية ، ولم يزل القطار سائرا فى هذا الوادى يضيق أحيانا ، ويتسع أحيانا ، ويخشن آونة ، ويجمل أخرى ، حتى وصلنا فى الساعة الثامنة صباحا الى محطة (سيلت ليك ستى) .

في يوم ٣ يوليو

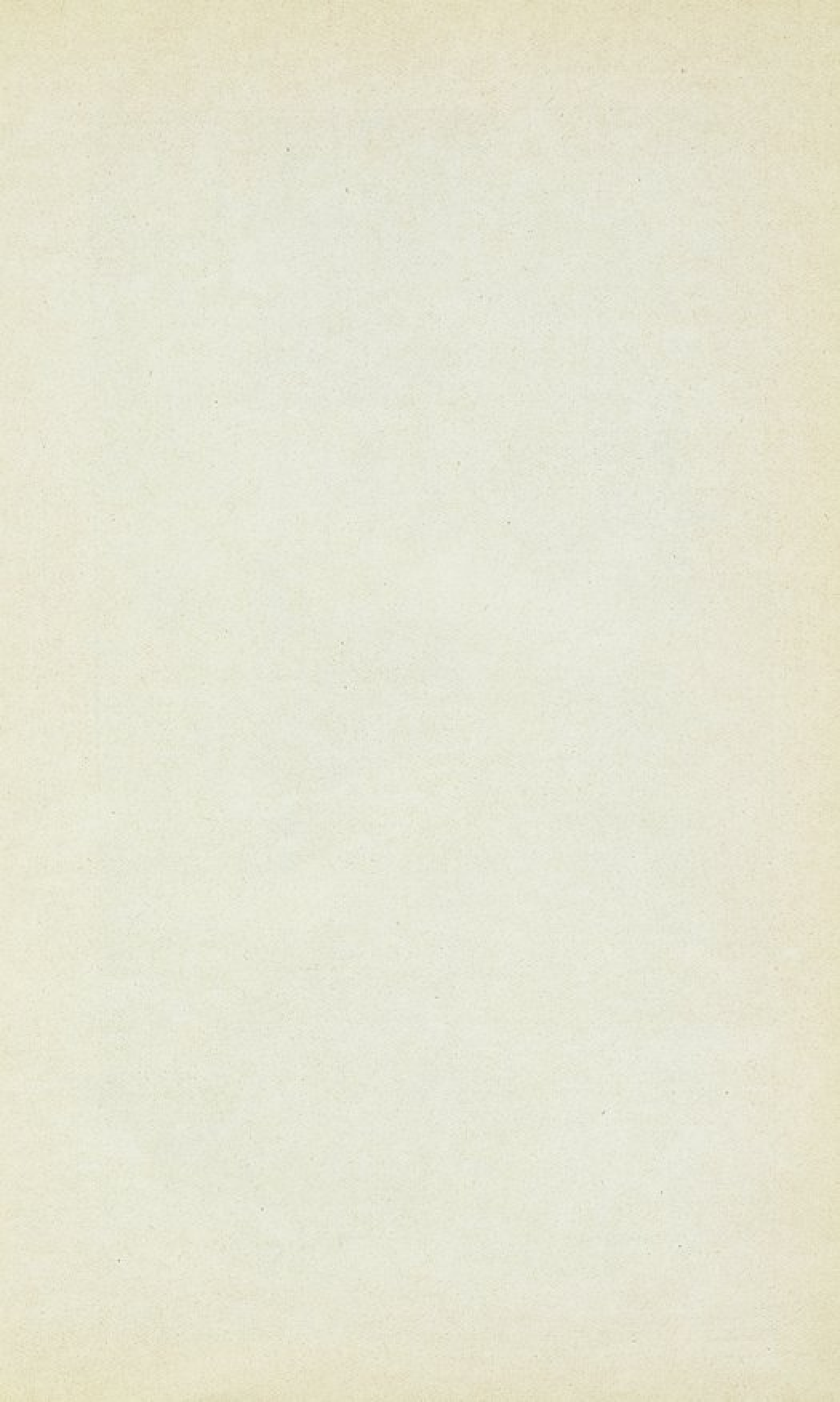
وصلنا فى صباح هذا اليوم الى مدينة سيلت ليك (مدينة البحيرات الملحة) وهى فى وسط ولاية ايتاه بميل الى شمال بعد أن قطعنا اليها ٥٨٥ ميلا ، وعدد سكانها ١١١ ألف نفس كلهم من طائفة المورمون . وكان فى انتظارنا جماعة منهم ، فاخذونا الى محطة القطار الكهربائى فركبناه الى البحيرات : فسرنا فى واد اتسع أمامنا اتساعا عظيما ، وظهرت على أرضه من الجانبين تلك الاملاح التى افسدت تربتها بحيث أصبحت غير صالحة للزراعة . وتكثر البرك الملحة على طول الطريق ، وكان يظهر فيها شئ من البط ، وكان يتخلل هذه الاراضى بعض الجداول الصغيرة ، ولكنها لا تفيدها لانها محرومة من المصارف . نعم كانت هناك بعض مزارع من البرسيم والقمح فى بعض الجهات العالية ، ولكن القوم أحاطوها بمصارف واسعة تجذب اليها بواسطة الرشح بعض الاملاح الموجودة فيها ، وكنا نبصر من بعد أكواما كبيرة من الملح ، وقريبا منها وابورات لتنقيته ، ومركبات

للسكة الحديدية لشحنه . وانتهى بنا المسير بعد ساعة الى بحيرة كبيرة بنى فى وسطها رصيف تسير عليه القطر الكهربائية نحو كيلو متر ، وفى نهاية الرصيف كازينو كبير جداً جمع كثيرا من موجبات التسلية والسرور : ففيه قسم للالعاب المختلفة ، وآخر للحمامات وثالث للمطعم ، ويلى ذلك قاعة للجلوس تسع أكثر من اثنى عشر ألف نفس ، وهذه القاعة تطل على البحيرة من الجهتين ، وبجوارها الحمامات البحيرية وهى بنظام جميل جداً أحسن منه فى كل جهة . رأينا فيها نحو ألف غرفة للمستحمين ، وماء البحيرة فيه ١٠٠ / ٢٥ من الملح مع أن البحار الملحة ليس فيها منه أكثر من ١٠٠/٤ !! وقصارى القول أن هذا المكان به مايشوق الانسان ويروقه بنظامه البديع وسعته العظيمة . وبعد أن اخذنا حماماتنا (باجرة نصف ريال لكل شخص) تغدينا هناك بدعوة من الغرفة التجارية للمدينة على النظام الخلوى ، ثم قامت الخطباء بعد الغداء حسب المعتاد تتكلم فى شتى الموضوعات ، وكنت أرجو أن يكون لنا نصيب من ذلك ولكن مادامت الخطابة فى مدارسنا ممنوعة ، وفى غيرها غير مشروعة ، فنحن على قديمنا فيما هو محفوظ عن ظهر قلب ! ! وهل يمكننا أن ننسى أنه يوجد بين اظهرنا الى الآن قوم لايزالون يقولون فى دعائهم يوم الجمعة « اللهم اجعلهم هم و . و . » نعم انا نشطنا من عقالنا يوما ما واخذنا نكتب ونقول ونخطب ولكن فى موضوع واحد .

أما القوم هنا فمن ضمن مسابقاتهم المدرسية تربية البديهة عندهم ، سواء من طريق الكلام أو من طريق الكتابة ، لان فى جامعاتهم ومدارسهم مسابقات بين الطلبة فى أوقات يقترحون عليهم فيها الكلام فى موضوعات مختلفة يرتجلها المتكلمون ، أما اذا اجتمعوا للمسابقة فى الكتابة فتوزع عليهم ظروف مختومة لا يعلم أحد بما فيها ، ويحدد لهم ميعاد ضيق للجواب عنها ، هنالك تنشط الاقلام بما توحيه الافكار ، وتعطى للمبرزين فيها الجوائز ، وبهذا تربت عندهم قوة البديهة فى الكلام وفى التحرير .



مدخل حديقة المكتبة فى مدينة سولت ليك (البحيرة المالحة) ص — ١٥٦



دخلنا روضة جميلة جداً فيها بنا آن : واحد على شكل الكنائس المعتادة باوروبا فى جمال منظرها الخارجى وحسن روائه بما فيه من النقوش البارزة أو المفحورة وهذه تسمى عندهم قدس الاقداس ، ولايد خلها أحد الا من كان متقدما فى مذهبهم ، والثانية بناء هائل بسيط فى منظره الخارجى وهو الذى دخلناه . وهذا البناء على شكل بيضاوى قطره الكبير نحو مائة متر ، والصغير نحو خمسين مترا ، قامت عليه قبة واحدة وإن كانت بسيطة فى بابها ولكن بساطة المكان فى عمومه ترفرف عليه آيات الجلال والفخامة .وبعد أن أخذنا مقاعدنا وقف رجل فى جانب من الهيكل وتكلم بعبارات التأهيل والترحيب بصوت عادى كان يرن فى ارجاء المكان ، ثم دعا رجلا منهم فقعد الى آلة موسيقية (اورج) كانت تشغل صدر المكان ، وهى كبيرة جدا فى نوعها فادار يده عليها فصدرت عنها نغمات تطرب الآذان مع ما كنا فيه من سكوت عميق ، وكانت هذه النغمات تبدو تارة قريبة بحيث تكاد تكون على ملمس منا ، وآونة تبدو بعيدة بما كنا نخالها معه على بضعة أميال ، وبالجملة فقد أسمعنا هذا الرجل المعجب والمطرب بما كادت نبراته تطيش لها الالباب لولا ما كان يكتنفها من جلال وجمال ، وهيبة ووقار . وهنا نقول لك كلمة عن طائفة المورمون الغريبة التى أصبح لها فى عالم النصرانية شأن كبير لطقوسهم الخاصة بهم لاسيما فيما يتعلق بتعدد الزوجات :

المورمون

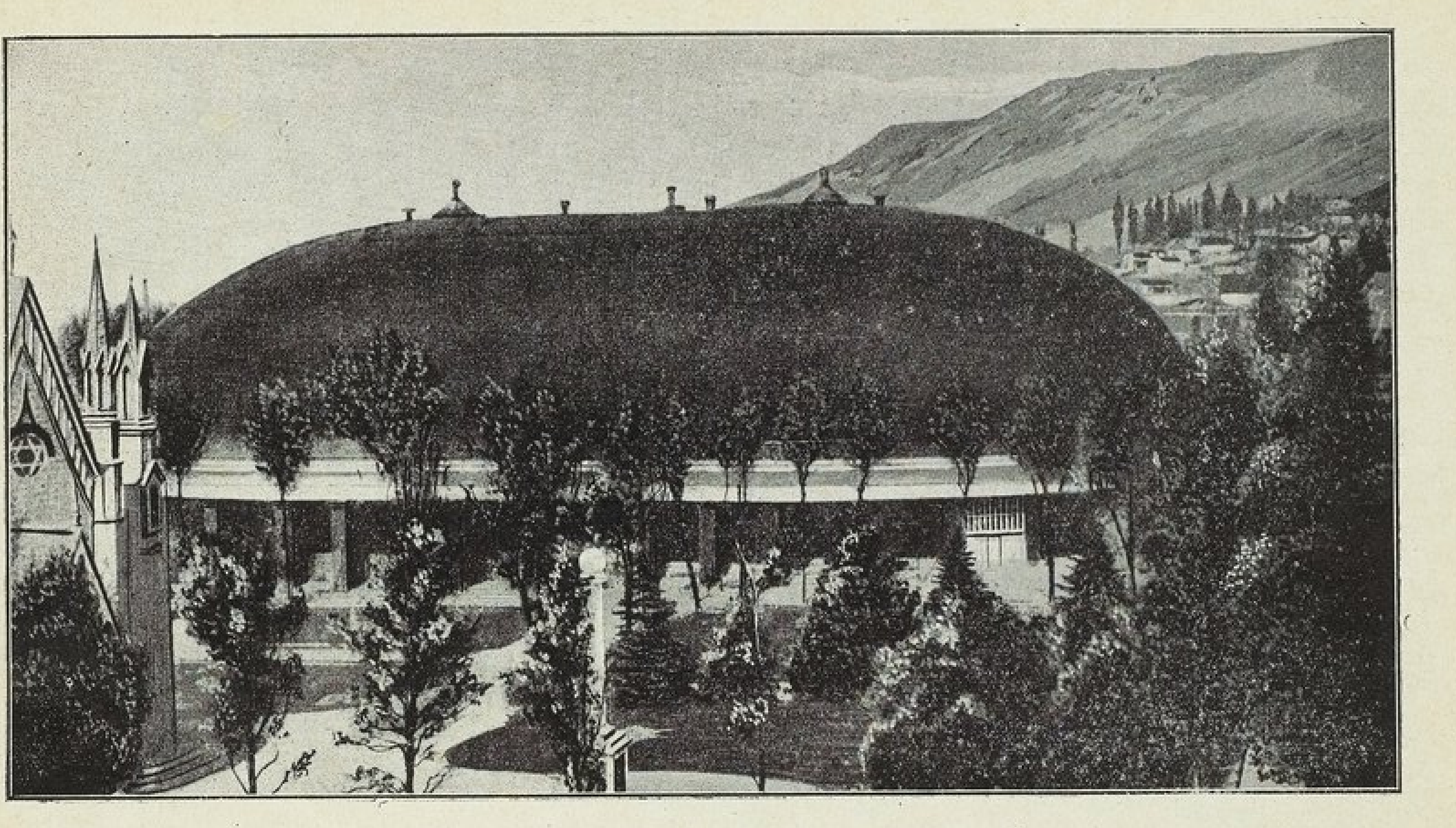
فى سنة ١٨٢٠ م ظهر رجل اسمه يوسف سميث فى قرية شارتون من ولاية نيويورك ادعى أنه رأى الله جهرة . وفى سنة ١٨٢١ ادعى أن ملاك الرب أتى اليه وأخبره بأن الله بعث اليه برسالة الانجيل الحقيق مكتوبة على ألواح من الذهب ، وفى هذه الالواح قصة المورمون الذين كانوا يوجدون بهذه البلاد قبل المسيح بستمائة سنة وكانوا من المؤمنين الذين يعبدون الله على الطريقة الحقة .

ومن عقائدهم أن الانسان مادام قادرا على الزواج فله أن يتزوج . وفى سنة ١٨٤٣ قررت كنيستهم تعدد الزوجات وأخذوا به فعلا ، وهنا قامت قيامة الناس على هذا المتنبئ الجديد ، ورفعوا أمره الى القضاء جملة مرات ولكنه كان يخرج من أمامه بريئا ، وكان هذا يزيد فى نار الحقد التى كانت تضطرم فى قلوبهم حتى اذا انتهزوا فرصة وجوده هو وأخوه وستة عشر من شيعته فى مدينة قرطاجة رموهم بالرصاص وقتلوهم جميعا . فانتخب المورمون خليفة له رجلا من حوارييه اسمه « بريهام يانج » ولكنهم مازالوا فى اضطهادهم حتى قر قرارهم على الهجرة فباعوا أملاكهم وساروا الى جهة الغرب فى فبراير سنة ١٨٤٦ وما زالوا سائرين حتى وصلوا الى البحيرات الملحة فى ٢٤ يوليو سنة ١٨٤٧ بعد أن قطعوا على أرجلهم ٢٤٠٠ كيلو مترا كانت كلها مشقات والوانا من العذاب .

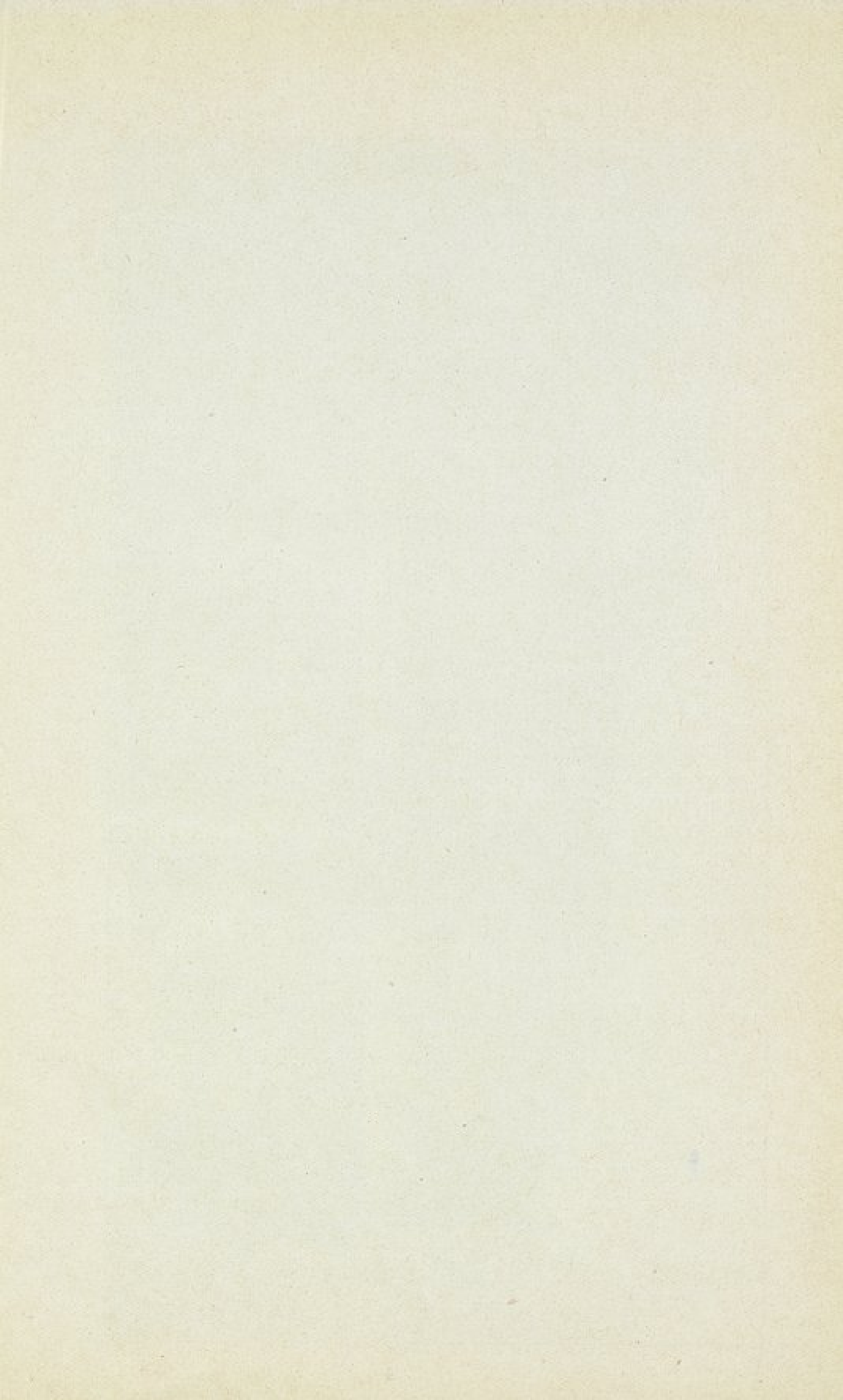
وهنا أخذوا يحرثون الأرض ويشقون مصارفها ويصلحون من أمرها بهمة لاتعرف الملل ، ثم زرعوها فانتجت لهم غلة وافرة : أقاموا منها هيكلهم ،ومازالوا باجتهادهم فى الزراعة حتى قلبوا هذه الصحراء الى روضة غناء ، وهى الآن من أحسن أراضى أمريكا إن لم تكن أحسنها جودة وانتاجا ومعادن مختلفة ، إلا أن أهل الجهات المجاورة مازالوا يحسدونهم على نعمتهم ، فاتهموهم بأن لهم ضلعا مع الحمر (الهنود) وانهم يخشى منهم على الأمن العام ، فارسلت حكومة الولايات محققين لتحقيق هذه الأشاعات فوجدوها لاصحة لها ، وأن ليس عليهم من شائبة إلا مايخالف الدين المسيحى فى كثرة الزواج .

وحقيقة فقد كانوا يتزوجون مثنى وثلاث ورباع بل أكثر من ذلك ، وكان رئيس كنيستهم يباح له زواج إحدى وعشرين امرأة وهم يقولون :

إن الله أباح الى نبيه إسميث كثرة الزواج لمصلحة النوع الانسانى لان فيه عصمة وفضيلة ، وان الانبياء ابراهيم ويعقوب وغيرهم كانوا يتزوجون باكثر من واحدة ، ويرتكنون فى كثرة الزواج على قول المسيح لحواريه : « تكاثروا تناسلوا



كنيسة المورمون فى مدينة سولت ليك (البحيرة المالحة) ص — ١٥٨



وعمروا الأرض » . ومن جهة أخري فانهم يقولون : إن مذهب لوثير يرى أن زواج الانسان بامرأتين فى آن واحد ليس فيه من جريمة ضد القانون الالهى ، وهم يزعمون أنه يأتى يوم تنقص الحروب من الرجال فيضطرون الى كثرة الزواج لأجل حفظ النوع الانسانى .

إلا أن حكومة الولايات المتحدة أصدرت فى ٢ يوليو سنة ١٨٦٢ مرسوما بامضاء الرئيس لنكولن يمنع تعدد الزوجات فى الولايات المتحدة وجعلوا لذلك عقابا يتراوح بين ٥٠٠ ريال غرامة الى خمس سنوات سجن ، ثم غيروه بقانون آخر فى ٢٢ مارس سنة ١٨٨٢ وجعلوا عقابه السجن ستة أشهر ، والحرمان من الحقوق المدنية .

وفى التعداد الاخير وجدوا منهم ثلاثة آلاف رجل فى عصمتهم تسعة آلاف امرأة ، فقررت الحكومة التفريق بينهم ، إلا أن القوم لم يعدموا وسيلة لانكار الزوجية فى حال عدم الجمع بين الزوجات بحيث أصبح لكل واحدة مسكن بمفردها « مسكن شرعى » .

وفى سنة ١٨٨٧ صدر قانون يقضى بأن قسائم الزوجية لابد أن تقيد عند كاتب العقود ومن يخالف ذلك تصادر جميع املاكه ، وهنا ابتدأت الحكومة فى الضغط عليهم وصرح لهم القاضى بأنه يكتفى منهم بالوعد باحترام قانون البلاد ، ولكن الكثير منهم لم يقبل هذا الوعد وفضل السجن على وعد يقوم على قاعدة الكذب .

غير أن رئيس الكنيسة المورمونية (البابا) أظهر لهم النصيحة بعدم كثرة الزواج حتى يهدؤا من نقمة الحكومة وضغطها ـ ولكنها العقيدة تتظاهر بغير ماتخفى الصدور خصوصا فى حالة ضعفها .

ولقد كان مجلس السناتو فى السنين الاخيرة ينظر فى صحة انتخاب أحد الرؤساء الذين عندهم عضوا بالمجلس ولكن المجلس قرر عدم صحة انتخابه لانه يتبع مذهبا يقول بتعدد الزوجات الذى يحرمه القانون . وقد قال هذا الرجل فى أثناء تحقيق

المجلس معه « إنه متزوج بخمس زوجات » وكلهن يقدسن تعدد الزوجات ، ولما سئلت احداهن فى ذلك (وهى السيدة أدنا لامسون) قالت : « إنى افتخر بانى زوجة لرجل تعددت زوجاته ، وانى اعتقد بصحة تعدد الزوجات اعتقادا تاما ، ونحن سعداء بهذه العقيدة ،وليس للسناتو شأن بالاهتمام بأمورنا الداخلية » وكانت هذه الزوجات الخمس يسكن فى بيت واحد .

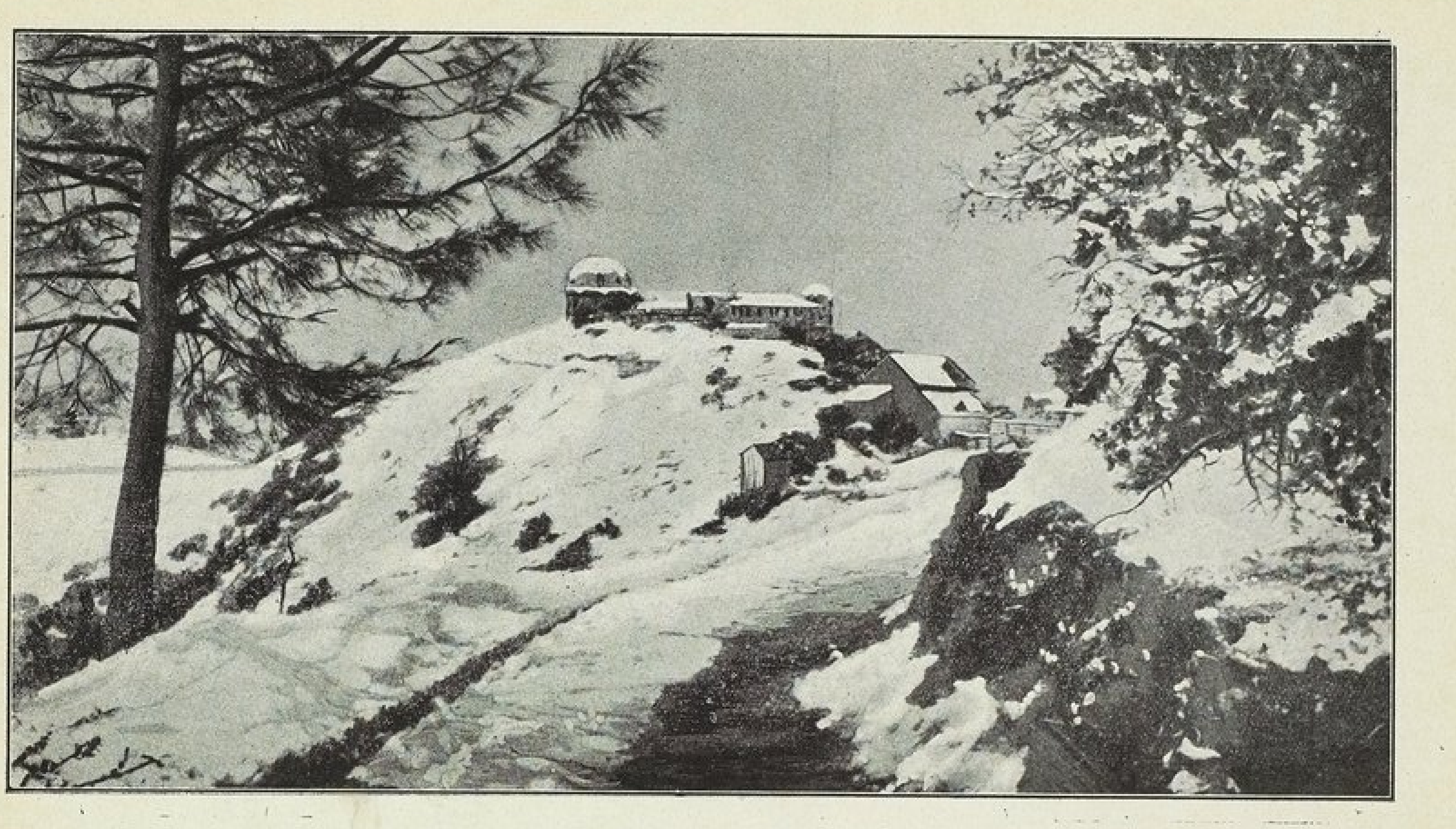
وأخيرا صدر أمر من رئيس الكنيسة المرمونيه (البابا اسميث) بتحريم تعدد الزوجات بشرط أن لايسرى هذا القانون على الذين تزوجوا قبل صدوره ، والبابا اسميث هذا له من الزوجات ثمان ، ومن الاولاد ٤٥ ، ومن الاحفاد ١٥٠ ! ! !

وللمورمون إنجيل خاص يسمونه الانجيل الغربى ، للفصل بينه وبين الانجيل الشرقى ، وهو إنجيل المسيح . وفى ديانتهم من الاسرار مالا يطلع عليه غيرهم ، ولا يدخل هيكل الرب من كان على غير شيعتهم مطلقا .

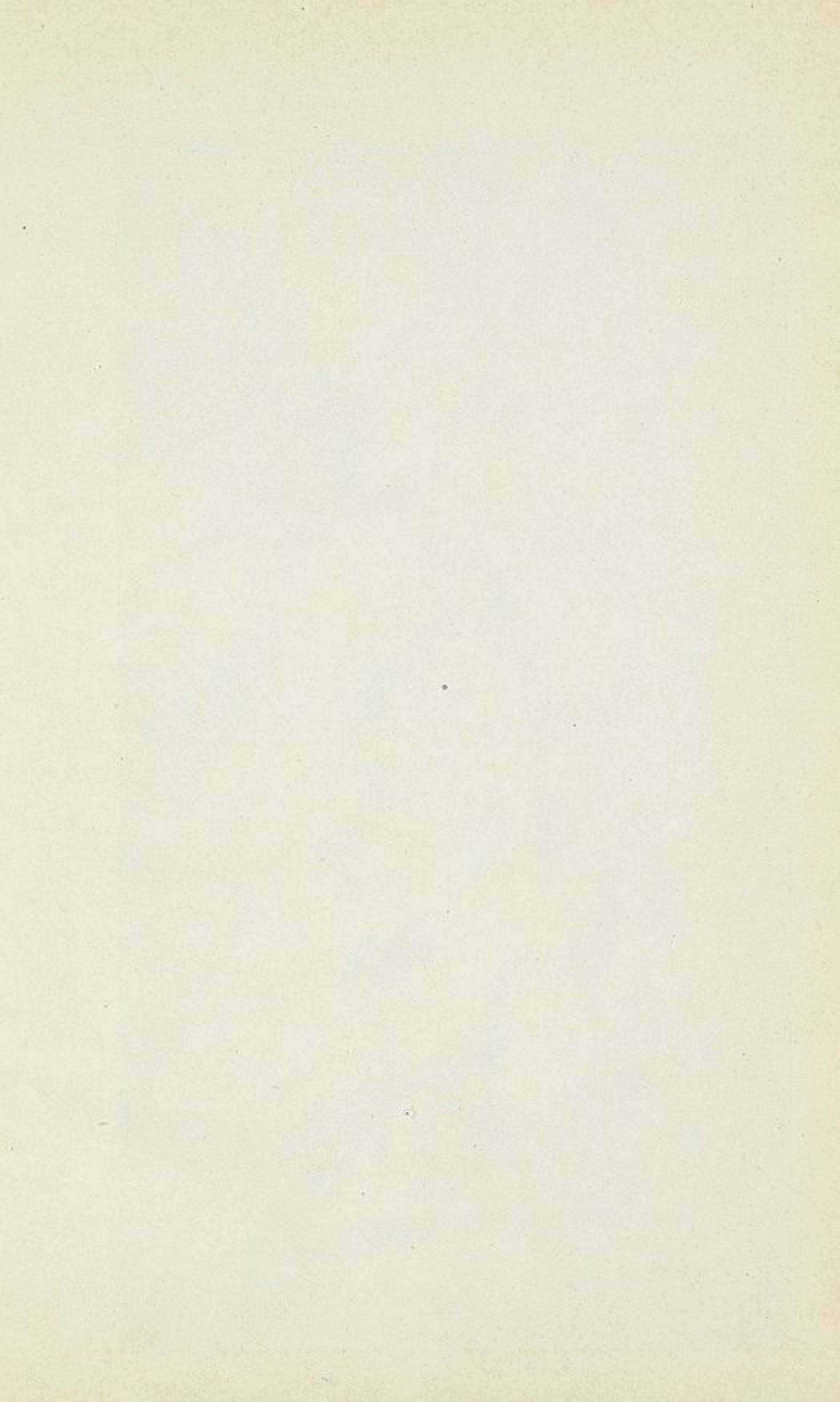
ويصل عدد المورمون الى أكثر من ثلاثمائة الف نفس ، ولكنهم ربما زادوا على ذلك كثيرا . وهم قوم أغنياء جدا بما أصبحت عليه أرضهم من الجودة بعد إصلاحهم لها ، ولما وجدوه فيها من المعادن المختلفة من ذهب وحديد ونحاس وبترول . وعندهم أكثر من أربعين شركة لاستخراج البترول فقط فى ولاية ايتاه وحدها . وهم يدفعون عشر إيرادهم للكنيسة ، وهم على أحسن مايرام سيرة وفضيلة وهمة ونشاطا ، ويصدرون كل سنة أكثر من ٢٠٠ مليون طن من الملح إلى الولايات الاخرى غير مايصدرونه من السكر والحديد المشغول وخامات المعادن المختلفة .

***

وعلى ذكر المورمون ومذهبهم الذى يمتون به الى النصرانية أقول : إنه قام فى شيكاغو فى العقد الأخير من القرن العشرين رجل وفد اليها من أوستراليا اسمه (دوى) وادعى أنه نبى تقمصت فيه روح الياس النبى ، وبعث للتجديد الواجب لاصلاح الدين المسيحى ، ذلك التجديد الذى به يمهد الطريق لنزول المسيح الى



دار لرصد الكواكب على جبل هاملتون بكاليفورنيا ص — ١٦٠



هـذه الارض لنشر راية السلام بها ، وكان يدعو فى خطاباته الى تحريم التياترات والبارات والاجزاخانات والدخان والاطباء وامكنة الدعارة والتمثيل لانهاما يكرهه الخالق . وكذلك كان ينهى عن تربية الخنزير وبيعه وأكله لانه يولد السرطان ويسبب السل . ووصل به تأثيره على سامعيه بان كان يشفى مرضاهم . واستأجر مكانا بشيكاجو أقام فيه كنيسة للعبادة على مذهبه ، وانتشر خبره بين الناس فتبعه خلق كثير . وكان يأمرهم بالعمل فى التجارة أو الصناعة مع الجد والاجتهاد فى المكسب ، شرطا أن يكون للكنيسة عشر مايكسبون . ومازال هذا شأنه حتى أصبحت له ثروة واسعة فاشترى نحو ثمانية آلاف فدان على بحيرة مشيجان وعلى بعد ٦٧ كيلو متر من شيكاجوا . وهنالك خطط مدينته ، وبعد أن رسم شوارعها على أحسن ما يكون نظاما وصحة ، بحيث بلغت سعة الشوارع العادية الى أربعين مترا والرئيسية الى ٩٠ مترا سمى الشوارع باسم ماورد فى الكتاب المقدس من الانبياء : فترى بها شارع ابراهيم ، وشارع اسماعيل ، وشارع موسى ، وهكذا . ثم قسم مابينها من الفضاء الى نمر باعها من تابعيه بثمن باهظ ، وابتنى فى وسط المدينة كنيسته التى سماها « سيون » وفى يوليو سنة ١٩٠١ فتحت أبواب هذه الكنيسة لمريديه . وقد بلغت ثروة هذا الرجل عشرات الملايين من الدولارات ، وحتى الدين يتخذونه آلة فى الولايات المتحدة للوصول الى الثروة ! ! !

ولهذه المناسبة أقول : إن التيار الدينى يجد له بها أذناصاغية ككل جديد: لذلك ترى فيها عدداً كبيراً من الفرق الدينية ، وفيها مذهب واسع للصوفية ، بل وصل اليها مذهب البهائية ، ولقد سافر اليها السيد عباس البهائى قبل وفاته لزيارة شيعته بها . بل يقولون : إن بها كثيرين قد اعتنقوا الدين الاسلامى ؟؟ وبالجملة فكل شئ فى هذه البلاد غريب فى بابه .

***

وفى الساعة الثانية بعد الظهر ركبنا القطار الكهربائى الى المدينة ، وهناك

امتطينا الاوتوموبيلات لزيارتها فوجدناها من الطف وانظف مارأيناه فى كل الولايات المتحدة ، وأبنيتها لاتزيد فى الغالب عن طبقتين ، يحيط بهما حديقة صغيرة من الجازون ، وقد زرنا المتحف وهوفى بنائه من أفخر شئ فى بابه ، والدور الارضى منه فيه بعض المعروضات من معادن البلاد ، ومن ضمنها الذهب والفضة والزنك والفحم الحجرى ، يتلو ذلك بعض الفاكهة المحفوظة فى أوان زجاجيـة ، وهى من أحسن إن لم تكن أحسن شئ فى نوعه ، وبجانب هذا وذاك بعض حيوانات البلاد المصبرة . أما الدور الثانى فحوائطه وسلالمه ودرابزيناته من الرخام المرمر مما لايمكن وصف جماله ، خصوصا ما فيها من النقوش الطبيعة . ثم تركنا هذا المكان لزيارة الكنيسه التى مر بك ذكرها .

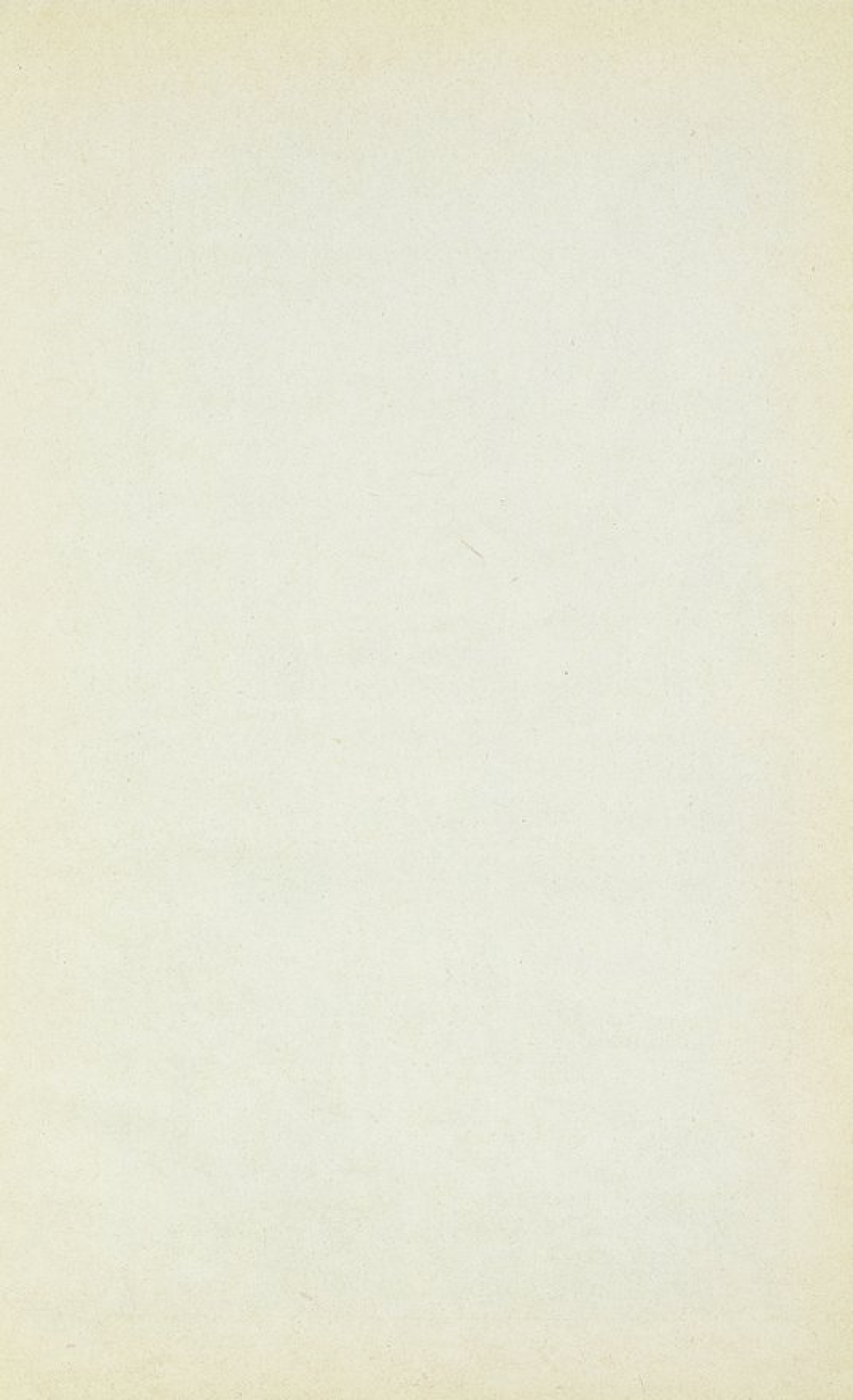
يوم ٤ يوليو

قمنا من مدينة سيلث ليك متجهين الى الجنوب الغربى ، فقطعنا ولاية «ايتاه» ثم دخلنا فى ولاية « نوفادا » ومررنا فيها على مدينة لافيجا (المرج) ودخلنا فى ولاية كاليفورنيا حتى وصلنا الى مدينة ريفرسايد . والمسافة التى قطعناها اليها ٧٢٦ ميلا وبينها وبين الاقيانوس الهادى نحو ٦٠ ميلا .

ومدينـة ريفرسايد سكانها عشرون الفا ، وهى محطة للتجارب على أشجار الفاكهة وخصوصا على البرتقال ، وربما كانت أهم محطة للتجارب فى جميع المعمورة لأنها تصدر من البرتقال وحده سنويا بمبلغ مليونى جنيه،وهى مختصة بنوع برتقال اسمه « واشنجتون » وهو الذى نجح بمصر واسمه (أبو صرة) . وأهم تجارتها عدا البرتقال : التفاح والعنب والبرقوق .

وأشجار البرتقال هى التى عليها أغلب التجارب هنا ، وهى مزروعـة صفوفا مستقيمة جدا على بعد أربعة أمتار ، وأرضها معزوقة كلها سواء فى مجرى الأشجار أو المسافات التى فيهما بينها . وعلى بعد نصف متر من ساق الشجرة يمينا وشمالا قناة

شكل جميل للوكندة كاليفورنيا ص — ١٦٢



للرى ، وبعد سق الشجرة يكسرونها قبل جفافها حتى تحتفظ الأرض برطوبتها ، وذلك لقلة المياه فى هذه المنطقة . وتربة الأرض هنا بين الحمراء والصفراء ، ويظهر من خدمتها العناية الشديدة هنا بالزراعة فى الأشجار على الخصوص . وفى وسط هذه المزارع بناء عظيم فخم هو ادارة التجارب التى تبلغ أرضها ٧٥٠ فدانا ، ومنها جزء مخصوص لتمرين طلبة جامعة كاليفورنيا ببروكلى . وعندهم معامل متصلة بهذه المحطة للمباحث المتعلقة بالنباتات الخاصة بالمنطقة المعتدلة وهى أقسام : منها قسم للفحص النباتى ، وقسم للفحص الفطرى ، وآخر للحشرات ، وآخر للتحاليل الكيماوية .

وأحسن ماشاهدته مزرعة للمشمش أشجارها محملة بالفاكهة من مبدأ الفروع الى نهايتها بحيث تكاد لاترى ورقة الا وبجوارها ثمرة ! ! والتجارب فى البرتقال كلها سائرة على التطعيم بالنارنج ، وهم يجربونه الآن على شئ من غيره من الموالح الأخرى ! كما أنهم يجربون كل أنواع السماد ليتبينوا الاصح منها للموالح .

ومما رأيناه فى تجاربهم أن الشجر يزرع على طريقة الثالوث المعروفة عندنا ، ولكن ثمره أقل منه فى الصفوف المستقيمة المزروعة على التربيع ، ومن وقت ماتزرع الشجرة تطعم بعد سنة ، أو سنتين ، وتثمر بعد أربع سنوات ، يعنى بعد ست سنوات من مبدأ زراعتها . ومتوسط محصول الفدان فى المقاطعة كلها (كاليفورنيا) من ٢٥٠ الى ٥٠٠ ريال فى الأراضى الجيدة ، وربما بلغت مصاريف الفدان الى نصف ذلك .

ومزارع الفاكهة عندهم كل على حدته : فالبرتقال وحده ، والليمون وحده ، والمشمش وحده ، والتفاح وحده ، ـ وهكذا : وذلك كله لأجل تقدير الماء اللازم لكل صنف وسقيه فى أوان شربه . ويقرب من هذه الجهة مزرعة من العنب كبيرة جدا مشهورة بكرومها ، وهى لأخوين ايطاليين ، وعنبها يباع إما فاكهة أو مجففا (زبيب) أو على هيئة شراب كهذا الذى يسمونه فى الآستانة

« بكمز » . وقد يزرعون البقول بين أشجار الفاكهة حتى اذا كبرت حرثوها بحالها لتكون سمادا .

ويقال : إنهم زرعوا القطن فى هذه الجهة ولكنهم رأوا مصاريفه أكثر من محصوله . ومياه الشرب تأتى الى المزارع فى أنابيب من الحديد ، فترى على كل قناة حنفية اذا اطلقوها تفجر منها الماء ، ولهذه المياه شركة مخصوصة لها آبار ارتوازية تعمل ليل نهار لسقى المزارع فى تلك المنطقة ، لأن الأنهار فيها تجف مدة الصيف . وقد يشرب الشجر برشه رشا كثيرا بواسطة خراطيم يثبتونها فى الحنفيات التى تراها هنا وهناك وسط المزارع ، والماء يسير فى المواسير فى كل مزرعة كل أربعة أسابيع خمسة أيام فقط ، وماء الآبار الأرتوازية على مايتى قدم من سطح الأرض ، وهو يسقى المزروعات والمدينة ، ومصاريف الفدان من الماء ١٢٠ ريالا فى السنة .

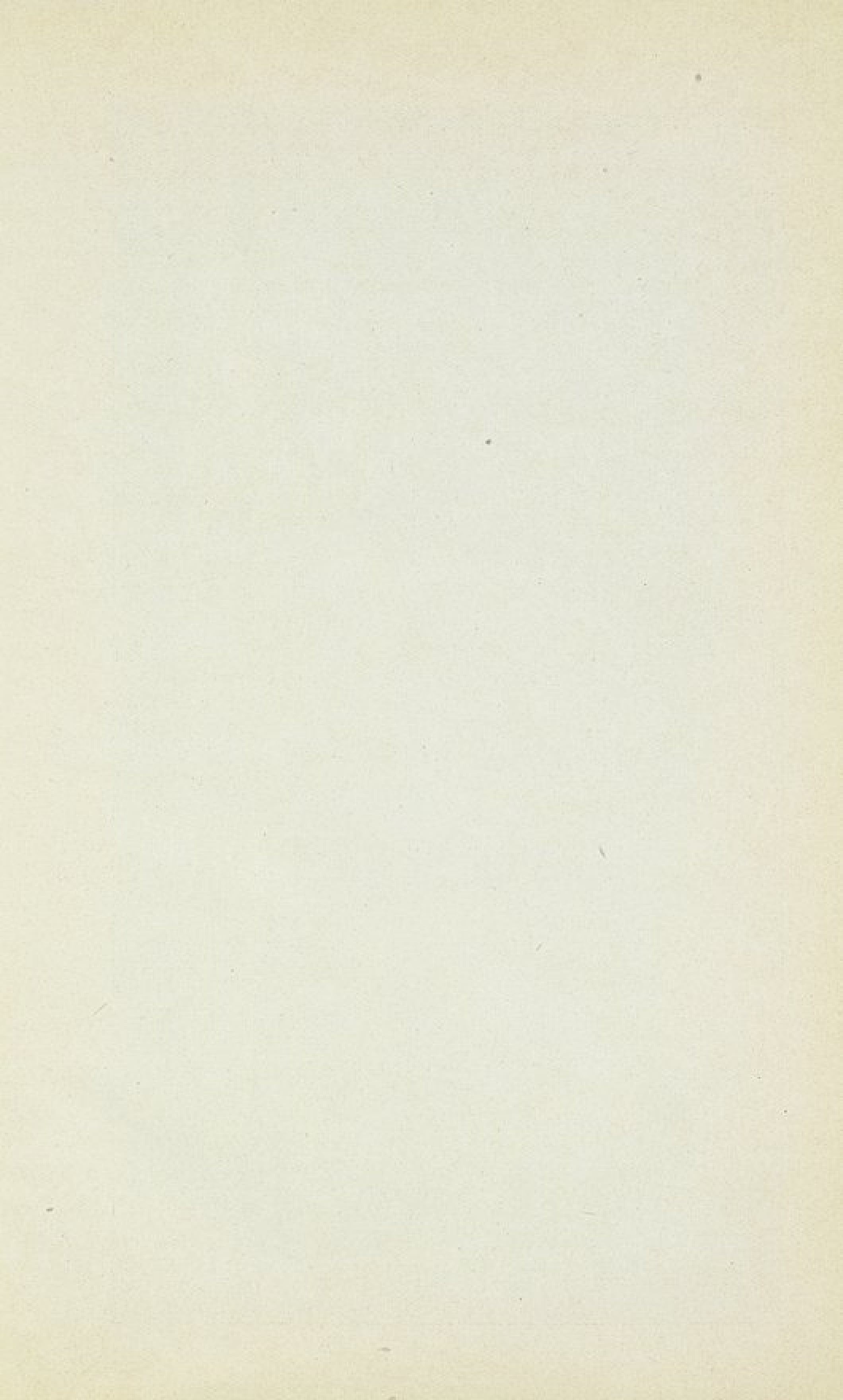
ومن أغرب الأمور أنهم يمررون الماء الساخن فى مواسير تتخلل بعض مزروعاتهم مدة الشتاء ! ! !

والأمطار تقل جدا هنا مدة الصيف ، ولا تبتدئ الا من نوفمبر ، وليس هنا من ترع الا مدة الصيف ، وأكبر أنهار هذه المنطقة هما « ساكلامنتو — وسان فاكين » وهما بعيدان من هنا ، ويتحدان قريبا من سان فرانسسكو ، وتنعدم مياههما فى الأقيانوس . وقد فكر القوم هنا فى مياههما لعمل أحواض للرى ، ولكن هذا المشروع يحتاج الى مصاريف باهظة، خصوصا فى اختراق بعض المناطق الجبلية . وهم يفكرون الآن فى تسيير مياه نهر كولورادوا الى هذه الجهة ، وهذا المشروع يحتاج أيضا الى عمل خزانات واسعة تكلف مائة مليون ريال ! !

والتسميد تجربته دائرة حول خلط بعض الأسمدة بعضها ببعض على نسب مختلفة : نترات صودا ، سلفات نوشادر ، نترات بوتاسا ، سناميد . بلدى : ونتيجة هذه التجارب لاتظهر الا بعد عشر سنوات على الأقل . أما مدار السباخ عند



احد مناظر مكسباى بارك بكاليفورنيا — ص ١٦٤



الأهالى فعلى السباخ البلدى (سباخ الاسطبلات) .

إلا أنهم يعنون بهذا السماد الاخير (البلدى) عناية تناسب ما يلزم لكل زراعة منه حتى يكون واف بالغرض من تغذية كل صنف من الاصناف المتزرعة، ويحفظونه من التأثرات الجوية فلا يعرضونه الى الشمس ولا الى التيارات الهوائية كثيرا حتى لايفقد بالتبخر العناصر المغذية للنبات (كما هو الحال عندنا) ! ! !

أما أمراض النباتات فالطرق المستعملة فيها هنا هى الطرق المستعملة فى مصر : من تبخير ورش ، ومن حسن حظهم لاتوجد عندهم تلك الآفة الثقيلة التى لاتوجد إلا فى حوض البحر الابيض المتوسط ، وهى ذبابة الفاكهة . وقد أخبرنى المرحوم اباظه بك أن قسم الحشرات بمصر وصل فى سنة ١٩٢٦ الى نتائج مرضية فى مقاومة هذه الذبابة .

***

وأول زراعة البرتقال هنا تبتدئ من سنة ١٨٧٥ على يد سيدة اسمها (مسز تبت) أخذت هذه السيدة شجرة من ولاية واشنجتون وزرعتها فى هذه الجهة ، وكانت هذه المنطقة صحراء لايسكنها غير الرمل والهواء ، فقدم اليها جماعة المبشرين ، وفتحوا فيها أبواب الاستعمار بواسطة الدعوة العامة للناس ، فوصل اليها جماعات اشتروا مساحات واسعة من الأرض بثمن بخس دراهم معدودة ، وأخذ هؤلاء من جهتهم يدعون الناس بكل وسائل الاعلان متساهلين لهم فى بيع ماليسوا فى حاجة اليه من أملاكهم الواسعة ، فلم يمض زمن كبير حتى استعمر الناس هذه الجهة ، وأخذوا يزرعون فى تربتها الجيدة مختلف الشجر حتى أصبحت كما ترى .

***

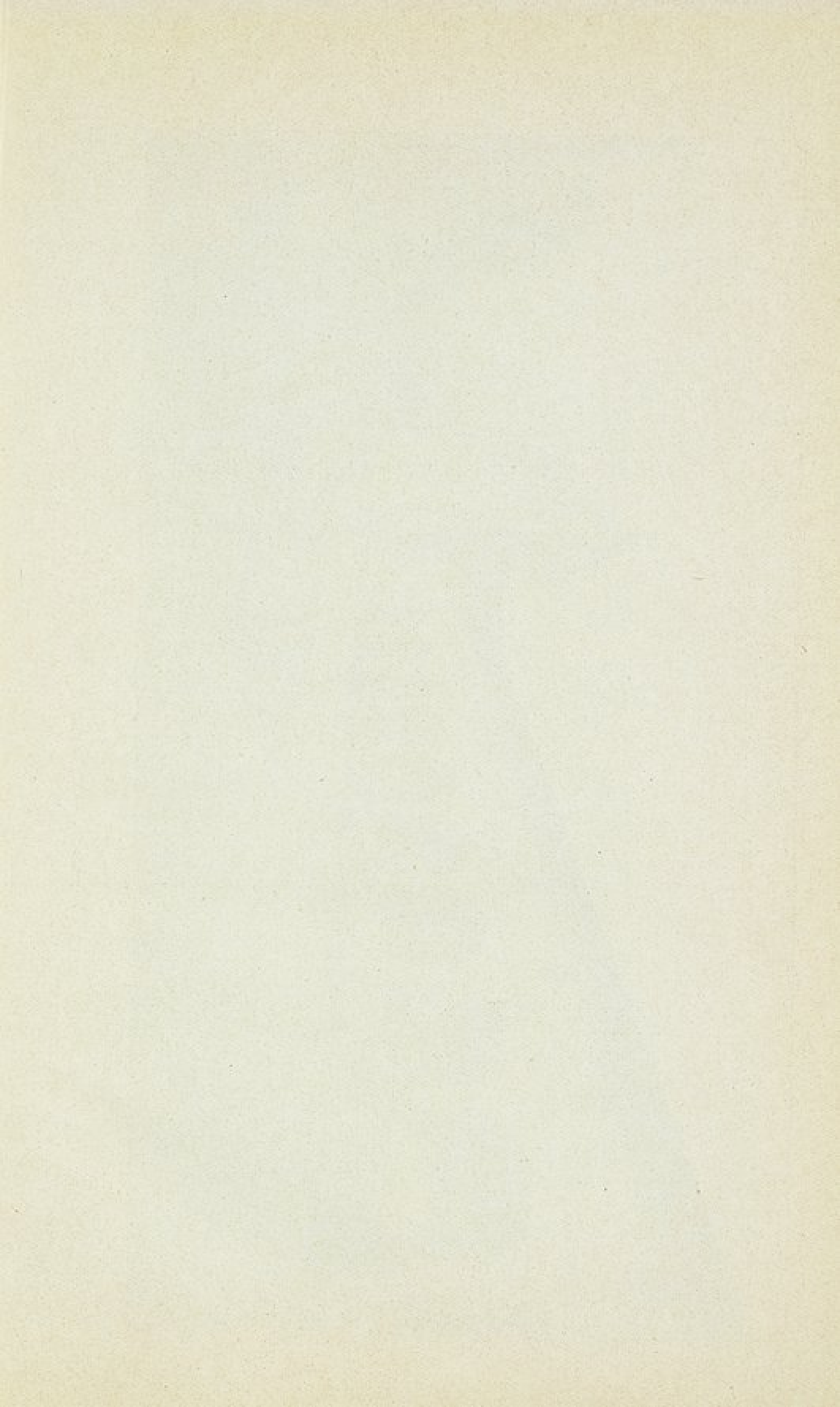
زرنا المدينة فرأيناها جميلة ونظيفة، ومساكنها بعيدة عن بعضها رغما عن شوارعها الكثيرة ، والتى انما خططت للمستقبل ، وفى تقاطع بعض الطرق عملت فى رأسه دائرة مسورة بالحديد فيها شجرة برتقال قد شاخت ، وعملوا لها دعائم

تحمل أغصانها ، وهـذه هى الشجرة الأولى التى زرعتها مسز تبت ، هى الشجرة التاريخية التى شاهدت من أولادها ماغير منظر الصحراء الى هذه الرياض اليانعة ، التى تدر الذهب على أصحابها ، وفى جوار الشجرة قطعة من الرخام منقوش عليها تاريخها . ويقرب من هـذه الجهة جبل ارتفاعه ١٣٥٦ قدما يسمى جبل رويدو ، صعدنا الى قمته بالأتوموبيل فى طريق متعرجة ، فظهرت لنا المدينة مستطيلة من الشمال الى الجنوب ، تكتنفها الاشجار من كل ناحية ، ويحيط بها من جهة غابات من الكافور والسرو ومن غيرها غابات من البرتقال مما لاترى له مثيلا فى مدن أخرى ، وفى غربيها نهر سارنابا ، وفيـه قليل من الماء الراكد ، وهو يجف مـدة الصيف ويكثر ماؤه مدة الشتاء . ولماوصلناالى قمة الجبل ظهرت لنا مساكن المدينة وكل ما فيها كأنها روضة من الرياض ، أوغيضة من الغياض .

وفى هذه المدينة كلية للحمر (الهنود) الذين يكثرون فى هذه الجهة ، ويظهر أن أول من استعمر هذه الجهة الأسبان ، لأن فيها كثير من الاعلام الأسبانية : فلفظ رويدو محرف عن (توبيدو) وهو ذلك الجبل الموجود فى برشلونة : ومقاطعة نوفادا الصحراوية انما سميت باسم نوفادا الجبلية التى تقطع بلاد أسبانيا من شمالها الى جنوبها تقريبا بميل الى الغرب . وقد تعشينا فى أهم لوكندة من هذه المدينة وهى على النظام الأسبانى ، وان شئت فعلى النظام العربى الأندلسى ، وبعد العشاء قصـدنا قطارنا الذى قام بنا الى مدينة لوس أنجلس ، وقد تركنا فى هـذه المدينة حضرة العالم الفاضل (المرحوم محمود بك أباظة لزيارة ولاية كاليفورنيا) ، والتفتيش على الطلبة المصريين الموجودين بها ، ففقدت فى سياحتى به أنيسا وقاموسا ! ! فقدت به أنيسا كان يعاملنى بلطفه وأدبه وعطفه وكرمه ، ولاغرابة فى ذلك لأنه ورث هذه المكارم عن محتده ، وفقدت به قاموسا زراعيا كنت ألجأ اليه فى كل ما يشكل على أمره فكان يفيض علما وفنا بما أفادنى كثيراً رحمه الله تعالى .



سانتا باربارا — أو دار المبشرين بكاليفورنيا ص — ١٦٦



ولاية كاليفورنيا

هذه هى البلاد الغنية بثروتها المعدنية والزراعية ، وهى واقعة فى غرب ولايات الاتحاد على المحيط الهادى ، هذه هى البلاد التى وهبها الله من طبيعة ارضها ، واعتدال جوها ، ماجعل الزراعة فيها تنمو نموا لا تراه بارض غيرها من أى جهة من جهات المسكونة : فبينا ترى حدودها على المحيط جبالا صخرية قد اتخذت فيها الطبيعة خزانات للمياه التى تتكون من مناطق الثلوج الواسعة والتى تنحل شيئا فشيئا على طول أيام السنة فتتفجر منها العيون ، وتتكون منها البحيرات التى تغذى الأنهار الطبيعية التى تتخلل تلك الغابات الشاسعة التى تغطى مسافح هذه الجبال على مسافات بعيدة الأطراف مما تبلغ مساحته مئات الكيلو مترات ، وترتفع أشجارها فى الجو الى أكثر من خمسين مترا ، ويصل قطرها الى ستة أمتار فى الغالب . حتى اذا اتجهت مياه هذه الأنهار الى ماوراء المنطقة الجبلية ، وتغلغلت فى وسط تلكم السهول الواسعة بما هذبته يد الانسان من مجاريها وجداولها وآبارها الارتوازية ، وبما أقامته من هذه الخزانات الصناعية التى تدبر المياه الى مزارع هذه المنطقة فى الوقت المناسب ، أحالت تلك الصحارى الى جنات ذوات أفنان فيها من كل فاكهة زوجان ، مما اشتهرت به هذه البلاد من حيث وفرة المحصول وجودته ، مما لا يوجد له مثيل فى العالمين القديم والجديد ، وعلى الخصوص فى التفاح والكمثرى والبرقوق والمشمش والخوخ . وتجد الى جانب هذه الجنات تلك المراعى الواسعة التى ترعى فيها مئات الآلاف من الأبقار والخيل والغنم حتى اذا جاء الخريف ، وجفت المراعى ، انتقلت الماشية مع رعاتها الى مسافح الجبال لترعى فى المناطق التى يستأجرها أصحابها من الحكومة والى جانب هذه المراعى ترى بعض مزارع للقمح والأرز . خصوصا فى جهات (سكرمانتو) ولم يزرع الأرز بها ، الا فى سنة ١٩٠٠ وهو ينمو فيها نموا عظيما ، حتى انهم يقدرون محصوله الآن فى هذه الولاية باكثر من ٣٠ مليون دولار ! ! وهم

يصدرونه على الخصوص الى بلاد اليابان .

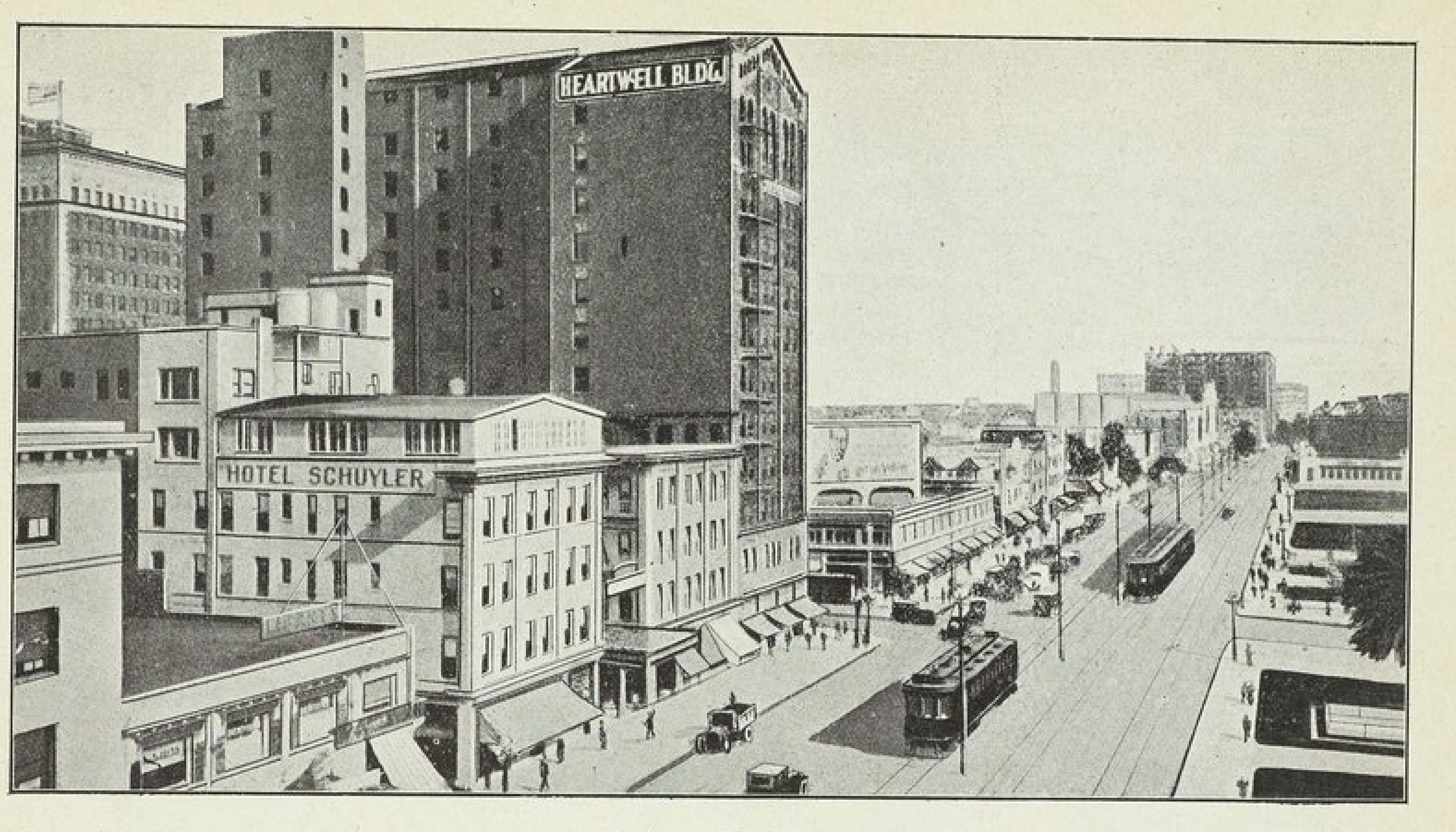
ويزرعون فى كاليفورنيا الخضروات المختلفة ، والبطيخ والشمام . وهو من أحسن ما أكلنا من نوعه ، وهو فى شكل القاوون الأزميرلى ، وربما كان أحلى منه ، وأكثر اصفرارا .

أما الكرم وما أدراك ما الكرم ! ! فقد كان من أكثر مايزرع فى أرض كاليفورنيا الى سنة ١٩٢٠ التى حرمت حكومة الاتحاد فيها الخمر فى كل ولاياتها . غير أن هذا التحريم لم يمنع القوم من الانتفاع بفاكهة الكرم على المائدة ، فينقلونه فى عربات خاصة الى أطراف ولايات الاتحاد — خصوصا ووفرتها انما تأتى بعد وفرة غيرها من الفواكه الأخرى — وقد يعملون منه الزبيب ، ويصنعون منه شرابا (بكمز) يستعملونه فى فصل الصيف .

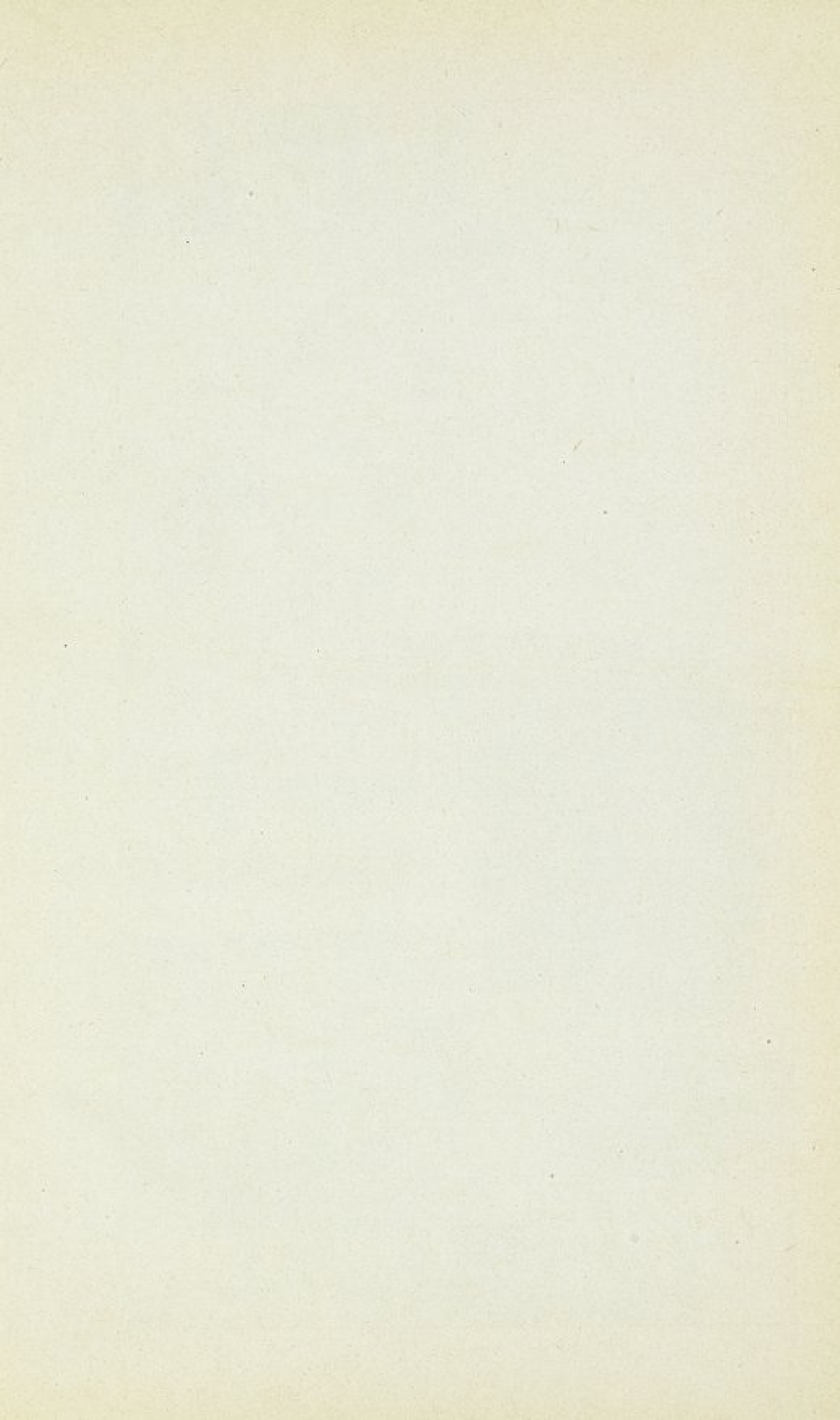
وفى جنوب كاليفورنيا يزرعون من الفواكه : البرتقال ، والليمون ، والزيتون والجوز ، واللوز ، والنخيل .

وينسبون وفرة محاصيل كاليفورنيا وجودتها الى نظام الرى بها ، حتى أن وزير مصر المفوض طلب من حكومته ارسال بعثة من رجال الرى لدراسة أنظمته فى كاليفورنيا .

ومن جهة أخرى فان جودة الفاكهة فى هذه الولاية يرجع الى اهتمام القوم بتربية الأشجار ، فاذا جاء الشتاء يرشون سيقان الأشجار بالجير ، وفى الربيع يرشون فروعها وأوراقها بمحلول من سلفات النحاس بواسطة طلمبة متحركة على عجل . وذلك لحمايتها من الطفيليات التى قد تفتك بها ، وقد يغطونها فى الشتاء ويدخنون تحتها بمادة معدنية ملتهبة (كالغاز) ولاشك فهم يأخذون ثمن هذه العناية مضاعفا من جودة محصول الفاكهة التى ينقلونها الى ولايات الاتحاد وغيرها من انحاء المسكونة ، وهى فى نضارتها ، أو مجففة ، أو مجهزة فى علب . والفواكه التى تخصص للتجفيف تنقل الى الحقول التى يفرشونها بالقش فتنثر عليه ، أو تنقل الى بيادر خاصة بها مقسمة الى



شارع فى ضاحية على المحيط الهادى ص — ١٦٨



مربعات صنعت أرضيتها بالاسمنت ، فتفرش عليها معرضة للشمس جملة أيام .

ولابد من استخراج نوى المشمش والخوخ قبل تجفيفهما . ولابد من تعهد الفواكه المجففة من وقت الى آخر حتى لاتفقد رائحتها ومرونتها بمكثها زيادة عما يلزم تحت أشعة الشمس .

وهنا يحسن بنا أن نشير الى عمليـة تجفيف البلح العامرى بشرقية مصر على الخصوص ، وما يسمونه بالعجوة على العموم : فانهم يفرشونه على الرمل ويتركونه من غير عناية بتقليبه وهو على كتلته السميكة فيفسد نوعه ، وكثيرا ماتتولد البكتريا على قشرته ، بل وتخترقها الى الداخل ، أو تراه يجف أكثر من اللازم فيكون أشبه شئ بقطع من الخشب المسكر . أما الفواكه التى تخصص للحفظ فتنقل الى مكان فيه موائد طويلة فتتناوله البنات اللواتى يلبسن لهذه العملية لباسا أبيضا نظيفا ، وبسكين مخصوص يقطعنه الى نصفين ويستخرجن ما فيـه من النوى ، ثم ينقل الى قزانات فيها الماء فى درجة الغليان حيث يتحرك فيها بآلة حتى تتقلص منها قشرته وتسقط عنـه ، وهنالك يوضع على شريط عريض متحرك بحركة أوتوماتيكية الى قاعة بها عاملات يأخذنه ويضعنه فى علبـه ، وأمام كل منهن حنفية فيها عصارة مسكرة تصل اليها من خزان فى الدور الثانى ، فتضع العاملة منها ماتيسر فى العلبة وبعد وزنها الى المقدار اللازم توضع العلبـة على الشريط المتحرك فينقلها الى قاعة بها عمال يضعون عليها غطاءها ثم تنقل الى غيرهم فيلحمونها ، وبعد ذلك يضعونها فى قزانات فيها ماء مغلى بضعة دقائق لتعقيمها ثم تنقل الى حيث يوضع عليها الغلاف الذى عليـه اسم المعمل وترسل الى حيث أرادوا .

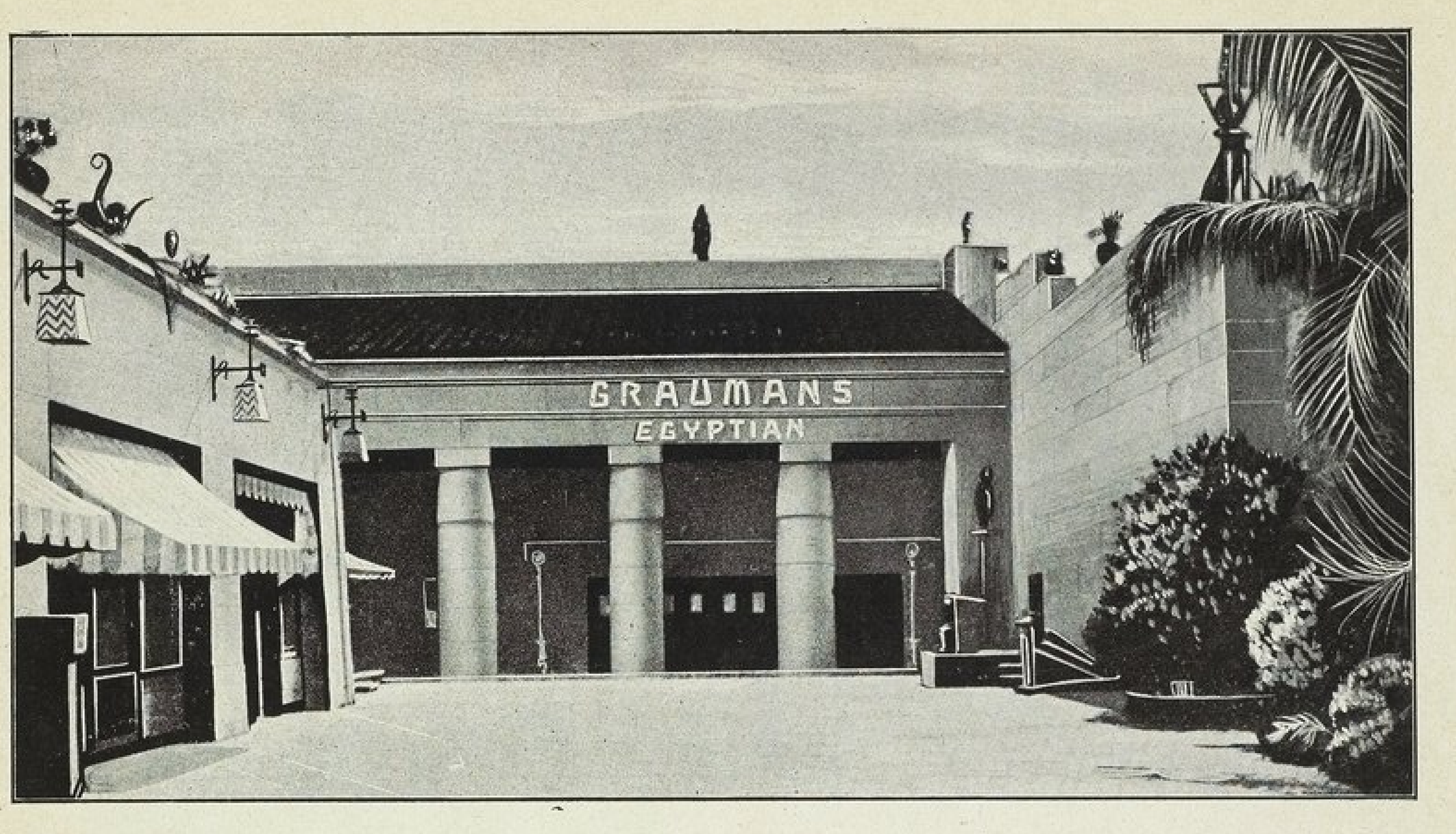
وهذه المعامل لاتشتغل الامدة المحصول ـ أعنى مدة شهرين من السنة ـ وتعمل فيها طالبات المـدارس زمن العطلة التى توافق زمن محصول الفاكهة . فيستفدن من ذلك فى عطلتهن أجرا لعملهن ، وصناعة تفيدهن فى تدبير حياتهن المستقبلة .

يوم ٥ يوليو

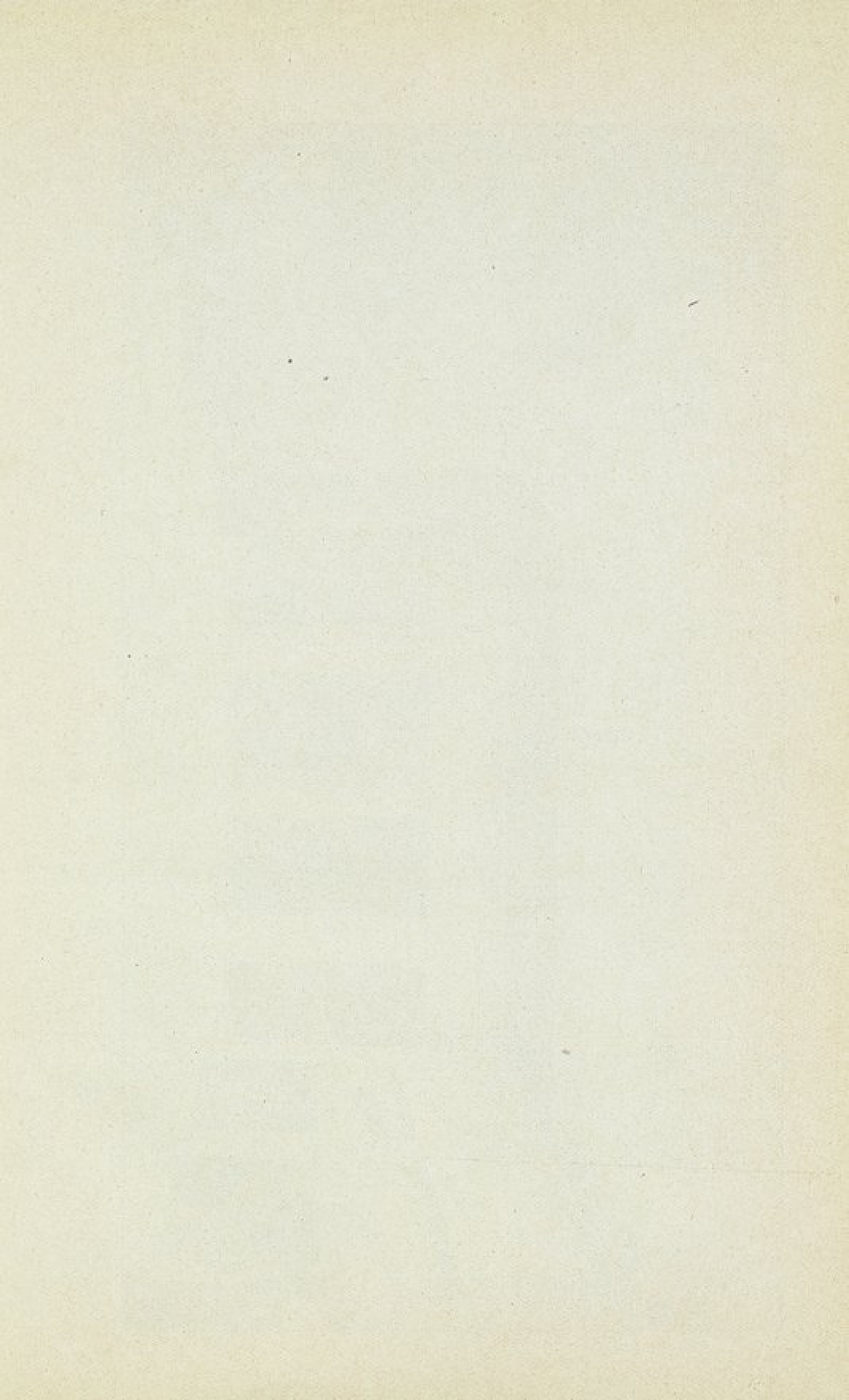
وصلنا فى الليل الى مدينة (لوس أنجلوس) والمسافة اليها ٥٨ ميلا،وهى مدينة على بضعة كيلو مترات من الاقيانوس الهادى، وكان تعدادها فى أول هذا القرن مائة الف نفس، وهى الآن اذا أضيف اليها مايحيط بها من الضاحيات التى وجدت بوجودها يصل عددها الى مليون نفس. والسبب الاول فى عمرانها السريع هو جودة مناخها الذى أصبحت معه مصيفا لأهل كاليفورنيا، وللكثيرين من أهل مكسيكا خصوصا بعد فتح قنال پاناما الذى أعطى أهمية كبرى الى مدينة سان بدرو التى صارت مرفئاً لانجلوس. وتبعدعنها نحو ساعة بالترام الى البحر ضاحية اسمها بسارينا وهى مشتى الاغنياء، ومركزها هنا كمركز نيس من فرنسا.

والسبب الثانى هو أنها أصبحت عاصمة للالعاب السينما توغرافية فى العالم كله فكانت لذلك موردا لجميع المشتغلين بهذا الفن من جميع جهات المسكونة، ولاغرو اذا أصبحت بهذا كله يوما من الايام نيويورك الغربية.

وتتصل انجلوس بالاقيانوس بجهة اسمها هولى هود: وهى قطعة من أجمل مايمكن أن تراه العين نظامافى مساكنها التى جمعت الى لطافة الشكل جميل المنظر، وهى وما أدراك ما هى:مقر النابغات والنابغين فى هذا الفن. ومن ضمن مبانى هذه الجهة واجهة تياترو مصرية قديمة آية فى الجمال، بحيث لم يكن عندنا بمصر مايماثلها أو يقرب منها، ويبعد عنها قليلا على الاقيانوس جهة اسمها بيفرلى هلز، وقد ترى بها لشركات مختلفة ميادين جمعت أمثلة كثيرة من أشكال البناء المتغايرة فى صور كثيرة: فمنها ماهو وجهات، أو دخلات، أو صالات، أو غرف، أو أبهاء، وما هو مدخل كنيسة، أو داخلها، وما الى ذلك من أشكال كثيرة رومانية أو مصرية، وما الى ذلك من أعمدة وإيوانات وغيرها. وكل هذا إما من الورق المغضوط، أو من البغداد لى الذى لايكون فيه كثير مصروف فى اقامته أو ازالته. والى جوار



تياترو جومون المصري فى هولى وود بكاليفورنيا ص ١٧٠



هذا كله كثير من القطع التى يمكن أن تتكون عنها أشكال متعددة مختلفة :

فاذا أرادوا تشخيص رواية وضعوا لها الاشكال التى تناسب أدوارها من هذه المناظر والقطع كل على حدته . وفى كل شكل يأتى ممثلو الرواية فيمثل كل قطعته على الوضع الخاص بها ، وفى أثناء تمثيله تؤخذ صورته الفوتوغرافية فى مناظر متعددة بحسب الاوضاع التى له فيها ، قليلة كانت أو كثيرة .

وفى هذه الجهة تؤخذ ٨٥ فى المئة من الصور السنما توغرافية فى العالم كله : ذلك لان الجهة وافية بجميع الاغراض اللازمه لها ، ففيها البحر ، والنهر ، والرياض ، والغابات ، والمغارات ، والصحارى ، والجبال ، والصخور ، وغيرها من المناظر الطبيعية المختلفة ، مما لا يمكن أن تراه مجتمعا فى صعيد واحد ، وعدا ذلك فهواؤها وسماؤها وشمسها مما يوافق عملية الفوتوغرافية كثيراً .

بهذا كله كانت لوس أنجلوس مقرا للعمليات السنما توغرافية ومسكناً لمن يسمونهم بنجوم السنما .

***

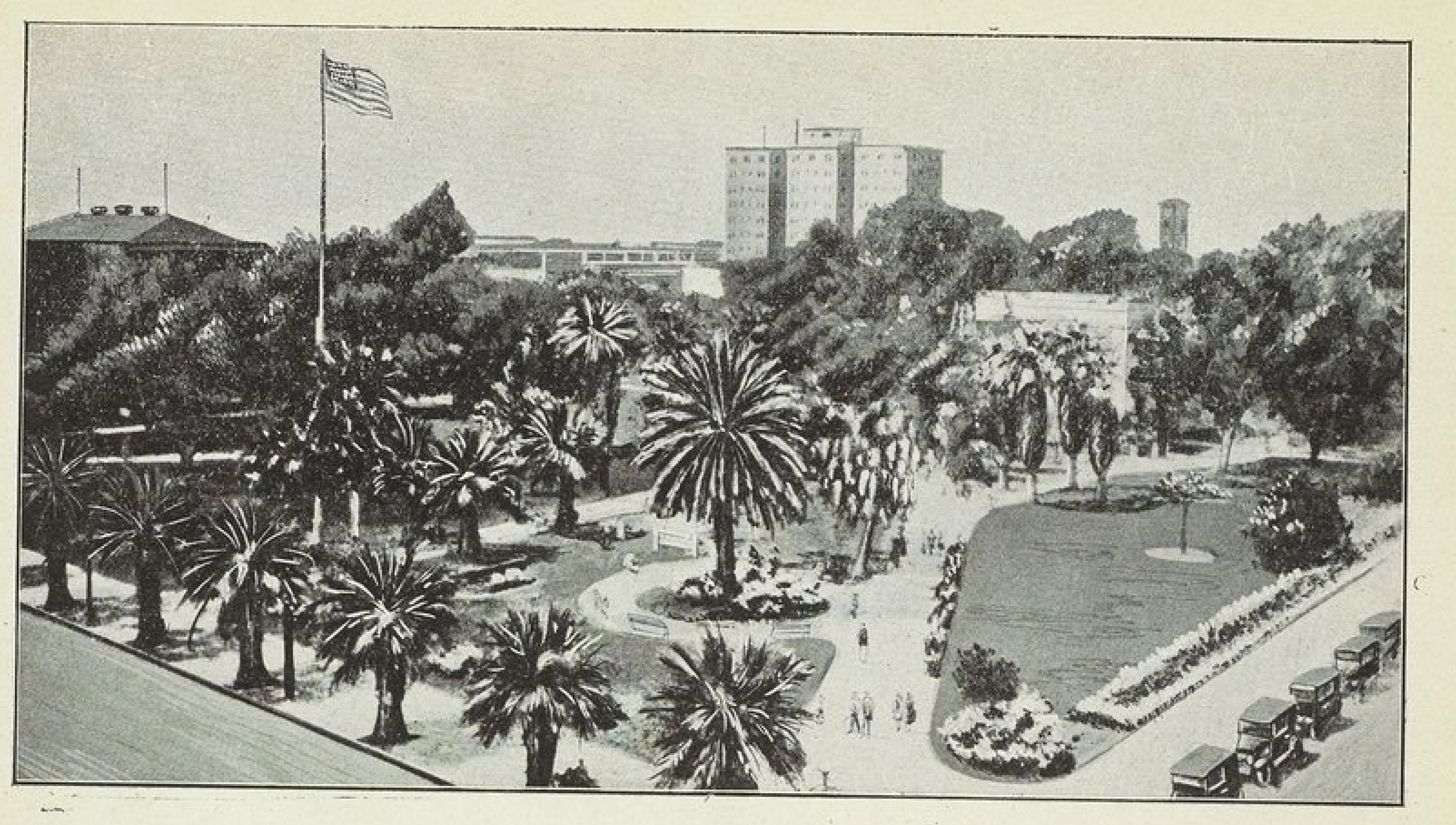
نعم قد ظهرت فى سماء أنجلوس شموس الجمال من كل اقليم ، فى العالمين الجديد والقديم ، وهم خلاصة الخليقة فى الحقيقة ، والذين جمعوا جمال الخلقة ، الى لطافة الروح ، الى رشاقة الجسم ، الى حلو الحديث ، الى خفة الحركات ، بحيث أصبحوا وفى وسطهم من الجنسين من كمل فى خلقه وخلقه حتى كأن الله تعالى أنشأه على مايهوى ، وأوجده على مارسم لنفسه من حسن ابداع ، وجمال اصطناع ! ! لذلك لم يجد لسان المدنية الراقية باوربا تسمية لهم إلا لفظ « نجوم السينما » ذلك اللفظ الذى يطلقونه على المشخصين والمشخصات اذا طلعوا فى سمائه وظهروا بين أرجائه : ذلك لانهم يفيضون على الناس من أنوارهم مايكون حياة للنفوس ، وغذاء للارواح فكم فيها من مشتر (نجم) يبتاع النفوس بكمال إحسانه ! ! ويستهوى العروس بسحر بيانه ! ! وكم فيهم من زهرة (نجم) تخجل من جمالها الاقمار !! وتعنو لمثالها وتمثيلها

الاخيار والابرار !!

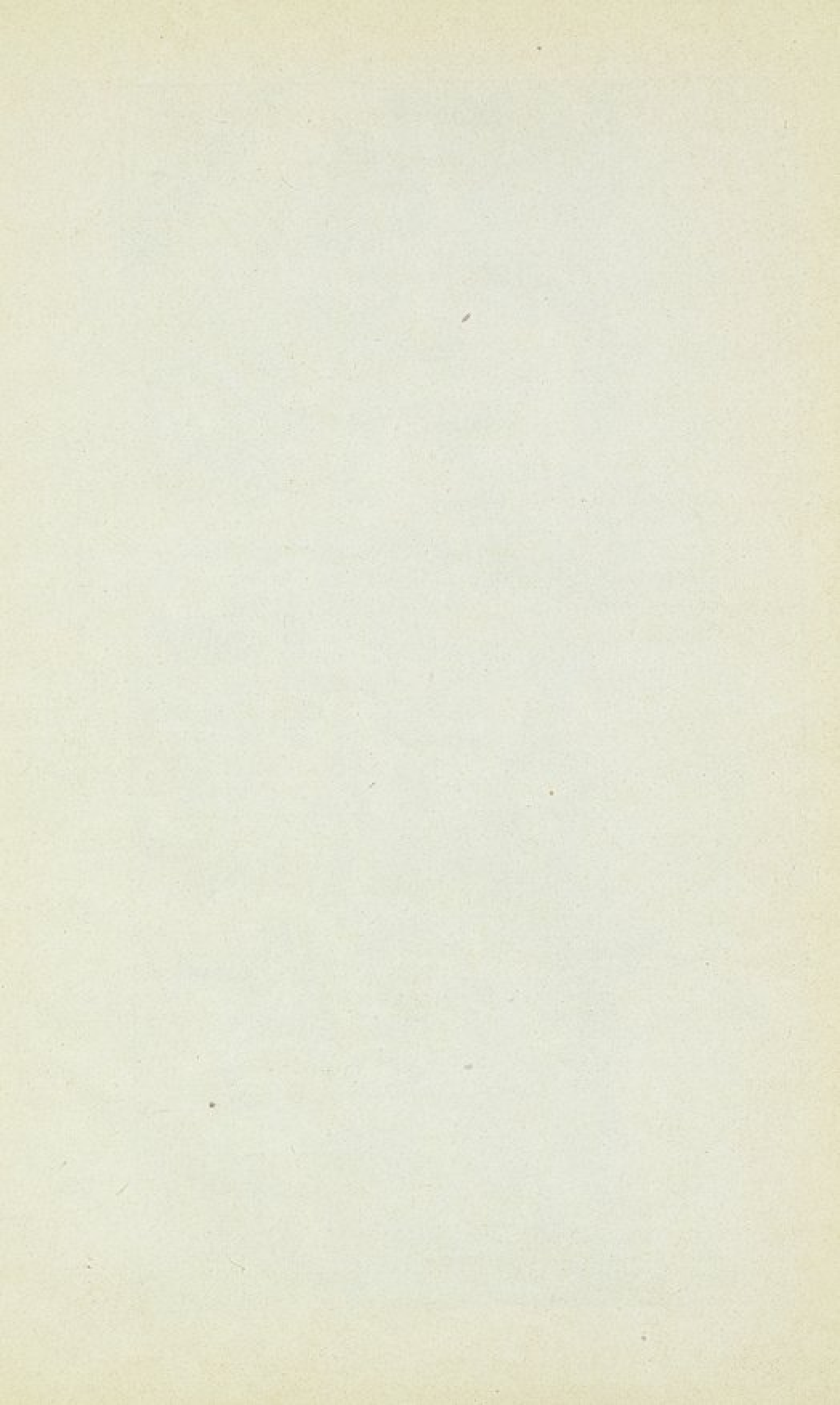
وبالجملة فهم أفراد جاد بهم الزمان على بنى الانسان ، فيهم محاسن الحور العين ومتاع الدنيا والدين ! ! فيهـم من كل بحر قطرة ، ومختصرات التاريخ والعبرة ! ! تدرس فى تشخيصهم من آداب الاجتماع ، مالم يخطه يراع ، وهل ترى فيهم الانادياً للاخلاق عليلها وسليمها ؟ ومسبارا لقرارة النفوس صحيحها وسقيمها ؟ ترى فيهم كل ذلك فى قصة شهية ، تتقبلها النفوس بحسب ماترى فيها من لذة للاشباح والارواح : لايهم الأولى منها الارواء المنظر ، وسـناء المظهر ، أما الثانيـة فحسبها نصيبها من الخبرة والعبرة .

***

ولو عرفت أن ليس فى الناس الآن كثير من أمثال « دلورس كوستللو » و« ديل ريو » و « لليان جيس » و« ونـكان سسترز » و« بروسكلادين » خفة روح ، وجمال خلق وكمال تـكوين ،ودقة عمل ، ومقدرة على تمثيل العواطف ، وترسيم ماتـكنه الحشاشات من دقيق الاحساسـات ، ولو عرفت أن هناك أشخاصا مثل « شارلى شابلن » و « جا كى كوجان » و « أميل جنج » وهم افذاذ فى مهنتهم ، وأفراد فى دائرة صناعتهم ، وكأنى بهم وقد تعلموا السحر من هاروت فاصبحوا فتنة للناس ، يتلاعبون منهم بكل عاطفة واحساس : إن شاءوا أبكوهم ! ! ثم إن أرادوا أضحكوهم ! ! حتى لـكأن قـلوب النظارة بين أيديهـم يلعبون بها كيف أحبوا ! ! وكأنى بك وأنت تشاهد شارلى شابلن على مسرحه ، ذلك التعس البائس فتعطفك عليه رحمة تـكاد ترتفع بيدك اليـه بدريهمات تسد من حاجته ! وماهو وأبيك إلا صاحب الملايين ، والذى فى قصره من الخدم والحشم من هم فى غبطة بخدمته . ولو عرفت أن ليس احد من الناس من يصل أجره فى عمله الى ٥٠٠ جنيه فى الاسبوع غير أمثال هؤلاء من ممثلى السينما ، لو عرفت هذا كله عرفت أن السينما قد أصبح الآن من أكبر العوامل على رقى المدنية ، إن لم يكن أكبرها .



منظر احدى الحدائق العمومية على المحيط الهادى ص — ١٧٢



ولقد وصلوا بالسينما الى وضع قواعد للعلم بما لا يمكن للنظريات شرحه وتبيينه : وما عسى أن تشرح نظرية حياة الاسماك فى قاع البحار ؟ أو الصناعات المختلفة فى مصانعها ! ! وهل يمكن لليراع أن يشرح أعاجيب التاريخ الطبيعى ؟ وأن يقرب الى خيالك تلكم المكروبات التى لا يمكن مشاهدتها الا بالمجهر ؟ كانى بالعلم من هذه الناحية كلام فى كلام ، اذا دخل من اذن الطالب قل أن لا يخرج بسرعة من الاذن الأخرى ، اللهم إلا اذا أمسك به الشخص بكلاليب جهاده واجتهاده . اما الصور السينماتوغرافية فهى عملية صرفة ، يراها الطالب قد ترتسم فى مخيلته بحالها وبدون أدنى مشقة ، ولا تزول صورتها منه بسهولة مهما كان غبيا ، وعلى هذا الحال كانى بالسنما اذا كان الآن مدرسة للأخلاق والعواطف وآداب الاجتماع — فسيكون غدا الجامعة الكبرى للتعليم بما لا تتصوره الاحلام ، ولا تقوى على تمثيله الاقلام ، واذا كان الآن فيه بعض تسلية الأفراد ، فسيكون له غداً كبير الشان فى تربية الجماعات ، واذا كان الممثلون الآن يتحركون فى ثبات ويتكلمون فى صمت ، فقد نسمع صوتهم على المسرح يوما ما ، لان اديسون أكبر علماء الطبيعة فى أمريكا بل فى العالم كله يعمل لذلك من زمن ، ويقال : إنه قد وصل فى عمله الى ما يتحقق به أمله . (١)

***

ولقد توجهنا الى الاستحمام فى البحر فى جهة تبعد ٣٢ كيلو مترا عن انجلوس وعندما اقتربنا من هناك فاذا بنا نرى غابة من الأشجار العالية على تل كان يقطع علينا طريقنا ، فلما دنونا منها وجدنا تلك الأشجار إنما هى تخاشيب من حديد هرمية عالية ، وعرفنا أن كل تخشيبة من تحتها بئر من البترول !! وطول هذه الغابة

---

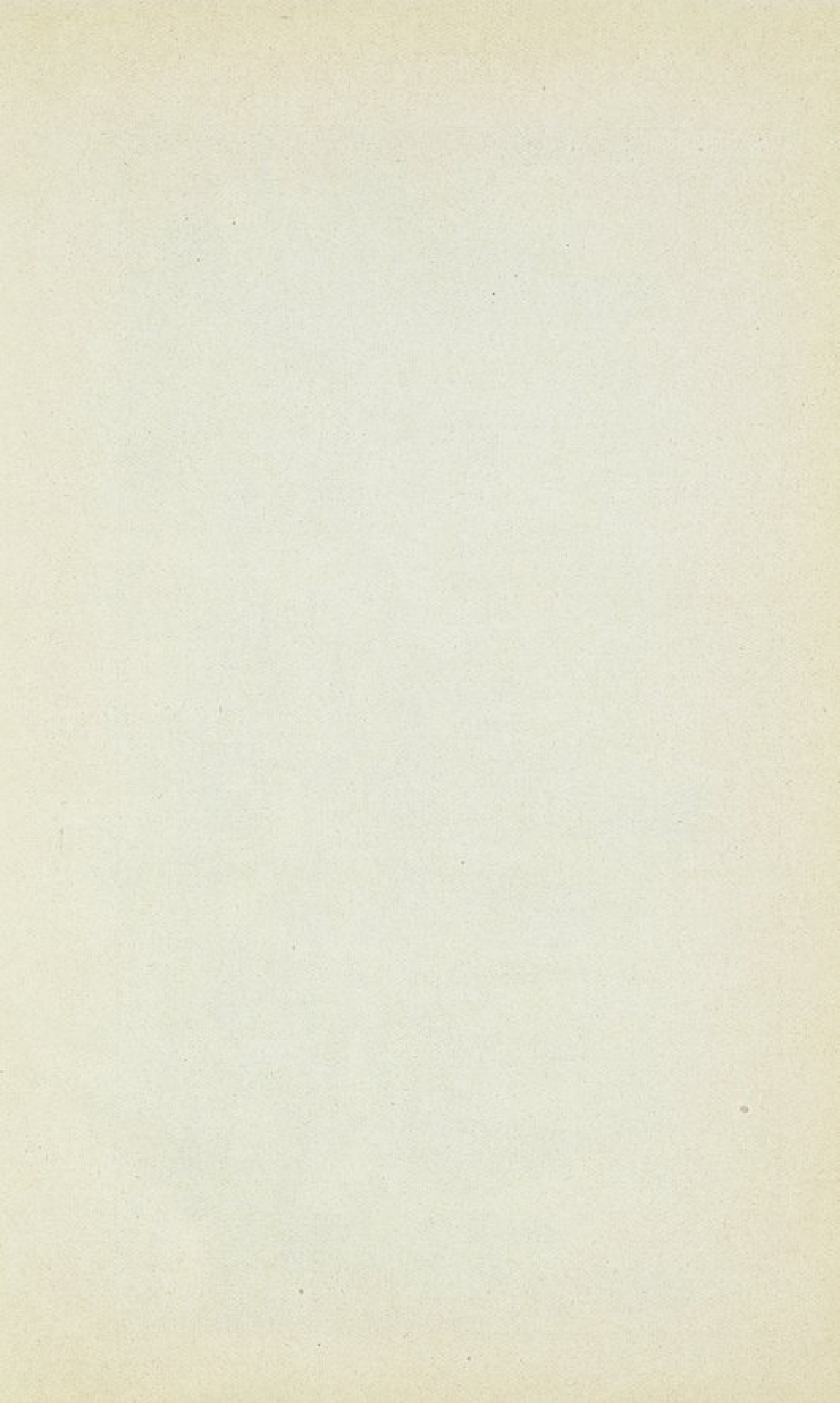
(١) وقد تحقق هذا الامل فعلا وأصبح التمثيل السينمائى ناطقا بعبارات المشخصين والمشخصات وبأغانيهم الجميلة بما يقرب من درجة الكمال التى سيصل اليها قريبا من غير شك

عشرون ميلا وقد اكتشف البترول فيها فى سنة ١٩٢٠ وهى لملاك كثيرين ، وقد ركبت على هذه التخاشيب طلمبات ماصة كابسة (لومبيدج) تدور بآلات رافعة بالغاز ، وبين الطلمبة والاخرى عشرة أمتار أو أقل ، وعدد هذه الآبار الآن ١٥٠٠ بئرا !! وقد صدروا منها فى السنة الماضية ٢٠ مليون برميل !! واذن اسألك الآن بعد أن عرفت مقدار ما استخرج فى سنة واحدة من آبار البترول التى بينك وبينها عشرات الآلاف من الكيلو مترات: أسألك عن مقدار البترول الذى يخرج من بلادك (مصر) فهل يمكنك ان تجيبنى ؟ اللهم انى اشترك معك فى الجواب وهو: كلا ثم كلا ! !

وصلنا الى الجهة التى بها الحمامات وهى من ضواحى انجلوس ، ويسمونها بشاطئ الباسيفيك ، وفيها ابنية جميلة .وعلى الاقيانوس مباشرة ترى فيها اللوكندات الفخمة ، ومن دونها رصيف طويل فى جانب منه متسع رملى (بلاج) تحيط به ابنية الحمامات ، دخلنا بناء منها ولبسنا لباس الحمام ونزلنا الى الماء فى وسط جمع من الرجال والنساء والاطفال ، وحرية القوم فى البحر لا يحيط بها شرح ، واذا كان الله تعالى يقول : (ليس على الاعمى حرج) فالمدنية الحديثة تقول « وليس على البصير حرج » اذا كان البصر يتحرك فى دائرته بكل ما يملك من حريته ، اما إذا اشتركت معه حاسة أخرى يظهر معها أثر قد تحرمه الآداب العامة ، فهنالك يكون الخطر كل الخطر . وليس العيب هنا عيبا لذاته كما تراه الشرائع على اختلاف أصولها ، ولكن العيب لا يكون عيبا إلا إذا ظهر أثره لعين القانون .

وماء الأقيانوس هنا بارد جداً ، وفيه شئ من رائحة البترول وقد يعلق بجسم الانسان شئ متجمد منه لا يزول إلا بمادة الجازولين التى تجدها لهذا الخصوص فى بناء الحمام تحت طلبك . وبعد الحمام ركبنا عرباتنا الى انجلوس ، ومنها الى القطار الذى قام بنا ليلا متجها الى الشمال حتى وصلنا الى مدينة (فريسنو).

بعض آبار البترول فى سجنل هيل ص — ١٧٤



يوم ٧ يوليو

وصلنا الى فريسنو فى الساعة التاسعة من صباح ٧ يوليو بعد أن قطعنا اليها مسافة ٢٧٨ ميلا ، وهى واقعة تقريبا فى منتصف المسافة بين لوس انجلوس ، وسان فرنسسكو ، وعدد أهلها ٤٦ الف نفس ، وتبعد عن الاقيانوس شرقا بأكثر من عشرة أميال . وقد رأينا سوقها النقالى فى ميدان بجوار حديقة جميلة ، يقيم التاجر فيه تحت خيمة صغيرة مثبتة على عصا مركوزة فى الارض كالتى عندنا فى مثل هذه الاسواق إن كان لايزال لها أثر ، ولم تقض عليها الشركة حتى تختص بكل شئ لذاتها !! وأرض هذه الجهة من أحسن الاراضى الصفراء التى تنمو فيها على الخصوص بساتين التين ، ولم أره هنا فى غيرها بهذه الكثرة ، وهو ينضج فى شهر أغسطس ، وماؤها كثير صيفا وشتاء ، وقد زرعوا القطن فى أراضيهم ولكنهم يقولون : إنه لا ينضج إلا إذا كانت الحرارة فى سبتمبر عالية .

وتكثر هنا مزارع الخوخ الجيد العظيم ، والمشمش الذى لا نظير له ، والعنب والزيتون ، وهم يرشون سوق اشجار الفاكهة الحلوة بماء الجير لاتقاء المرض . ومع كثرة المياه هنا تجد سواقى الهواء الحديدية بكثرة حول المساكن لرفع الماء من بعد ٢٠٠ قدم للشرب .

وقد أمضينا هذا النهار فى امتحان تربة الارض فى اماكن كثيرة ، وهى تربة من أحسن ما رأينا فى كل اراضى الولايات المتحدة . وفى المساء عدنا الى قطارنا فقام بنا الى مدينة (أوكلاند) .

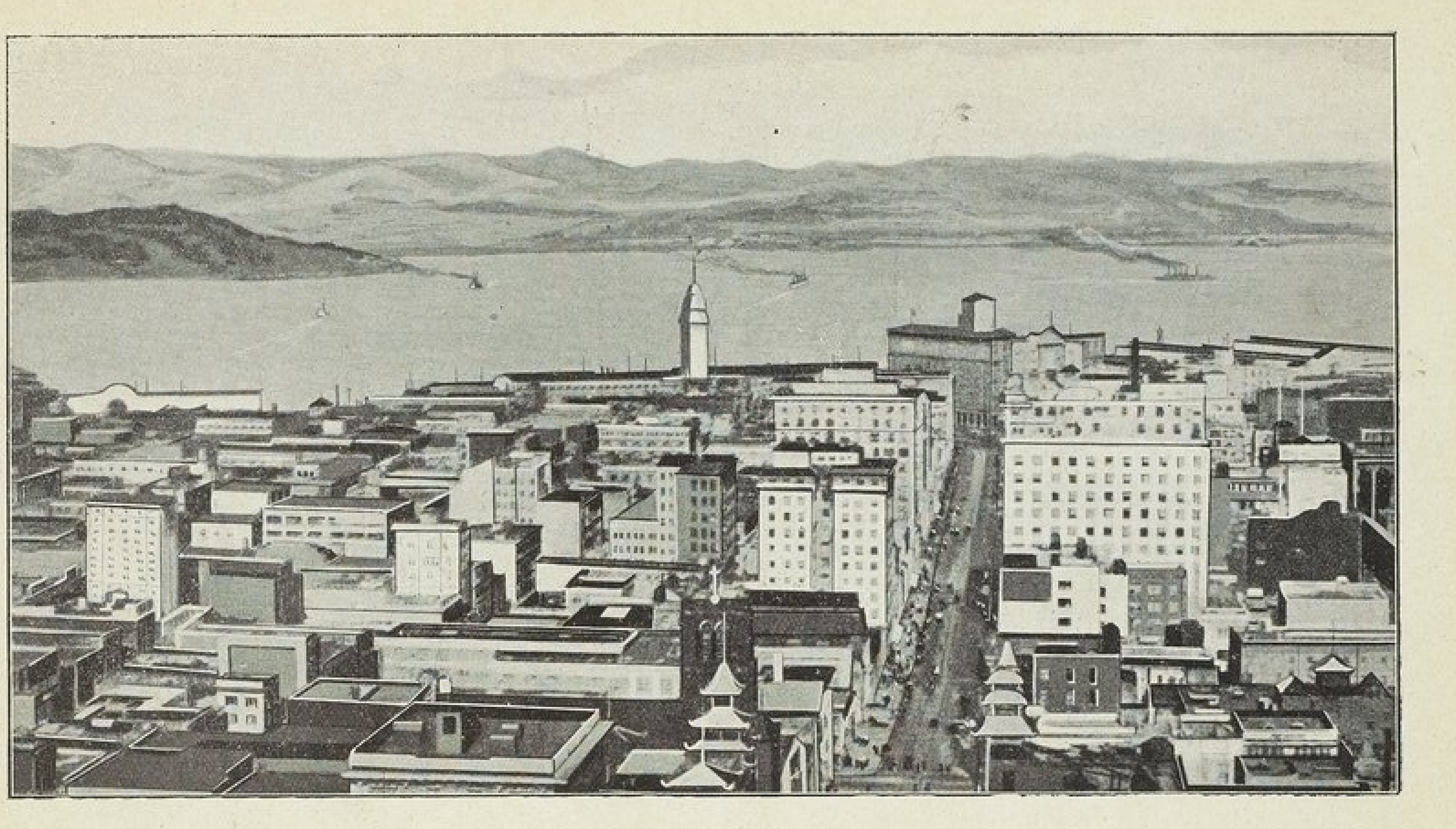
يوم ٨ يوليو

وصلنا فى صباح هذا اليوم الى مدينة اوكلاند بعد أن قطعنا اليها مسافة ٢٠٢ ميلا ، وهى مدينة كبيرة عدد سكانها ٢١٧ الف نفس ، وواقعة على خليج

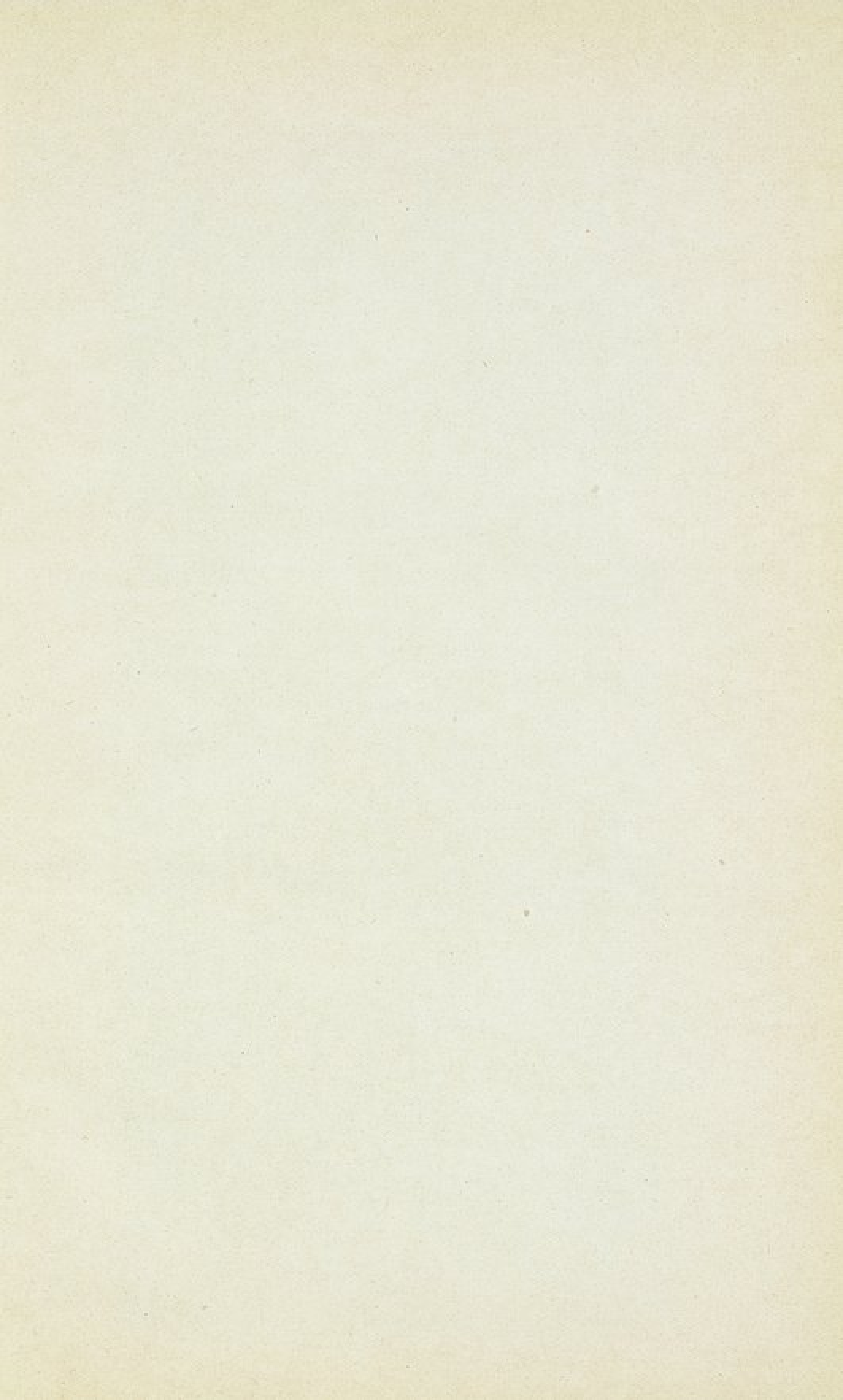
سان فرنسيسكو ، وهذا الخليج يمتد من الشمال الى الجنوب على شكل بحيرة لها فتحة على الاقيانوس من غربها وفى وسطها ، وعلى طرف الفتحة من جنوبها مدينة سان فرنسكو وتجاهها على حافة الخليج الشرقية مدينة أوكلاند ، وفى شمال هذه مدينة (بروكلى) .

سان فرنسسكو

كانت هذه المدينة الى منتصف القرن الماضى صغيرة جدا ، وعدد سكانها ٨٠٠ نفس ، فلما اكتشفت معادن الذهب قريبا منها فى سنة ١٨٤٨ أخذ الناس يثبون الى هذه الجهة، وآوى الى هذه المدينة كثير منهم ، وكانوا يقيمون لهم مساكن من الخشب فلما امتلأت جيوبهم أخذوا يشيدون بها القصور والعمارات ، ويمهدون بها الطرقات ، حتى اذا ضاق بهم رحبها ردموا منطقة كبيرة من الخليج مما كان يكتنفه من التلول ، وبنوا فيها كثيرا من المحال التجارية التى اتصلت مع الشرق الاقصى بعوامل التجارة المختلفة ، خصوصا مع الصين ، واليابان ، وشرق سيبيريا ، والفليين ، وجاوه ، واستراليا ، بما ترى معه المدينة بعد سبعين سنة من عمرها وقد أصبحت من أكبر مدن الولايات المتحدة ، ولولا ماصادفها من ذلك الزلزال الشديد فى سنة ١٩٠٦ . ذلك الزلزال الذى هدم أغلب مبانيها وأتى بعاليها سافلها ، لكنت تراها الآن أكبر وأضخم مما هى عليه . وبالجملة فهى أكبر ثغر تجارى فى غرب ولايات الاتحاد ، وتجارتها على الخصوص فى الحرير والارز والسكر والبن ، وتصدر كثيرا من الحبوب والفاكهة والآلات الزراعية ، وعدد أهلها يبلغ ٧٠٠ الف نفس ، وهم خليط من فرنساويين والمان وصينيين ويابان ، وعلى هذا الجنس الاصفر الاول مدار الحركة فى الخدمة العامة ، وعلى الثانى الحركة فى الزراعة على الخصوص وكان اليابانيون يملكون فى سنة ١٩١٩ (٥٨٠٠٠) فدان من أراضى كاليفورنيا التى يبلغ مجموعها ٣٨٩٣٠٠٠ فدانا ، أعنى أنهم كانوا يملكون ثمن أراضيها تقريبا



مدينة سان فرنسسكو ص — ١٧٦



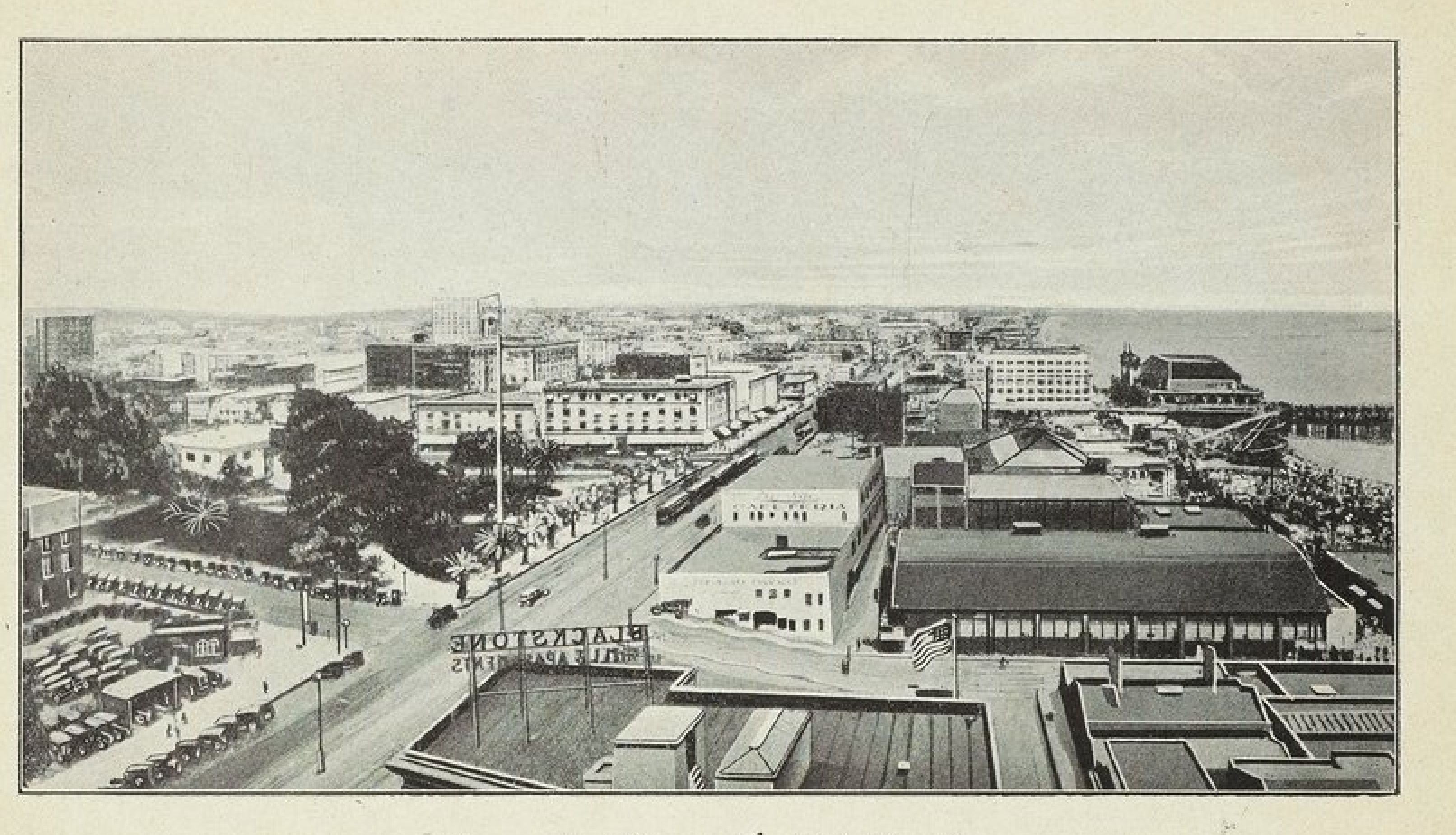
وكانوا يشتغلون فى الزراعة بنشاط كبير حتى أصبحت مواردهم منها واسعة ، وصادراتهم لبلادهم كبيرة جدا مما حرك سخيمة الامريكان على الجنس الاصفر فى عمومه . على أن الصينى بوداعته ومرونته أمكنه أن ينال عطف الرجل الامريكى بعد أن وقف هجومه الاقتصادى على هذه البلاد ، وها هو الآن يتمتع بتجارته التى ترى لها شارعا مخصوصا فى سان فرنسسكو من غير ماحنق من مواطنه الامريكى ، ذلك لأن خوف الأمريكان اتجه الى اليابانيين الذين كان عددهم بالولايات المتحدة كلها فى سنة ١٩٠٠ لا يزيد على ٢٤ ألف نفس ، فاصبح فى سنة ١٩٢٠ (١١١) ألف نفس ، منهم ٧٢ ألف فى كاليفورنيا وحدها !! وكان الرجل منهم يبدأ عمله صغيرا فلا يتم أن يصير كبيرا ، حتى أصبح منهم أرباب المصانع والتجارات والاراضى الواسعة ، لانهم لم يجدوا أمامهم فى أول أمرهم قانونا يقفهم عن الحد الذى وقف عنده الصينيون : ذلك أن اليابانى كان يعيش فى ظل دولته التى ظهرت بقوتها الحربية بانتصارها على الروس فى سنة ١٩٠٥ ، اضف الى ذلك جهاده فى طريق الحياة جهادا يفوق جهاد الامريكى بكثير . فاليابانى يعمل فى مزرعته ١٦ ساعة فى حين أن الامريكى لا يعمل الا بمقتضى قانون العمل (٨ ساعات) . واليابانى تعمل زوجته كل الاعمال المنزلية ثم تساعد زوجها فى مزرعته ! ! والمرأة البيضاء لا تعمل الا بارادتها . واليابانى مقتصد بطبيعته ـ بل أكثر من مقتصد ـ يرضيه القليل ، ويشبعه التافه من الغذاء واللباس ، أما الامريكى فيعيش فى سعة بنظام لا يمكنه أن يتخلى عنه . ولو استمر الحال على هذا المنوال أصبح الجنس الاصفر وفى يده مرافق البلاد المالية كلها ! ! نظر الابيض الى هذا الخطر فنسى كل عاطفة الا عاطفة الاستبداد بهذا الاجنبى الفظيع ، فاستصدر قانونا فى سنة ١٩١٣ ثم فى سنة ١٩٢٠ يحرم على اليابانيين امتلاك الاراضى ، ثم أعلن قانونا بتحريم الزواج بالجنس الاصفر لعدم الكفاءة بينه وبين الجنس الابيض ، وبعدم قبول تغيير جنسيتهم الى الجنسية الامريكية . وفى سنة ١٩١٧ أمرت حكومة الاتحاد ممثليها فى اليابان بعدم اعطاء

جوازات سفر الى اليابانيين ، وفى سنة ١٩٢٠ استصدرت قانونا يبيح لها طرد كل اسيوى من بلادها لسبب أو لغير سبب !! ولا يدرى الا الله ماهى فاعلة فى غدها ؟.

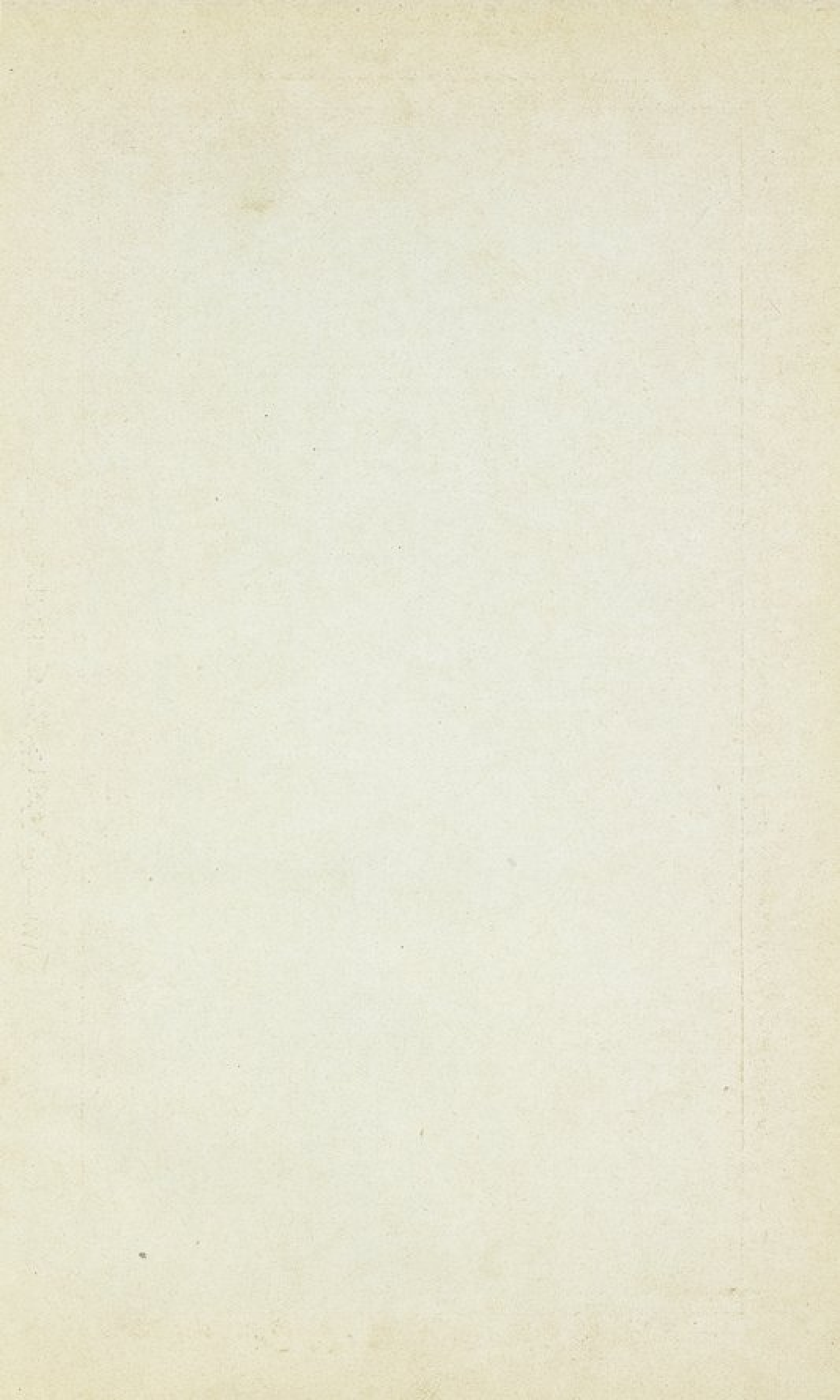
***

وفى سان فرنسسكو قسم للصينيين يسمونه المدينة الصينية ، فمهدت لنا الغرفة التجارية زيارته مساء ، وهو الوقت الذى يزورونه فيه عادة ، وهو الوقت الذى تتجلى فيه الطبيعة على سان فرنسسكو فى عمومها . خصوصاً إذا كان الجو صحواً ، فركبنا من أوكلاند المعدية البخارية وهناك رأينا الخليج غاصا بالفلك التى تغدو وتروح بين المدينتين ، ولما اقتربنا من سان فرنسسكو ظهرت لنا بعض المبانى العالية بما ذكرنا بعض الشئ بمنظر نيويورك من جهة البحر .

نزلنا الى مرفأ المدينة ، ذلك المرفأ العظيم الواسع ، وركبنا الاوتوباثات الكبيرة التى أعدت لنا لعمل دورة فى المدينة ، وكانت الساعة ٨ مساء ، وكانت مصابيح الاعلانات المختلفة الأشكال والألوان تظهر المدينة أمامنا كأنها فى زينة هى حلتها الليلية العادية . سرنا فى شارع « مارك » وأظنه أكبر شارع فى المدينة ، فكانت المبانى من جهتنا على أحسن ما تكون نظاما ورواء ، وهى فى جملتها لاتريد أن تصعد الى السماء كحالها فى نيويورك ، ولكنها فى طبقاتها المعتدلة خمس أو ست طبقات على الاكثر قد لبست بديع النظام ، وجمال الهندام . وفى أرضية هذا الشارع سكك حديدية للترامواى بجوار بعضها البعض ، وتقطعه جملة شوارع لا تقل عنه جمالا ، وأنوار الاعلانات فى جميعها على ما يأخذ بالابصار ، ومع ما وصفته لك من جملة هذه الانوار فالحركة فى الشوارع معتدلة ، حركة عظيمة ولكنها هادئة مطمئنة كالمدينة التى تعيش فى أكنافها ، حركة تميل أن تكون شرقية ! ! وهل قامت سان فرنسسكو الا على أيدى مهاجرى الشرق الاقصى ؟ ؟ هل ارتفعت مبانيها وتخططت شوارعها وزرعت مجاهلها ودارت معاملها الا على أيدى اليابانيين والصينيين والفيلبيين ؟ ؟



منظر مدينة سان فرنسسكو من جهتها الشرقية ص — ١٧٨



تركنا المدينة التجارية ووصلنا الى حى المساكن — حى هادئ تقل فيه الحركة ، وتنعدم فيه الانوار لولا مانراه من مصابيح الاتوموبيلات التى تغدو وتروح فى طول الطريق ، أبنية صغيرة جميلة من ذات الطبقتين ممايسمونه بالفلات ، والمدينة مبنية على منحدرات جملة جبال ، فترى المبانى على هذه المنحدرات الى الوادى هنا وهناك فى منتهى الجمال ـ وخصوصاً بالليل . وهذه الجبال يتصل بعضها ببعض على شبه نصف دائرة أقواسها متعرجة . صعدنا على الجبل من طريق حلزونى فى وسط المدينة ! ! فكنا حيثما درنا نجد المدينة من تحتنا فى زينتها البديعة بما تخيلنا معه ان السماء انقلبت من تحتنا بما فيها من نجوم زواهر وكواكب بواهر ! ! وقد ظهر فيها شارع برودوى بانواره الجمة كانه المجرة تشق كبد السماء باضوائها المتألقة ! !

مازلنا سائرين من منبسط الى منخفض ، ومن قمة الى قمة ، حتى وصلنا الى مايسمونه المدينة الصينية ! ! وهى حى فى الشمال الشرقى من سان فرنسسكو ، طرقناه ليلا وهو هادئ فى نومه وان لم يكن هادئا فى ضميره . رأينا هذه المساكن على نظامها الصينى فى شكلها الخارجى ، مساكن كل منها على حدته ، ومدخلها من أحد جانبيها يصعد اليه بسلالم من الخارج درجاتها فى اعوجاج بين ضيق وانفراج ! !

تركنا هذه الجهة الى جهة أخرى مساكنها أكبر وأظهر ، ونظامها خليط من الشرقى والغربى — نظام ترى فيه صورة من البناء اليابانى والصينى والاوروبى (الا فى المبانى الكبيرة نهى على النظام الجديد الامريكى). وكأن الاذواق اختلط بعضها ببعض فتكون منها هنا ذوق واحد سرى فى نظام البناء العام . وبعد أن انتهينا من هذه الزيارة البديعة عدنا الى أوكلاند حيث قضينا ليلنا فى قطارنا الذى كان ينتظرنا فى محطتها .

وفى سان فرنسسكو كثير من المدارس والمتاحف والميادين والمكتبات وكله عادى فى بابه ، وقد أعجبنى فيها (نادى الاطفال) وهو ناد قام بتنظيمه أحد رجال هذه المدينة العاملين وهو مستر بكسوتو ، ترك عمله واشتغل بنظام جديد لتربية

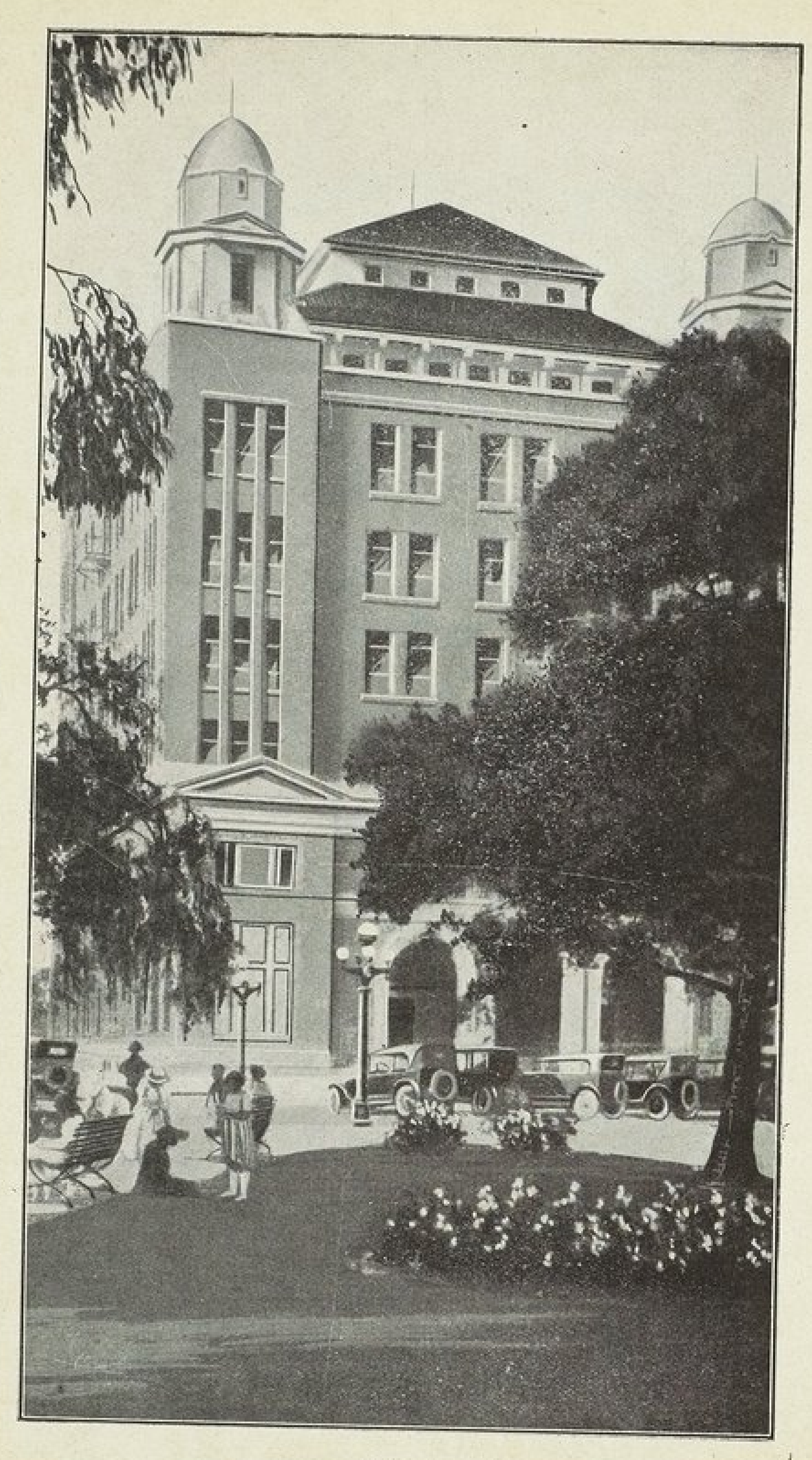
النشء على قواعد متينة : فأقام ناديا للاطفال ، ودعا الى الاشتراك فيه بواسطة الاعلان فى الجرائد على أن سن المشتركين من ١٢ الى ١٦ سنة ! ! وكان يدور على آباء الاولاد ويفهمهم الفائدة التى تعود من هذا العمل الجليل ، فامتلأ المكان بالمشتركين ففتح مكانا ثانيا ، ثم ثالثاً ، ورابعاً . وفى النادى جملة قاعات : واحدة للالعاب من دومينو الى شطرنج الى ورق كوتشينا الى بلياردو صغير ، وأخرى للمحاضرات يحاضرهم الرجل فيها بما يزيد فى معلوماتهم العملية ، لا على نظام الدروس ولكن على نظام الحكايات التى تشوق الصبية ويتوجهون بكليتهم لسماع قصصها ، لا كما هو عندنا بالبيوت من حكايات الشاطر محمد ، وست الحسن والجمال ، وأبونا الغول وأمنا الغولة ، التى كلها سخافات يفسد معها فكر النشء من حيث لايشعرون ولا يشعر بهم أحد ! !

وقد يحاضر الاولاد أنفسهم فى مواضيع يجهزونها بارشاد رئيس النادى مستر بكسوتو. وللنادى مجلة يكتب فيها الاطفال كلما ورد بخاطرهم من فكاهات أو مواضيع علمية على حسب مقدورهم ، وقد ترقت هذه الصحيفة بحيث أصبحت يقرؤها كثير من الناس للتفكه بعباراتها الشيقة .

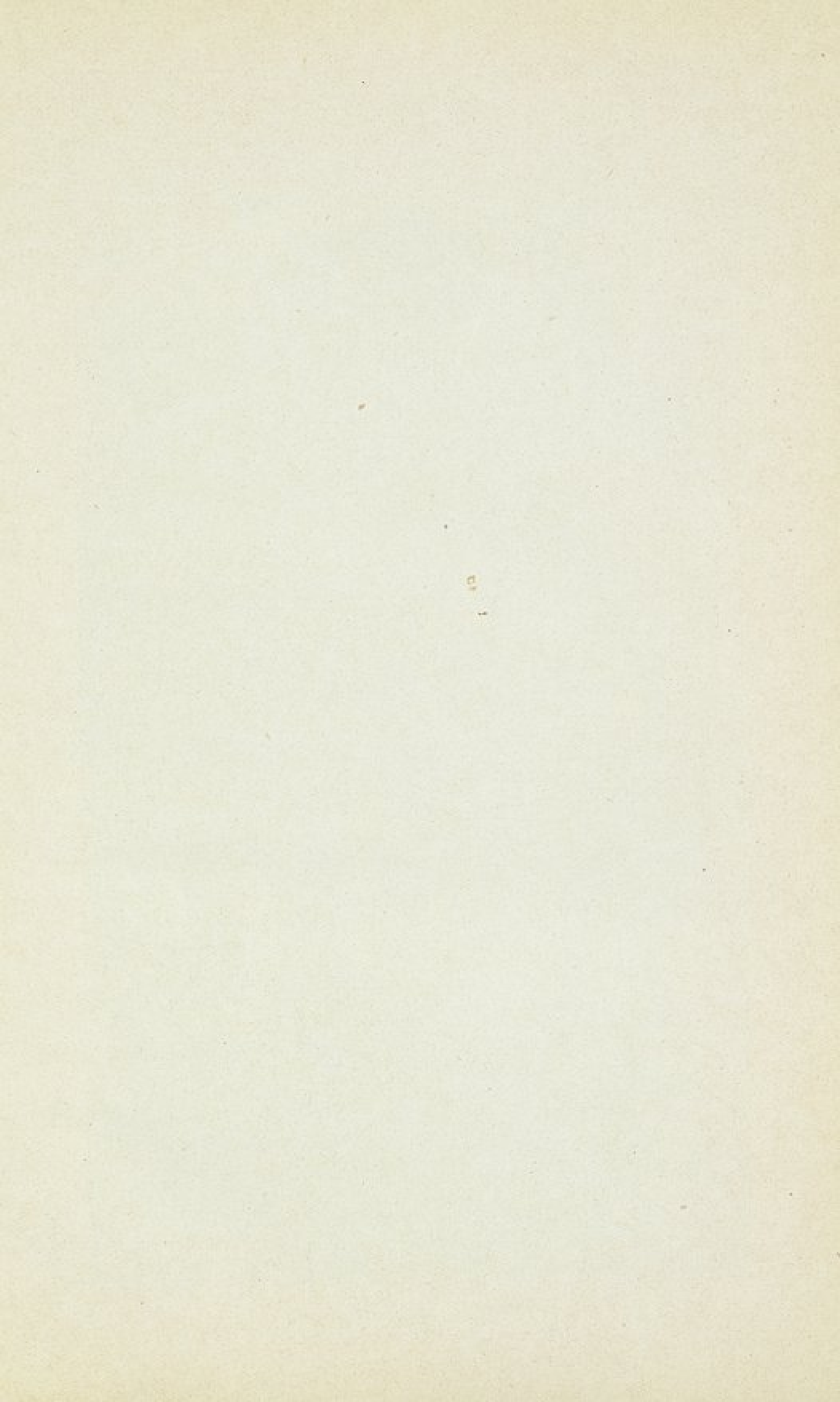
وفى حوش النادى العمومى ميدان للالعاب الرياضية يأتى اليه مشتركو النوادى الاخرى كلٌ فى وقت خاص به .

وللمشتركين فى هذه الاندية رحلات خلوية فى كل صيف مع هذا المربى الكبير فيأخذون ما يلزمهم من الخيم والغذاء الى الصحراء ، ويعيشون فيها اسابيع فى زيارة الغابات والمزارع مما يزيد فى معارفهم وينفعهم فى صحتهم ، وقد أصبحوا به رجالا فى ثوب طفولتهم ، والفضل فى ذلك كله لهذا الرجل العظيم ! !

....



بعض المباني بمدن الاتحاد ص — ١٨٠



مدهشات الطبيعة

وعلى بعد أربعين كيلو متراً من سان فرنسسكو واد اسمه (اتوزوميث) ينتهى الى جبال سيرانوفادا ، فيـه غابة كبيرة جداً ، فيها نحو ٣٠٠ شجرة عتيقة ، وفيها شجرة اسمها (سيكوايا جيجانتيا) يعنى السيكوايا الهائلة ! ! ومحيط هذه الشجرة ٢٩ متراً وقطرها تسعة أمتار وأربعون سنتيا !! وارتفاعها ٨٢ مترا ! ! وأكبر فرع فيها قطره متران !! ويبعد عن الارض بستين مترا !! ويقولون إن عمرها ٤٠٠٠ سنة !! وقريبا منها شجرة اسمها النفق : ذلك أن القوم ثقبوا فى ساقها نفقا ارتفاعه ٣ أمتار وعرضه ٣ أمتار ، وتمر من وسطه العربات الكبرى بكل سهولة ، ومع هذا فانه لم يؤثر على حيوية الشجرة التى فقدت بهذا النفق كثيرا من كتلتها الغذائية ! ! واذا كان الاقدمون حصروا عجائب الدنيا فى سبعة أشياء ، فلابد أن نضيف عليها بمثل هـذه الشجرة عجيبة ثامنة . ويقال إنه كانت فى هـذه المنطقة أشجار كثيرة من هذا النوع ، فسقطت عليها عاصفة أحرقتها ولم تبق منها الا هذه الشجرة ، وبها تذكرت تلك الشجرة التى بمطرية القاهرة « شجرة الجميز » والتى يزعمون انها أظلت السيدة العذراء وولدها عند ما حضرت الى مصر ؟ ؟

***

وحيث انا نوهنا فى الكلام على سان فرنسسكو عن معادن الذهب فى كاليفورنيا ، فيجمل أن أذكر لك شيئا عنها :

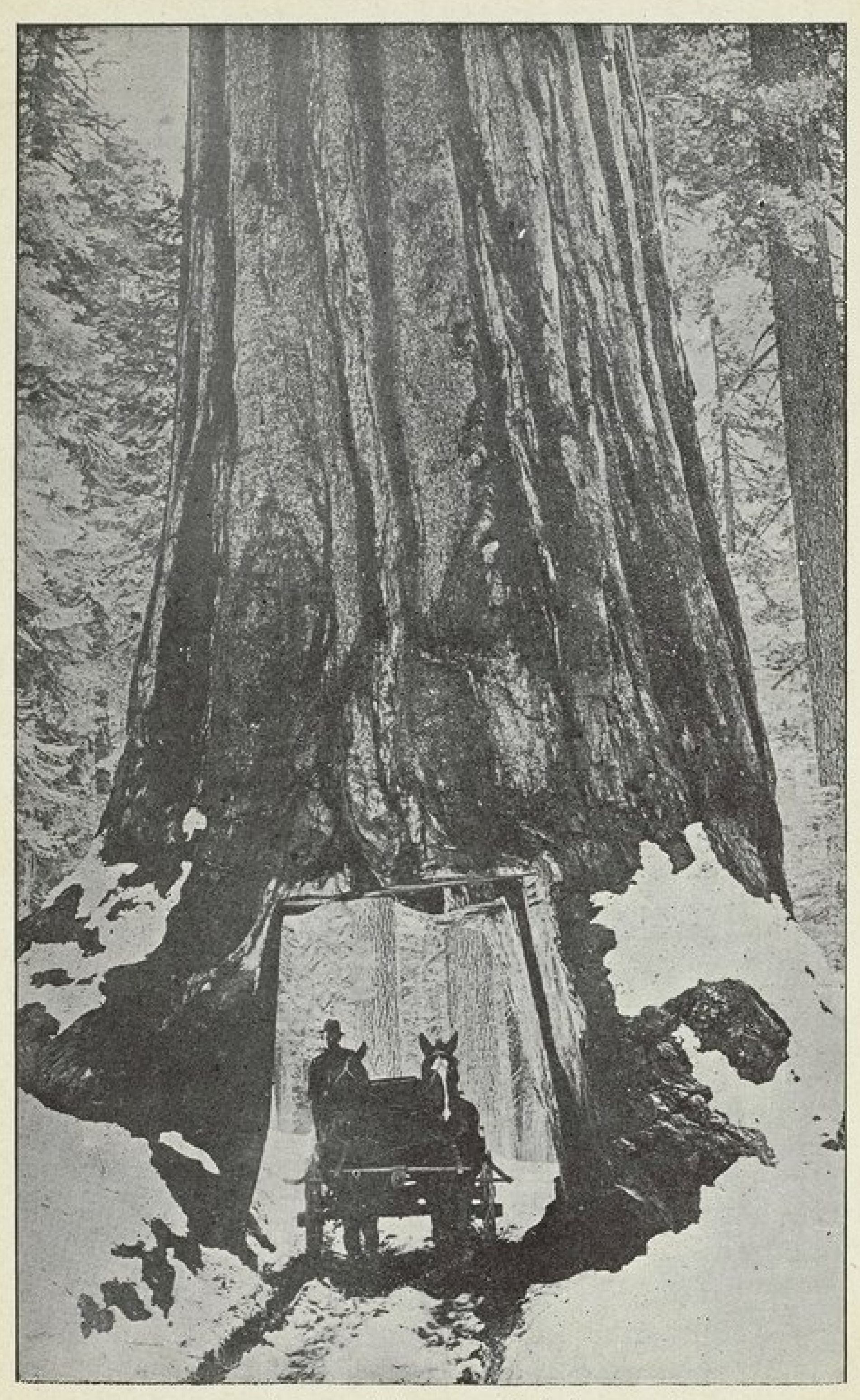
كاليفورنيا والذهب

كان عـدد ولاية كاليفورنيا فى سنة ١٨٤٨م ١٣ الف نفس ، حتى ساعد الحظ رجلا من المورمون اسمه مارشال وصل الى هنا هربا من الضغط والفظائع التى كانت تنصب عليهم من البلاد المجاورة لمدينة البحيرات المالحة التى وضعوا رحالهم

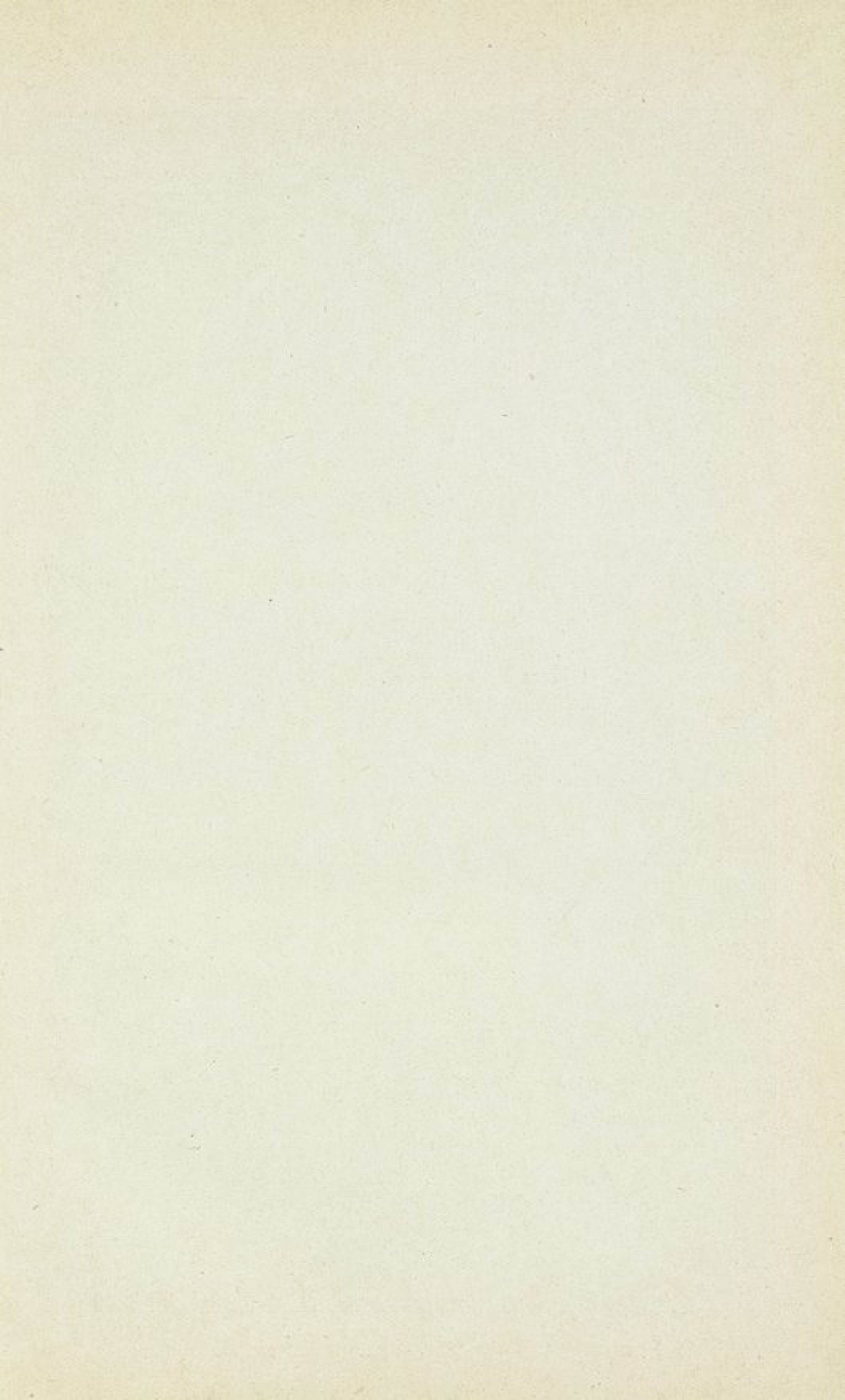
بها . اكتشف هذا الرجل بطريق الصدفة فى مجرى ماء جاف شيئا يلمع ، فوجده تبر الذهب . ولما ذاع أمر هذا الاستكشاف العظيم ، هب الناس مرة واحدة من كل جهة يحفرون على طول النهر الى قرية كولورنا ، وحتى الجنود تركت ثكناتها ، وحتى البحارة تركوا مراكبهم وأتوا ببلطهم وسيوفهم يحفرون بها مع الحافرين ، حتى بلغ عدد أهالى كاليفورنيا فى سنة ٤٩ مائة الف أو يزيدون. وفى سنة ١٨٥٠ كان الخبر وصل الى أوربا فاخذ الناس يهاجرون منها بالآلاف الى كاليفورنيا ، وأخذ الصينيون واليابانيون يهجرون بلادهم الى ساحل أمريكا الغربى للبحث عن هذا النضار الذى عم أمره جميع الاقطار . فكانت كاليفورنيا بابل جديدة اختلفت فيها الالسن ، وتغايرت الناس الى شعوب كثيرة : فمن أمريكان ، ومن فرنساويين ، ومن ألمان ومن انكليز ، ومن هنود، ومن يابانيين ، ومن صينيين ، ومن عبيد . والكل قد أخذهم دوار البحث عن الذهب بحيث أصبح مرضا فسدت معه الاخلاق ، ولؤمت النفوس بعوامل الحسد لكل من كان فى جانبه شئ من الحظ ، بما اصبح معه الامن العام فى اضطراب شديد لكثرة اللصوص وقطاع الطريق الذين كانوا يهاجمون كل من آنسوا عنده شيئا من هذا المعدن الثمين !! وكانت حكومة الولايات ترسل الجند لحفظ النظام والضرب على يد المفسدين ، فكانوا هم ضغثا على إبالة لبحثهم هم أيضا عن ما يملأ منهم الجيوب بمادة الحياة والسعادة ، بل بمادة المجد والشرف (فى نظر الكثير من الناس) .

ولما كثر التبر فى أيدى الناس مع قلة النقود ، علت اسعار الحاجيات حتى بلغت أثمانها جملة أضعاف ثمنها فى أمريكا نفسها ، فكانت البيضة بريال ، والبصلة بريال ، وقدح العدس بعشرة ريالات ، ورغيف العيش بخمسة ريالات ، والزجاجة الفاضية بخمسة ريالات (لانهم كانوا يضعون فيها الذهب) !!

وقد طمع كل انسان فيما فى يد الآخر ففشا فيهم لعب الميسر . فكانوا يجتمعون جماعات جماعات ، ويلعبون بزجاجات الذهب ، فمنهم من أفلس ومنهم من أثرى



شجرة سكوايا جنجانيتا والنفق الذى بساقها لمرور العربات ص — ١٨٢



وانتهى الحال بان تألفت شركات لمشترى هذه الاراضى بعد أن انعدم ما على سطحها من هـذا المعدن الثمين ، ومن ثم أخذ البحث عن هذه المادة مجراه الطبيعى الذى يرتكز على القانون فى دائرته ، وعلى العلم فى استخراجه ، وأصبح فى يد بعض الشركات .

وبالجملة فقد انتهى هذا المنام الذهبى باتصاله بمنام آخر ، هو توجه عناية الذين أثروا من الذهب الى مشترى الاراضى الواسعة فى كاليفورنيا ، وبعد ان مهدوها ، أخذوا يزرعونها ويغرسون بها الملايين من الاشجار المثمرة ، حتى أصبحت بهم جنة أشجارها عالية ، قطوفها دانية . وبذلك انتهى الحلم الثانى ، واستيقظ الناس وهم يقرؤن فى صفحة أفق هـذه البلاد أن الحياة فيها للعاملين المجدين ومدارها على الزراعة والتجارة اللتين هما المطية الوحيد الموصلة للثروة فى هذا الزمان .

جامعة بروكلى

فى هذه المدينة جامعتان : واحـدة تبرعت لبنايتها سيدة أمريكية تسمى مسز هارست بمبلغ ١٠٠ الف دولار !! والثانية أقامتها سيدة ثانية اسمها مسز اشبانفورد بأن وهبتها مبلغ ثلاثين مليون دولار !! والارض التى تخص هذه الجامعة هى ٣٫٣٦٠ فدانا ! وقد أقامتها هذه السيدة تذكاراً لولدها الذى مات وهو على أبواب دراسته

زرنا هذه الجامعة الاخيرة القائمة فى متسـع من الارض بنيت فيه جملة مبان بعضها للجامعة الزراعية ، وبعضها للطب ، وبعضها لغـير ذلك من العلوم المختلفة . والذى عنينا به هو الجامعة الزراعيـة ، فوجدناها تعنى بتربية النباتات ودراستها فى صوبات كثيرة حارة وباردة .

تزرع النباتات عادة فى الرمل الصافى فى اصص من الفخار ـ ولـكنها هنا من البلور ـ ويوصلون الى جذورها بعض المواد المغذية الذائبة فى الماء بواسطة أنابيب زجاجية مغروسة فى احدى حوافى الأناء ، وهذه المواد يختلف بعضها عن بعض فى النوع

والكمية ، وبهذه التجربة يمكنهم أن يصلوا الى أحسن مغذ للنبات . وبجوار كل آنية ترمومتر ليتعرفوا به درجة الحرارة التى ينمو فيها أحسن من غيرها . هذه هى الطريقة العملية التى يعمل القوم بها هنا للعثور على أحسن ماينهض بنباتاتهم ، ولاشك أنهم واصلون بها الى الكمال الزراعى الذى ينشدونه . أقول الكمال الزراعى ولا أقول مافى ورائه ! لان العلم هنا أصبح من المدهشات ، بحيث مانراه منه اليوم كما لا نراه غداً مبدأ لكمال آخر ، ولا يبعد أن يكون هذا مبدأ لغيره ، وهكذا مما لايخفى عليك من مدهشات العلم الذى لم يقف عندهم عند حد ! !

***

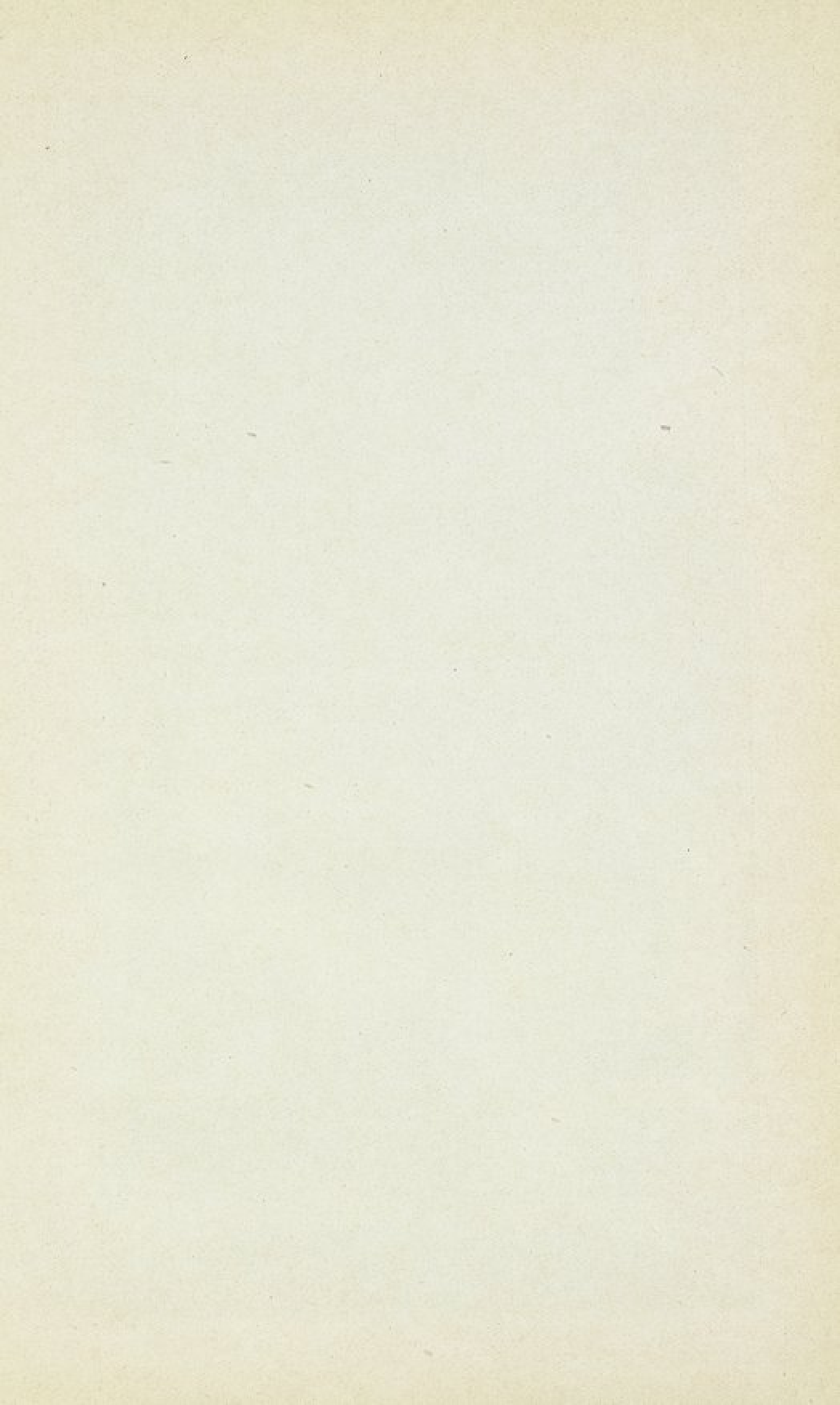
قبل ستة وثلاثين قرناً علمنا الله درسا فى زراعة القمح بمصر ، اذ أوحى الى نبيه يوسف بان يحتاط من القحط الذى سينزل بالبلاد — فأكثر من زراعة القمح الذى أبقاه فى سنبله ، وكان يأخذ منه مدة السنين السبع العجاف مايدفع به غائلة القحط وكفى الناس شر بلائه ، وكانت هذه السياسة الالهية الاقتصادية فاتحة لما رأيناه فى سنى الحرب الأخيرة من ايجاد مصلحة للتموين ، كان عملها محصوراً فى تخزين الاقوات وتوزيعها على الناس كافة بحسب احتياج كل منهم . وضرب الله لنا مثلا بسنبلة فيها مائة حبة ، ولم يضربه لنا عبثاً ، ولا شك اننا نستنتج منه درسا زراعيا جليلا نصل منه بجهادنا الى مثل هذه السنبلة القيمة التى لم يصل الاهتمام الزراعى فى أيامنا الى أكثر من نصفها ، فهل يأتى يوم نصل منه الى ما أشار اليه الخالق فى مثله؟

***

وبعد زيارة أقسام الجامعة المتعددة ومكتبتها التى رأينا فيها سربا من الآنسات مشغولات بالقراءة والبحث ، ركبنا مركباتنا التى أعدتها لنا الغرفة التجارية ، وسرنا فى أهم شوارع المدينة مخترقها من شرقيها الى غربيها ، فما أنظف شوارعها ، وما أحلى منازلها ، وما أجمل مناظرها التى جمعت من كل شئ أحسنه ! !

وفى الساعة الواحدة بعد الظهر عدنا الى قطارنا فقام بنا ونحن نتغدى به الى

احدى مناظر كاليفورنيا ص — ١٨٤



حيث المعدية التى نقلتنا به الى الجهة الغربيـة من الخليج ، وهنا لك قسموا القطار الى ثلاثة أقسام ، حتى يتسع المكان له عرضا بالمعدية ان لم يتسع المكان له طولا وبعد أن عدينا الى الشاطىء الآخر واتصلت أجزاء القطار بعضها ببعض ، سار بنا الى جهة الشمال يقطع مزارع واسعة جداً من القمح الذى تراه مضموما عن قرب ، وأرضه فيها من أثر السيقان ماينبىء بجودتها . وكانت تتخلل هذه المزارع من آن الى آخر بعض غابات الزيتون والفاكهة ، وأكثرها من البرقوق وفصيلته .

ومازال القطار سائراً حتى وصل فى صباح اليوم الثانى الى (ولاية اريجون) وكلها غابات جميلة جداً من الصنوبر ذكرتنا بمناظر سويسرا ، خصوصاً مع مافى جبالها من المثالج التى برد منها الجو بحال انتقلنا معها من حر شديد الى برد شديد !! وكان القطار يسير فى هذه الجهة من نفق الى نفق ، ومن منحدر الى مرتفع ، حتى وصل بنا الى قمة الجبـل ثم أخذ يسير نازلا فى الجهة الاخرى فى طريق كثرت تعاريجـه وزواياه حتى وصل الى أسفل الوادى بما ذكرنا طريق السمرنج بين تريستا وفينا .

ويظهر أن هذه المنطقة كلها منطقة غابات الى حدود كندا ، الا انهم هنا يقطعون أشجار الغابات من غير أن يغرسوا بدلها ، لذلك يخشى انه بعد بضع سنوات تنعدم الغابات من هذه الجهة . ولكن يبعد على حكومة الولايات اذا أهملت الغابات فى هذه المنطقة فيما مضى أن تهملها فى مستقبل أيامها : وهى مما يدر الخير الجزيل خصوصا فى المناطق الجبلية التى لا ينمو فيها ضرع ، ولا يصح زرع . وما زلنا فى سيرنا حتى وصلنا الى (مدينة كورفاليس) بعد أن قطعنا اليها ٦٩٤ ميلا .

يوم ٩ يوليو

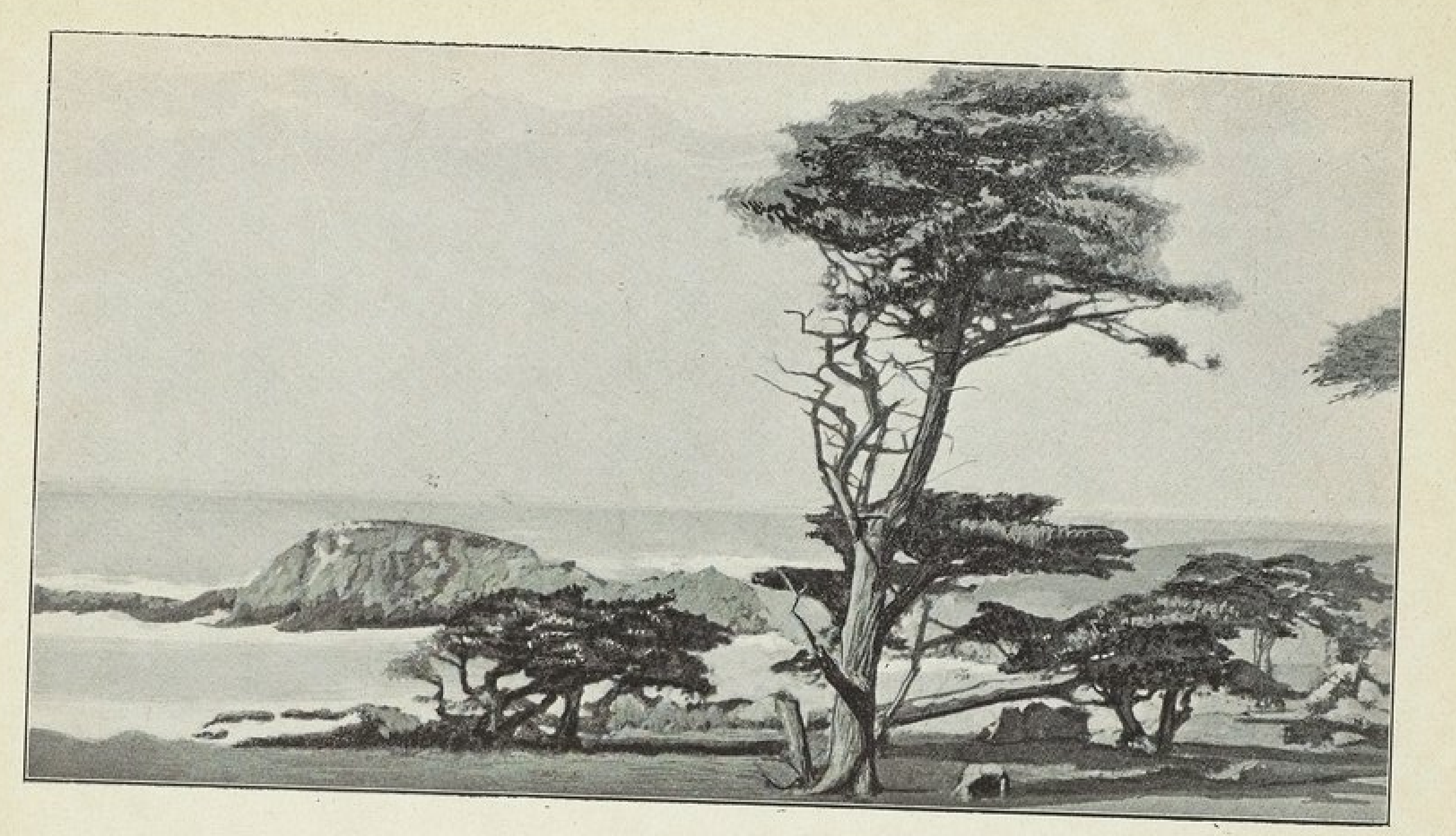
وصلنا الى هذه المدينة فى الساعة الاولى بعـد الظهر ، وعدد أهلها ٦ آلاف نفس ، وهى مشهورة بجامعتها الزراعية التى قصدناها بدعوة منها سابقة ، وتغدينا بها فى ظلال أشجارها ، وبعد ذلك زرنا غرفها ومعملها الكيماوى ، ولا يمكن أن أحدثك

عنه بشئ الا بمـا فيه من نظام . والذى لاحظته فى الجامعة أن فيها خرائط لأرض هذه الولايات مرسوما عليها جميع الاراضى الزراعية بانواعها ، يمكنك أن تتعرف منها العامر والغامر ، والطالح والصالح — ولعل عندنا من أثر مصلحة المساحة مالا يقل عن ذلك أو ما يقرب منه ! !

بعد ذلك ركبنا السيارات الى مزارع المدينة فوجدنا أرضا كالمتخلفة من الطمى عندنا ، ووجدنا القمح فيها يعلو الى متر ونصف ، وهو أحسن ماشاهدناه فيها . والاراضى التى من هـذا القبيل تدفع من دولار الى اثنين كل سنة للحكومة بصفة ضريبة ، وكذلك يدفعون هنا عن الايراد فيما يزيد عن خمسـة آلاف دولار شيئاً قليلا جداً . وسقية الاراضى هنا من نهر ولامب الذى يتغذى من مثالج الجبال التى لاتبعد عن المدينـة الا بنحو ثلاثين ميلا . وفى الساعة الرابعة بعـد الظهر قام بنا القطار حتى وصل الى مدينة (بورتلاند) بعد أن قطعنا اليها ٩٢ ميلا .

يوم ١٠ يوليو

وصلنا إلى هذه المدينة التى عدد أهلها ٢٦٠ ألف نفس تقريبا ، وهى مدينة جميلة تبعد عن المحيط الهادى ببضعة كيلو مترات ، بنيت على جبل قد شقته الشوارع الافقية مستقيمة فى منظرها ، وقطعتها الشوارع الرأسية مائلة نازلة بانحدار كبير إلى الوادى ، وقد يصل انحدارها إلى ٣٠/١٠٠ ومع هذا فانك ترى الاوتوموبيلات فيها صاعدة نازلة بسرعة عجيبة ، أما الترموايات فانها تسير فيها على قضبان مسننة . والذى أعجبنى فى الولايات المتحـدة أن عربات الترموايات لـكل منها كمسارى ولـكنه لا يحمل دفتر تذاكر منمرة كما هو الحال فى مصر يأخذها الراكب فى نظير الأجرة ، بل يجلس الـكمسارى هنا على كرسى عنـد باب العربة (وهى مقفلة فى الغالب) وبجواره صندوق مرتفع الى متر ونصف وفيه ثقب فى أعلاه يضع فيـه الراكب القطعة المكونة للأجرة ، فاذا كانت أكثر من اللازم غيرها له الـكمسارى



بعض الاشجار العتيقة على الاقيانوس الهادى ص — ١٨٦



بنقود صغيرة .

وبعد أن درنا دورتنا بالمدينة عدنا إلى القطار الذى قام بنا متجها إلى الشمال. وفى الليل أخبرونا بأنا دخلنا حدود كندا ، فوقف القطار حتى عملت عملية التفتيش الجركية المعتادة ـ ولكن بسهولة كبيرة ـ لأننا ضيوف كندا كما كنا ضيوف ولايات الاتحاد .

ثم استأنف القطار سيره ماراً بمدينة ستيل ، وما زال حتى وصل إلى مدينة وانكوفر بعد أن قطع اليها ٣٦٣ ميلا . وقبل أن نترك ولايات الاتحاد التى على الاقيانوس الهادى نقول لك : إن الولايات المتحدة صدرت من هذه الولايات الثلاث كاليفورنيا ، وواشنجتون ، واراغون ، من الفاكهة وحدها فى العام الماضى بخمسة وسبعين مليون دولار !! منها أربعون مليونا من التفاح وحده .

كندا

كندا هى قسم من أمريكا الشمالية واقعة فى شمال الولايات المتحدة ، استعمرها الفرنسيون من سنة ١٥٣٤ إلى سنة ١٧٦٣ ، وفيها استولى عليها الأنجليز . وعلى مقتضى معاهدة باريس سنة ١٧٦٣ تركت فرنسا كندا بما فيها من الفرنسيين الذين كان يبلغ عددهم ٣٠ ألف نفس ، وحولت عليهم ما كان عليها من الدين الذى كان يبلغ ٣٠ مليون فرنك ، والعنصر الفرنساوى إلى الآن يحافظ على لغته فى الغالب وقد ساعدت كندا الأنجليز فى حرب الترنسفال ، واشتركت معها فى الحرب الاوربية ، ومن ثم استقلت فى جميع أمورها الداخلية، وان كانت داخلة فى الاتحاد الامبراطورى الانكليزى .

ومساحة كندا ٩٦٠٠٠٠٠ تسعه مليون وستماية ألف كيلو متر مربع ، وعدد سكانها لا يزيد عن عشرة ملايين نفس ، وتنقسم الى جملة ولايات عاصمتها العمومية مدينة أوتاو ، وفيها مركز الحكومة الاتحادية . وفى كندا غابات كثيرة ، وتكثر

فى شمالها حيوانات المنطقة الثلجية ، وفيها معادن كثيرة أهمها النحاس والقصدير والحديد ، وهى التى تقوم بحياة أهلها فى الغالب .

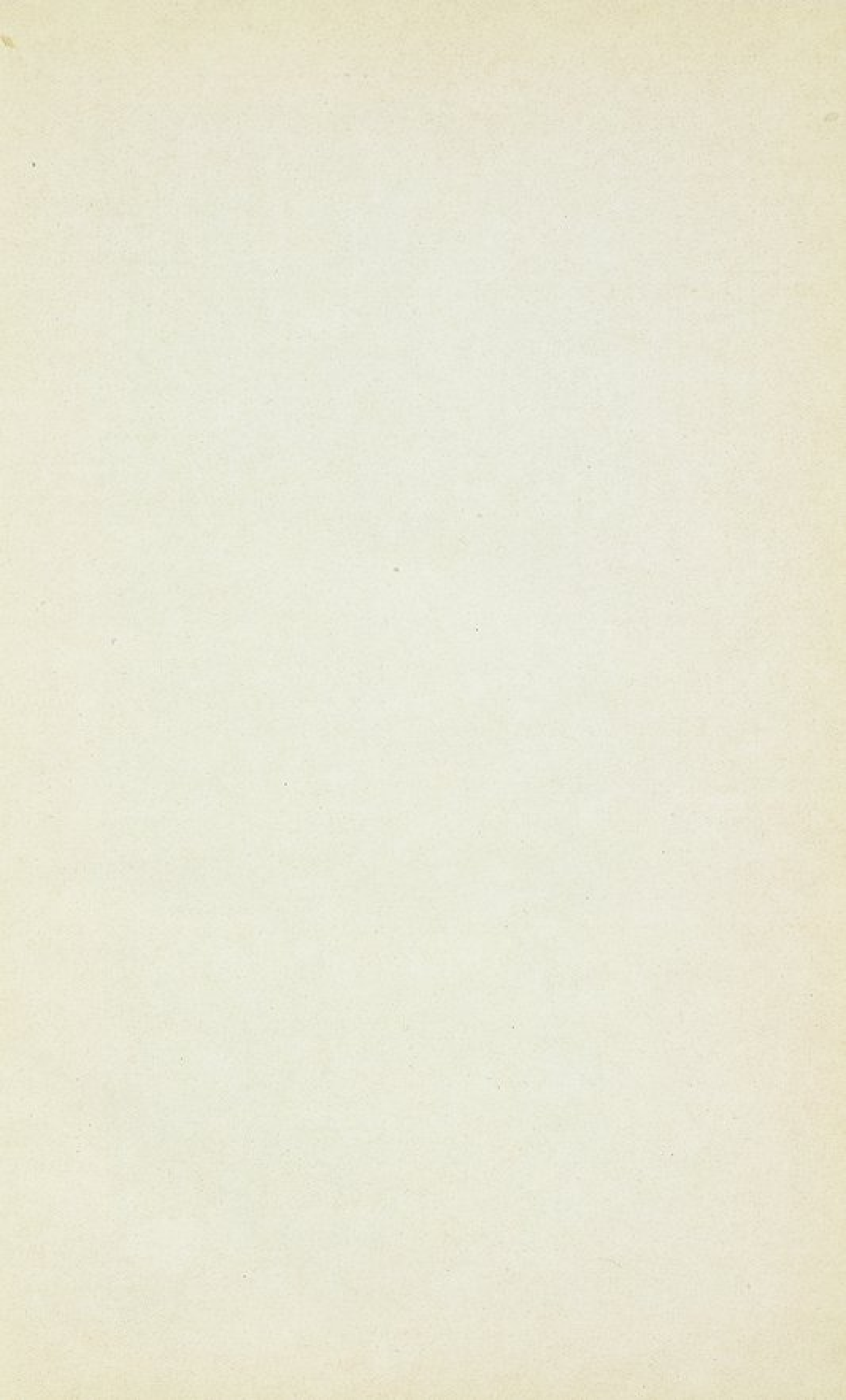
ومما يلاحظه السائح لاول وهلة اذا دخل أراضى كندا ، أن العملة هنا بالدولار ، حتى كأن لا فرق بينها وبين الولايات المتحدة التى تتصل حدودها بحدودها على طول نحو سبعة آلاف كيلو متر . واغرب من ذلك أن لكندا عملة فضية مقسمة على االنظام المئوى (القاعدة المترية) كما هو فى الولايات المتحدة مما لا يجده فى انجلترا : فالريال فى كندا ينقسم إلى مائة جزء ، ونصفه خمسون جزءا ، وربعه خمسة وعشرون جزءا ، وهناك عدا هذا قطع فضية بعشرة أجزاء ، وقطع نيكل بخمسة أجزاء ، والجزء الواحد من المائة (سنت) من البرونز ، وكلها عليها رسم امبراطور الانكليز جورج الخامس . واذا عرفت أن أموال الأمريكان تزداد يوما عن يوم فى كندا ، والامريكان يشترون كل يوم كثيرا من الاراضى الواسعة بها ، عرفت أنه لابد وأن يأتى يوم يكون للولايات المتحدة شأن معها خصوصا والعنصر الفرنساوى فيها يميل إلى الامريكان .

يوم ١١ يوليو

وصلنا فيه إلى هذه المدينة وانكوفر وتعدادها ٢٥٠ ألف نفس تقريبا ، وهى عاصمة ولاية برتش كولومبيا ، وهى الثغر الكندى على المحيط الهادى ، وتصل كندا بالشرق الاقصى ، وتغلب فيها السحنة الصينية واليابانية ، وكل الخدمة فيها على هذا اللون من بنى الانسان .

زرنا هذه المدينة وهى تنقسم إلى قسمين : أحسنهما القسم الجنوبى ، وتغلب فى تجارتها الانواع الشرقية من صينية ويابانية على الخصوص . ومن أحسن ماشاهدناه فى المدينة بستانها النباتى وفيه كثير من حيوانات المنطقة الباردة مما لا تراه كثيراً فى جهات أخرى . وقد رأينا بها أنواعا كثيرة من الورود المختلفة فى ألوانها

مدينة وانكوفر ص — ١٨٨



وارتفاعاتها ، ولكن الذى ادهشنا هى تلك الغابة الهائلة التى تتصل بهذا البستان : اشجار عالية جدا يبلغ قطر ساقها نحو مترين ، وارتفاعها أكثر من خمسين مترا ، وهى من فصيلة الارز ، وفيها سبع شجرات هائلة قريبة من بعضها البعض يسمونها بالسبع الاخوات ، وقد رأيت بها شجرة ساقها على شكل مثلث طول كل ضلع فيه نحو مترين ونصف متر وارتفاعها نحو ستين متر . ويظهر أن هذه الجهة مشهورة بغاباتها الكثيفة العتيقة ، ولكن بلغنى أن القوم يجتثونها وقد يتركون لها أصولها فتنبت من جديد، وبهذا يعوزها الزمن الطويل لوصولها إلى حالة صالحة للصناعة .

ومما يلاحظ هنا اختلاف الجو اختلافا كثيراً عما كان عليه فى الولايات المتحدة، فقد انتقلنا من حر كان يشوى الوجوه ويكاد يجف منه الماء فى الآماق والاحداق الى برد شديد ومطر متدافع التزمت ان اشترى لهما عدتهما من هنا وأنا أترنم بقول الشاعر الجاهلى :

يتمنى المرء فى الصيف الشتا   واذا الصيف أتى أنكره

فهو لايرضى بحال واحد   قتل الانسان ما أكفره

وفى ظهر هذا اليوم ركبنا قطارنا فسار بنا فى طريق بين جبلين تعلوهما غابات الصنوبر ، وكان نهر فريزر يسير عن يسارنا تارة ، وأخرى عن يميننا ، وكانت تغذيه بعض الشلالات التى كانت تنزل من الجبل من آن الى آخر . وفى هذا الطريق تكثر الانفاق ، فكانت تضايقنا بدخانها وظلامها وان كانت غير طويلة ، أنفاق كانت تمنع عنا تلك المناظر الجميلة ، وتذكرنا بكتلة سوادها بحالتى الزمان ومره ، وخيره وشره ! ! وحتى فى غربتنا هذه لايريد الزمن أن يغفل عنا ساعة واحدة من غير أن يرينا من تأثيره وتكديره !

امضينا ليلتنا صاعدين الى الشمال ، ولما ظهر نور النهار رأينا الوادى قد انفرج قليلا ، والغابات كثرت وتكاثفت واتصلت خضرتها بناصع الثلوج التى على قمم الجبال بما لم يكن أحسن منه وفرة ونضرة ، وانعكست خضرتها فى صفحة النهر

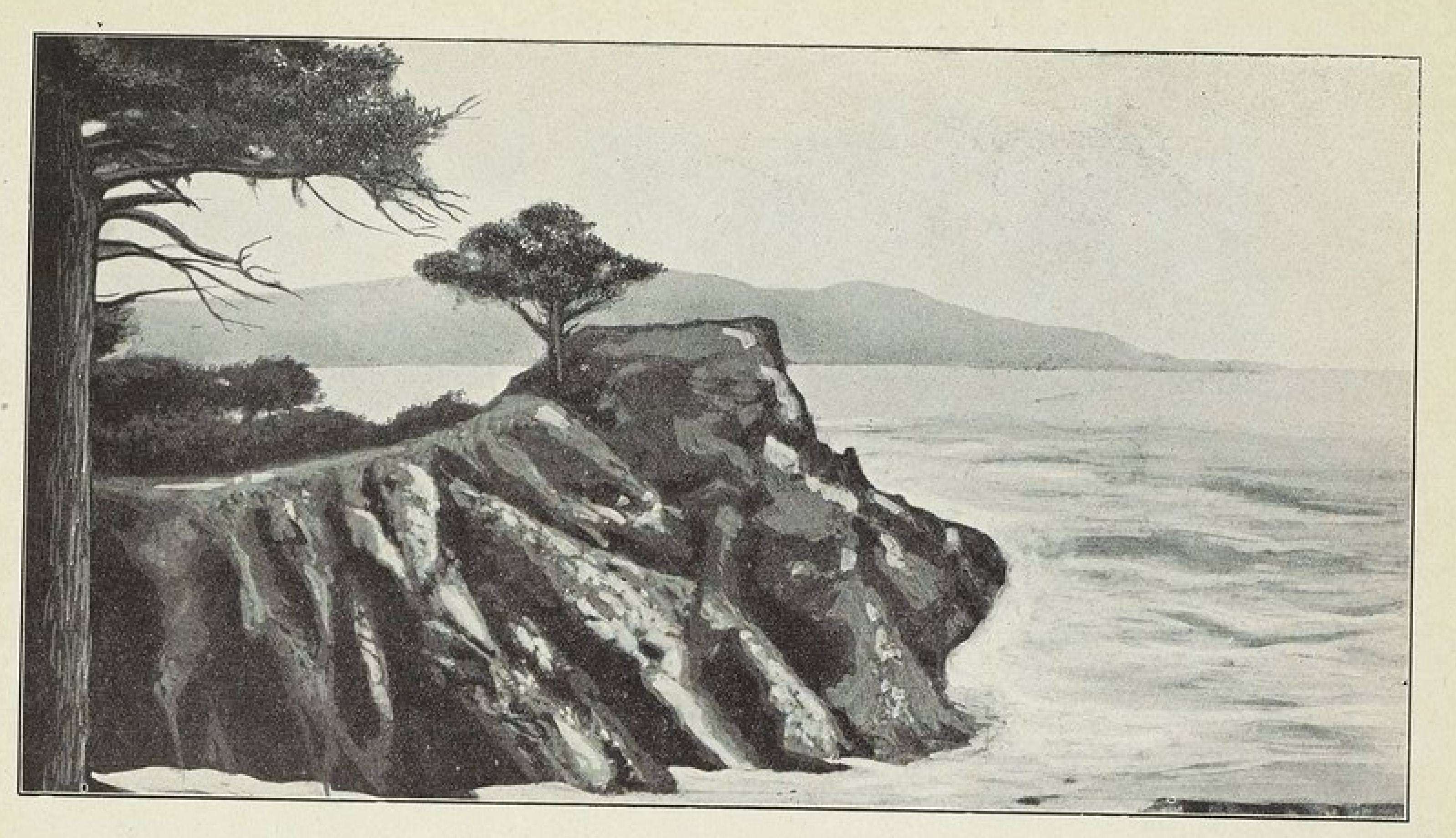
البلورية بما كان يتصاعد من جوانبها من تلك السحب التى تكاثفت واستحالت الى غيم انعقد فى أفق السماء كان يحجب عنا ماتعودناه من ضوء الشمس الذى منه حياة الارواح وانتعاش الجسوم ، ومازلنا حتى وصلنا فى الساعة العاشرة صباحا من يوم ١٢ يوليو الى قرية (جاسبر) بعد أن قطعنا لها ٥٣٥ ميلا .

يوم ١٢ يوليو

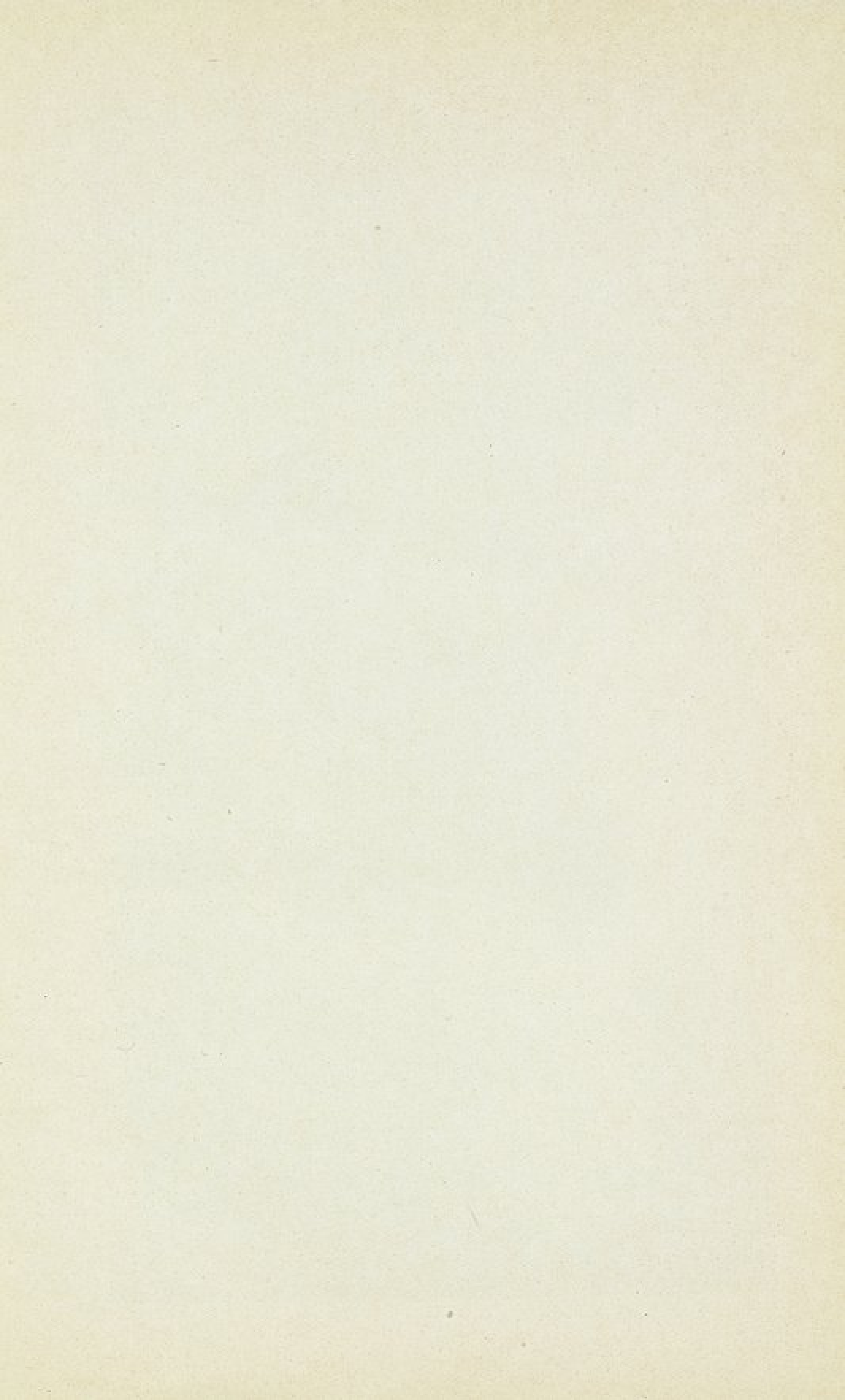
بمجرد وصولنا الى قرية جاسبر، ركبنا منها الاتوموبيلات التى كانت فى انتظارنا وسرنا فى طريق مرصوف مقير ، وعلى جانبيه غابات من الصنوبر لاتزال فى صبوتها وقد ضربت حولنا منطقة من الجبال تعلوها المثالج من كل ناحية حتى وصلنا بعد قليل الى لوكندة حديقة جاسبر – أو حديقة لوكاندة جاسبر – وهى من الطف النزل فى العالم : لان هذه الجهة مصيف سراة القوم فى كندا. نزل حوى نظاما وترتيباً ونظافة ، نزل حوى من كل شئ ألطفه ، ومن كل قبيل أظرفه ، فكنت ترى فيه جمال المكان بجوار جمال المكين ، واذا أضفت الى ذلك ما إليه من بحيرة زرقاء قد انطبعت فيها صورة السماء بما فيها من سحاب أبيض حتى لكأنك بين سماءين كليهما من لجين ، واذا لاحت منك التفاتة الى الحمام البحرى الذى يدخل فى البحيرة ويعلو ماؤه ماءها ببضعة أمتار ، شاهدت ما يغدو فيه ويروح من أشباح نشطت ، وأرواح لطفت ، مما تخال معه ان أهل السماء نزلت الى الارض واختلطت باهلها لتفيض عليهم سلاما ورضوانا ! !

من كل هذا يمكنك أن تتخيل صورة صادقة لهذا النزل الفخم ، فلله لحظات قضيناها به قد أنستنا بجمالها ماصادفناه فى رحلتنا من شقاء وعناء ، أنستنا بما فيها من نسيم عليل ، وهواء بليل ما رأيناه فى ولايات الاتحاد الامريكى من حر قد توقدت ناره ، واشتد أواره !!

ولقد أنسانا الله بما فيها من طبيعة راقت ، ومناظر شاقت ، ماصادفناه فى سفرنا



منظر احدي صخور الاقيانوس ص — ١٩٠



من وجوه العذاب وضروب البلاء ! !

وفى المساء قام بنا القطار الى جهة الشمال الشرقى حتى وصلنا إلى مدينة (ادمونتون) بعد أن قطعنا اليها ٢٣٦ ميلا . وعدد أهل هذه المدينة ٦٧ ألف نفس .

يوم ١٣ يوليو

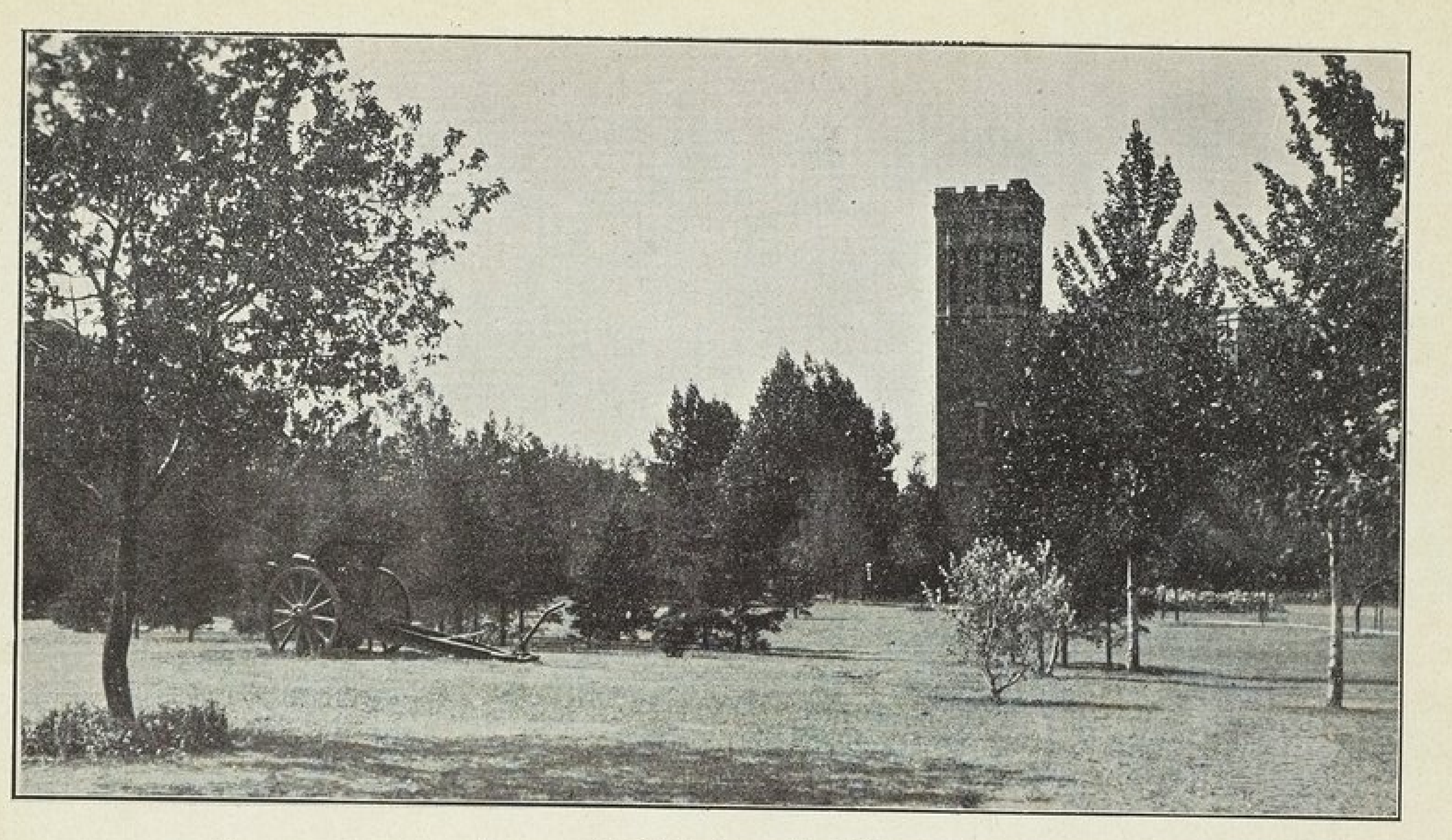
ركبنا فى صباح هذا اليوم الاوتوموبيلات فسارت بنا فى أرض منبسطة بعيدة الاطراف فيها زراعات مختلفة أغلبها القمح وبعض الخضر ، وقد زرعت فيها غابات جديدة من أشجار الصناعة . وعدد أهل هذه المدينة ٦٧ ألف نفس ، وأرض هذه الجهة سوداء ثقيلة كالتى فى مديرية الشرقية . وبعد أن درنا دورتنا فى المدينة التى ترى منازلها متفرقة بعضها عن بعض ، ويقطعها نهر سيسكا شوان وهو أشبه شئ بالرياح التوفيقى ، قصدنا إلى الجامعة بدعوة من رئاستها مع الغرفة التجارية ، فتناولنا بها طعام الغداء . وبعد أن زرنا معامل الجامعة عدنا إلى قطارنا الذى قام بنا متجها إلى الجنوب الشرقى فى أرض يلوح لنا أنها من أخصب أراضى العالم ، أرض خصتها الطبيعة بهذا الخصب البكر ، والزراعة تنمو فيها نموا هائلا رغم عدم الايدى العاملة ! !

***

وهنا نقول : إن أراضى كندا على سعتها وتباعد أطرافها قليلة السكان إلى الدرجة التى على طول سيرنا فى القطار ما كنا نشاهد فى الطريق كله انسانا واحداً ! ! لان تعدادها يبلغ عشرة ملايين نفس كما قلنا إنهم من أصل أوربى ، ومنهم ثلاثة أرباع المليون من (الهنود) وهم الذين كانوا يسكنون البلاد قبل اكتشافها . وبهذه المناسبة نقول : إن هذا الجنس قد ضعف بكل عوامل الضعف الطبيعى والاضعاف الاستبدادى أو السياسى ، حتى وصل الى حال تنذر بالفناء والانقراض ! !

أراك يا حضرة القارئ تجيل بصرك فى كلمة الاضعاف السياسى ، وإنى أوفر عليك زمنك الغالى من التفكير واشرحه لك بما يحتمله المقام :

دخل الافرنج إلى أمريكا شمالها وجنوبها فوجدوا ساكنيها من بنى الانسان الذين لم يتجاوزوا الدائرة الحيوانية إلافيما كانت تحتاجه طبائعهم من آلة صيد وطبخ وفراء يتقون بها شدة القيظ وحدة الشتاء ، وأجحار كانوا يأوون اليها من مطر أو خطر . ومع أن حياتهم كانت محصورة فى هذه الدائرة الضيقة من العيش فانهم كانوا بحكم الفطرة الحيوانية تقوى عندهم سليقة الدفاع عن النفس الى حد لافرق فيه بينهم وبين الحيوانات المفترسة . رأت الفرنجة هذا الحيوان الانسانى فأخذتهم منه الرهبة ورأوا أنه لايمكنهم أن يعيشوا معه تحت سماء واحدة ، فأخذوا يصطادونه ببنادقهم من بعد حتى لايصل اليهم منه سوء لحرمانه من آلات القراع والدفاع ، حتى افنوا الشيوخ والرجال ، ولم يبق الا الصبية استخدموهم فى مصالحهم !! وكأنهم خشوا من نمو عاطفة الانتقام فيهم فابعدوهم شمالا وغربا يعيشون من عشب الارض وصيد البر والبحر ، تحت سماء كلها رجوم ، وأوساط كلها سموم ، وليس من يعنى بهم ولا من يرشدهم الى مافيه خيرهم ، ولو كان للمحتلين للبلاد أية عناية بهم أو بعض الرعاية لهم ، لكانوا فتحوا لهم دوراً للتكييف والتثقيف الذى كان ينهض بهم ويدخلهم فى دائرة العمل الذى كانت تحسن به حالهم : ولكن الدار لاتتسع لمالكين ، والحجرة لاتنفسح لساكنين ، وهكذا فعلوا بأهل استراليا وجنوب أفريقيا !! وعلى هذا القياس لو كانت الفرنجة استعمروا السودان شرقيه وغربيه من زمن بعيد ، لكان نصيب هذا اللون الاسود نصيب قريبه فى أمريكا واستراليا من الزوال والفناء ، ولكنهم جاؤوه وكلمات الحرية والمساواة والشفقة والرحمة والانسانية كانت قد اخترعت سلاحا لينا لطيفا يقتلون به الناس من حيث لا يشعرون ، بل وهم هاشون باشون وعنهم راضون !! كمادة الكوكايين تقتل صاحبها وهو يمتد نحوها بكل جوارحه حنانا اليها وتلهفاً عليها !! وهل يصح أن تكون للانسانية والرحمة والشفقة معنى فى ميدان حرب وكفاح حيوى غاية كل انسان منه الانتصار بأى عامل من عوامل القوة والقسوة والوحشية والدهاء ، والغش والخداع والكذب التى تنقلب عند الغلبة فضائل ويكسو



حديقة فكتوريا فى مدينة رجينيا بكندا ص — ١٩٢



التاريخ فظائعها حللا منسوجة بمادة التحميد والتمجيد ؟ ؟ لهذا كان لابد لكل أمة أن تنقش على قلبها هاتين الكلمتين — لتحى القوة — ليمت الضعف .

يوم ١٤ يوليو

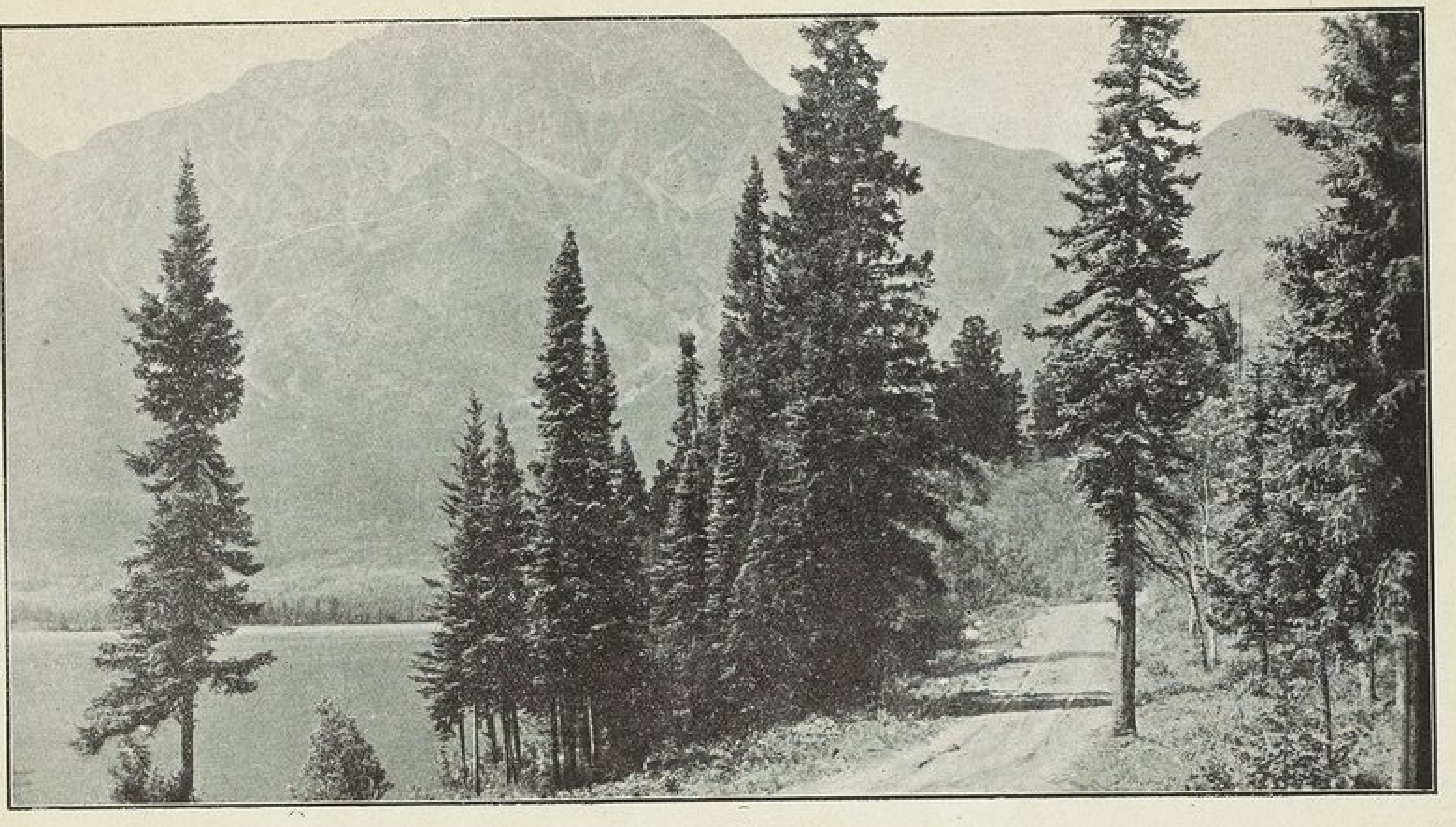
وصلنا فى صباح هذا اليوم الى محطة (ساسكاتون) بعد أن قطعنا اليها ٢٢٦ ميلا ، وعدد سكانها ٣٣ الف نفس ، والذى تلاحظه بصفة عامة فى كندا أن محطاتها فيها قاعتان للانتظار ، مكتوب على واحدة « استراحة للسيدات » وعلى الثانية « استراحة للرجال » وقد زرنا الجامعة فوجدنا فيها كما وجدنا فى جميع الجامعات التى زرناها بكندا أبنية خاصة للبنات ، ولا يجتمعن فى الدرس مع الشبان كما هو الحال فى أوروبا والولايات المتحدة ، وهذا أبقى من غير شك لكرامة الجنسين وتصرف حكومة كندا ٥٨ فى المائة من إيرادها فى سبيل التعليم ، وكله مجانى بمدارسها . وأبنية الجامعة كثيرة ومتفرقة عن بعضها البعض ، وغالبها من ذات الدور الواحد ، يحيط بها حدائق جميلة فى منتهى النظام ، ومن ورائها مزارع التجاريب التى يشتغل طلبة القسم الزراعى بها . والذى لفت نظرى هنا كثرة الخيل العظيمة الجسيمة ، والخنازير الهائلة السمينة ، كما لاحظت أن شجر الفاكهة يقل فى هذه الجهات قلة محسوسة ، ولكن تكثر فيها الغلال والبنجر والخضر خصوصا الطماطم. وأراضى هذه الولاية بصفة خاصة من خير ماخلقه الله ، ولا ينقصها غير اليد العاملة وهى سوداء كأنها مخلوطة بهباب المداخن . ومن خير مارأيناه هنا ١٢٠ فدانا لتربية الاشجار تابعة للحكومة ، وهى مقسمة الى آلاف الأقسام ، وكلها مزروعة من الاشجار المختلفة ، كل قسم على حدته . ففيها أشجار الغابات ، وأشجار الفاكهة من كل نوع وشكل ، والذى يدهشنا أنها فى نظامها كاحسن البساتين ترتيبا وعناية ، لاترى بها حشيشا ولا مرضا ولا ضعفا ، وقد انشئت من عشر سنوات فقط . وكل سنة يزيدون عليها أربعة ملايين شجرة !! .

والمهم هنا أن الحكومة تسلم لاي طالب ثلاثمائة وعشرين فدانا بدون ثمن ، وتعطيه الف شجرة من أى نوع يطلبه بدون ثمن ، فاذا زرعها وطلب غيرها تعطيه الفا آخر بغير ثمن ، وهكذا يجد الزارع فى خزائن الحكومة الزراعية مايطلبه من الشجر مجانا ، وكل هذا للترغيب فى زيادة صفحة الاراضى المنزرعة غابات وهى مالا تحتاج الى عناية فى مبدأ أمرها ، ثم تتولاها عناية الله وجودة الأرض . وليس لهذه الارض من واسطة للرى إلا المطر ، لانها ترتفع عن مياه النهر كثيراً . ومقدار ماينزل من المطر فى هذه الجهة ١٤ إنش ، ويبدأ من يونيه ، وتنزل درجة الحرارة فى الشتاء — وخصوصا فى يناير — الى الصفر لمدة شهر تقريبا ، وفى هذه المدة يكسو الثلج سطح الارض وتبطل الحركة العمومية .

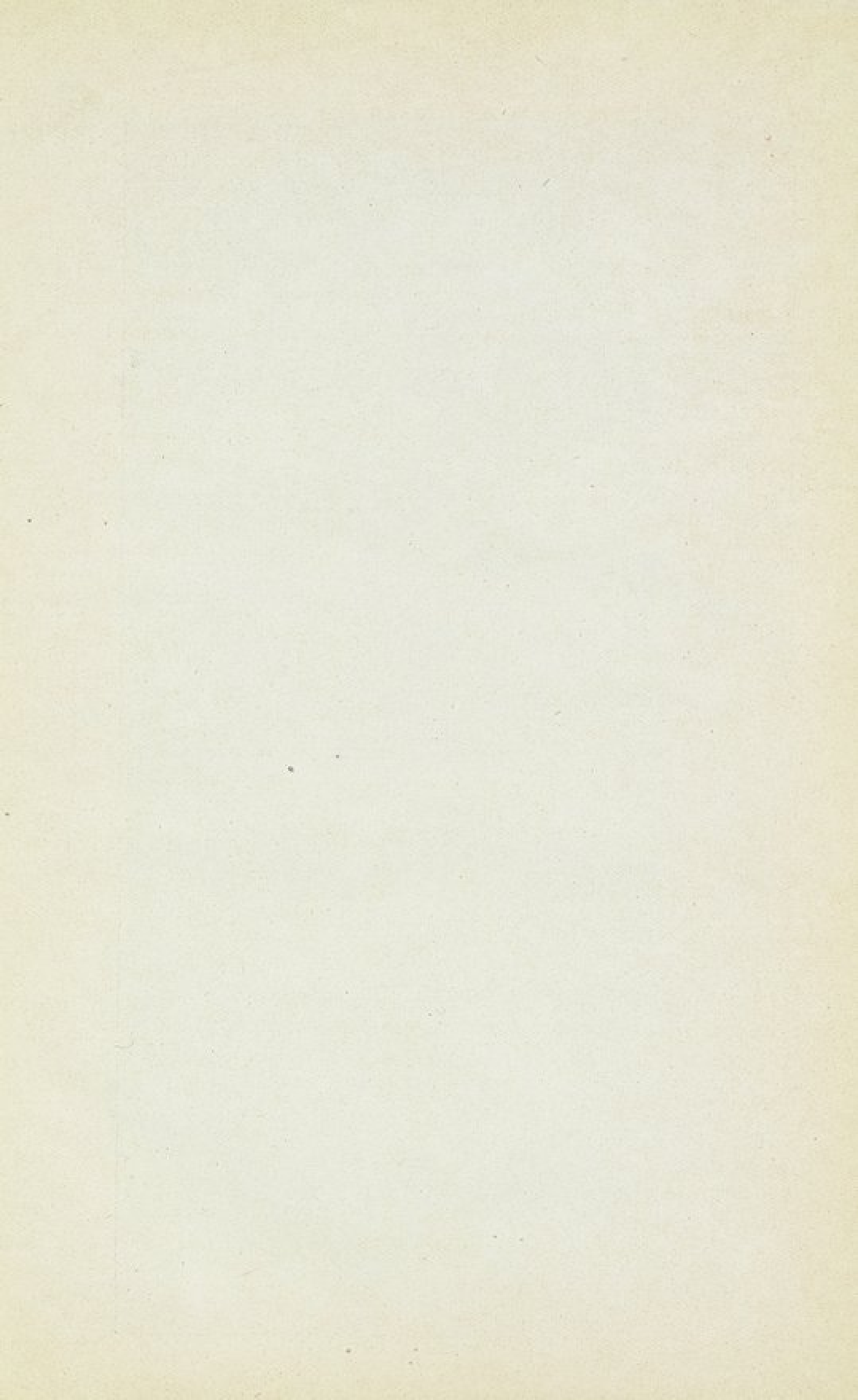
وهناك أرض للزراعات المنظمة تحت تصرف من يطلبها بالثمن بنسبة ٤٠ ريالا للفدان ، وقد كانوا يعطونها بلا ثمن من عشرين سنة . ومحصول القمح فى هذه الاراضى من ١٨ بشلا الى ٥٠ بشلا (والبشل ٢٩ كيلو جراما) وبين الزراعة والمحصول ٤ أشهر ، فيزرعون من أول مايو ، ويحصدون فى أول سبتمبر ! وأجرة العامل فى اليوم هنا خمس ريالات .

***

ولهذه المناسبة أقول : إن وزارة الزراعة عندنا فكرت يوما فى الاكثار من الاشجار بعد أن قضت الحرب على ما كان منها فى البلاد مما كان له ظل ممدود وثمرة ومنفعة متغايرة للفلاح ، فكرت فى ذلك أيضا مصلحة الزراعة ، وتبعتها مجالس المديريات ، وعملوا المشاتل المختلفة ولكن لا لمساعدة المصلحة العامة ، ولا لا كمال النقص الذى وقع فى هذا النوع من الشجر مما هو ضرورى للبلاد الحارة — ولكن لتجعله مورد كسب جديد ، وأخذت تبيعه بأثمان عالية حالت بين رغبة الناس فيه . وهاهم الآن يعطلون المشاتل أو يختصرونها بدعوى أن وجودها فيه بعض الخسارة ، أو بعبارة أخرى ليس فيه من مكسب . إنا نفهم أن تهتم الوزارة أو مجالس المديريات



احدى الحدائق بكندا ص — ١٩٤



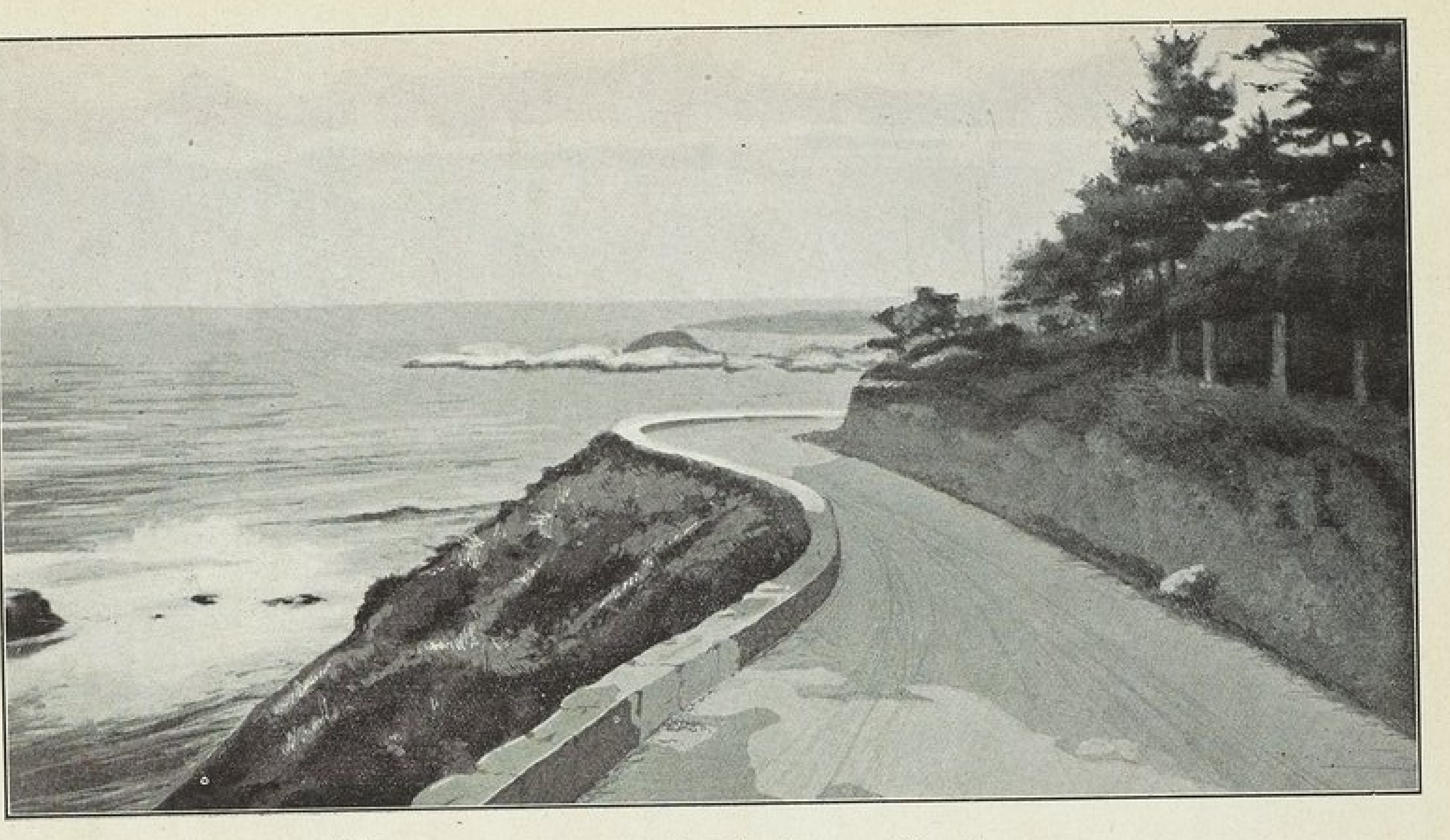
بالاكثار من الاشجار النافعة ، وتتخير الاصلح منها ، وتستورد من الخارج كلما يصلح فى هذه البلاد من الاشجار التى تنفع للصناعة ، ثم تبيع ذلك على الناس بما صرفته عليه ، ولا تجعله تجارة تنافس فيها الافراد ممن جعلوه مورد رزق لهم ، وبذلك يكون لها فضل العناية بالاكثار من الاشجار ، وباختيار الاصناف الجيدة التى بكثرتها تكون من أحسن الغلات التى تدخل ضمن إيراد البلاد الهامة ، وبذلك تخفض من تلك الاشجار العتيقة وخصوصا أشجار الفاكهة التى تركزت فى عصارتها المكروبات الضارة ، والتى سيكون لها يوماما أثر سيء فى أحداث وباء زراعى لايمكن تقدير مافيه من الضرر ، ولايمكن أن نقف فى وجهه بأى حال من الاحوال . فهل الوزارة مقلعة عن فكرة الكسب الى فكرة المصلحة العامة ؟ ؟

وهنا أقول إن أغلب الاشجار المثمرة فى البلاد استوردها محمد على من الشام بعد انتصاره فيها على جيوش العثمانيين ، وكذلك من موره بعد انتصار ابراهيم فيها على الجيوش المختلطة من يونان وانكليز وروس ممن كانوا يساعدون اليونان فى سبيل استقلالهم ، وقد مضى على ذلك نحو قرن ونحن نستولدها ، وليس من تجديد ولو من طريق التلقيح الذى يخفف من شيخوختها إن لم يرجعها الى شبابها (على رأى فورونوف) .

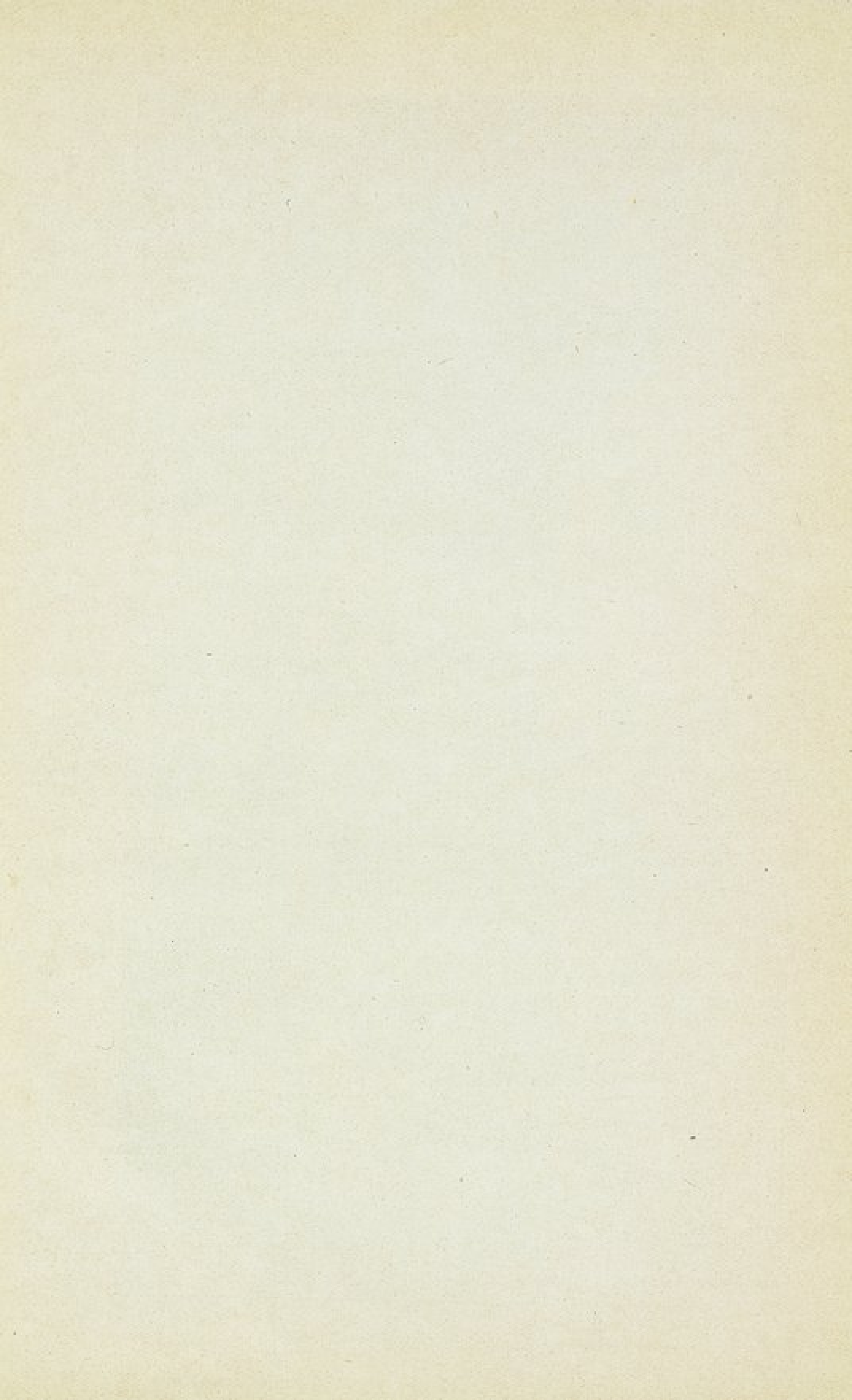
نحن لانريد أن تكون لبلادنا الزراعية وزارة زراعة لانجد لها غير كلمات طيبات لنتسمع من نغماتها تلك العبارات الرقيقات : نتائج ساحرة ! فوائد باهرة ! ! إيرادات وافرة ! أو ما فى معنى ذلك مما تهتضمه الأذن بسرعة من غير أن يكون له أثر محسوس ، ولكننا نريد أن تكون لبلادنا الزراعية وزارة عمل ليس الغرض منها أن يقضى العامل فيها شطرا من النهار فى ختم آلاف الاوراق التى كثيرا ماتدور دورتها وهى إن تغيرت فى مبناها لاتتغير فى معناها ! ! لم لا يكون فى وزارة الزراعة مجلس زراعى علمى عملى يجتمع فى الاسبوع مرة على الاقل للبحث فى كل ماله أثره الحسن فى الرقى الزراعى ؟ لم لاتهتم الوزارة فى تحسين نتاج الماشية ؟ لقد فكروا من زمن

فى تحسين نتاج الخيل وأوجدوا فى بعض المديريات حصانا من جياد الخيل لهذا الغرض. فما للوزارة لاتجعل فى كل مركز ثوراً وفحلامن أحسن شئ فى نوعهما: حتى اذا أتى الفلاح بماشيته يجدأمامهمايضمن تحسين النوع ، وبهذه الطريقة لاتمضى عشر سنوات حتى نرى أمامنا ماشية بحالة عامة من أحسن وخير مايوجد من نوعها فى العالم كله ؟لم لا يكون للوزارة نشرة او مجلة زراعية لا تتكلم فيها بلغة العلم — بل بلغة بينه وبين ما يفهم الناس منه ، ويوزعونها باشتراكات بسيطة لاتتجاوز مايصرف على طبعها وورقها ، وحسبها من ذلك أن يكون لها فضل البحث والنشر والتعليم ؟ يزعمون أن وزارة الداخلية لها رجال يجولون فى البلاد للنصح والارشاد فيما يتعلق بالآداب والاخلاق ، فما بال وزارة الزراعة لاتجعل فى كل مديرية مرشدا يتجول فى أنحائها على الدوام أو على الاقل قبل كل زراعة لارشاد الناس لما فيه مصلحتهم وخيرهم ؟ أمام الوزارة من ذلك شئ كثير ، فيمكنها أن تفكر وتتمشى فيه مع الاصلاح ولها أجرها عند الله وشكرها من البلاد . واذا كان مدار الزراعة فى العالم الجديد على الآلات فلم لاتبحث الوزارة فى العائق الوحيد عن استعمالها فى ارضنا ؟ لابد هناك من سبب يمكن بطبيعة الحال تذليله بعد دراسته . ويعمل عن الآلة رسم يرسل به الى بعض الفابريقات ، وبعد عمل مثال منه وتجربته فان أتى بالغرض منه حسن استعمالنا له وإلا فلا تزال به حتى تصل منه الى نتيجة صالحة . لم لاتجعل الوزارة لها معملا متسعا لتحليل كل نوع من أنواع الاراضى العامة بأجر زهيد جدا لا يقعد بصاحب الارض عن تعرف حال أرضه ؟ ويكتب تحت التحليل « صالحة لكذا » أو « ينقصها كذا لتكون صالحة لكذا » أو تضع تحتها جدولا بسيطا بنوع السماد الذى تصلح به كل زراعة رئيسية فى كل نوع من أنواع التربة .

إنك تعرف من مؤتمر دراسة التربة بالولايات المتحدة اهتمام العالم كله بهذا الامر . فهل لوزارة الزراعة عندنا أن تفكر فى دراسة أراضى القطر وتعمل بها خريطة مصحوبة بالنصائح العامة لاصلاح كل نوع من أنواع تربتها ؟؟ عندنا القسم



طريق الاوتومبيلات على شاطىء المحيط الهادى ص — ١٩٦



البكتريولوجى لم يظهر للناس شئ من عمله ! ! وقد يكون له عمل ولـكنه محصور بين جـدران معمله ، ولكن ما الفائدة من ذلك ؟ يقولون : إن نتائج التجارب فى مزارع الوزارة مرضية جدا ولـكن ما فائدة الناس منها اذا كانوا يجهلونها ؟ وهلا تـكون هذه النتائج الباهرة نتيجة مصروف كبير لا تفى به كمية المحصول وهو مالا يفيدنا ؟ نحن نريد أن نصل الى نتيجة نحارب بها أمراض النبات من غير مصروف كبير ، وهذا لا يكون إلا نتيجة بحث ودراسة صحيحة ، فهل للوزارة أن تعنى بذلك ولو تستقـدم من الخارج من يصلح ويصلح . نحن نرى وزارة المعارف تستقدم بعض العلماء الاجانب لالقاء بعض المحاضرات فى جامعتها بلغة غير اللغة التى تعرفها طلبتها مما لا يكون له فائدة قليلة أو كثيرة ، مع ما يصرف فى ذلك من جم مال الوزارة وعزيز وقت الطلبة ! ! فما لوزارة الزراعة لا تستقدم رجالا ممن لهم شهرة فى العـلم الزراعى يذللون ماعندها من الصعوبات ، ويحلون ما فى صحفها من المشكلات ؟ أظن ان قد جاء الوقت لذلك — فهل هى عاملة ؟ ؟ .

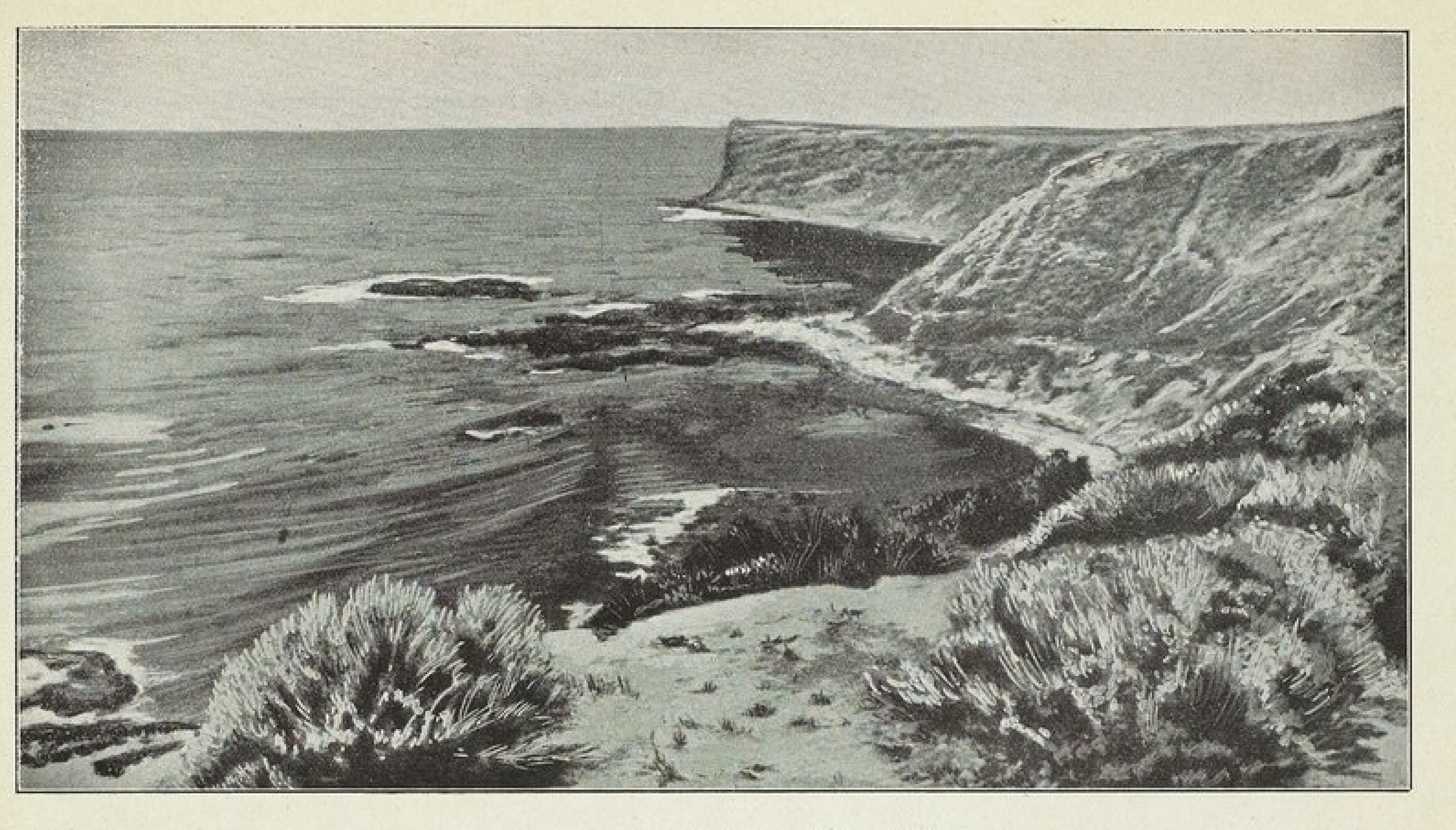
عدنا الى قطارنا فقام بنا الى مدينة (ريجينا) والمسافة اليها ١٦١ ميلا ، وعدد أهلها ٤٠ الف نفس . ثم توجهنا منها الى مدينة (اندريا) وهى على بعد ٤٢ ميلا ، وشاهدنا ما فيها من زرع ومن ضرع . وأحسن ما رأينا تلك الخيـل المسومة التى يستولدونها من الخيل الأنجليزية والـكندية ، وبعد ذلك عدنا الى قطارنا الذى عاد بنا الى ريجينا ، ثم اتجه بنا نحو الشرق حتى وصلنا الى مدينة براندون فى ولاية مانيتوبا والمسافة بينهما ٢٢١ ميلا .

يوم ١٥ يوليو

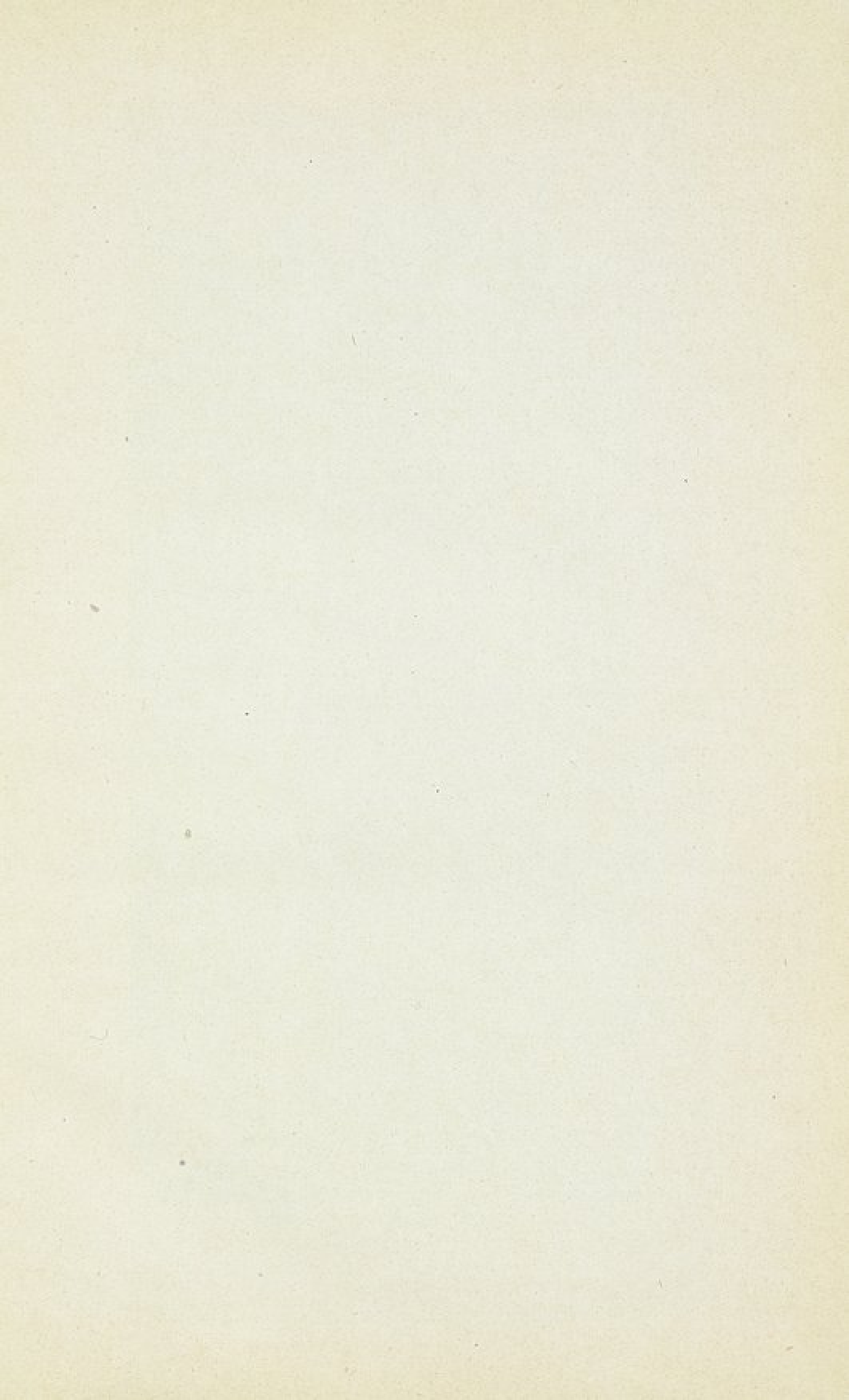
وصلنا فى صباح هـذا اليوم الى (براندون) وعدد سكانها ١٧ الف نفس . وركبنا العربات التى كانت فى انتظارنا الى المزارع فوجـدناها جيدة ، والغلال فيها كما لو كانت عندنا فى شهر يناير ـ اعنى فى ارتفاع عشرين سنتى متر تقريبا ـ والارض هنا سوداء ، وطبقتها فى كندا تكاد تكون واحدة . ومع اننا نزلنا كثيراً الى جهة الجنوب فان الاشجار هنا لاتزال من القلة بحيث لاتراها الاحول المدن ، وتكاد الارض تخلو من نوع الانسان ـ بل ومن الحيوان ـ ومما يلاحظ فى حالة كندا أن الذرة لاتنمو فيها بحال جيـدة تتناسب مع حالة القمح ، مع جودة الارض وكونها غنية بمواد الانتاج مما يدل على أن الحرارة ضرورية لتكوين نبات الذرة . وهنا وجدنا أيضا مزارع زرع فيها القمح من اسبوع فقط حتى اذا تقدم الشتاء كان غذاء للماشية !!

رجعنا الى قطارنا فقام بنا الى مدينة (ونبيج) بعد أن قطع اليها ١٣٤ ميلا ، وعدد سكان هذه المدينة ٢٨٣ الف نفس ، فركبنا عرباتنا وقطعنا المدينة فوجدنا شوارعها واسعة ونظيفة ، وابنيتها لطيفة ، وأهم شئ فيها البرلمان . ثم خرجنا الى المزارع ، وبحثنا ـ أو بحث القوم ـ فى التربة ، وهى كسابقتها من الخصوبة بمكان عظيم . والروس يقولون إن أرض كندا كأرضهم فى سوادها وجودتها وتركيبها — فهل أراضى المناطق البـاردة كلها على هذا الحال ؟ أو انها كان تكوينها بحال واحـدة ؟ — نترك الحكم فى هذا لاهله من علماء الجيولوجيا .

وقبـل أن نترك أرض كندا نقول : إن الشوارع فى جميع مـدنها عظيمة الاتساع بحيث لاتنقص عن ٦٠ مـترا : ذلك ان المـدن فيها جديدة ، وتخطيطها حديث بحيث أن المدينة وضعت على الرسم الكروكى الذى أبيح للناس البناء على نظامه لذلك لاترى فيها بوجه عام دخولا ولا خروجا . بل هو ترتيب كالذى تراه فى



الشاطىء الصخرى على المحيط الهادي ص — ١٩٨



حلوان والزمالك القبلية . وكذلك المدارس فانها مع قلة الطلبة تراها مشيدة كما هى فى أحسن البلدان ، ولا أبالغ اذا قلت إنى أراها هنا أحسن منها فى أوربا ، وعلى الخصوص فى فرنسا ، وقد ترى فى المدينة الصغيرة عشرات من المدارس من أولية ، وثانوية ، أو عالية ، وكلها أبنية فخمة كلفت القوم بدون شك مصاريف هائلة وبهذا تجد العمار عندهم لا يعتوره خراب ، ولا يعتريه زوال ، مادامت عناية القوم به كما ترى ، ومنه نرى أنهم انما يبنون للمستقبل .

وبعد زيارتنا للجامعة توجهنا إلى لوكندة « فورت جارى » بدعوة من رئاسة الجامعة ووزير الزراعة للعشاء فيها ، وقد اجتمعت بحضرة الوزير وتكلمت معه فى شئون شتى ، خصوصا عن ايرادات الحكومة ، وعلمت منه انها من ضرائب على المشروبات الروحية ، والاوتوموبيلات ، ومما يباع من الأراضى ، ومماينقص عن المصروفات تدفعه الولاية العامة سلفة الى أن يمكن أن تغطى ايراداتهم مصروفاتهم وعرفت منه أن الحكومة رغماً عن جودة الارض موجهة اهتمامها الى استئصال الحشائش الطفيلية فى مبدأ امرها ، لتكفى نفسها شر كثرتها فى المستقبل . وليت عمال الزراعة عندنا ينصحون الى المزارعين بالعناية باستئصال هذا النبات المضر قبل أن تتكون تقاويه . وعرفت من جناب الوزير ، أن الحكومة وشركات السكك الحديدية والنقابات تملك كثيراً من الاراضى ويمكن لأى انسان أن يشترى ماير يده مادام معه ثمنها الذى هو عبارة عن ١٥ ريال للفدان !! وما دام معه من المصروف الزراعى ما يشترى به حصانين للحرث وبعض بقرات تساعد بالبانها على غذائه وغذاء عائلته .

وبعد العشاء ركبنا قطارنا فسار بنا متجها إلى الجنوب حتى دخل فى حدود الولايات المتحدة من (ولاية منيزوتا) وهناك أتى عمال الجمارك عند الحدود وفتشوا كثيراً من الأمتعة خوفا من أن يكون مع الركاب شئ من المشروبات الروحية الممنوع دخولها إلى أرض الاتحاد ، ثم استأنف القطار مسيره حتى وصل إلى مدينة (مورهيد) والمسافة التى قطعناها اليها ٢٢٧ ميلا .

يوم ١٦ يوليو

وصلنا فى صباح هذا اليوم الى مورهيد وعدد سكانها ٦ آلاف نفس ، ومسا كنها كلها من الخشب ، وشوارعها واسعة وان كانت أقل بكثير مما شاهدناه بكندا . وبعد ان افطرنا فى نزل كاسل ركبنا عرباتنا تحت المطر قاصدين رؤية التربة فى جملة جهات منها : وهى أرض كلها قوية ، وتربتها من أحسن مارأيناه من نوعها ، والغلال تنمو فيها نمواً عظيما ، ويمر فى هذه الولاية نهر مابل ، ولكن ليس له أثر فى نظام الرى لأن الرى هنا على المطر ويبلغ ٢٣ إنشا . والبرسيم عندهم ينمو نمواً عظيما جدا ، وخصوصا النوع الذى يسمونه « الفا الفا » وهم يقطعونه ثلاث مرات ويجففونه للشتاء !! ومع هذا فثمن الفدان هنا لايزيد فى متوسطه عن ١٢٠ ريالا . وقد تكثر هنا زراعة البطاطس والكتان ، وقد شاهدنا فى بعض المزارع غيطاً من البنجر فيها مرض ، ورأينا القوم يحاربون هذا المرض بواسطة عربة صغيرة عليها برميل (كعربات الغاز التى تسير فى طرق الارياف بمصر) ومن اسفل العربة من خلفها انبوبة يظهر منها نحو نصف متر من على يمين وشمال البرميل — وفى اسفل الانبوبة رشاشات من نوع الحنفيات الرشاشة ذات الثقوب الرفيعة التى لغسيل الايدى ، وهذه الرشاشات مثبتة فى الأنبوبة على نسبة ابعاد الخطوط المزروع فيها النبات ، فاذا سارت المركبة (بحصانين) فتحت حنفية الأنبوبة فتنزل المادة المجهزة التى فى البرميل الى الرشاشات فتغمر النبات من كل جهاته ، وهذه المادة لم يتيسر لى معرفتها .

وهذه العملية تنفع عندنا فى امراض الخضراوات ، ولا ادرى اذا كانت تنفع فى دودة ورق القطن ؟ لأن هذا الفراش الذى ظاهره فيه الجمال ، وباطنه فيه العذاب ، كـكثير من المخلوقات الضارة لايضع بويضانه إلا فى اسفل الورقة !! ولكنها تنفع من غير شك فيه عند الفقس وانتشار الدود على الورقة . وبعد دورتنا

ركبنا قطارنا الذى سار بنا إلى مدينة (افوكا) بعد ان قطعنا اليها ٢٢٠ ميلا ، ومنها إلى مدينة (سان بول) والمسافة بينهما ٢٨ ميلا .

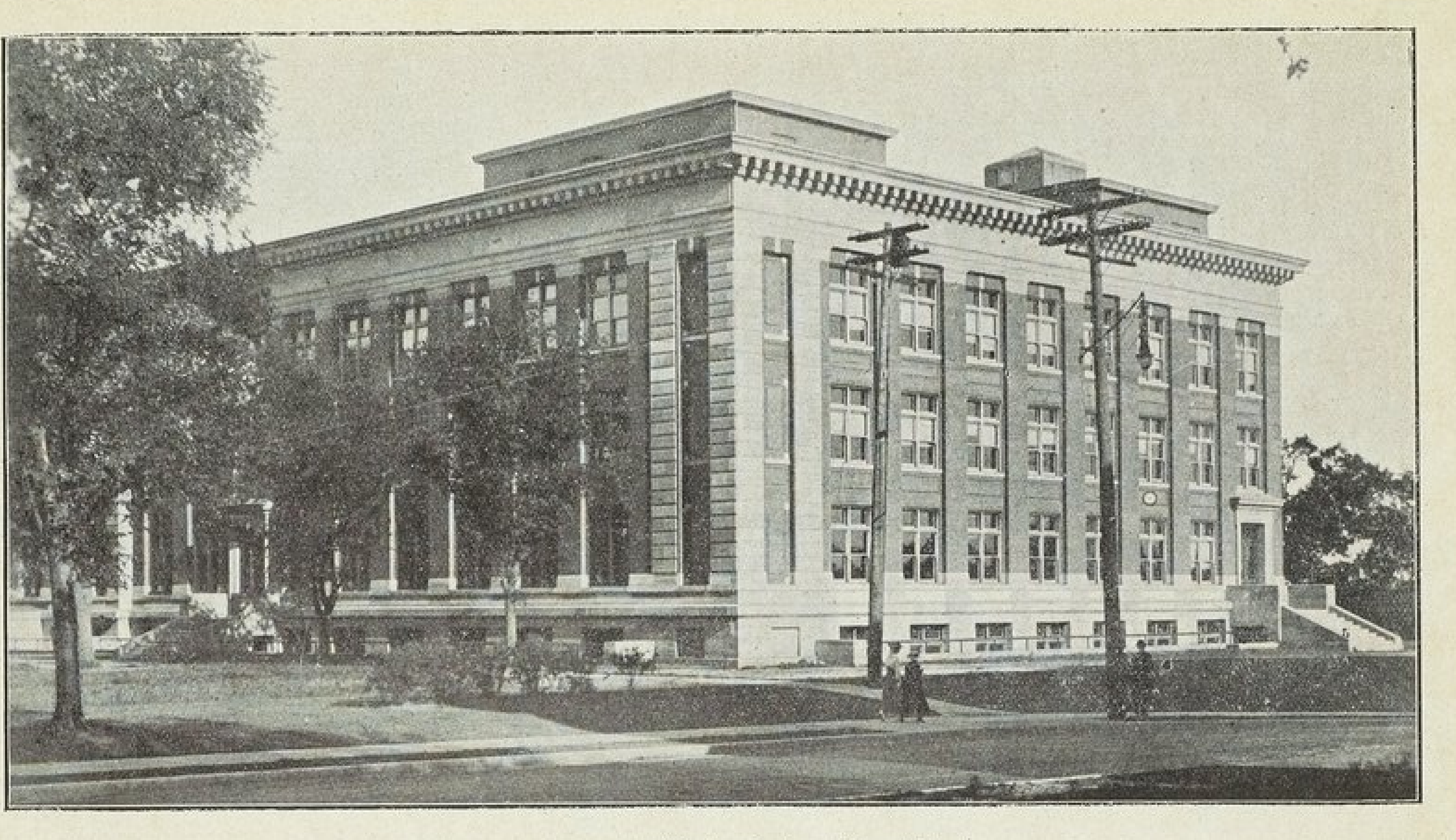
يوم ١٧ يوليو

وصلنا فى صباح هـذا اليوم الى محطة (سان بول) بعـد أن قطعنا اليها مسافة ٢٤٨ ميلا . وتعداد هـذه المدينة ٢٣٥ الف نفس . وهى عاصمة ولاية منيزوتا ، وهى على نهر المسيسبى ، وتجاهها من الشاطئ الآخر مدينة (مينا بوليس) . وبعد افطارنا ركبنا العربات وشققنا المدينة فوجدنا أبنيتها فى غاية الجمال ، وغالبها من الطوب الاحمر ، وقليل فيها بالخشب . وفى المدينة حـدائق عمومية كثيرة غاية فى النظام . ومازلنا سائرين بين مناظر جميلة حتى وصلنا الى حديقة عمومية كبيرة جـده عـلى نهر المسيسبى ، وتـكاد تـكون فى دائرتها غابة بشجرها الملفوف ، والقوم يذهبون اليها فى أوقات نزهتهم — وخصوصا فى أيام الآحاد — فيجلسون على الجازون الاخضر ، ويأكلون ويشربون فى ظلال أشجارها الوارفة ، وهم مطلون على ذلك النهر العظيم الذى ينخفض عن الحديقة بعشرات الامتار .

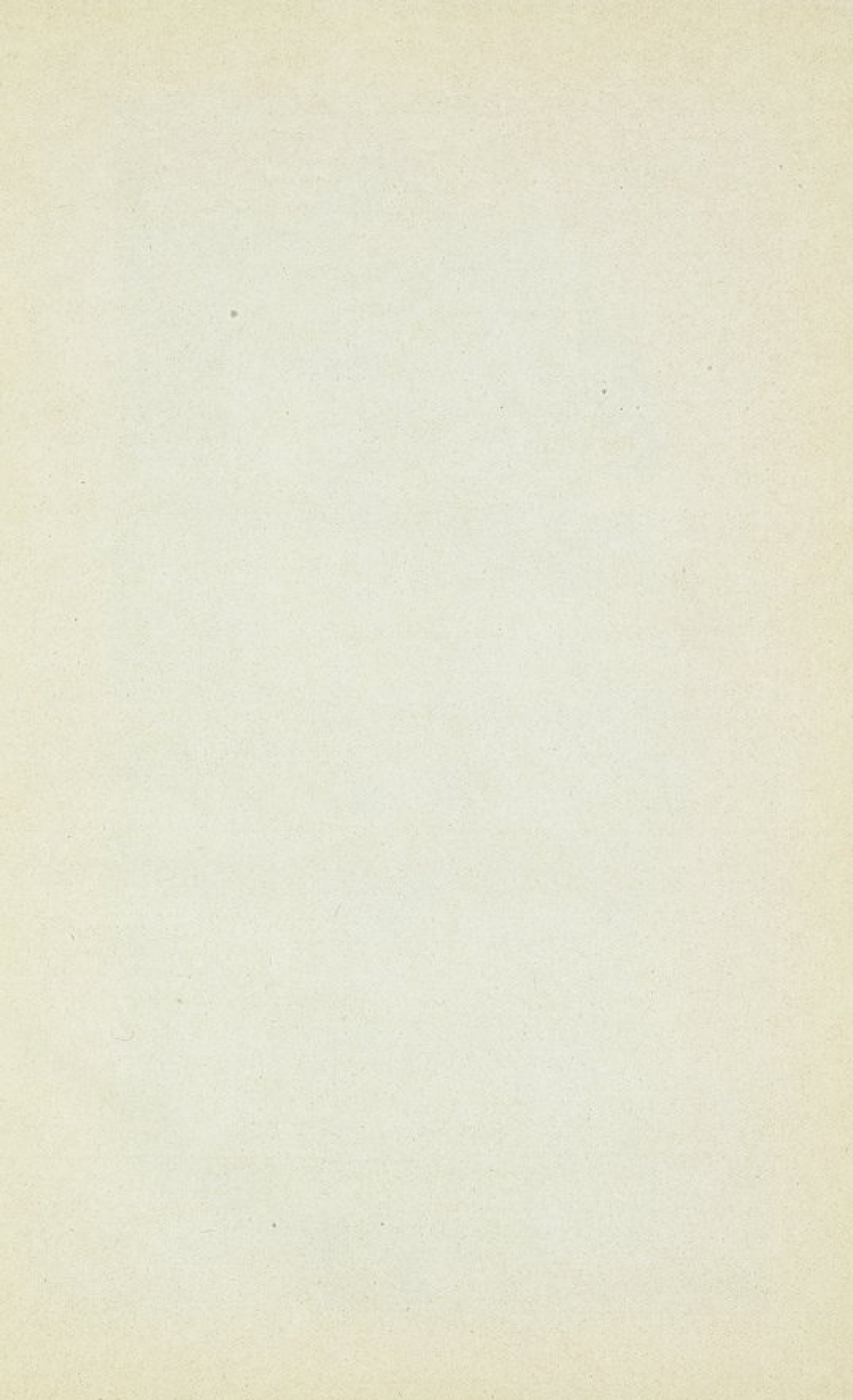
وهنا بدا لنا المسيسبى بمائه الصافى وهو قرب منبعه هادئ مطمئن ، ليست فيه أية علامة من علامات الاضطراب التى أزعج بها العالم كله من أشهر مضت بما أحيا به أناسا وأمات آخرين ! ! وسعته من هـذه الجهة ضعف رياح المنوفية ، وبعـد أن استرحنا هناك زمنا تمتعنا فيه بهذه المناظر الباهرة ، ركبنا عرباتنا وسرنا على ضفته الشرقية ، وكان مجراه يختفى عنا أحيانا بما عـلى شاطئيه من الاشجار الكثيفة العالية ومازلنا فى سيرنا نخترق رياضا بعد رياض ، وغياضا بعـد غياض ، حتى وصلنا الى جامعة منيزوتا : وهى أبنية كثيرة فخمه بنى بعضها بعيدا عن بعض بعشرات الامتار ، وسط حديقة غناء ، وليست كلها على نظام واحد ، بل لـكل بناء نظام يتناسب مع صفة العلم الذى بنى من أجله . ومن ضمن هذه الاقسام : القسم الطبى ، والجيولوجى

ومدرسة خاصة لطب الاسنان ، وقسم للصور والفنون الجميلة ، نقشت على واجهته أسماء من ظهر فى العالم فى هذه الفنون مبتدئين باسم «دانت» منتهين باسم «فيدياس». ثم قسم للبسيكولوجيا ، وقسم للصيدلة ، وقسم للهندسة العمومية ، وقسم للهندسة الميكانيكية ، وقسم للحقوق ، وقسم للتعاليم الدينية ، وبجوار هذا وذاك معامل مختلفة كياوية وطبيعية ، ثم كنيسة فخمة هى كنيسة الجامعة ، ثم دار كتب عظيمة فيها عشرات من آلاف الكتب فى مختلف العلوم والفنون تحت تصرف طلبة الجامعة ! !

ولقد يخيل اليك أن هذه الأبنية كلها قسم كبير جميل من مدينة أرستقراطية تتخللها الشوارع التى لا تقل فى عرضها عن ٢٠ مترا ، وليس فيها مكان غير صالح لشئ مما وجد من أجله ! ! وفى وسط هذه المبانى بناء عظيم على ثلاثة أدوار ، فيه قاعات كبيرة جدا آية فى النظام جعلت للاجتماعات العلمية ، وهى التى استقبلونا فيها وجعلوها تحت تصرفنا للاستراحة جملة ساعات . وقد تغدينا فى هذا القسم بدعوة من الجامعة . وبعد الظهر زرنا مكان التجاريب الزراعية ، ومما لفت نظرى نوع من البرسيم (الفا الفا) يبلغ ارتفاعه مترين ، وساقه مثل ساق الفول قبيل زمن غلته ! ! ومررنا ونحن فى طريقنا من بعد على شئ غريب فى بابه : هو اسطوانات كبيرة جدا من الحديد ، قطر الواحدة نحو ثلاثة أمتار ، وارتفاعها نحو عشرة أمتار ، ولها فوهة من أعلاها يرفعون اليها الغلال بواسطة آلة رافعة ، فيخزنونها فيها ولا منافذ فيها إلا باب صغير فى أسفلها يفتحونه عند الحاجة الى المخزون ! ! وهى أشبه شئ بالزواليع التى نراها على الخصوص عند فلاحى قبلى فيضعون فيها غلالهم الى زمن تقاويهم مدة ثمانية شهور ، ونحن نضحك من سذاجتهم ولا نفهم أن العلم لم يصل فى حفظ الغلال الى أبعد من ذلك ! ولاشك أن هذه العملية وصلت اليهم من زمن قدماء المصريين وللآن يعثرون فى المقابر على زواليع صغيرة مملوءة بالغلال لم يمسها سوء طول هذه المدة إلا اذا تعرضت فيها للهواء .



مدرسة الهندسة فى مينا بوليس بالولايات المتحدة ص — ٢٠٢



وبعد أن تعشينا فى الجامعة ركبنا عرباتنا الى القطار الذى قام بنا فى الساعة الحادية عشرة مساء ، وما زال فى سيره حتى وصل فى الصباح الى مدينة (نافارا) بعد أن قطع اليها ٢٢٤ ميلا .

يوم ١٨ يوليو

وصلنا الى هذه المدينة التى هى من ولاية « أيبووا » وعدد سكانها ٣ آلاف نفس ، وبعد إفطارنا ركبنا مركبات الى مكان التجارب الزراعية وهى على بضعة أميال من المدينة ، وكانت تنمو على جانبى الطريق زراعة الذرة نموا عظيما جدا ، وقد رأيتها تكثر فى هذه المنطقة كثرة تأخذمنها أنها هى الزراعة الرئيسية فيها ، وعلى ذكر الذرة هنا نقول : إن جميع مدن الولايات يستعملونه بكثرة مقشرا ، ويضعون عليه جانبا من السكر ويبيعونه فى دكاكين خاصة به !! والارض هنا كالتى يعبرون عنها بالسوداء ، وزراعتها كلها على المطر الذى يبلغ ٣٠ إنشاً ، أما زراعة الغلال الاخرى — حتى فى امكنة تجاربها — ليست كغيرها من النمو ، ومحصولها يصل فى القمح والذرة الى ٣٠ بشل (والبشل ٥٦ رطلا) . ومن الشعير الى ٥٠ بشل . والذى أعجبنى هنا مكنة لضم الغلال : تضمها وتربط حزمها وترمى بها الى جانب واحد ، وهذه المكنة تعمل نحو عشرة فدادين كل يوم !! والذى شاهدته أنها تعمل فى غلال سوقها كالتى فى أرض الباق عندنا .

وبعد أن أخذنا غذاءنا فى الهواء الطلق ، ركبنا مركباتنا الى القطار الذى قام بنا الى محطة (دوموان) فوصلناها فى الساعة الرابعة ، وفيها زرنا مكانا عظيما للنشر به مطبعة من أحسن شئ فى نوعها ، والذى رأيناه من آلاتها :

١ — آلة تايبريتر تكتب عليها فتجمع أحرف الطبع من جهة أخرى منها .

٢ — آلة تايبريتر تكتب عليها فتطبع ماتكتب من جهة أخرى منها .

٣ — آلة تقطع صفائح الرصاص وتكتبها أحرفا للطبع .

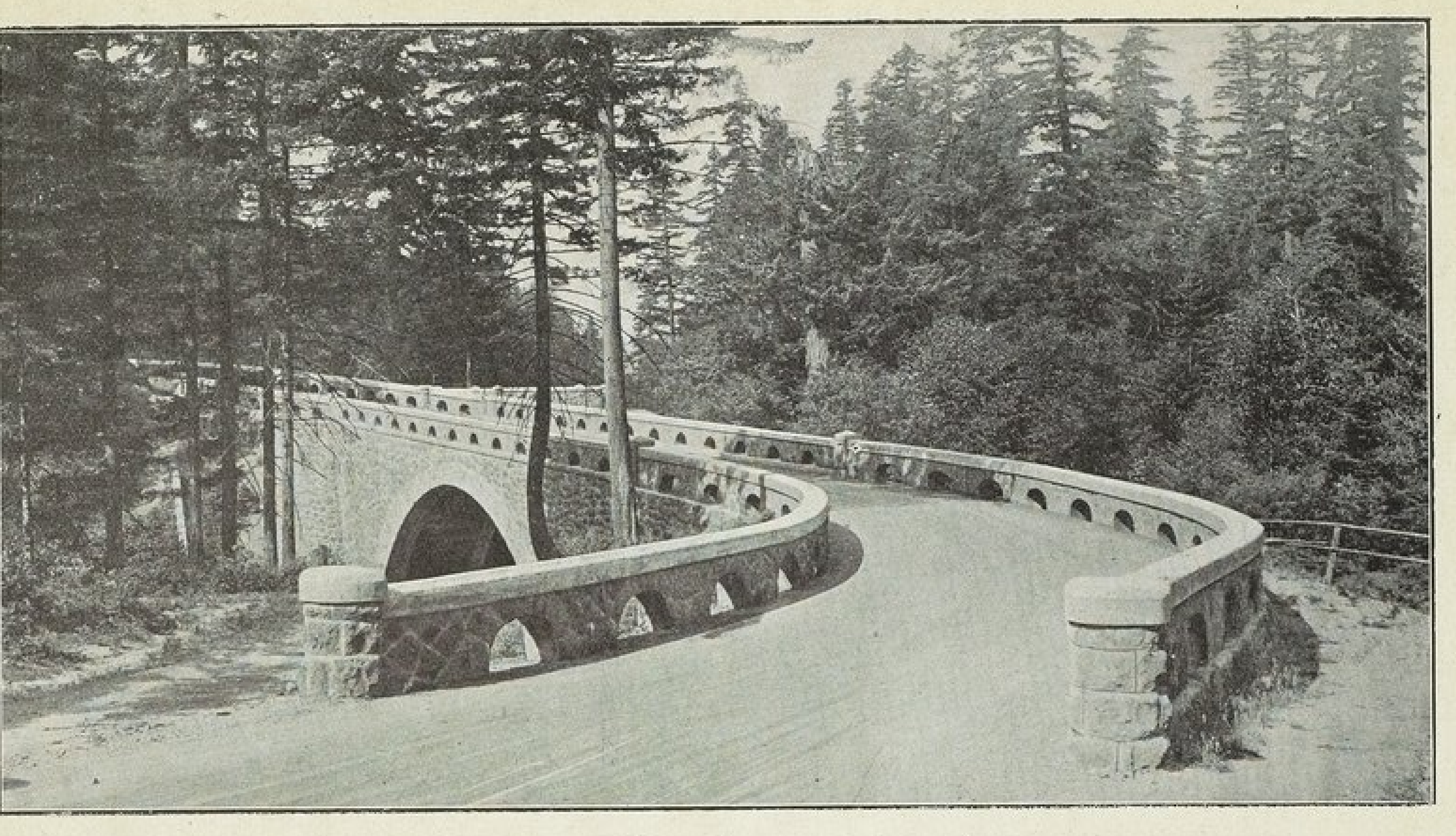
وفى هذا الدور ٢٠ مكتبا للعمال وان شئت فقل للعاملات !!

أما الدور الثانى ففيه آلات الطبع : تقدم المجلة مثلا للطبع فتطبع ، ثم تسير الى آلة تحزمها ، ثم الى آلة تغلفها ، ثم الى آلة تقطعها من طولها ومن جانبيها ، ثم الى آلة تغلفها بغلاف العنوان ، ثم الى آلة تضع عليها ورق البوستة والعنوان . وبجوار هذا عشرات العاملات لتجهزها من آلة الى أخرى . وهناك آلة لطبع الوان الغلافات مثلا ! وهى تطبعها على حالها مرة واحدة ، لا كما هو الحال عندنا فى مطابع الحجر كل لون على حدته ، وآلة الطبع تطبع ٤٠٠٠ نسخة من المجلة كل ساعة !! وهناك سكة حديدية صغيرة متحركة على الدوام لجمع الملازم — فكل ماطبعت ملزمة تسير على سلك متحرك إلى عاملة تضعها على التى قبلها حتى اذا انتهت الملازم المكونة للمجلة أو للكتاب أخذت للتغليف أو للتجليد بهذه السرعة الهائلة وهذا النظام العجيب !!!

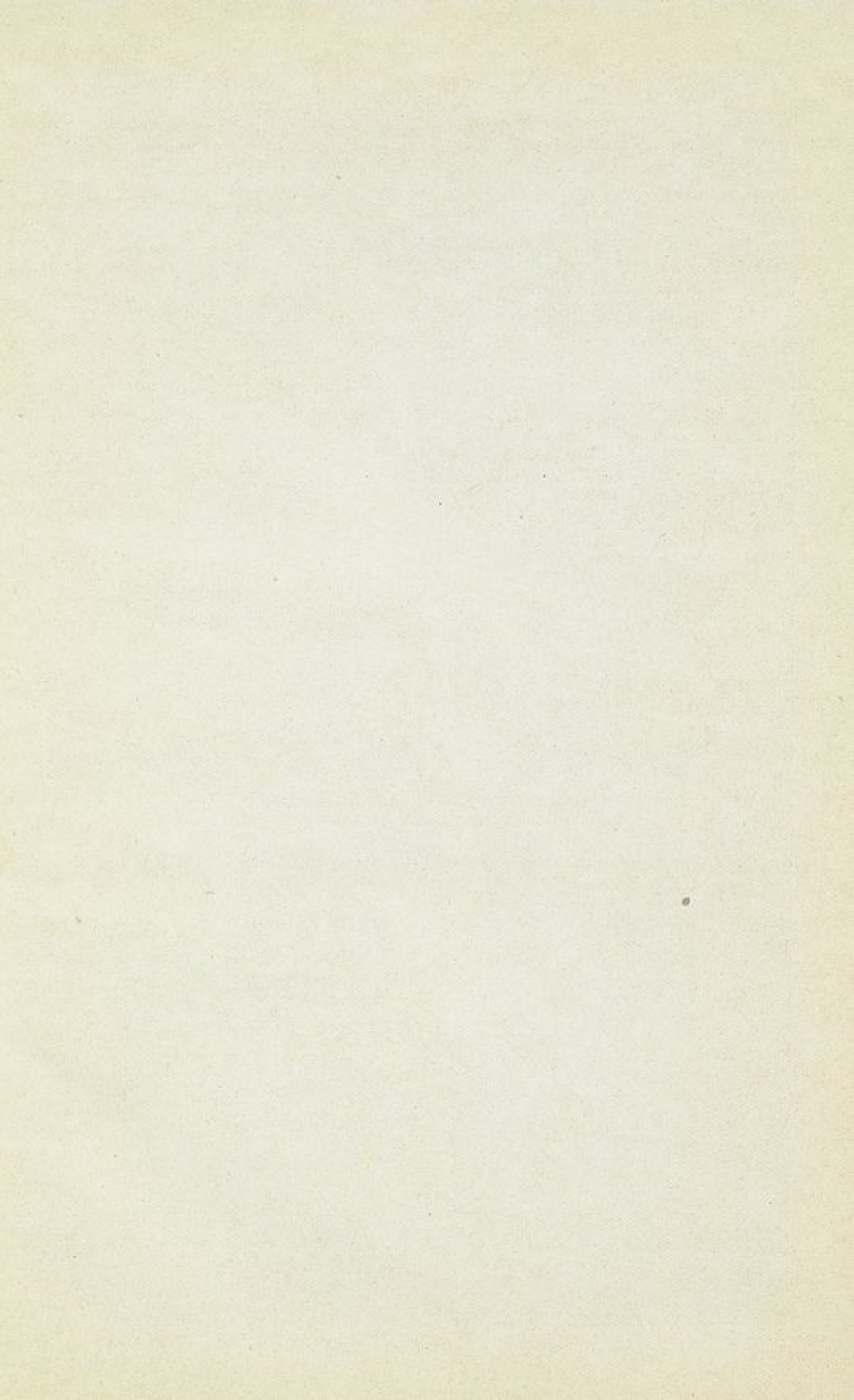
وهذه المدينة على صغرها جميلة جداً ، وهى فى الليل كأنها قطعة من أهم المدن الامريكية لكثرة مافيها من انوار الشوارع الكهربائية ومظاهر الاعلانات . وبعد أن تناولنا العشاء فى نزل سيفرى بدعوة من جمعية النشر ، وقام الخطباء يتناولون المواضيع المختلفة التى انعشنى منها ماكان لمصر فى قديم الزمان من الفضل على المدنية . وفى المساء توجهنا إلى القطار الذى قام بنا نصف الليل حتى وصل الى محطة (مولين) وهى فى ولاية « ألنوا » بعد ان قطع اليها ١٧٨ ميلا .

يوم ١٩ يوليو

وصلنا فى صباح هذا اليوم الى مدينة مولين ، وعدد سكانها ٣١ الف نفس . وكان بروجرامنا دعوتنا الى الافطار فى نزل لوكاير ، وهو نزل جميل فى داخل المدينة. وفى منتصف الساعة التاسعة ركبنا الاتوموبيلات المعدة لنا وقطعنا المدينة من غربيها الى شرقيها ، وهى وإن كانت كبيرة إلا أن منازلها صغيرة ، وكلها أو جلها من



قنطرة حجرية فى ولاية برتش كولومبيا بكندا ص — ٢٠٤



الخشب ، ويندر ما كان فيها من الآجر : ذلك لانها مدينـة عمل وصنائع . زرنا فيها مصنع جون ديز لعمل الآلات الزراعية ، وفيـه بضعة آلاف من العمال ، وكم كانت دهشتى عنـد مازرت المكان الذى يصهرون به الحـديد الزهر ويضعونه فى قوالبه المختلفه ! ! كم كانت دهشتى عند ما رأيته وقد فتح باب قزانه الهائل وأخذت كتلته الهائلة تنزل منه، كأنها الماء استحال الى نار موقـدة ، إلى أناء كبير حتى اذا أمتلأ سيربه معلقا فى قضب سكة حديد فى الهواء ، حتى اذا وصـلوا به الى قوالبه أخذوا يصبونه فيها ، وبعـد دقائق يخرجونه منها قطعة متجمدة مما تتكون منه قطع الآلة الزراعية، ثم ينزل بهاالى آلة التهذيب (المخرطة) والصقل !! وكم كانت دهشتى عند مارأيت العامل يتناول العجلة الحـديدية وهى قطعة من نار وينقلها بيديه وليس فيهما غير قفازان ، لا أدرى اذا كانا من الجلد أو من مادة لاتأ كلها النيران . وكم كانت دهشتى عند مارأيت بعض الآنسات يعملن فى هذا الوسط !! آنسات يعملن فى النار وجسمهن من نور ! ! وربما كانت هـذه هى الرابطة الوحيدة بين هـذين النوعين من مخلوقات الله ، وكم كنت أقول فى نفسى : يانار كونى بردا وسلاما ! ! نزلنا الى آلات الثقب بالماء ، وهى أنواع كثيرة بحسب مايتطلب العمل ، ثم رأينا آلات قطع الحديد ، ووصل الحديد ، وثنى الحديد ، وكلها من الهول بحيث لايمكن وصفها . ثم رأينا آلات الصقل أو الخرط بواسطة الماء والصابون ، أو الزيت أحيانا وبعد ذلك زرنا الاحواض التى ينزلون فيها بعض هذه الآلات لتلوينها ، ثم دخلنا الى عنبر لعملية الاخشاب من قطع ، ونشر ، وتهذيب ، وثقب ، وتلوين ، ثم الى الجهة التى تكون فيها الآلات مركبة جاهزة للعمل ، وهو معرض فيه جميع الالات الزراعية من محاريث ، وآلات ضم ، وغير ذلك . وبعد ذلك خرجنا الى عرباتنا للتنزه على ضفاف نهر المسيسبى الذى يمر من شرق المدينة وهو هنا واسع الاطراف كأنه النيل فى وفائه وحمرة مائه . ثم عدنا الى قطارنا الذى قام بنا الى مدينـة (شيكاجو) بعـد أن قطع اليها ١٧٩ ميلا . فوصلنا اليها فى

يوم ٢٠ يوليو

شيكاجو

شيكاجو مدينة من مدن الولايات المتحدة على بحيرة ميشيجان ، وعلى مصب نهر شيكاجو الذى يمر من وسطها ، وعدد سكانها ٢٫٧٠٢٠٠٠ نفس . ولا تزال فى زيادة مستمرة مدهشة ، ويكفى أنك تعرف أن هـذه المدينـة العظيمة لم تكن فى سنة ١٨٠٤ غير قلعة بسيطة هاجمها الهنود واستولوا عليها فى سنة ١٨١٢ ، وفى سنة ١٨٣٣ أصبحت قرية بسيطة عدد سكانها من ٥٠٠ الى ٦٠٠ نفس ، وفى سنة ١٨٣٧ كان عددهم ٤١٧٠ نفسا ، ومن ثم أخـذ عمرانها فى الزيادة حتى أصبحت من المدن الشهيرة ، غير أن الحريق أتى عليها جميعها فى سنـة ١٨٧١ ، وقد بنيت فى سنة ١٨٧١ ، وكان بها فى سـنة ١٨٩٣ معرض الآلات العام . وهى الان من أكبر عواصم البلاد ، ومن أكبر مراكزها التجارية والصناعيـة والعلمية ، وتسمى بحق ملكة المدائن ، ومدينة الاعاجيب والمدهشات ، ترى فيها النشاط شديدا ، والحركة مستديمة فى سكانها على اختلاف أجناسهم من بيض ، وحمر ، وسود ، وتـكثر فيها قطر الترام الـكهربائية ، والبخارية ، والقطر الحديدية التى تذهب الى قلب مافيها من المعامل والمصانع ، ويشقها نهر شيكاجو وعليـه عدد كبير من الـكبارى المتحركة ، ومن تحته كثير من الانفاق تصل أقسام المدينة بعضها ببعض وتـكثر فيها الحدائق العمومية ، وما الى ذلك من الميادين التى تساعد على تنقيـة الهواء ، وسلامة الصحة ، خصوصا فى مثل هذه المدينة التى ترى على الدوام دخان مداخن مافيها من آلاف المصانع منعقدا فى سمائها ، وفيها من الـكنائس ما يربى على السمائة كنيسة ! ! أما مدارسها وبنوكها ومصانعها فشىء لا يحصه العدد .

وكأنى بك إذا سرت قليلا فى شوارعها التى عـلى النهر وعلى الاخص التى تقرب من بحيرة ميشيجان رأيت تلك الأبنية الشاهقة التى تذكرك بناطحات السحاب بنيويورك لولا أن أبنية شيكاجو متناسبة فى ارتفاعها مما يزيدها جمالا وإن كانت

لاتصل الى أكثر من ٢٠ طبقة . وأبنية هذه المدينة بصفة عامة أذكرتني بحي الافرنج وحي العرب ببورسعيد، أو بالاحياء الافرنجية والوطنية بالقاهرة والاسكندرية بما بينها من تلك الفوارق فى نظامها ونظافتها : كذلك ترى فى شيكاجو حى الأغنياء - وحى الفقراء - والاول فى عظمته وجلاله ، والثانى فى أتربته وأوحاله ! ! وقصارى القول أنها من أكبر مدن العالم تجارة وخصوصا فى الحبوب واللحوم المجهزة ، واختلاف الصناعة والآلات البخارية والموبليات الفاخرة والسيجار والمطابع والجلود المدبوغة ، وفيها أكبر بورصة للحبوب فى العالم لأنها أكبر موارد الحبوب فى أمريكا،وهى تأتيهامن كل جهة بواسطة البحيرة والنهر والسكك الحديدية ، وتنصرف منها إما حبوبا وإما دقيقا .

بورصة القمح بشيكاجو

إذا كانت الولايات المتحدة تنتج من القطن ثلاثة أرباع ماتنتجه المسكونة من هذا النوع — فهى لاتنتج من القمح إلا ربع محصول العالم منه : لذلك كانت السياسة التجارية للولايات المتحدة فى القمح أهم منها فى القطن ، لانها إنما تسيطر على هذا الصنف الاخير ولها وحدها الكلمة فى أسواقه العالمية — أما القمح فترى اهتمامها به عظيما جدا :

واذا كانت توجد بالولايات المتحدة أكثر من الف وخمسمائة غرفة تجارية منتشرة فى ولايات الاتحاد ، وتمثلها جميعها الغرفة التجارية الوطنية التى مركزها فى واشنجتون،والتى لها نفوذها لدى الحكومة واحترام رأيها فى سياستها الاقتصادية ففى شيكاجو للقمح أكبر غرفة تجارية فى العالم كله . ولهذه الغرفة الاخيرة علاقة بملايين الزراع والتجار فى ولايات الاتحاد ، فيتعرف أعضاؤها حالة الجو فى كل الجهات التى تزرع القمح سواء فى ولايات الاتحاد أو فيماوراءها : فتراهم يستفسرون عن حالة الفيضان فى الارجنتين ، والمطر فى صيف فرنسا ، والبرد فى هونجاريا ،

وحالة الجراد أو الجفاف فى فصل الشتاء بشمال افريقيا، والجفاف فى ربيع أوستراليا، وعما إذا كانت الاخبار السياسية فى الروسيا أو الشرق ملبدة بالغيوم، فاذا تحققوا من شئ من ذلك من وكلائهم فى هذه الجهات — وهم على اتصال دائم بهم — عرفوا أن الغلال فى هذه الجهات كلها أو بعضها ستكون قليلة فيرتفع سوقها بطبيعة الحال (والعكس بالعكس) : هنالك يتخذون له عدته — التى يبنونها على صحة الارشادات التى وصلت اليهم من مندوبيهم فى جهات العالم — هذه الارشادات التى ينصحون بها عملاءهم بسرعة البيع خوف سقوط الاسعار لما ينتظرونه من كثرة العرض القريب أو بانتظار التحسين الذى يوشك أن يأتى حسب تقديرهم، وهم فى كلتا الحالتين يبنونه على الارقام الثابتة لا على التخمين الكاذب، والاوهام التى لا ترتكز على شئ ثابت كما هو الحال فيما تعودناه من الحكم على تصريف محاصيلنا : ومع الاسف الشديد فانك لا تعدم من الفلاح البسيط عندنا ولا من التاجر الصغير رأيا هو على الدوام حول صعود الاسعار يبنيه كل منهما على (١) أوهام لا نصيب لها من الحقيقة !!

ولارشادات النقابة فى شيكاجو أثرها فى بورصتها، فترى القوم يندفعون فى الشراء أو البيع بالتلغراف — باللاسلكى — بالتلفون سواء فى دائرة الاتحاد أو فى غيرها من المسكونة.

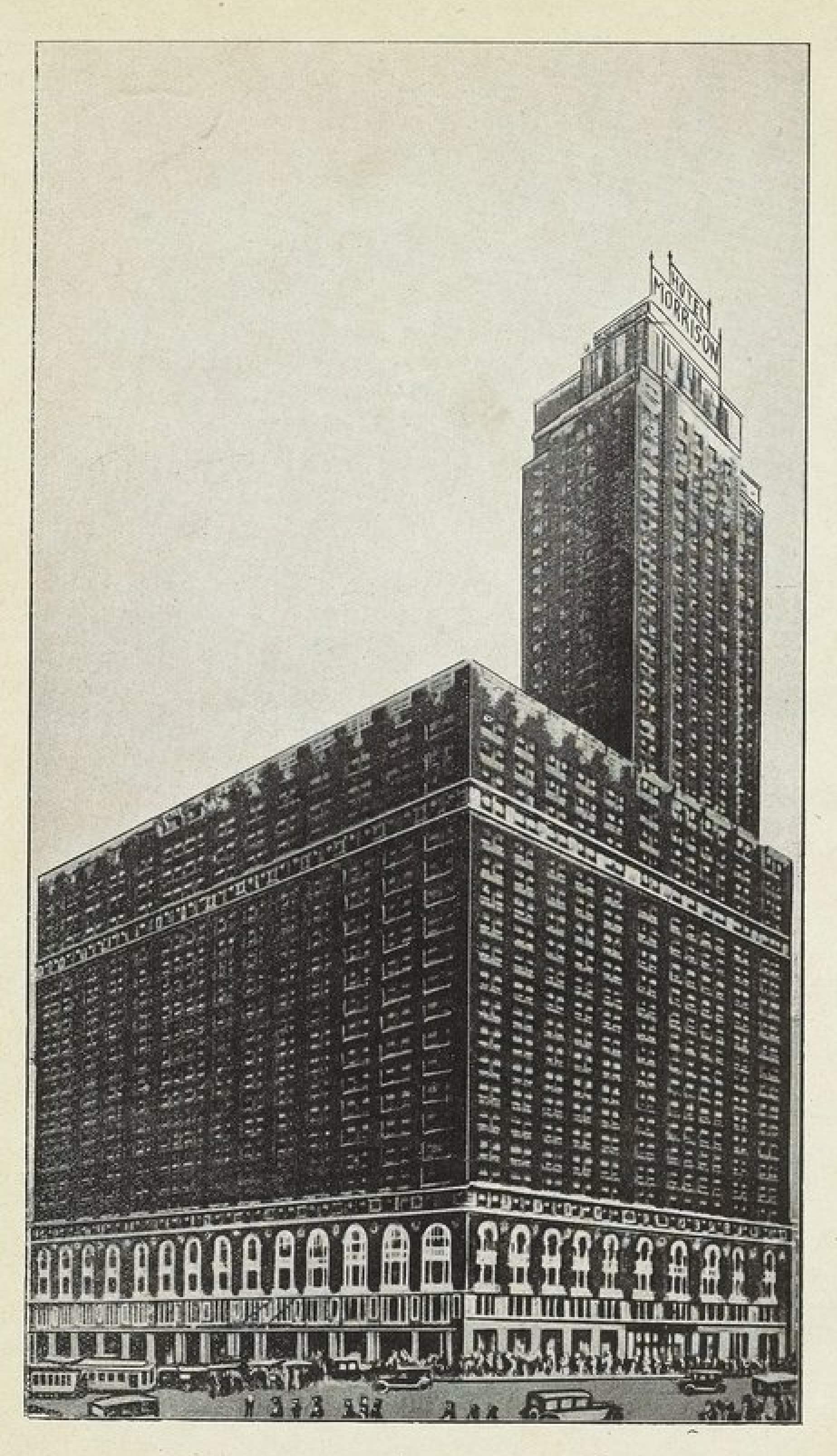
وهنا ألفت نظرك الى مامنى به القمح فى جميع أسواق العالم فى السنة الماضية والحالية (١٩٢٩ — ١٩٣٠) إنما هو أثر لما أصاب سعره من التدهور فى بورصة شيكاجو.

***

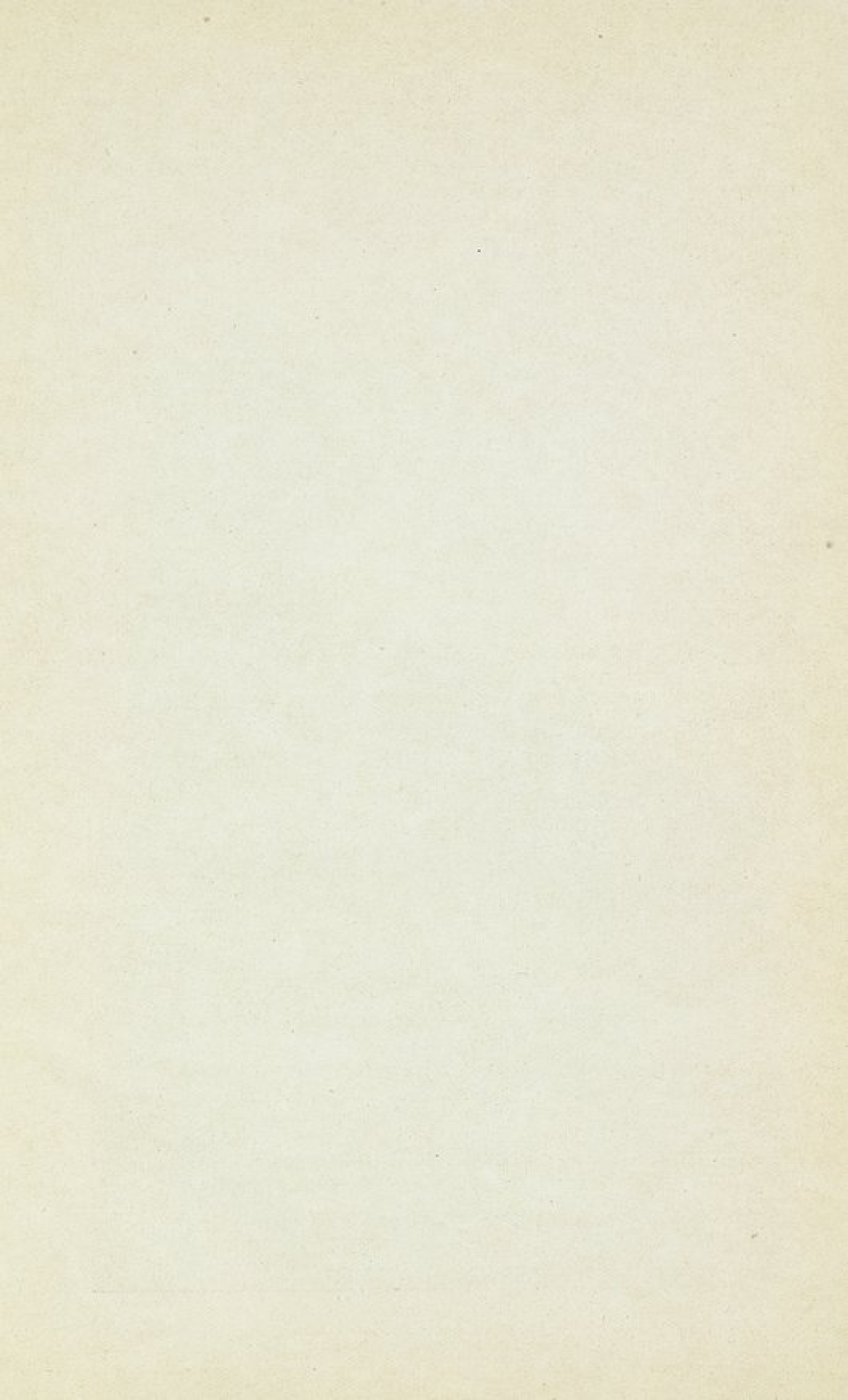
ولقد زرنا فى هذه المدينة محل ادارة شركة « سويفت » فتناولنا بها طعام

---

(١) وإنا لنرجو أن يكون اهتمام حكومتنا الان بتعميم النقابات الزراعية فيه كل الضمانات لمصلحة المزارعين فى تصريف محاصيلها على أساس معقول يكون من ورائه الخير العام ان شاء الله.



لوكندة موريسون فى شيكاجو ص — ٢٠٨



الاقطار ، ثم زرنا مصانعها وبها أكبر مجازر للحيوانات فى العالم كله ، فانه يذبح فيها كل يوم ٣٠٠٠ خنزير ، و ٢٥٠٠ خروف ، و٢٠٠٠ ثور ! ! وقد شاهدنا مذابحها جميعا ورأينا كيف تجهز الى علبها — ويكفى ان أحدثك عن مذابح الثيران : يأتون بالثيران فى عربات سكة حديدية خاصة بالمذبح ، وهى مائلة من احدى جهتيها الى ذلك الفناء الذى تذبح فيه ، والذى يشرف عليه النظارة من إيوان مرتفع ، حتى اذا وقفت المركبات الى آخر هذا الفناء ، يقف عشماويها من الطرف الآخر ، ذلك الرجل الذى تقرأ فى وجهه آيات القسوة مجسمة بارزة ، وفى يده مطرقة من الحديد ، فيضرب بها الثور على أم ناصيته ضربة يخر منها فاقد الحياة ! ! وقد تكون الضربة غير قاتلة فيتلوها بغيرها ! وعندها يفتح الباب فتتدحرج الجثة الى هذا الفناء حيث يتناولها احد الجزارين وهم كثيرون ، فيربط رجلها الخلفية اليسرى فى حبل يرفعها بحركة ميكانيكية الى نحو متر فوق الارض ، وهنالك يضربها بسكين فى منحرها فيسيل دمها على أرضية المكان الذى تراه فيه كالنهر يسير الى بلاليع فى جوانب هذا المكان ، وترى هذه العملية فى آن واحد فى عشرات من الثيران ، حتى اذا ذبحت أخذ الجزارون فى سلخها بسرعة هائلة ، ثم تسير بحركة أوتوماتيكية الى حمام ساخن تغسل فيه غسيلا تاما ، ثم تنقل الى مكان آخر بنفس الحركة ، فتقطع فيه أرباعا ثم يلقى بها الى من يفصلها أشلاء ، ثم الى من يجهزها قطعا ، ثم الى افران تطبخ فيها ، ثم الى أفران أخرى تعقم فيها ، ثم الى من يضع عليها ورقة الاعلان أو البيان ، ثم الى من يضعها فى صناديقها ، ثم الى من ينقلها الى مركبات السكة الحديدية ، وهذا كله بحركات ميكانيكية سريعة جداً بحيث تتحد فيها حركة الآلات بحركة العمال ، حتى كأنها كلها أعضاء آلة واحدة ! !

***

تركنا معمعة هذه المجازر الى زيارة بعض مصانع الآلات ، فزرنا مصنع «ماك فورميك» وهو خاص بعمل الآلات الزراعية ، ولا تخرج فى عملها عن المصنع

الذى شرحناه فى مدينــة مولين ، إلا أن هذا المصنع أكبر وأوسع ، والحركة فيـه أعظم .

***

وبعد ذلك زرنا مصنع « أنترنا سيونال هارفستر » وهو لعمـل وابورات الجر أو الحرث مثل وابورات « فوردسن » وهى معامل كبيرة فيها ٣٠٠٠ عامل ! ! فاذا دخلت الى قسم الحديد ترى ألسنة النيران فيه متأججة من كل جهة الى سماء المصنع ، وكانى بها هنا تتكلم بلغة فصحى لا كما يقولون « ليس فى الامكان أبدع مما كان » ولـكنها تقول بعبارة أوضح « إن قدرة الانسان قد تصل الى مالا يخطر بالاذهان »

وكل هـذه النيران المتأججة لاعمال مختلفة ، هذه لتحمية الصلب الى درجـة الاحمرار ، وتلك لقطعه على أشكال متنوعة — حسب القدر المطلوب للعمل — ومن أعجب مارأيناه عملية أذرع الوابورات التى تراها مفرطحة من جهتيها ، ثم مسحوبة بشكل أسطوانى من طرفها ، ثم مقوسة من الوسط ؛ مما كنت أتصور قبل ذلك أنهـا مركبة من جملة قطع ، ولـكن أرجوك أن تسمع مارأيناه : يأتون بقطعة من الصلب كبيرة وأطول من القطعة المراد عملها (الذراع) ثم يضعونها فى موقد كبير كأنه قطعة من جهنم ، أو كأن جهنم قطعة منه ! ! حتى اذا احمرت وضعوها بواسطة آلة رافعة تحت مطرقة زنتها ٥٠٠٠ طن !! وهى من أسفلها محفورة على شكل نصف الذراع الاعلى ، والقاعدة التى يوضع عليها الذراع محفور فيها شكل نصفه الآخر ، ولا يزالون يطرقونه بهذه المطرقة الهائلة من ارتفاع مترين حتي يتداخل الصلب فى بعضه ويأخـذ الذراع شكله تماما ، ثم يرفعونه الى آلة الثقب ، ثم الى آلة التهذيب والصـقل (المخرطة) فاذا به لماعا براقا يأخـذ سناه بالابصار . وبعـد تـكوين جميع القطع طرقا وثقبا وصقلا وتهذيبا ، ترسل كلها الى مكان آخر فتركب على بعضها البعض ، وتلون بعض أجزائها ، ثم يوضع فيها البترول ويركب السائق فاذا بها تسير على وجـه الارض بنظام وإحكام لا يعتورها نقص ، ذلك أن عملية القطع كلها مصنوعة بدقة تامة ، وقـد ركبت أمامنا عشر قاطرات فسارت كلها

واحدة بعد الاخرى لا ينقصها شئ مطلقا من آيات الكمال .

وهذا المعمل يصنع كل يوم مائة قاطرة ويرسلها الى الاسواق الامريكية ! !
ويقولون إن هذه الآلات أمتن من فوردسن ، ولكنها لا تنفع فى مصر لانها إذا
تعطلت لا تجد ماينهض بها لعدم وجود محل لها عندنا فى مخزنه ما يعوض التالف منها .

***

وبجوار هذا المعمل مصنع لفتل الاحبال من الياف الصبار التى يأتون بها من
بلاد المكسيك على اشكال مختلفة ، منها ماهو رفيع (دوبارة) ومنها ماهو غليظ على
حسب العينات المختلفة التى تراها فى اسواق التجارة .

***

ومن أكبر معامل الحديد فى الولايات المتحدة مصنع جراى على بعد ٢٥ ميلا
من شيكاجو على بحيرة ميشيجان ، وله عليها مرفأ يتصل بالمصنع قد جعلوا عمقه
بحيث تقف فيه المراكب التى حمولتها ١٢ الف طن ، وعلى رصيف المرفأ آلات
الشحن والتفريغ بحيث يفرغ الف ومائتين وخمسين طنا فى الساعة ! ! وهذا المصنع
يدور بفحم الكوك ، والغاز الذى يتخلف منه ! يستعملونه فى توليد الكهرباء اللازمة
للمصنع ، فترى هناك بطارية هائلة يديرها خمسة وأربعون موتور ، قوة كل واحد
٢٥٠٠ حصان ، وقوة مجموعها ١١٢ الف حصان ! ! فيأخذ المصنع منها مايلزمه
وما يبقى يوصل الى مصانع أخرى للغير لادارتها فى نظير أجر معلوم .

وهذا المصنع يعمل كل يوم ٤ آلاف طن من قضبان السكة الحديدية ، وما
أشد عجبك اذا نظرت يمينا وشمالا وأماما وخلفا وفوقا وتحتا فلا تجد أمامك غير
أربعة أو خمسة من العمال فى وسط هذه الحركة الجهنمية ، كل منهم جاثم أمام رافعة
يحركها عند اللزوم ، أو بجوار زر كهربائى يضغط عليه عند المقتضى ، بما تتخيل معه
أن هذا المعمل الهائل إنما يديره نفر من الجن يرونك من حيث لا تراهم ! ! ومسطح
هذا المصنع أكثر من الف فدان ، فى حين أن مسطح معامل كروب فى المانيا لا تزيد

على ٨٠٠ فدان ! ! والزائرون لهذا المصنع تقلهم عربات كهربائية تسير على قضبان تتخلل المصنع جميعه . ومدينة جراى يسكنها الآن أكثر من ٥٠٠٠٠ الف صانع ، وهى مبينة على آخر رسم وأجمل هندام ، فمن شوارع واسعة لايقل عرضها عن ثلاثين مترا ، وحارات نظيفة يسير فيها الترمواى الكهربائى ، وفيها أنابيب الماء ، والغاز ، وأسلاك الكهرباء . وفيها مايلزمها من مدارس وحمامات ، وفيها مكتبة عظيمة للعمال أهداها اليها المستر كارنجى ، وفيها لوكندة يستريح اليها زوار المصنع فيها ممدات الراحة جميعها .

وعلى بعد ١٤ ميلا من شيكاجو مصانع بولمن التى تعمل مركبات السكة الحديدية ، منها ماهو للنوم ، أوللركوب ، أوللبضائع ، وأظنك سمعت عنها بعصر لوجودها فى بعض القطر المفتخرة . وسعة هذه المصانع مع المدينة التى بناها المستر بولمن للصناع ٣٥٠٠ فدان ! ! أما المدينة ففيها شوارعها الجميلة ، وفيها كل لوازم الحضارة والرفاهية ، من متنزهات ، وتياترات ، ومساكنها على أحسن نظام صحى .

وتستنفد هذه المصانع سنويا أكثر من سبعين الف طن من الفحم ، ومائة وخمسين الف طن من الحديد ، و ٧٥ مليون قدم من الخشب ، وتصنع فى كل أسبوع عشر عربات نوم ، و٢٠ عربة للركاب ، و ٥٠٠٠ عربة للبضائع ، وهى كل يوم فى زيادة مستمرة فى عملها وعمالها .

وأغلب مبانى مدينة شيكاجو بالطوب الاحمر والابيض والحجر ، ويلوح على الابنية مسحة من دخان المصانع مما يدل على كثرتها فيها . ومن أحسن مبانيها وأفخمها وأعظمها بناء لجرنال « تريبون دو شيكاجو » . والى بحيرة ميشيجان متنزه كبير جدا ، وفيها مراكب تجارية تغدو وتروح بالركاب والبضائع الى جهات كثيرة ، واذا نظرت اليها وجدتها كالبحر الخضم لاحدود لها ظاهرة وعليها كثير من المصانع والمعامل التى لاحد لها ، وقد ترى القوم مهتمين بردم قسم منها ليزيد

فى مساحتها من تجاه محطتها العمومية « سنترال استيشن » . وعلى البحيرة بناء عظيم جدا هو متحف المدينـة ومن خلفه حديقة واشنجتون ، وفيها تمثاله على حصان اشبه شئ بتمثال ابراهيم باشا عندنا ، وفى يده سيف مشهور كأنه يترنم بقول المتنبى :

السيف أصدق أنباء من الكتب   فى حده الحد بين الجد واللعب

وفى جانب من هذه الحديقة مكان للالعاب الرياضية (انفتياترو) بمدرجات رخامية يسع ١٢ الف نفس ! !

ومن وراء الحديقة أبنية الجامعة : وهى كبيرة جـدا وهى أحسن من كثير مما رأيناه من نوعها ، وقد زرت بعضها مع سكرتير عمومى المؤتمر مستر ماكول .

ومن أحسن ما زرناه كلوب الطالبات ، وما أدراك ما هو ؟ بناء فخم لطيف يسترحن اليـه وقت الفراغ من العمل وفيه جملة غرف منها ماهو للمطالعة ، أو للاستراحة ، أو لأخذ الشاى ، أو للاستحمام ، وهذا الأخير عبارة عن بحيرة من الرخام طولها نحو عشرين مترا فى عرض عشرة ، وفيها تتعلم الطالبات العوم . وعلى كل حال فهو مما ترتاح له النفوس خصوصا فى وقت الحر الذى لا يطاق فى هذه البلاد .

وقد زرنا مكتبة الجامعة فوجدت فيها بعض الطالبات يشتغلن بالبحث والمطالعة ومنهم حمر وسود ، يظهر عليهن أثر النعمة مما يدل على أن شيكاجو لا تضغط على هذين النوعين من بنى الانسان كغيرها من ولايات الاتحاد الجنوبية ، وربما كان السبب فى ذلك احتياجهم اليهم فى الصناعات المختلفة .

وبعد ذلك زرنا كلوب الطلبة فوجـدناه من أفخر شئ فى بابه ، جمال شكل ، فى فخامة رياش ، وتجاهه المطعم الذى يأكلون فيه ، وقد جمعت أصنافه بين الجودة ورخص الثمن . وهذا المكان هو الوحيد الذى يجتمع فيه الشابات بالشبان من الطلبة .

وتكثر الاتوموبيلات فى هـذه المدينة بحيث ترى لـكل أربعة من أهلها أوتوموبيلا ، وترى الطرق غاصـة بها واقفة الى أفاريزها طول النهار ، حتى اذا أتى المساء ركب كل عربته سواء من العمال أو غـيرهم وانصرف الى حيث أراد .

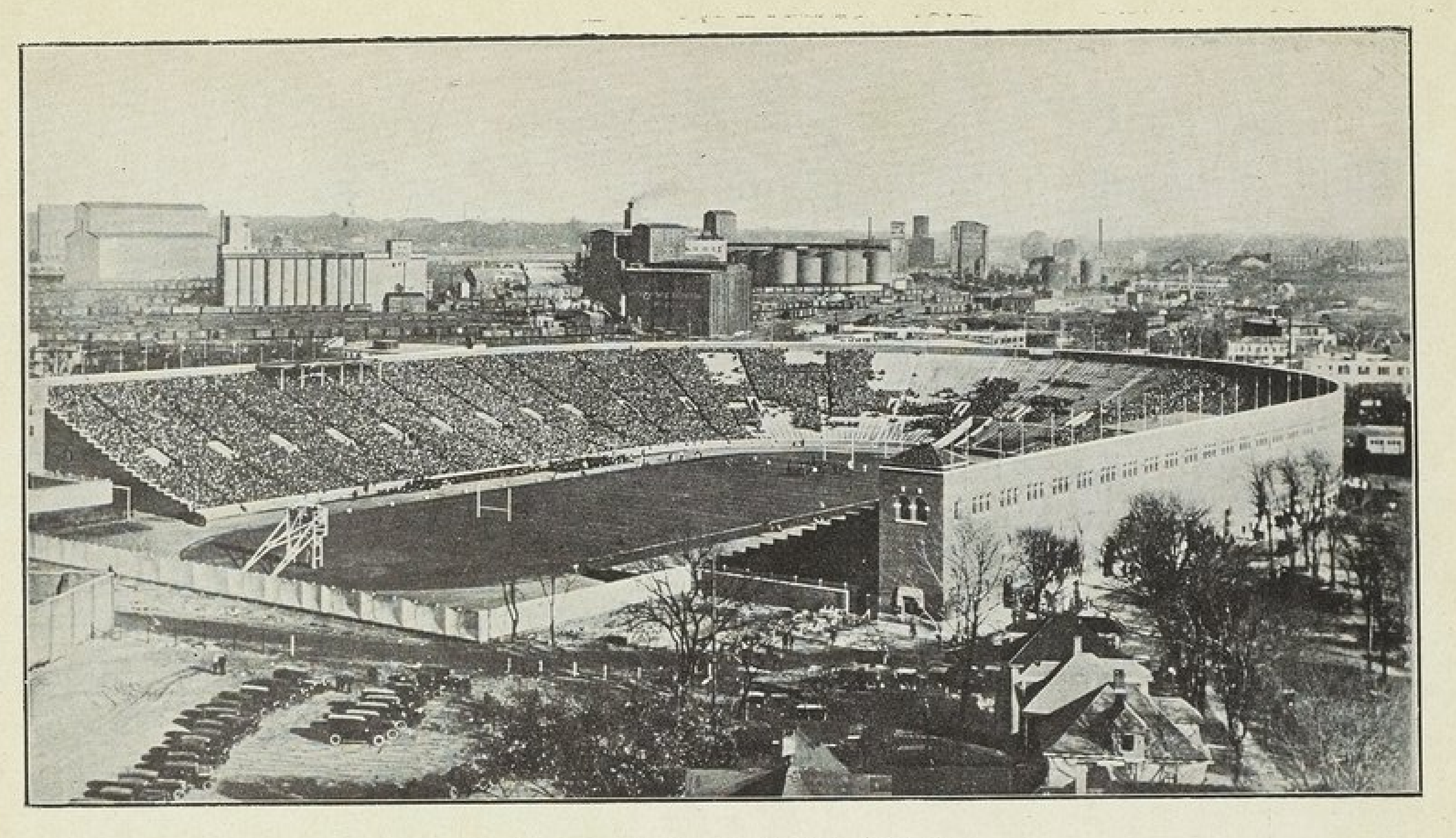
وما زلنا نتنزه فى أنحاء المدينـة الى نصف الليل ثم قصدنا قطارنا الذى قام بنا الى مدينة (لافيت).

***

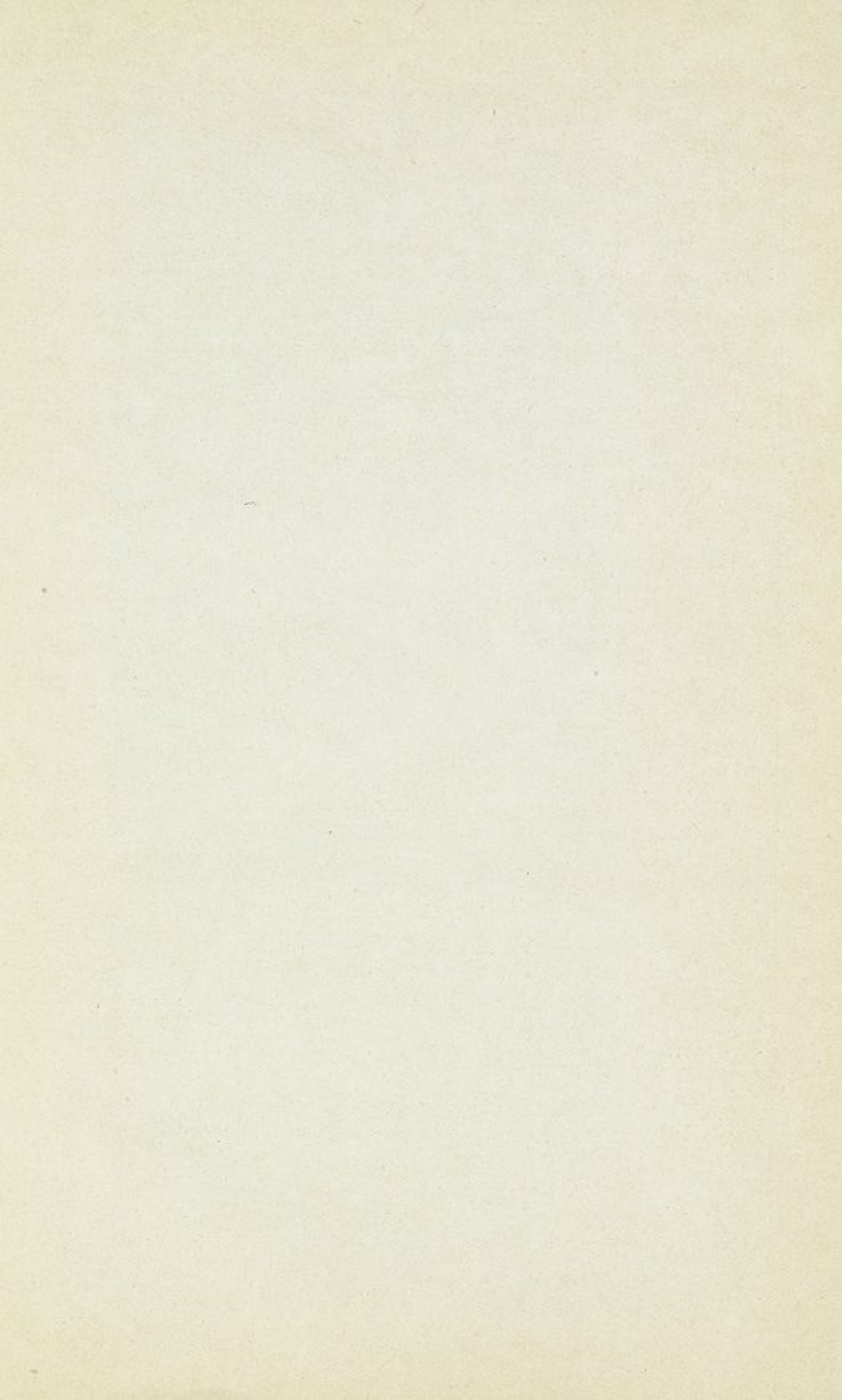
وقبل أن نترك الـكلام على جامعة شيكاجو التى هى من أهم جامعات الاتحاد نقول : إن القوم عندهم لجان فى وزارة المعارف للبحث فى بروجرامات جميع الدول الأخرى ، وتقدم ماتراه منها موافقا لبلادها الى لجنـة خاصة تبحثها بحثا دقيقا وتدخل فيها ماثبتت التجربة بصلاحيتـه ، وتوجد لجان أخرى تدور فى الأرياف وتبحث فى كل متعلقات مدارسها من بروجرامات وغيرها ، وتنظر فى أحوال الطلبة وما يصلح من شأنهم ، حتى اذا رأت تخفيض مصاريف تعليمهم فى هـذه المدارس اقنعت مديريها بهـذا التخفيض وتعوض عليهم ذلك باعانات ترتبها لهم الوزارة .

وعندهم أسبوع يسمونه (أسبوع التعليم) يجتمع فيـه كل سـنة فى كل عاصمة من عواصم الاتحاد رجال التعليم من جهة الحكومة برجال التعليم فى الأرياف ومعهم رجال النقابات العلميـة ، ويبحثون فى كل مامن شأنه أن يعلى حالة التعليم والمتعلمين والمعلمين ، سواء من الوجهة العلميـة ، أوالوجهة الاقتصادية ، وتذاع نتائج هذا المؤتمر فى أنحاء الولايات المتحدة بالرادبو حتى يطلع عليه جميع الناس .

وللفلاحين أسابيع للتعليم أيضا : تفتح الجامعات الزراعيـة أبوابها للفلاحـين الذين يقصـدونها فى وقت معلوم ، ويجلسون فى العراء رجالا ونساء وأطفالا ثم يأتى المدرس ويلقى عليهم درسا عمليا فى الزراعة الخاصـة ببلادهم . وكثيراً ما يكون هذا بواسطة السنما أو الفانوس السحرى ، فيتعلم الفلاح بهذه الواسطة مايفيده فى عمله ، ويرقى به فى صناعته ، فى جانب سروره من هـذه المناظر الجميلة اللطيفة التى لا تختلف فى نظره عن مناظر التياترات وما يشبهها . وقد يتوجه الأساتذة الى البلاد البعيدة عن الجامعة لالقاء هذه الدروس على عامة الناس . وكل هذه الدروس العملية انما تهتم بها الجامعات للمنفعة العامة ، فهى لاتجعل تعليمها محصورا بين أركان



ميدان الالعاب الرياضية بمدينة مينا بوليس ص — ٢١٤



مبانيها لطلبتها ، ولكنها ترى أن مأموريتها أبعد من ذلك وهو اتساع دائرة الارشاد الى حدود الافادة العامة .

*
* *

وعلى بعد ٣٦٠ كيلومترا من شرق شيكاجو توجد مدينة (دوترويت) وهى واقعة على الخليج الموصل لبحيرة سنت كاير الى بحيرة أريا ويقابلها من الطرف الشرقى لهذه البحيرة مدينة وشلالات نياجرا . وفى دوترويت جملة مصانع مختلفة فيها ما هو للحديد ، وللالوان ، وللاقمشة . وكانت الى سنة ١٨٩٠ لا يزيد عدد سكانها على ٢٠٠ الف نفس . فلما ظهر تحت سمائها فورد واخترع أوتوموبيله ، وأخذ فى اشادة معامله فى أول هذا القرن أخذ سكانها فى الزيادة الهائلة الى أن أصبحوا الآن لا يقلون عن مليون وربع من النفوس ! !

ومصانع فورد داخلة فى بناء يشغل مائة فدان مسقوفة بالحديد ، وهذا الفناء كله مشغول بالآف الآلات التى تشتغل فى قطع عربات فورد وتخرج كل يوم عشرة آلاف أوتوموبيل ! ! تنقلها السكة الحديدية الى جهات توزيعها يوميا . والذى خرج من هذه المصانع الى آخر سنة ١٩٢٦ لا يقل عن سبعة عشر مليون عربة ! !

وجميع المواد الأولية لهذه المركبات من أملاك فورد ، فهو يملك غابات من أشجار الصناعة ، ومناجم من الحديد ، والنحاس ، والبترول ، والفحم ، ويمتلك كثيرا من فروع السكك الحديدية ، ومن مراكب النقل التجارية . ومصانعه لا تعمل فى صنف الأتوموبيل فحسب ـ بل هناك بجوارها مصانع لاستخراج الغاز من دخان الكوك ، واستخراج مافيه من سلفات النوشادر والقطران والزيت ، وعنده مصانع للزجاج ، ومصانع للجلد ، ومصانع للكاوتشوك ، بحيث لا يحتاج فى عمل عرباته الى شئ من الخارج .

وعنده معامل خاصة لعمل وابورات فوردسن بالاشتراك مع ولده ، ويصدر منها عدد هائل الى كندا والى جهات العالم كله ، وعندنا فى مصر كثير منها .

ولقد أردت زيارة هـذه المعامل ولـكنى بكل أسف رأيتها مقفلة فى وجه الزائرين لاشتغالها بتغيير الشكل المعروف من عرباتها ، الذى يرى نموذجه الجديد بعد شهرين من هذا الزمن . ولعل قاطرات فوردسن (١) تدخل فى هذا الاصلاح حتى يكون النفع بها أتم .

يوم ٢١ يوليو

وصلنا فى صباح هذا اليوم الى مدينة (لافيت) بعدأن قطعنا اليها ١٢٩ ميلا ، وعدد سكانها ٢٣ الف نفس. وهذه المدينة سميت باسم الجنرال لافيت الفرنساوى الذى ساعد الولايات المتحدة بجيشه فى حرب استقلالها. وهى مدينة لا بأس بها، شوارعها جميلة وإن كانت ضيقة ، والارض هنا وإن كانت جيدة إلا أن الزراعة بها ليست على مايرام لقلة ماء المطر الذى لا يزيد على ٢٥ إنشا ، مع أن حرارتها كانت وقت وجودنا بها ٣٠ سنتجراد !! وفيها مصانع كثيرة لاصلاح الآلات الحديدية ، وللسلخانات ، ولقياس الغاز ، وللكاوتشوك ، ويمر بجوارها نهر ووباش ، وفيها جامعة للزراعة ، والهندسة ، والطب ، والعلوم ، وفيها مدرسة للآلات الزراعية ، وللجامعة الزراعية قسم لتربية الفراخ بناؤه جميل جداً .

وقد زرنا بها عزبة فرأينا مواشيها جيدة ، ولكن الذباب هنا يكثر لدرجة مقلقة لذلك تراهم يلبسون قميصا يكاد يغطى كل الجسم . وهم يعطون المواشى عليقا فى الصيف من دقيق بذرة القطن لمدة ثلاثة أشهر فقط ، ويقولون إن الاكثار منها يجفف جلد الماشية ، وربما أصابها بالعمى .

***

وهنا انتهت مهمة مؤتمر التربة الذى كان الروس هم العضو العامل فيـه : فقد

---

(١) وقد تحقق فألنا ووصلت الى مصر فى أول هـذا العام قاطراته ومحاريثه الجديدة وهى بطبيعة الحال أحسن من سابقاتها .

كانوا سباقين الى تعرف التربة ، ويفيض كثير منهم بملاحظاته عليها والكل سماعون له حتى السير جون رسل ذلك الرجل العظيم . لذلك كان الروس موضع احترام الجميع لعلمهم ، ولقد رأيت من كثيرين منهم أدبا ولطفا كانا يميلان بى أحيانا الى سؤالهم عن حقيقة البولشفية : هـذه الكلمة التى لم نر لها وجودا فى الولايات المتحدة ، ولكنهم كانوا يهربون من الاجابة متشاغلين بشىء آخر ، وكأنى بهم قد أتوا الى هنا مبشرين بعلمهم لا بمذهبهم حتى يجعلوا لهم من تحت سماء هـذه الاوتوقراطية البحتة ذكرا جميلا ، وفضلا أثيلا ، ويدخلون من أبوابهما الى حيث يميطون عن بلادهم ذلك اللباس المخيف ، وتلك الصورة المزعجة التى يرتعد من ذكرها العالم المتمدين .

تناولنا غداءنا فى الجامعة ، أو بعبارة أخرى فى مطعم الجامعة ، وعند دخولنا من الباب أعطوا كلامنا شيكا بأكلة واحدة كما يعطى للطلبة ، الا أن ما أعطى لنا بغير ثمن وقفنا صفا الواحد تلو الآخر وقد تناول كل صينية صغيرة ، ثم دخلنا الى غرفة يحيط بها من الداخل مائدة عليها أغذية مختلفة ، ومن ورائها آنسات لطيفات ، يمرر كل صينيته على افريز للمائدة من جهته ، ويشير الى احدى الآنسات بما يرغب فيه مما هو فى دائرة توزيعها ، حتى اذا انتهى من الاخيرة حمل غذاءه الى حيث يجلس فى أى مكان خال بين الطلبة من الجنسين . أخذنا مقاعدنا فى هـذا الوسط الذى ذكرنا بتلك الأيام : أيام الشباب ! ! أيام السعادة ! ! وإن كانت أنظمة المجموع فى الشرق لاتسيغ هذا الجمع الذى قد يكون من الموجبات التى قد تلبس الشباب حلل الآداب ، وتنمى فيه عاطفة التهذيب والترتيب ، لانه لايريد أن يكون ناقصا فى عين هذه التى يريد أن يتقرب منها ويتحبب اليها ، وقد تتصل روحه بروحها ، وجسمه بجسمها يوماً من الايام بعامل الزوجيـة .

تذكرت هنا تلك الايام السعيدة — أيام القوة — أيام الفتوة — أيام كل مسئولية فيها كانت على عاتق غيرى ! من غير أن أشعر بما فيها من فداحة أثقال

ومرارة أحوال !! ولكن هل فى الحياة متسع لعمل هـذه الدورة ؟؟ وإن كانت كهولتنا وشيخوختنا كلها بلاء فى بلاء — وشقاء فى شقاء !! وهل يرجع الينا ذلك الشباب فنخبره بما فعـل المشيب ؟؟ لا لا أنا لا أريد أن أنغص عليـه وقته بسور المفزعات ! وصور المرهبات !! ولكن لأمتع النفس بعظيم شأنه — وأسعدها بذلك التاج الذى لم يكن للشبان معرفة بسلطانه : تاج مملـكتى العافيـة والهناء .

***

وبعد الغداء توجهنا الى القطار الذى قام بنا فى الساعة الواحدة بعد الظهر الى واشنجتون ،فوصلنا اليها ظهر اليوم الثانى بعـد أن قطعنا اليها ٧٦٥ ميـلا . وبعد أن تغديت بمحطتها أخـذت قطارا آخر مع بعض أعضاء المؤتمر الذين لم ينزلوا الى واشنجتون ، وسرنا الى نيويورك فوصلناها الساعـة السابعة من مساء ٢٢ يوليو سنة ١٩٢٧ وبها انتهت سياحة المؤتمر : هـذه السياحة التى يمكننا أن نسميها بحق سياحة أمريكانية ؟

العودة الى نيويورك

عدت الى هذه المدينة ولا أكذبك إذا قلت لك : إنى كلما عـثر بصرى على تلك الصروح العاليات ، وتردد طرفى بين هذه المبانى الشاهقات ، لم تقف دهشتى منها عند حـد ، بل أخذ خيالى يصور لى أن علامة الاتصال وهو مايسمونه عند الافرنج « تريدنيون » قـد صاغ الامريكان منها هـذه الصروح لتكون صلة بين الارض والسماء . نعم تجلت لى هذه العظمة التى أنستنى ماجاء فى التاريخ من عظمة النمرود — تجلت لى هذه العظمة الحقة التى بنيت على قواعد العـلم ، والتى صغرت أمامها فى عينى عظمة قصور فرساى ، والتويلرى ، وبكنجهام ، وغيرهامما يمثل عظمة الافراد ، تلقاء تلك التى تمثل عظمة الشعوب .

ولقد وصـل الشعب الامريكانى الى عظمته بمجد العمل لا بمجـد التاريخ :

شعب وصل الى ما وصل اليـه من تلك القوة الهائلة فى ماليته ، فى علومه ، فى مدنيته التى يعجب منها كل من رآها أو سمع بها . ولا غرو فان هذه المدنية التى وصل اليها فى قرن ونصف وهو عمر فرد من أفراد الانسان ، لجديرة بالتحميد والتمجيد ! !

وإنما وصل الامريكان الى هذه المدنية الرائعة ، وتلك الثروة الهائلة فى هذه المدة الوجيزة بالعمل ، وتقديرهم لقيمة الزمن . وعـدم حصرهم مجـد أشخاصهم فى شارات الاوسمة ، وفخامة الالقاب التى لا أثر لها فى حكومتهم ، اللهم الا هـذا اللقب العلمى الوحيـد « دكتور » الذى تمنحه الجامعات للذين ينالونه منها بجـدارة واستحقاق .

أينما سار الانسان فى بلاد الاتحاد يرى الناس كالقطع التى تتركب منها الساعة كل فى عمله : فالافراد يعملون وبهم يعمل المجموع . وهذا معنى صحة جسم الشعوب والذى به وحده عظمتها ومجدها . وهل نظام الشعوب شيئا آخر غير نظام الفرد مكررا أو مضاعفا ؟ ؟ انظر الى الانسان تجد نسبة ما فيـه من القوة بنسبة ما فيه من سلامة أعضائه والعكس بالعكس . وعلى هذه النظرية فقوة الشعوب إنما هى بقدر سلامتها من العاطلين الذين لا عمل لهم ، والذين هم عالة على غيرهم ! ! (١) وما مثلهم إلا كمثل الحشائش الطفيلية التى تخنق ما حولها من النباتات النافعة مهما كانت قوتها .

والشعب الامريكى شعب عامل سواء فى أفراده ، أو فى مجاميعه . أو بعبارة أخرى بما يمثل أفراده من نواب ، ونقابات ، وشركات . ولـكل طائفة من هؤلاء

---

(١) نعم ذكرت الجرائد الامريكية أخيرا أنه يوجد الآن (سنة ١٩٣٠) نحو خمسة ملايين نفس من العاطلين فى الولايات المتحدة على أثر الصدمة الاقتصادية الهائلة التى أصابت العالم كله وأمريكا بصفة خاصة ! ! وقـد أعلنت وزارة العمل بولايات الاتحاد أنها ستضع مشروعا لاستخدام عـدد كبير من هؤلاء العاطلين فى القريب العاجل .

جهادها فى دائرة عملها ، ولـكل اجتهادها فى خدمة ممثليها ، ولـكل اعتبارها سواء عند الشعب أو عند الحكومة.

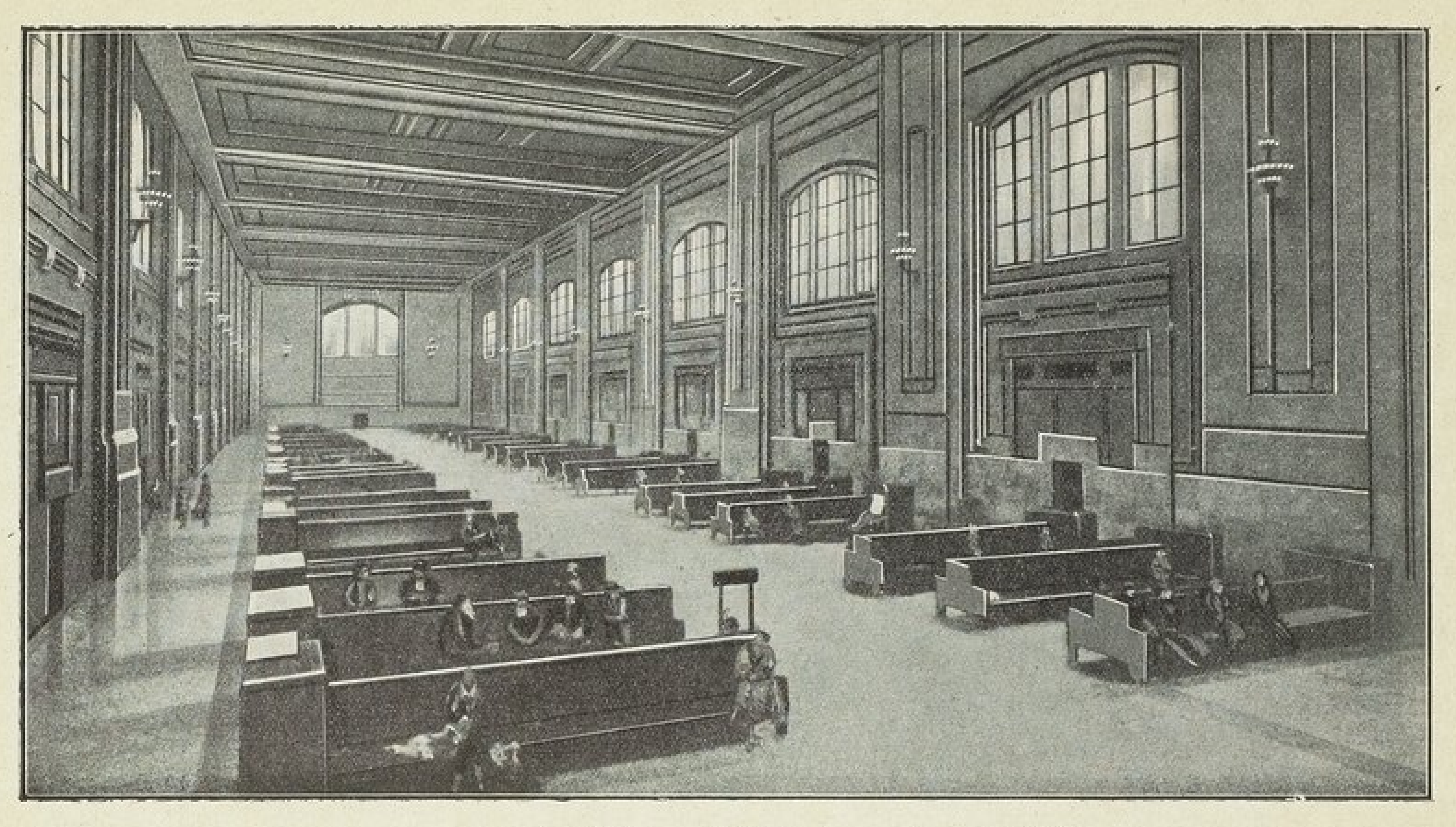
مهما سرت فى بلاد الاتحاد لاترى غير عظمة الشعب التى تستمد منها الحكومة قوتها وعظمتها !! فترى الحكومة لاتتكلم إلا باسم الشعب ،ولا تعمل إلا لاسم الشعب

أما فى الشرق فاعتبار الحكومات فوق كل أعتبار !! وعظمة الافراد هى الهيكل الذى تنحنى أمامه رؤوس الشعوب !!

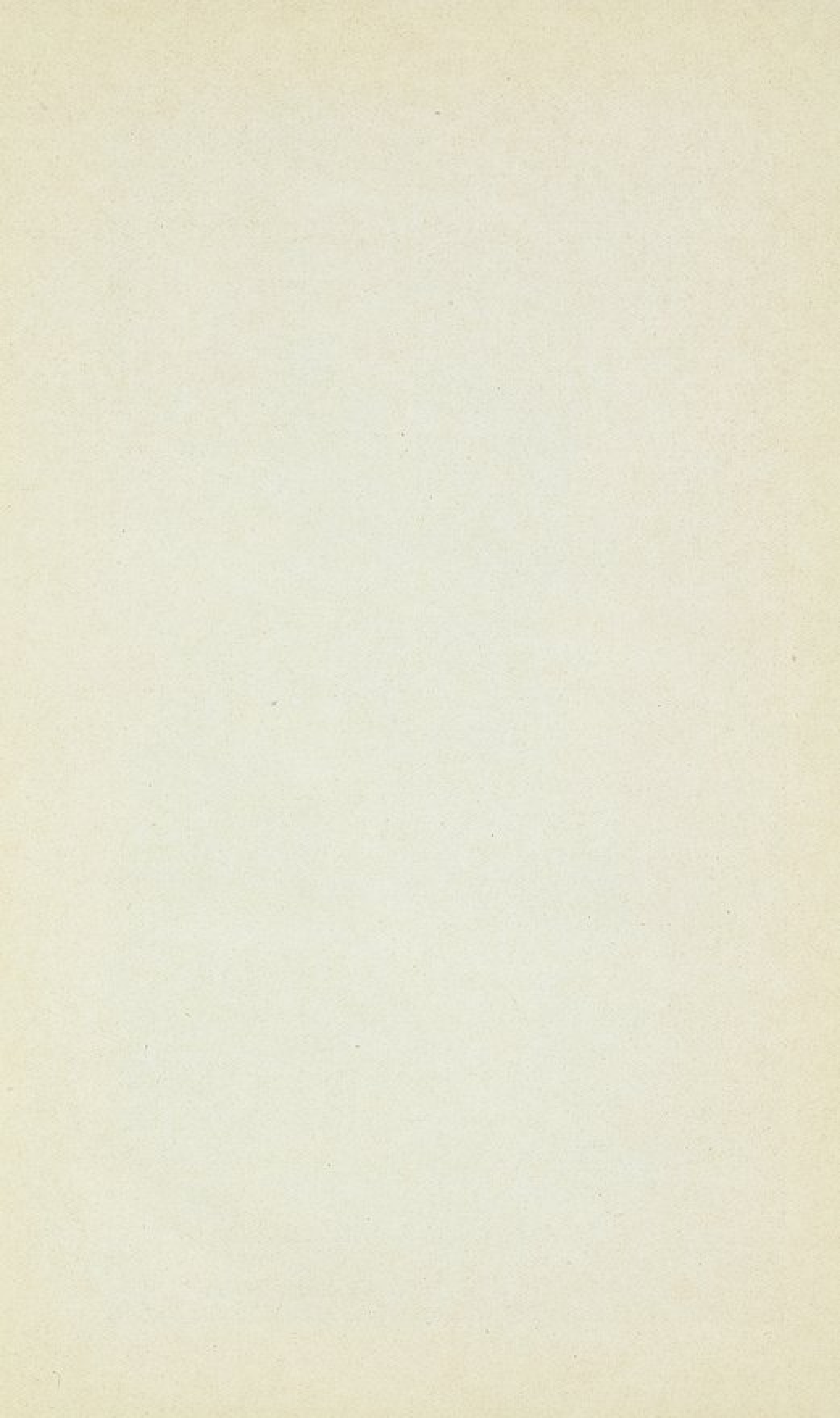
وحكومة الولايات : لادأب لها إلا التفكير فى كل ما يرقى شعبها ، سواء فى علومه أو فنونه ، أو صناعاته ، أو تجاراته . فهى بقوة شعبها لا تفتأ تزحزح ما فى طريقه من الموانع ، وتمهد له السبيل الى العمل والكسب ، سواء فى داخليتها أو فيما هو أبعد من ذلك . وتراها على الدوام مندمجة فى شعبها ، وشعبها منـدمج فيها ، ولكن لـكل حدوده وأنظمته التى لايتعداها ، والشعب على كل حال لايشعر من الحكومة بضغط ولا بسلطان ، ولكنما السلطان هو لمعنى القانون ولروح الدستور : وهنا فقط يشعر الناس بان هناك حاكم ومحـكوم ، أما فى الشرق : فالسلطان كله للحاكم مهما لبس لباس الدستور ، وتظاهر بمظهر القانون

***

وفى ثانى يوم من وصولى الى نيويورك أخـذت تذكرة السفر الى فرنسا على مركب تبحر فى يوم ٦ أغسطس ولما كانت نيويورك شديدة الحرارة جدا خطر ببالى السفر الى مدينة نياجارا لمشاهدة شلالاتها : هـذه الشلالات التى قطعت اليها ذهابا وجيئة أكثر من الفى ميل لا لشئ إلا لمشاهدتها !! وفضلت السفر اليها ليلا حتى لا أشعر بمشقته نهارا ، وركبت القطار من محطه سنترال استيشن بعربة النوم ، فسار بنا فى الساعة التاسعة ، وفى الصباح وصل الى مدينـة نياجرا التى أقمت بها يومين فى جو لطيف جدا يختلف كل الاختلاف عن جو نيويورك .



قاعة الانتظار ــــ باحدى محطات السكة الحديدية بالولايات المتحدة ص ــــ ٢٢٠



شلالات نياجارا

اذا نزلت من محطة السكة الحديدية بمدينة نياجارا ، فسر قليلا الى الجنوب ثم انعطف الى جهة الشرق فى حديقة غناء قد فرشت أرضها ببساط سندسى نضر رواؤه ، وزهت أرجاؤه ، فى ظلال تلك الاشجار اليانعة التى كلما عانقها الهواء العليل سمعت لاوراقها أصواتا كالتى تسمعها من عاشقين قد اجتمعا بعد غياب طويل ! !

هنالك ترى بحيرة أريو التى يبلغ طولها ٤٩٠ كيلومترا ، وعرضها ١٠٠ كيلومترا ، قد انبسطت أساريرها ، وصفا أديمها ، وأخذت خطرات النسيم تعبث بصفحتها فتماوج تماوج مادة الجمال فى وجنة الحسناء ! ! وقد استأنس بها الطير فحنى عليها وهوى اليها وأخذ يغدو ويروح بين يديها ، مما تحكم به بان هذا المخلوق الهادئ قد جمع بين صفحتيه من آيات الحسن ، والجمال واللطف ، مالم يتيسر جمعه فى مخلوق آخر ، وتشعر فى وجودك بقربه بالسعادة التامة والنعيم المقيم .

فاذا وليت وجهك الى الغرب وقد اتخذ الماء له مجرى الى الشلال ووقفت عند القناطر التى تجمع بين شاطئيه رأيت عجبا ! ! رأيت هذا المخلوق الذى كنت تراه من برهة كحمل اليسوع فى وداعته ، أو هو الجمال واللطافة بكل معناهما ، وهو يعدو عدو الوحش المفترس قد لمح من بعد فريسته . ولا يزال يثب من صخرة الى صخرة ومن عالية الى هاوية ، وهو يغلى غليان القدر ، والشرر يقدح من عينيه ، والزبد يتطاير من شدقيه ، يضطرم اضطراماً ، ويحتدم احتداما ، وقد علا زئيره ، وصرخ نذيره بما فى طريقه من خطر ! !

وما كنت أعرف قبل هذا الوقت أن هذه الطبيعة التى هى أرق من النسيم ، والطف من التسنيم ، وأصفى من أيام النعيم ، هذه الطبيعة التى جعل الله فيها حياة خلقه تنقلب هنا الى هذا الخطر الجسيم .

ومازال الماء فى هيجانه وثورانه يقصم كل شئ فى طريقه ، حتى اذا وصل الى

غاية الجب أخذته معها رعدة ، وكأنى به وقد أحجم قليلا يريد النكوص على عقبيه فزعا منها ، ولكنه لم يلبث أن سقط فيها سقوطا مروعا من ارتفاع ٧٠ مترا ، واصطدم بما فى قاعها من صخور تناثرت منها اعضاؤه ، وتطايرت اشلاؤه ، فملأت الجو رذاذا كان يصل الى وجوهنا ونحن على أكثر من مائة متر عن مسقطه ! !

وقد تكون من فضلاته ومن فضلات الشلال الذى فى جنوبه نهر نياجرا الذى يصب بعد قليل فى بحيرة أو نتاريو .

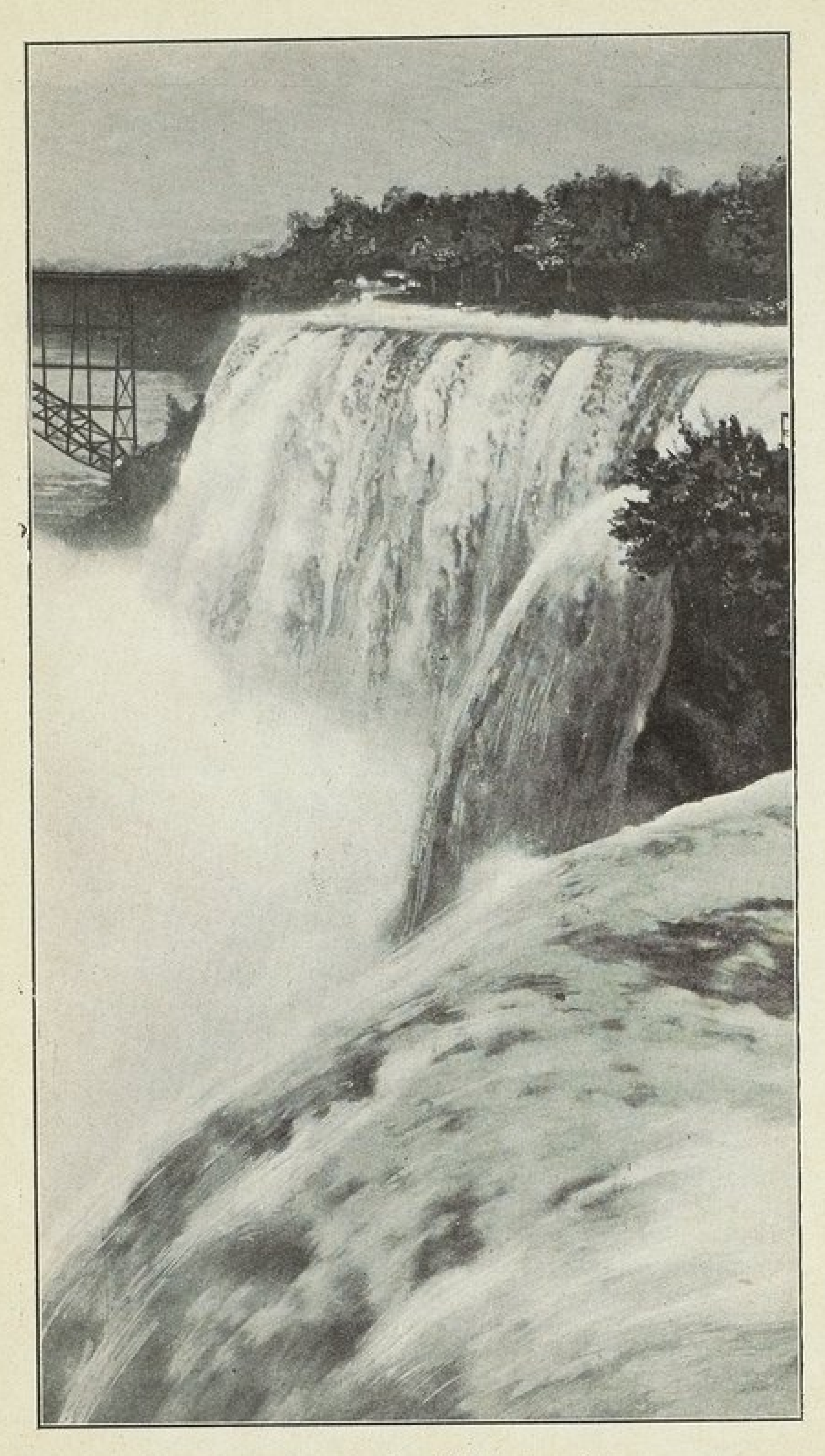
وهذا الشلال الاخير ينزل من مجرى آخر تفصل بينهما جزيرة جميلة كلها فى أرض كندا ، قامت على أرضها غابة أشجارها المخضلة ذات ظلال وارفة ، وطرق مشرفة على مسقط الشلال .

وهذا الشلال فى منتهى الوادى الذى يبدأ منه النهر ، وسقوط الماء منه على شكل علامة الجزر عند الرياضيين ، أو هى شكل رقم سبعة منفرجة من ضلعها الأيمن ، ومع أن مسقط الماء هنا أوسع منه فى الشلال الأول ، فان كتلة الماء فيه أقل ، وارتفاعه ٦٧ مترا . واذا اتجهت الى طريق هذا الشلال الأخير ، وجدت مايسمونه الجزر الثلاث : وهى ثلاث جزر صغيرة قامت وسط شلالات صغيرة كثيرة ، وهى تشبه فى حال من الاحوال شيئا عندنا فيما وراء حلفا يسمونه الشلال ! !

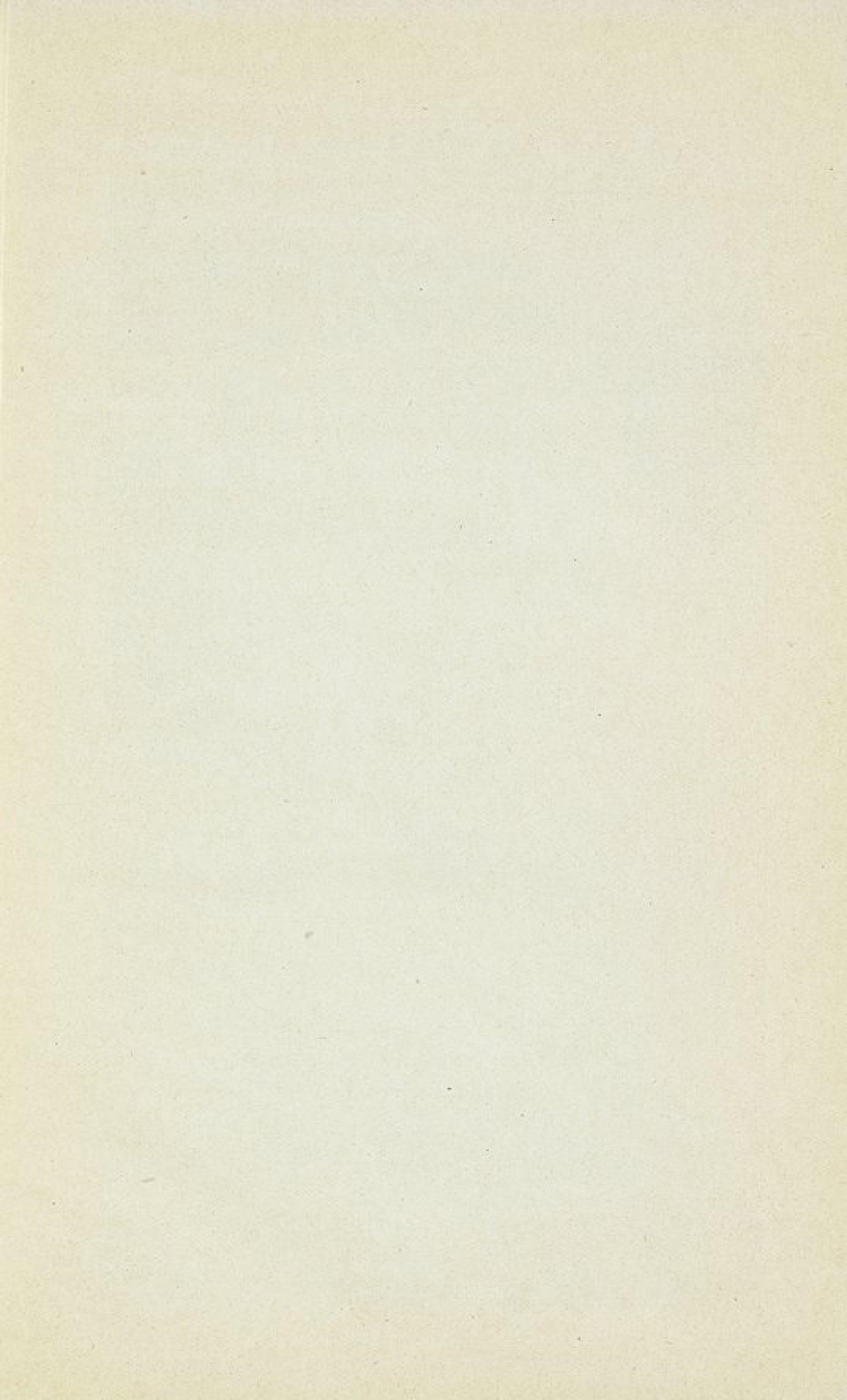
وشكل الماء فى سقوطه من الشلالين الكبيرين لا يمكن أن أقربه اليك إلا برجاء واحد ، هو أن تتصور دولابا من دواليب حليج القطن بسعة الشلال وبقوة تتناسب مع سعته ، والقطن ينزل منه مندوفا منفوشا بسرعة الى الهاوية ، بشرط أن تكون كتلته لاتقل فى حجمها عن ٥٠ سنتيمترا .

وهذان الشلالان الكبيران يغذيان النهر بما مقداره ٧٠٠٠ متر مكعب فى الثانية الواحدة ، وبما ينتج عنه قوة خمسة ملايين حصان عملية ! !

سار هذا النهريين ضفتين شاهقتين أقل ارتفاع لهما مائة متر ، وقد أقيمت على ضفتيه معامل الكهرباء الكبرى تدور بقوة الماء الذى يرتب لادارة جملة من



شلالات نياجرا بالولايات المتحدة ص — ٢٢٢



الترابين التى تحرك موتورات هائلة بما يتولد عنها ملايين الكيلوات . وقد زرت من هذه المعامل اثنين مجموع ماينتجانه من الكيلوات فى كل يوم نحو عشرين مليونا أو تزيد !

وهذه القوى الكهربائية تسير تياراتها الى جهة مدينة (بافالو)لتشغيل مافيها من معامل الحديد ، والأوتوموبيلات ، والموتوسكلات ، والدقيق . وهى على بعد ٢٠ كيلو مترا من نياجارا ثم تسير الى مدينة (أرى) . وهى على بعد ثلاثين كيلو مترا من بافالوا ، ثم الى (سراقوسه) وتبعدعن نياجارا بنحو خمسين كيلو مترا لادارة مافيهما من معامل الصناعات المختلفة .

لقد كنا نفهم من قوله تعالى « وجعلنا من الماء كل شئ حى » أن ذلك خاص بما فى طبيعة الحياة من حيوان و نبات ، ولكننا اليوم عرفنا أنه حياة لهذه الجمادات التى تنتجها المعامل ، والتى أصبحت من أهم الضروريات للانسان والحيوان والنبات جميعا ، سبحانك ماأقدرك ! ! وما أكبر ماوراء هذه الطبيعة من خلق لانعلمه ! !

* * *

وبمناسبة الكلام على شلالات نياجرا أقول لك: إن أعظم شلالات العالم هى شلالات الزمبيز فى شرق أفريقا الجنوبية ، وشلال ريوسان فرنسسكو فى البرازيل ، وشلالات نياجرا نصفها فى الولايات المتحدة و نصفها فى كندا ، وشلال أجوازو فى أمريكا الجنوبية ، ثم شلالات جافارونى فى جبال الألب العليا .

كلمة عن امريكا

تاريخ الأرض الجديدة يتغلغل فى ظلمات الماضى ، ويظن علماء الشعوب أن أصل سكان هذه البلاد نزحوا اليها من آسيا من بوغاز بهرنج فى وقت لايعلم ، ويزعمون أن صور سكان الاسكا (وهى فى الشمال الغربى من أمريكا الشمالية) تشبه صور السيبريين.

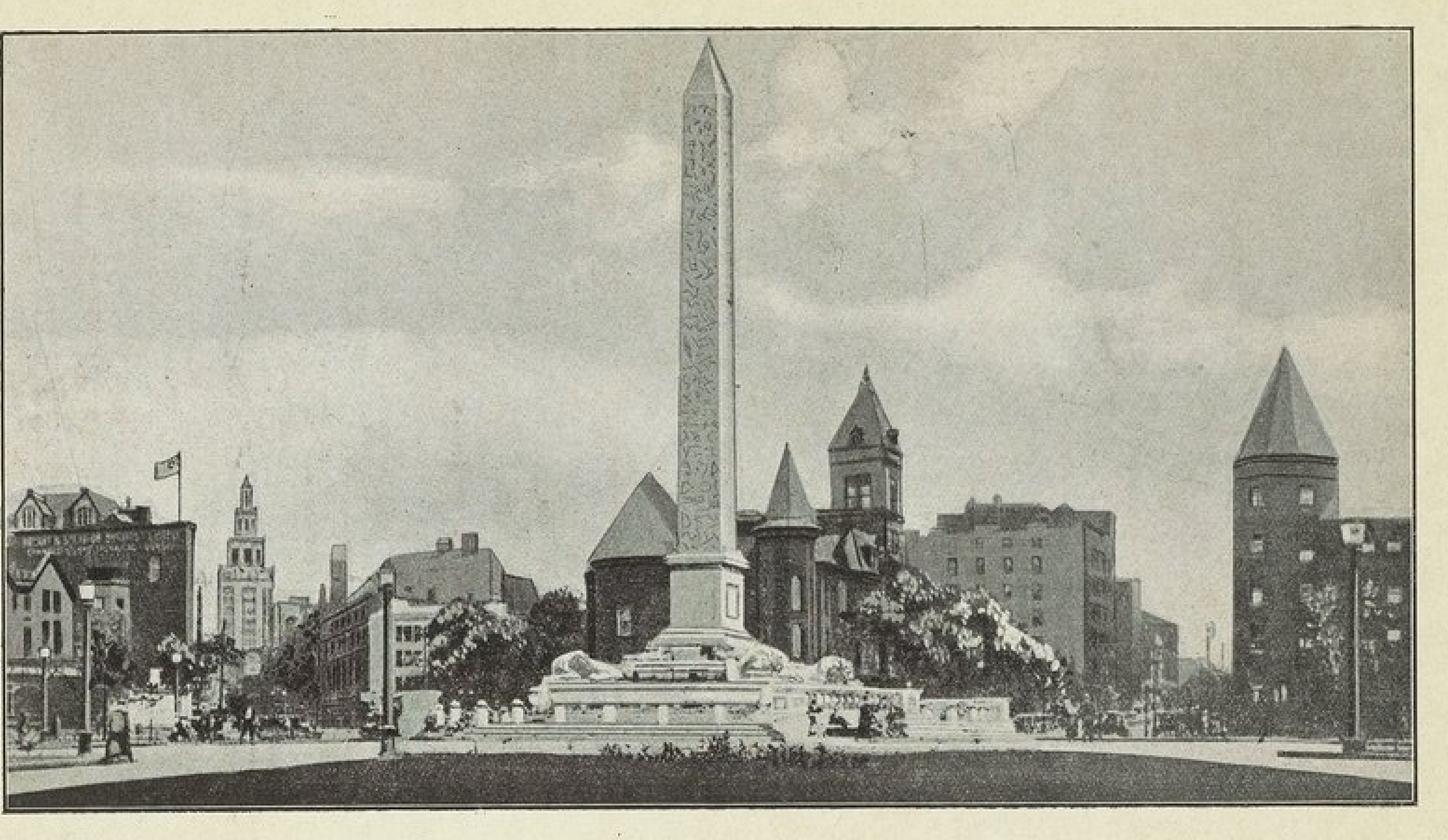
وسكان العالم الجديد الاصليون ينقسمون الى قبائل اسمهم (اتوس) وقد كانوا يلجأون الى الحصون الطبيعة ، أو الى ما كانوا يحفرونه منها فى المناطق التى كانوا يعيشون فيها لتحميهم من الحيوانات المفترسة ، أو من هجوم بعضهم على بعض: ولذلك يسمونهم (بناة الحصون) وبحكم ضرورة العمران كانوا ينتقلون من ضرورى الى آخر بما كانت لهم منه مدنية أخصها فى بلاد المكسيك التى وجدوا بها أخيرا كهوفا كانوا يحفرونها فى الصخور لايوائهم أحياء ، ثم لايداع جثثهم بها أمواتا . وفى هذه الحفريات عرفوا أن قد كانت لسكان أمريكا فى غابر الزمان مدنية تتصل بالاجيال الحجرية ولكنها أقل منها فى العالم القديم .

أما تاريخ الاستعمار فيها فقد بدأ فى القرن الحادى عشر الميلادى على يد النورفيجيين وأول ما استكشف من هذه البلاد جزيرة ويفلانده ، استكشفها البحار النورفيجى كانجورن ، ثم هاجر اليها بعض سكان جزيرة أسلاندا وبعض السكندانافيين ولكن الاسكيمو طردوهم وبقيت هذه الجهه بعيدة عن كل عمران الى سنة ١٧٢٤ حيث استعمر شواطئها الهولنديون .

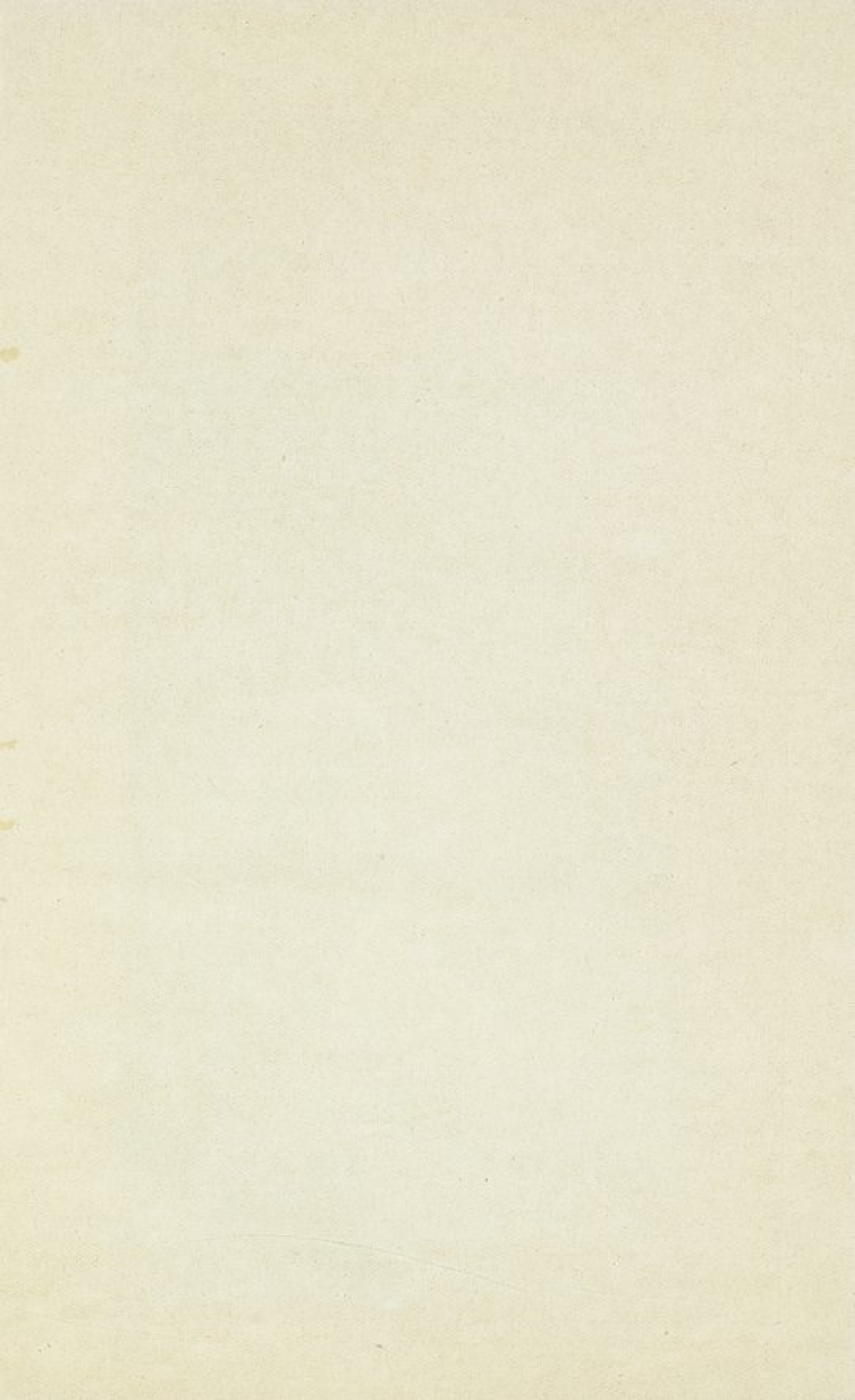
أما الأسبان فانهم لم يستكشفوا جزائر خليج المكسيك الا فى آخر القرن الخامس عشر ، ثم اتبعهم الفرنسيون والانجليز فى منطقة الولايات المتحدة ، وكان هذان العنصران على الدوام فى حرب مع بعضهما البعض .

ولما زاد الضغط الدينى فى أوروبا فى القرن السادس عشر بدأ الناس يهاجرون الى أمريكا . وأخذت الهجرة تزداد اليها شيئا فشيئا ، وكان كل قبيل يتجه الى جهة خاصة به ، فاستولى البورتغاليون على البرازيل سنة ١٥٥٩ ، ثم تغلب عليها الاسبان ثم استولت عليها هولندا ، ثم استرجعتها البورتغال فى سنة ١٦٥٤ . واستولى الفرنسيون فى سنة ١٥٣٤ على كندا الى نهر المسيسيبى ، الى أن طردهم منها الانكليز فى سنة ١٧٦٣ .

وفى سنة ١٧٧٠ كانت أمريكا كلها فى يد ثلاث دول : فأمريكا الشمالية كانت



ميدان نياجرا فى مدينة بفالو — ص — ٢٢٤



مع الانكليز، وكانت البرازيل مع البورتغاليين، والمكسيك وأمريكا الوسطى والجنوبية مع الأسبان.

وكانت البلاد الأمريكية التى فى جنوب كندا تنقسم الى جملة ولايات: اتحد منها ١٣ ولاية قامت ثورتها ضد الانكليز لكثرة الضرائب التى كانوا يأخذونها منهم ولفداحة الجمارك التى كانوا يحصلونها على محاصيلهم. وفى سنة ١٧٧٥ أعلن الامريكان على الانكليز حرب استقلالهم التى كانت تساعدهم فيها فرنسا، فألفوا جيشا تحت قيادة واشنجتون. وفى سنة ١٧٧٦ وضعوا لهم دستورا أساسه حفظ كل ولاية لاستقلالها الداخلى استقلالا تاما. وما زال الامريكان مع الانكليز فى حرب انتهت بانسحاب هؤلاء من الولايات المتحدة، واعترافهم فى معاهدة فرساى سنة ١٧٨١ باستقلالهم.

وفى سنة ١٧٨٩ انتخب واشنجتون رئيسا عاما لجمهورية الولايات المتحدة، وبقى فى رئاستها الى سنة ١٧٩٧. وفيها ترك مركز الرئاسة لغيره ثم ذهب للاقامة فى مزرعته حتى مات سنة ١٧٩٩. وفى مدته نقح الدستور، وأنشئ بنك للبلاد لتنظيم ماليتها التى أثقلت كاهلها محاربة الانكليز، وها هى الآن بعد قرن وربع من استقلالها تسير دفة العالم بالمال الذى هو أساس كل رقى وتقدم.

ومازالت الولايات الأخرى تنضم الى هذا الاتحاد واحدة بعد الأخرى، حتى تم اتحادها فى سنة ١٨٤٨ وهى ٤٨ ولاية كل واحدة مستقلة فى داخليتها استقلالا تاما. ومجموع مسطحها جميعا ٠٠٠ ر ٢٦٠ ر ٣ كيلومتر مربع، وعدد سكانها ١٢٥ مليون نفس!!!

ولقد اتصلت نيران الثورة التى قامت بها ولايات الاتحاد الى الجهات الأخرى من أمريكا، فاعلنت البرازيل استقلالها فى سنة ١٨١٠، ثم تبعتها المكسيك فى سنة ١٨٢١، ثم جاء بعد ذلك اتحاد جمهوريات هوندوراس، وسان سلفادور، ونيكاراجا ثم اتحاد كولومبيا، وفانزويلا، وجوبان. ثم استقلال جمهوريتى باراجيه وأوراجيه. ثم استقلال الشيلى والارجنتين واستيلاؤهما معا على أراضى باتاغونيا

الى رأس ماجيلان الذى فى جنوب القارة الأمريكية .

وبقيت اسبانيا فى جزر الانتيل حتى طردتها منها الولايات المتحدة سنة ١٨٩٨ بعد حرب قضت على البحرية الأسبانية التى لم تقم لها من بعدها قائمة . وأصبحت حكومات أمريكا كلها جمهوريات ليس فيها ذكر لملك من الملوك ، اللهم الا فى كندا وحدها لدخولها فى الامبراطورية الأنجليزية .

وقد انضمت الولايات المتحدة الى الحلفاء فى الحرب الاوربيـة التى انتهت فى مصلحة الحلفاء ببركة شروط الرئيس ولسن التى كانت تدور حول شرطين أساسيين : أولهما عدم أخذ المنتصر شيئا من أملاك المنكسر ! ! ثانيهما حرية الشعوب الضعيفة ! تلك الشروط التى لم يتحقق منها شئ خصوصا فيما يختص بالشعوب الضعيفة المغلوبة على أمرها ! ! !

وأمريكا بصفة عامة أرضها خصبة فتية لانها لم تشتغل بالزراعة إلا من مدة قرن تقريبا ، ولا تزال على حالتها من الخصب ، خصوصا فى الاراضى التى يمر بهـا نهر المسيسبى ، وكذلك الاراضى البركانية التى تكثر فى الجهات الشرقية من الولايات المتحدة ولا تزال براكينها ثائرة لم تخمـد ، وهى فى خط الاستواء وما يليـه من المناطق . وليس فى أمريكا كلها من الأراضى الغير الصالحة للزرع إلا نحو ١٥ من ١٠٠ من مساحتها ، وهى أرض حجرية متبلورة . وأراضيها الخصبة بصفة عامـة متكونة من المواد التى تحملها اليها أنهارها العظيمة ، كنهر المسيسبى الذى يخرج من بحيرات ايتاسكا فى كندا ، ويخترق الولايات المتحدة حتى يصب فى خليج المكسيك وطوله ٤٦٢٠ كيلومترا . ونهر مسورى الذى يصب فى المسيسبى ، ونهر هيدسون ، ونهر فرجان ، وكنكيتكون ، ودلاور ، وأسكونهانا ، وجمس وكلها تسير فى مناطق سهلة ! ويقدرون مساحتها باكثر من مليون وربع ميل مربع !!

أما أمريكا الجنوبية : فأعظم أنهارها الامازون ، وسان فرنسسكو ، وريودو لابلاتا وأكثر محاصيل أمريكا الشمالية الذرة والحبوب على اختلافها ، خصوصا القمح ،

وأهم محاصيل الولايات المتحدة القطن الذى يزرع فى ولاياتها الجنوبية .

أما أمريكا الجنوبية فاهم محاصيلها الذرة والبن وقصب السكر ، وعلى الاخص القمح الذى يصدرون منه كميات هائلة الى العالم القديم وخصوصا من الشيلى التى يسمونها مزرعة العالم ، وذلك لانبساط أراضيها ، وتوفر مواد الخصوبة فيها ، وكثرة ما فيها من معادن نترات الصودا . أما أحواض الامازون فغالبها غابات كثيفة ، ويصدرون منها كثيرا من خشب العمارة ، ومنها المجنو ، والأبنوس ، والبليسندر . أما معادن أمريكا فهى الذهب ، والفضة ، ويوجدان بكثرة فى كاليفورنيا ، وكولورادو ، ومكسيكا ، وتكثر فى الولايات المتحدة معادن الرصاص ، والحديد ، وتنتج منها أكثر مما ينتجه العالم كله . ومعادن الفحم كثيرة جدا فى أمريكا الشمالية ، ويقدرونه بخمسة وثمانين فى المائة من محصول العالم كله ! ! وكذلك معادن البترول تكثر فيها جدا ، ويقدرون لنفاد الموجود فيها الآن بثلاثين سنة ، وذلك لكثرة ما يستهلكونه منه أو يصدرونه الى الخارج .

أما حيواناتها فكثيرة جدا ، وكثير منها يختلف فى شكله عن حيوانات العالم القديم . أما ما فيها من البقر والخيل والحمير والاغنام ، فقد انتقل اليها مع المستعمرين الذين عنوا بتربيتها حتى أصبحت فيها بكثرة هائلة ببركة عنايتهم بها ، وهم الآن يصدرون من لحومها مجهزة وغير مجهزة بكميات كبيرة جدا الى العالم القديم .

معرفة الفضل لذويه

وهنا يجدر بى أن أشكر من كان يرافقنا فى رحلتنا من رجال الاتحاد ، كما أثنى على رجال قلم الاستعلامات بوزارة الزراعة ، وكذلك رجال الغرف التجارية ، فقد كنت ألجأ اليهم فى تعرف كثير من المعلومات ، كما أشكر رجال مفوضيتنا المصرية ، وعلى الخصوص حضرة صاحب السعادة محمود باشا سامى ورجال قنصلية نيويورك خصوصا عسل بك على ما ساعدونى به من جم التحقيقات . أما صديقى المرحوم محمود

أباظه بك أسكنه الله فسيح جنانه فقد كان لى مادة قيمة فى المسائل الزراعية وكذلك المستر هو بسن المندوب الزراعى عن حكومة الاتحاد ، فقد كان لى نعم العون فى كل ما كنت ألجأ اليه فيه جزاه الله خيرا .

*
* *

وهنا أختم كلمتى بالذكرى الحسنة التى احتفظ بها لحضرات أعضاء المؤتمر ، بصفة عامة لاسيما من تشرفت بمعرفتهم بصفة خاصة ، وعرفت فيهم العلم الجم ، والآداب الفاضلة ، والصفات السامية ، ولا غرو فهم زينة الزمان وخلاصة بنى الانسان .

أما الكتب التى أفادتنى فى معلوماتى العامة عن ولايات الاتحاد فهى :

Ies Etats Unis par And rè siegfried
« « « « larousse
« « « « cambon
En Amerique « jule hnret

*
* *

وبعد عودتى الى مصر عثرت فى كتبخانة بنك مصر على التقرير الرسمى المقدم من المفوضية المصرية الى وزارة الخارجية المصرية فرجعت اليه فى كثير من التحقيقات والتدقيقات المالية والاقتصادية .



فهرس

صحيفه

صحيفة

صحيفة

صحيفة

